



دولة ليبيا
الأكاديمية الليبية - مصراتة
مدرسة العلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير (ت: 774 هـ)

لأبي المحامد عفيف الدين سعيد بن مسعود الكازرُوني (ت: 785 هـ)

من أول سورة الكهف إلى آخر سورة النور (دراسةً وتحقيقاً)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالب

سالم رمضان محمد ضو

إشراف

د. محمد عبد السلام العالم

العام الجامعي 1437هـ / 1438هـ

الموافق : 2016م / 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ

اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ من الآية (105) من سورة النساء

وقال جل وعلا:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ من الآية (44) من سورة النحل

وقال عز وجل:

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ

وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ من الآية (64) من سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

” الإهداء ”

إلى روح والدي ، رحمه الله ، وفاءً ودعاءً ..
إلى من أمرني الله ببرها وطاعتها والإحسان إليها، إلى والدتي الحنون ، وإلى
شقيقتي التي ترافقها ، برّاً وإحساناً ..
إلى قرة عيني ، وفلذات كبدي ، محبةً وعرفاناً..
إلى إخوتي وأخواتي ، صلةً وإخاءً ..
إلى أصدقائي الأعمام ، مودةً والتماساً..
إلى ابن شقيقي ، توسلاً وتضرعاً لله بشفائه ..

... أهدي هذا العمل المتواضع .

شكر وتقدير

لقد احتاج هذا العمل لكي يتم إلى عافية، وتوفيق وتسديد، وإلهام وتيسير، وقد منّ الله تبارك وتعالى به، فله وحده لا شريك له الحمد والثناء، ثم له الحمد أن وفقني لأن أكون من الذين يعنون بتحقيق تفسير جزء من كلامه.

وبعد شكر الله تعالى أخص الأستاذ الدكتور محمد عبدالسلام العالم ببالحق الحفاوة والشكر والتقدير على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، ولما زودني به من نصائح وتوجيهات قيمة، كان لها الأثر العظيم في سير هذا البحث وتسديده وتقويمه.

وأجد لزاماً عليّ أن أشكر وأكرر إلى كل من كان له إسهام في هذا العمل، وفي مقدمتهم أهل بيتي الذين وقروا لي الاستقرار الذهني والنفسي حتى انتهيت إلى هذه المرحلة.

وأوجه بالشكر للأكاديمية الليبية التي كانت، وما زالت صرحاً للعلم، وللراغبين فيه، وأخص به الدكتور إبراهيم مفتاح الصغير رئيس قسم الدراسات الإسلامية بها.

كذا الشكر موصول لإخوان كانت منهم المشورة، والسؤال، والمتابعة، والمساعدة في إتمام هذا البحث من الزملاء، والأصدقاء بإبداء رأي، أو نصيحة، أو إعارة كتاب، وإرشاد إلى مرجع، أو إشارة فنية، أو غير ذلك.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لصاحبي الفضيلة المناقشَيْن الكَرِيمَيْن على ما سببذلانه من جهد، ووقت في تقويم هذه الرسالة، وتسديدها.

وأخيراً فقد حصل التقصير في حقوق كثير ممن لهم حقوق عليّ، وإنني ألتمس منهم العذر في ذلك، ولهم جزيل الشكر.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى، وعلى آله وأصحابه السادة النجباء.

المقدمة

إن الحمد لله، ونحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وبعد : فلقد ميز الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمة بأن أنزل القرآن الكريم، بلغتها واختار النبي - عليه الصلاة والسلام - منها، وقبض الله تعالى لهذا الكتاب الكريم علماء أتقياء أنقياء، ومخلصين أوفياء من أمة الصلاح، الذين سخرُوا أنفسهم لخدمة القرآن العظيم، وبذلوا قصارى جهدهم لتوضيح معانيه، وبيان أسرارهِ، وكشف دقائقهِ واستخراج ما فيه من حكم، وأسرار، وروائع، وعجائب.

ومن بين هؤلاء العلماء الذين كان لهم هذا الشرف الكبير ممن اعتنوا بهذا العلم الإمام ابن كثير (ت: 774هـ)، فقد أوضح في مقدمة كتابه: (تفسير القرآن العظيم) أن أصح الطرق، هو أن يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، ثم إن الصحابة أولى من غيرهم لما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح.

ونظراً لما لهذا التفسير من أهمية، ومكانة علمية، فقد عني بتلخيصه، العديد من العلماء شرحاً، ونسخاً، وتلخيصاً، واختصاراً، ومن بين هؤلاء الإمام عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت: 785هـ)، في كتاب أسماه: (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) . وقد سخرَ الله لنا الاطلاع على النسخة الوحيدة من هذا التفسير الذي تم توزيعه على مجموعة من الطلبة كي يقوموا بتحقيقه، وكان نصيبي في ذلك من (سورة الكهف إلى سورة النور)، أي: من اللوحة رقم: 274 إلى اللوحة رقم: 339، وعدد اللوحات (66 لوحة)، دراسة وتحقيقاً. وقد قمت بمشيئة الله بتحقيقها استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير.

أهمية الموضوع :

تأتي أهمية الموضوع في أهمية تفسير ابن كثير والذي يُعدُّ من أهم كتب التفسير بالمأثور، وأشملها، لعدة أمور من أهمها:

- 1- شرف علم التفسير لأنه يُعنى بكلام الله جل وعلا، فقد قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "(1).
- 2- أن مؤلفه مُحدّث، ومُفسّر، وناقِد يسوق الأحاديث، والآثار مسندة عن مُصنفيها، ويتكلم عنها سنداً، ومنتأً.
- 3- كثرة المصادر التي ذكرها المصنف من كتب السنة ، والتفاسير، وكتب الفقه والإكثار من النقل عنها .
- 4- ذكر الطرق المختلفة، والمواضع المتعددة للحديث الواحد .
- 5- بيان درجة الحديث، وذكر الثقات، والضعفاء، في كثير من الروايات كاشفاً عن أسانيدها، ومبيناً في الغالب درجاتها من حيث الصحة والضعف، مرجحاً في أغلب الأحيان الأقوال الصحيحة .
- 6- التحذير من الإسرائيليات في العديد من المواقع .
- 7- تأخر ابن كثير زمنياً ، إذ عاش في القرن الثامن للهجرة، مما وفر تحت يديه عدداً هائلاً من المصادر في مختلف العلوم الدينية، وهذا ما لم يكن متوفراً لغيره من المفسرين الذين سبقوه.
- 8- أن التفسير يمثل آراء السلف الصالح، وتصوراتهم، كما بينها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أسباب اختيار الموضوع :

- 1- شغفي ورغبتي في دراسة المخطوطات وتحقيقها.
- 2- أن هذا المخطوط في علم التفسير، وهو من أجل العلوم وأرفعها مكانة، لأنه يعتني بكلام الله .
- 3- الأهمية الخاصة لتفسير ابن كثير الذي تكثر الإشارات إليه في معظم الكتب التي تتعلق بعلوم الفقه، والتفاسير، وعلوم القرآن الكريم، وغيرها من العلوم الشرعية.
- 4- أنه وحسب علمي (والله أعلم) من خلال البحث في العديد من المصادر أن هذا المخطوط لم يسبق تحقيقه.
- 5- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلوم الشرعية .
- 6- إحياء التراث الإسلامي ونشره والاستفادة من علومه .
- 7- إحياء تراث الإمام الكازرُونِي خاصة، والتعريف به، وإبرازه للناس للمحافظة عليه من الضياع، كما حدث للعديد من المؤلفات .

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1919/4 (باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه) برقم: 4739، وفي رواية: " إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه "، برقم: 4740. والترمذي في سننه 173/5 باب ما جاء في تعليم القرآن برقم: 2907، وقال: " هذا حديث حسن صحيح ".

الدراسات السابقة :

لم تتوفر لديّ من خلال البحث، وبحسب السبل المتاحة، والإمكانات المتوفرة واستفسار العديد من الأساتذة في هذا المجال، وحسب علمهم أيضاً، أن هذا المخطوط قد تم تحقيقه، ولا أي دراسة تُعنى بمؤلفه في هذا المجال .

الصعوبات التي واجهتني عند كتابة هذا البحث:

أشير هنا إلى أبرز ما واجهني من صعوبات بياناً للواقع، والتماساً للعدر عما عساه أن يقع من نقص، ويمكن إجمال ذلك في الآتي:

(أ) . الصعوبات المتعلقة بالباحث:

1 . الإحساس النفسي والرغبة بصعوبة البحث، لأنه يتعلق بتفسير القرآن الكريم، فهذا أمر ثقيل يتطلب التثبت، والبحث في المراجع الموثوقة، قبل إثبات المعاني والأقوال.

2 . عدم التمكن من الوصول إلى الأكاديمية، نظراً لوجودي خارج المنطقة التي توجد بها، بسبب الظروف التي تمر بها البلاد.

3. عدم معرفتي بالطلبة الذين شاركوني تحقيق هذا المخطوط مطلقاً، وعدم التواصل معهم بأيّة وسيلة، لأنهم من خارج المدينة، الأمر الذي جعلني آخر طالب أتصل على النسخة المراد تحقيقها.

4. قلة المكتبات في المدينة المتواجد فيها، الأمر الذي أدى إلى صعوبة اقتناء بعض الكتب.

5. بذلت جهدي في بحث مسائل هذه الرسالة، ومراجعتها، ولكن ضيق الوقت حال بيني وبين تغطيتها بالشكل المطلوب، فقدمتها معترفاً بالقصور.

6. الصعوبة التي واجهتني في بداية البحث في التعامل مع الطباعة، خاصة البحوث منها، لأنني أشهد الله إنها المرة الأولى التي أقوم فيها بذلك، وإنّي قد تعلمتها بنفسني دون أية دورات تدريبية في هذا المجال.

7. بالإضافة إلى الظروف التي تمر البلاد بصفة عامة من أزمات متعددة في المتطلبات الأساسية، أزال الله كربتها، وكشف غمّتها، وجعل الفرج قريباً يارب العالمين.

(ب). الصعوبات المتعلقة بالبحث:

1 . عدم وجود نسخ أخرى لهذا المخطوط، الأمر الذي أدى إلى صعوبة ملء الفراغات التي وُجِدَتْ، إلا بعد الاستعانة (بتفسير الإمام ابن كثير المُحَقَّق)، مع ملاحظة عدم تطابق المخطوط مع بعض النسخ المحققة للتفسير، الأمر الذي قد يبدو فيه تصحيفاً بسبب هذا الاختلاف، مع التأكيد على التقيد بنفس الرسم الذي في النسخة الموجودة لديّ، فجعلت المتن الذي في المخطوط هو الأصل الذي اعتمدت عليه في النسخ، وإن وجدت بياضاً، أو غموضاً، أو رأيت ما يستوجب التعليق عليه، وضحته في الهامش.

2 . الكيفية التي ينبغي أن ينظم عليها البحث، وتوزيع المسائل عليه، نظراً لعدم تناسقها جميعاً في حجم المفردات .

3 . أن المصنف حين يورد اختلاف الفُراء في حرفٍ من حروف القرآن، أحياناً يذكر القراءات الشاذة، دون ذكر مَنْ قرأ بها، وأجد صعوبة في البحث عنهم في بعض الأحيان، لقلّة المصادر.

4 . كذلك عند استشهاده بالأبيات الشعرية التي يسوقها شاهداً على معنى من المعاني، لا يُسَمِّي القائل، الأمر الذي قد يستغرق وقتاً في البحث عنه، نظراً لعدم توفر الدواوين لذلك الشاعر.

5 . هذا وقد بذلت جهدي في بحث مسائل هذه الرسالة وتحريرها، ومراجعتها وكنت أحب أن أطيل الوقوف عند بعض المسائل التي أشعر أنني لم أوفها حقها، وأرجع إلى المزيد من المصادر غير التفسير، ولكن ضيق الوقت حال بيني وبين هذه الرغبة، فقدمتها معترفاً بالقصور.

6 . عدم وجود ترجمة وافية للإمام الكازروني رحمه الله تعالى عند من ترجم له من أصحاب الكتب، والمصنّفات، فنظرت في كتب التواريخ، والتراجم، والوفيات، وكتب الفهارس، ولم أجد الترجمة الوافية.

7 . إيراده لكثير من الأسماء المهمة الأمر الذي أدى إلى صعوبة البحث عنها من مصادر أخرى، لتوثيقها والتثبت منها.

طريقة البحث :

1 - الإيجاز في التعليق كيلا يثقل النص بطوله، وكذلك الإيجاز في تراجم العلماء.

2 - الاطلاع على أهم المصادر التي لها علاقة بهذا الموضوع إتماماً للفائدة، وتيسيراً للرجوع إليها لمن أراد الاستزادة.

3 - القيام باستعراض الآراء التي أوردها المصنف في تفسيره، كما هي، وإن رأيت ما يستحق التعليق عليها أضفته، وبينت ذلك في الهامش.

4 - لم ألبأ إلى المراجع الأجنبية، ولو مترجمة، وذلك لعدم الحاجة إليها.

5 - يشتمل هذا العمل على قسمين أحدهما دراسي، والآخر تحقيقي :

(أ) **القسم الدراسي** : تناولت فيه ذكر أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وبعض الصعوبات التي واجهتني عند كتابة هذا البحث، ومنهجي في البحث، وأوردتُ فيه التعريف بالإمام ابن كثير صاحب التفسير، ثم بالإمام الكازرُوني صاحب الملخص، ثم نبذة مختصرة عن أهمية الكتاب، ثم وصف المخطوط، ثم التعريف بأهم الكتب التي عنت باختصار تفسير ابن كثير، وذكرتُ الطلبة الذين حققوا بقية المخطوط. ثم أتيتُ بصور لنماذج من بعض لوحات المخطوط.

(ب) **القسم التحقيقي** : وفيه قمت بتحقيق الجزء الذي يشتمل على سورة الكهف إلى نهاية سورة النور، أي من اللوحة: (274) إلى اللوحة رقم (339) وعددها (66) لوحة.

منهجية البحث : وقد اتبعت في ذلك خطوتين أساسيتين هما :

الخطوة الأولى : في توثيق المصادر وكانت كالاتي :

أولاً : تخريج الآيات القرآنية الكريمة .

ثانياً : توثيق كتب الأحاديث الشريفة، وكانت على النحو التالي :

الكتب الستة : ورتبتها (حسب المكانة العلمية) وهي كالاتي :

1 . صحيح الإمام البخاري، ثم صحيح الإمام مسلم .

2 . أما ترتيب أصحاب السنن فكان (بحسب المكانة العلمية)، وهم كالاتي :

(أ). سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني، (ت: 257 هـ).

(ب). السنن الكبرى : لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت: 303 هـ).

(ج). الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة (ت: 297 هـ) .

(د). السنن: تصنيف أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، (ت: 273 هـ).

ثالثاً : أما بقية كتب الحديث فقد تمّ توثيقها بالتسلسل الزمني، حسب تاريخ وفيات مؤلفيها، والأسبقية لكتب التخرّيج، ثم كتب العزو .

رابعاً : أما بقية المصادر كالتراجم وغيرها، فحسب الترتيب الهجائي .

الخطوة الثانية :

وتتمثل في أهم الأعمال التي قمت بها أثناء التحقيق، فقد حاولتُ أن أتبع المنهجية العلمية الصحيحة، وكانت على النحو التالي :

1 - محاولة إخراج النص في أقرب صورة أرادها المؤلف، والتزمْتُ المنهج العلمي المعتمد في تحقيق النصوص التراثية .

2 - ضبّط الآيات القرآنية، وكل ما يحتاج فهمه إلى ضبط من نصوص الكتاب وراعى في كتابة الآيات رسم المصحف مع ما يتفق ورواية الإمام حفص عن عاصم، وترقيم الآيات المفسرة التي أوردها المؤلف في نهاية كل آية، فقد خرّجتُ جميع الآيات القرآنية، وضبّطتها، كما وردت في القرآن الكريم من غير زيادة ولا نقص، عن طريق أخذ نسخة عن الآية، ولصقتها في مكانها من البحث، ووضعها بين قوسين مزهرين هكذا ﴿﴾ .

3 - عزو الآيات القرآنية الكريمة التي يستشهد بها المؤلف في التفسير، وتمييزها عن الآيات المفسرة، وذلك بترقيم الآيات المفسرة، أما الآيات التي ترد في ثنايا المتن على سبيل الاستشهاد، فقد أشرت إلى اسم السورة، ورقم الآية في الهامش وفي الفهارس ذكرت اسم السورة، ورقم الآية، ومكان ورودها في المتن، والصفحة التي وردت فيها .

4 - تطرق المؤلف في بعض الأحيان إلى بعض القراءات، فنسبتُ تلك القراءات القرآنية إلى مصادرها، وذكرتُ أشهر من قرأ بها .

5 - توثيق النقل من الكتب التي أخذ عنها المصنف ما استطعت إلى ذلك سبيلاً حتى، وإن كان المصنف لم يذكر أسماء الكتب التي أخذ عنها.

6 - تخرّيج الأحاديث النبوية بكاملها تخرّيجاً تفصيلياً، بالعزو إلى الكتاب، والباب والجزء، والصفحة، والرقم ، تسهيلاً للفائدة، فإن جاء ذكرها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وربما أعزوه إلى الكتب الستة، وغيره، إذا نسبة المؤلف إليها، وهذا من باب التوثيق لأقوال المصنف، وأما إذا لم يكن الحديث في

أحد الصحيحين، فإنّي استقصي على وسعي في التخرّيج، وذلك لتبيين درجة الحديث، من حيث الصحة أو الضعف، معتمداً على أمهات كتب الأحاديث في ذلك، ونقل حكم العلماء، والمحدّثين، والنقاد الأوائل على الحديث، فإن تعذر - وهذا نادر جداً - اعتمدت في ذلك على بعض العلماء المعاصرين.

7 - شرح الألفاظ الغريبة بالرجوع إلى معاجم اللغة المعتمدة، وتفسير الألفاظ الغامضة التي وردت في المتن من المصادر المختصة بذلك .

8 - ترجمة الأعلام الذين جاء ذكرهم لأول مرة ترجمة مؤجزة وإن تكرر ذكرهم أكثر من مرة أحتهم إلى الترجمة التي سبقت، وإن تكرر ذكرهم عدة مرات لا أحيلهم مكتفياً بالإحالة الأولى.

9 - توضيح علامات الترقيم: كالنقطة، والفاصلة، والاستفهام، والتعجب إن لزم الأمر.

10 - إذا وجدت في المخطوط خرماً، أو بياضاً، أو غموضاً، تركت مكان الأسطر المفقودة فارغاً، ووضعت مجموعة نقاط بين زاويتين هكذا <.....>، وأشرت إلى ذلك في الحاشية بالتفصيل، خاصة إذا كانت لا توجد نسخاً أخرى كهذا المخطوط.

11 - ضبط الشواهد الشعرية، والرجز بالشكل التام، وأشرت أحياناً إلى بحر البيت وإلى الديوان، فإن تعذر فمن كتب الأدب الأخرى، أو إلى الكتاب الذي وُجدت فيه، وَبَيَّنْتُ ذلك في الهامش .

12 - ضبط الكلمات التي يدخل اللبس في نطقها، أو الصعوبة في تشكيلها .

13 - التعريف بالأماكن والبلدان التي جاء ذكرها في النص، وإحالتها إلى المصادر ذات العلاقة، ووضحت ذلك في الهامش .

14 - التعريف بالكتب التي وردت مع ذكر مؤلفيها، والعلم التي تختص به باختصار.

15 - اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: القسم الدراسي. والقسم الثاني: قسم التحقيق.

بالإضافة إلى: الآية القرآنية، والإهداء، وكلمة الشكر والتقدير، والمقدمة وتضمنت أهمية الموضوع، وسبب اختياره، الصعوبات التي واجهتني عند كتابة هذا البحث وخطة البحث، ومنهجي في التحقيق، ونماذج مصورة من المخطوط، وذكر أهم

المختصرات التي عنت بتفسير الإمام ابن كثير، وذكر أسماء الطلبة الذين قاموا بتحقيق المخطوط ثم الخاتمة وبينت فيها أهم النتائج التي استخلصتها من هذا العمل .

1 - القسم الأول : القسم الدراسي : ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ويشمل :

أولاً : نسبه ومولده . ثانياً : نشأته . ثالثاً : شيوخه .

رابعاً : آثاره العلمية . خامساً : وفاته .

المطلب الثاني : التعريف بالإمام الكازروني رحمه الله تعالى ويشمل :

أولاً : نسبه ومولده . ثانياً : نشأته الإجتماعية والعلمية . ثالثاً : شيوخه وتلامذته ومعاصروه . رابعاً : آثاره العلمية . خامساً : وفاته .

المطلب الثالث : التعريف بالكتاب ويشمل :

أولاً : اسم الكتاب . ثانياً : نسبة الكتاب للمؤلف . ثالثاً : سبب تأليف الكتاب .

المطلب الرابع : منهج الإمام الكازروني في التفسير وقسمته إلى :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة الشريفة .

ثالثاً : تفسير القرآن بقول الصحابة رضي الله عنهم .

رابعاً : تفسير القرآن بقول التابعين رضوان الله عليهم .

خامساً : التفسير اللغوي .

سادساً : المصادر التي اعتمد عليها المصنف :

أ - المصادر التي صرح بها .

ب - المصادر التي لم يصرح بها .

المطلب الخامس : التعريف بالمخطوط، وذكر أهم المختصرات التي عنت بتفسير الإمام ابن كثير، والطلبة الذين قاموا بتحقيق بقية المخطوط .

أولاً : وصف المخطوط . ثانياً : ملاحظات على النسخة .

ثالثاً : ذكر أهم مختصرات تفسير الإمام ابن كثير.

رابعاً : ذكر الطلبة الذين قاموا ويقومون بتحقيق المخطوط..

2 - القسم الثاني: القسم التحقيقي: وفيه قمت بتحقيق تفسير السور القرآنية الآتية :

أولاً : تفسير سورة الكهف .

ثانياً : تفسير سورة مريم .

ثالثاً : تفسير سورة طه .

رابعاً : تفسير سورة الأنبياء .

خامساً : تفسير سورة الحج .

سادساً : تفسير سورة المؤمنون .

سابعاً : تفسير سورة النور .

4 - الفهارس العامة وتشمل :

أولاً - فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً - فهرس الأحاديث الشريفة.

ثالثاً - فهرس الآثار.

رابعاً - فهرس المسائل الشرعية

خامساً - فهرس الأبيات الشعرية .

سادساً - فهرس أنصاف الأبيات.

سابعاً - فهرس الأعلام

ثامناً - فهرس الأماكن والبلدان .

تاسعاً - فهرس الأديان والملل والنحل.

عاشراً - فهرس أسماء الكتب المذكورة في المتن.

حادي عشر - فهرس المصادر والمراجع .

ثاني عشر - فهرس المحتويات.

وقد خلصت من خلال هذا الملخص إلى عدة نتائج، من أهمها أن المصنف قد حافظ على ميزات الأصل، وهي تفسيره القرآن بالقرآن، وجمعه الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية المفسرة، أو تويده، أو تقويه، ثم تفسيره القرآن بالسنة الصحيحة، وذكره كثيراً من أقوال السلف، في تفسير الآيات، وقد حذف أسانيد الأحاديث، مكتفياً بذكر الصحابي، وتخريج ابن كثير له، كما حذف كثيراً من أقوال الصحابة التي تكررت، اكتفاء ببعضها، وحذفه الأخبار الإسرائيلية، وما أطال به المؤلف من الأبحاث الكلامية، والفروع الفقهية، والمناقشات اللغوية، واللفظية، مما

لا يتصل بتفسير الآية، اتصالاً وثيقاً، واقتصر في الأحاديث الطويلة، والأحداث التاريخية المطولة، على وضع الشاهد منها، وحافظ المؤلف على آراء الإمام ابن كثير وترجيحاته، في تفسير الآيات، مجتهداً في إبقاء كلامه بحروفه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولاحظت أيضاً على هذا التفسير ورع الإمام ابن كثير، وخوفه من القول على الله بغير علم، وذلك من كثرة تكراره قول (الله أعلم)، وقد سار الإمام الكازروني على هذا النهج.

وقد وَجَدْتُ بياضاً في بعض هذه اللوحات، لكن (ما لا يُدْرِكُ كُلُّهُ لا يُتْرَكُ جُلُّهُ)، فقد رأيت أن أقوم بالتحقيق، والإشارة إلى تلك الفراغات بالهامش، وبخاصة مع تعطش الطلبة لخروج مثل هذه الأعمال، والاستفادة منها، وإِنِّي لَعَلِّي ثِقَّةٌ أَنْ هذا العمل مع ما بذلته فيه من جهد لا يخلو من نقص وقصور، فهو كغيره من الأعمال البشرية يتسم بالقصور، والنقص الذي لا يخلو منهما إلا صاحب العصمة فيما يبلغ عن رب العزة جل في علاه، والله أسأل أن تكون أخطائي في هذا البحث قليلة، فأما العصمة فإنها ليست من نصيب الخطائين، وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين 522/2: " وكيف يُعَصَّمُ من الخطأ من خُلِقَ ظُلوماً جَهولاً ولكن من عُدَّتْ غَلَطَاتُهُ، أقرب إلى الصواب ممن عُدَّتْ إِصَابَاتُهُ ". وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

القسم الأول:

الجانب الدراسي

القسم الأول : الجانب الدراسي ويشمل :

المطلب الأول

التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

أولاً : نسبه ومولده .

ثانياً : نشأته .

ثالثاً : بعض شيوخه .

رابعاً : آثاره العلمية .

خامساً : وفاته .

التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

أولاً : نسبه ومولده :

هو إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع القرشي، البصري دمشقي، ولد في مطلع القرن الثامن سنة (701هـ) على الراجح في منطقة بصرى قرب دمشق⁽¹⁾

ثانياً : نشأته .

نشأ في عائلة علمية، اشتهرت بقيادة المنابر، ورفع لواء العلم، فقد تسلم أبوه أحد منابر العلم، إذ كان خطيباً، ومن عائلته الذين تأثر بهم: أخوه الأكبر عبد الوهاب الذي أخذ عنه الحافظ، وحظى برعايته، والاستفادة من علمه بعد وفاة أبيه، وخصوصاً أن أباه توفي مبكراً سنة (703هـ).

وقد قضى الحافظ ابن كثير ست سنوات في بصرى، ثم انتقل إلى دمشق وله سبع سنين سنة (707هـ) مع أخيه بعد موت أبيه، ونشأ بدمشق، وبدأ طلبه للعلم بحفظه للقرآن الكريم، وأتم حفظه ولم يبلغ العاشرة من عمره، إذ ختم القرآن الكريم (سنة 711هـ) على الشيخ المقرئ المحدث أبي عبد الله محمد بن حسين بن غيلان الحنبلي (ت : 730هـ)⁽²⁾، وقد ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه، ووصفه بالشيخ الصالح العابد الناسك الخاشع إمام مسجد السلالين، وسمع من ابن الشحنة، وابن الزراد، وإسحاق الأمدي، وابن عساكر، والمزي، وطائفة⁽³⁾. وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فأكثر، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ، والحديث، والتفسير⁽⁴⁾. ولازم الحافظ المزي، وتزوج ابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه⁽⁵⁾

ثالثاً : بعض شيوخه :

1 . برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبدالرحمن الفزاري المصري الشافعي، والمولود في ربيع الاول سنة (660 هـ)

1 - ينظر الدرر الكامنة 1/445، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة. 85/3 رقم: 638.

2 - ينظر البداية والنهاية 14/109. أحداث سنة 730هـ، والدرر الكامنة 1/445.

3 - ينظر تذكرة الحفاظ 4/201، والدرر الكامنة 1/445، .

4 - ينظر إنباء الغمر 1/45.

5 - ينظر شذرات الذهب 6/231 رقم : 231 .

وسمع الحديث، واشتغل على أبيه، وأعاد في حلقاته، وبرع وساد أقرانه، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب. (ت: 729 هـ)⁽¹⁾.

2 . يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف الحلبي الأصل، المزي، أبو الحجاج جمال الدين الحافظ ، ولد في ربيع الآخر (سنة 654 هـ) بـحلب، ونشأ بالمزة وحفظ القرآن، وسمع المُسند، والكتب الستة، ومعجم الطبراني، وسمع صحيح مسلم من الإربلي، وقال الإمام ابن كثير عند ذكر أهم وفيات (سنة 742 هـ) قال : وفيها وفاة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي⁽²⁾.

3 . شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين إمام مسجد الحنابلة، ولد (سنة 647 هـ) ، وسمع الكثير، وكان كثير العبادة، حسن الصوت، عليه البهاء، والوقار، وهو حسن الشكل والسمت، يقول الإمام ابن كثير: قرأت عليه (عام 733 هـ) مرجعنا من القدس، كثيرا من الأجزاء، والفوائد توفي يوم الخميس ثاني عشرين ربيع الآخر (سنة: 737 هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية⁽³⁾.

رابعاً : آثاره العلمية:

له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله، والتاريخ، وتخريج أدلة التنبيه، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب⁽⁴⁾ ، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يُتمّه، ورتب مسند أحمد على الحروف، وضم إليه زوائد الطبراني، وأبي يعلى، وله مسند الشيخين، وعلوم الحديث، وطبقات الشافعية وغير ذلك⁽⁵⁾.

خامساً : وفاته :

توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، (774 هـ) . ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية⁽⁶⁾.

1 - ينظر البداية والنهاية 104/14 أحداث 729 هـ .
2 - ينظر البداية والنهاية 142/14 أحداث (742 هـ)، وتذكرة الحفاظ 193/4 رقم: 1176.
3 - ينظر البداية والنهاية 132/14 أحداث 737 هـ، وشذرات الذهب 332/6.
4 - ينظر الدرر الكامنة 445/1 رقم: 944.
5 - ينظر إنباء الغمر 47/1 . وشذرات الذهب 230/6 .
6 - ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة. 85/3 رقم: 638، وشذرات الذهب 232/6.

المطلب الثاني

التعريف بالإمام الكازروني رحمه الله تعالى :

أولاً : نسبه ومولده .

ثانياً : نشأته الإجتماعية والعلمية.

ثالثاً : شيوخه وتلامذته ومعاصروه.

رابعاً : آثاره العلمية .

خامساً : وفاته .

التعريف بالإمام الكازروني رحمه الله تعالى:

أولاً : نسبه ومولده :

هو أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني. ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة (727 هـ) (1).

ثانياً : نشأته الإجتماعية والعلمية:

عاش الإمام الكازروني رحمه الله تعالى مدة من حياته في كازرون، ونشأ بها واشتغل فيها على أبيه بالعلم، وسمع منه بها، ولم تذكر المصادر التي وقفت على ترجمته فيها شيئاً عن نشأته بالتفصيل، فقد تداخلت ترجمته في كثير من المصادر مع والده سعيد الدين، وأخيه نسيم الدين، فأخبره في الكتب شحيحة جداً، ولم تسعفنا المصادر التي ترجمت للكازروني بذكر شيء عن نشأته العلمية المبكرة، ولم تذكر تلك المصادر - أيضاً - شيئاً عن مشيخة الإمام ابن كثير له، إلا ما ذكره هو نفسه في مقدمة المخطوط (2)، كما أغفلت تلك المصادر رحلاته العلمية. وذكر الإمام السخاوي له في كتابه (الضوء اللامع) تعني أنه أدرك القرن التاسع الهجري، بينما بقية المصادر تؤكد موته في أواخر القرن الثامن الهجري في سنة (785 هـ) (3). والكازروني: " بفتح الكاف وسكون الزاي وضم الراء، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى (كازرون) " (4)، مدينة بفارس بين البحر و(شيراز)، وقد خرج منها جماعة من العلماء، والفضلاء، وأهل الخير، وهي بلدة عامرة كبيرة، لها سور وحصن، وأبواب خشب وحديد، ويقال لها: دمياط الأعاجم، وهي كلها قصور، وبساتين ممتدة عن يمين، وشمال، وبها سماسرة كبار، وسوق كبيرة جادة، ومعظم الدور، والجامع على تل يصعد إليه، والأسواق، وقصور التجار تحت، وربض عامر فيه أسواق، ومتاجر، وصناعات، وبها فواكه، وخير كثير، ولها قلعة داخلها حصينة، وبينها وبين (فسا) ستة وخمسون ميلاً (5). وتم فتحها ودخولها الإسلام في خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين كتب عمر بن الخطاب إلى عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، في إتيان (فارس) حيث قصد عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (اصطخر) فزحفوا إليه بجور فهزمهم، وأثنخ فيهم وفتح (جور) ،

1 - هدية العارفين 205/1 باب السين .

2 - لوحة 2/أ من المخطوط .

3 - ينظر الضوء اللامع 21/10. رقم: 63. وهدية العارفين 205/1.

4 - ينظر الأنساب 14/5.

5 - ينظر الروض المعطار 490/1 ومعجم البلدان 429/4 .

و(اصطخر) ووضع عليهم الجزية، وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه، ثم فتح عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (كازرون) من (سابور)، وغلب على أرضها، وفتح أرض (جَهْرَم)، وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه وهو بالبصرة يأمره أن يكانف عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، ويعاونه، واجتمع أبو موسى رضي الله عنه، وعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ففتحا (أرجان) صلحا على الجزية، والخراج، وفتحا(شيراز)⁽¹⁾.

ثالثاً : شيوخه وتلامذته ومعاصروه:

اختلط اسمه في كثير من التراجم مع اسم أخيه (نسيم الدين)، واسم والده (سعيد الدين)، فقد ذكر الإمام السخاوي في ترجمته للإمام الكازروني قوله: هو محمد بن محمد المدعو سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الأستاذ أبي علي الدقاق، أو أحمد العفيف أبو المحامد بن سعيد الدين أبي محمد بن الضياء البلياني النيسابوري ثم الكازروني الشافعي. ولد في ثاني عشر ربيع الأول (سنة 727هـ) وأجاز له في سنة أربعين الحافظ المزي⁽²⁾ والبرزالي⁽³⁾ والذهبي⁽⁴⁾، وأبو حيان⁽⁵⁾ وابن الخباز⁽⁶⁾، وابنة الكمال⁽⁷⁾، وآخرون،

¹ - ينظر تاريخ ابن خلدون 565/2. وفتوح البلدان 380/1.

² - هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة الحافظ الكبير شيخ المحدثين ، الدمشقي المزي ولد في ربيع الآخر (سنة 654 هـ) من تصانيفه كتاب تهذيب الكمال، توفي في صفر (سنة 742 هـ) ودفن بمقابر الصوفية غربي قبر صاحبه ابن تيمية . ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه 74/3 - 76، رقم: 631.

³ - هو القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي علم الدين بن بهاء الدين الدمشقي الحافظ ولد في جمادى الأولى ، (سنة 665 هـ) ومات ذاهباً إلى مكة في رابع ذي الحجة (سنة 739 هـ). ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 277/4 - 279، رقم: 609.

⁴ - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد في ثالث ربيع الآخر سنة 673 هـ ، ومات في ليلة الثالث من ذي القعدة (سنة 748 هـ) . ينظر الدرر الكامنة 66/5، رقم: 894 ، ومعجم المحدثين (97/1)، رقم: 113 .

⁵ - محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي، ولد في أواخر شوال سنة 654هـ ، كان إمام زمانه في علم النحو ، وإماما في اللغة، عارفاً بالقراءات، والحديث، شاعراً مجيداً صادق اللهجة، كثير الاتقان، والاستحضار شافعيًا، لكنه يميل إلى الظاهر، ويصرح به أحياناً وأضر قبل موته بقليل توفي 28 صفر (سنة 745هـ). ينظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة 58/6 - 65، رقم: 2179 .

⁶ - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد الدمشقي الأنصاري العبادي من ولد عبادة بن الصامت المعروف ابن الخباز ولد في رجب (سنة 667 هـ) مات في ثالث شهر رمضان (سنة 756 هـ) . ينظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة 119/5 - 120، رقم: 1016 .

⁷ - هي زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، ولدت سنة 646هـ ، من أهل بيت المقدس، قال الذهبي: كانت دينة خيرة، روت الكثير، وتزاحم عليها الطلبة، وقرأوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الأخلاق، طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، وكانت قانعة متعفة كريمة النفس طيبة الخلق، وأصببت عينها برمد في صغرها، ولم تنزوج قط، وماتت في تاسع عشر جمادى الأولى (سنة 740هـ)، وقد جاوزت التسعين، ونزل الناس بموتها درجة في شيء كثير من الحديث حمل بعير. ينظر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة 248/2 - 249 ، رقم: 1743.

وقرأ على أبيه كتباً جمّة، وحج سنة أربع وأربعين، ثم توجه إلى مكة ليحج أيضاً، فأدركه أجله بنجد في ذي القعدة سنة اثنتين، ودفن هناك⁽¹⁾.

ثم أضاف: "وفيه مخالفة لما تقدم في مولده ولقبه وغيرهما، وكأنه اختلط عليه بالذي بعده كما اختلط على غيره مما يحتاج فيهما إلى تحقيق، والذي بعده هو: محمد نسيم الدين أبو عبد الله (أخو الذي قبله). ولد (سنة 735 هـ) بكازرون من بلاد فارس ونشأ بها، وفاته في سنة اثنتين، وهي وفاة أخيه كما تقدم"⁽²⁾.

ويبدو أن حاجي خليفة في (كشف الظنون) قد اختلط عليه الاسم أيضاً، ففي الكلام على (شرح مشارق الأنوار) سماه سعيد بن مسعود بن محمد⁽³⁾. وفي الكلام عن (شرح شفاء الصدور)⁽⁴⁾، وعن (شرح المطالع المصطفوية) سماه سعيد بن محمد بن مسعود⁽⁵⁾.

عاصر الإمام بعض الفضلاء ممن أنشِبَ إلى مدينة كازرون جماعة من العلماء، وأهل الخير، منهم على سبيل المثال :

1 . محمد بن مسعود بن محمد، سعد الدين الكازروني: محدث. سمع الكثير، وأجاز له المزي وجماعة. وخرج (المسلسلات في الحديث)، ومن كتبه (المغني الموجز)، و(الاحاديث الأربعون)، و(شرح المشارق)، و(المنتقى في مولد المصطفى)، صنّفه بالفارسية، وترجمه ابنه (عفيف الدين) إلى العربية، وأجاز له المزي، وبنّت الكمال، وجماعة، وكان سعيد الدين محدثاً فاضلاً سمع الكثير، وخرج المسلسل، وألف المولد النبوي، فأجاد، ومات في أواخر جمادى الآخرة (سنة 758 هـ)⁽⁶⁾. وهو (والد عفيف الدين صاحب الملخص الذي نحن بصدد تفسيره).

2 . أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمود الكازروني شرف الدين، نزيل دمشق ولد (سنة 673 هـ)، وسمع من الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن وريدة، وأجاز له ابن الشاعر وعبد الصمد بن أبي الجيش وعدة، وسمع من جده المؤرخ ظهير الدين البخاري وجماعة. ومات (سنة 751 هـ)⁽⁷⁾.

1 - ينظر الضوء اللامع 21/10. رقم: 63.

2 - ينظر الضوء اللامع 21/10 رقم: 64.

3 - ينظر كشف الظنون 553/1 .

4 - ينظر كشف الظنون 1050/2.

5 - ينظر كشف الظنون 1689/2.

6 - ينظر الأعلام 96/7، والدرر الكامنة 7/6 رقم: 2053 . وكشف الظنون 1851/2.

7 - ينظر الدرر الكامنة 336/1. رقم: 729. باب من اسمه أحمد.

3 . أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن أبي طالب جلال الدين أبو الفتوح ابن فخر الدين الكازروني البلياني، سمع من الشيخ المحدث سعيد الدين محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود، ومن حيدرة بن محمد بن يحيى بن المحيا العباسي وغيرهما، وحدث عنه أولاده الشيخ الحفيد عفيف الدين، وجمال الدين أبو اسحاق محمد، وأبو سعيد محمد وغيرهم، وكان مولده في السابع والعشرين من جمادي الأولى (سنة 718 هـ)، ومات في (سنة 796 هـ) (1).

4 . عبد الله بن علي بن محمد بن محمود الكازروني الشافعي الأديب جلال الدين ابن ظهير الدين، كان لغويا أديبا بارع الخط يكتب بالكوفي، سمع أباه وعبد الصمد ابن أبي الجيش، وكف بصره في الآخر، ومات في رمضان (سنة 741 هـ) (2).

5 . محمد بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاك بن أحمد بن الحسين بن شهر يار الكازروني الاصل المكي جمال الدين، ولد بمكة في شهر رمضان (سنة 711 هـ)، وسمع من الرضى الطبري، وحدث عنه توفي في شوال (سنة 777 هـ) (3).

6 . محمد بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود ابن محمد بن علي نسيم الدين أبو عبد الله بن سعد الدين النيسابوري ثم الكازروني الفقيه الشافعي النحوي (أخو عفيف الدين الذي نحن بصدد تفسيره)، ولد (سنة 735 هـ)، وذكر ابن حجر أنه نشأ بكازرون، وكانوا يذكرون أنه من ذرية أبي علي الدقاق، وأجاز له المزي وغيره، وسمع الكثير على أبيه، واشتغل بكازرون على أبيه، وبرع في العربية، وشارك في الفقه، وغيره مشاركة حسنة مع عبادة ونسك، وخلق رضى، وانتفع به أهلها. مات ببلاده (سنة 801 هـ) (4).

رابعاً : آثاره العلمية .

من مصنفاته التي صرح بها المؤلف، أو نُسِبَتْ إليه ما يلي:

له (تعريب المنتقى في سير مولد النبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لوالده سعيد الدين، و(شرح الجامع الصحيح للبخاري)، الذي صنّفه بشيراز (سنة 766 هـ)،

1 - ينظر الدرر الكامنة 272/1. من اسمه أحمد رقم: 585.

2 - ينظر الدرر الكامنة 59/3 رقم: 2185.

3 - ينظر الدرر الكامنة 224/5 رقم: 1278.

4 - ينظر بغية الوعاة 113/1 رقم : 187. باب المحمدين. الضوء اللامع 21/10 رقم: 64. وإنباء الغمر

و(شرح النجم من كلام سيد العرب والعجم) للأقليشي، و(شرح شفاء الصدور)،
و(المطالع المصطفوية في شرح مشارق الأنوار النبوية) للقاضي عياض⁽¹⁾، إضافة
إلى الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه، وهو (البدر المنير الملخص من تفسير ابن
كثير)⁽²⁾.

خامساً : وفاته .

توفي الإمام عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني (عام 785 هـ)⁽³⁾.

¹ - ينظر الحطة في ذكر الصحاح الستة 183/1، وكشف الظنون 553/1 باب الجيم ، ومعجم المؤلفين

231/4. وهدية العارفين 205/1.

² - ينظر اللوحة رقم : 2/ب من المخطوط.

³ - ينظر هدية العارفين 205/1.

المطلب الثالث التعريف بالكتاب ويشمل :

أولاً : اسم الكتاب .

ثانياً : نسبة الكتاب للمؤلف .

ثالثاً : سبب تأليف الكتاب .

التعريف بالكتاب:

أولاً : اسم الكتاب :

نصَّ المؤلف على تسمية الكتاب في مقدمته فقال: وسميته (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) (1).

ثانياً : نسبة الكتاب للمؤلف :

لم أقف في جميع المصادر التي رجعتُ إليها في ترجمة الإمام الكازروني على ذكر الكتاب، ولا على نسبه، ومع هذا فليس هناك أدنى شكّ في صحّة نسبه إليه، لأنني وجدت ذلك في مقدمة المخطوط نفسه بقوله: " قال خادم السنة النبوية: أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني، شفا الله برحمته صوب غفرانه، وكساه بفضلله ثوب رضوانه، لما نظرت في تفسير (شيخنا شيخ الإسلام) قدوة الأئمة الأعلام، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء القرشي "، ثم قال بعدها: " سميته: (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير)، سائلاً من الله المنان، الهداية والتوفيق لإتمامه، فإن ذلك من تمام فضله وإنعامه ... " (2). وهذا تأكيد نسبة الكتاب إليه.

ثالثاً : سبب تأليف الكتاب :

أشار المؤلف في المقدمة أيضاً إلى سبب تأليف هذا الكتاب، فقال: " اقترح عليّ بعض إخواني في طريق العلم والدين، وخلّاني من أهل المعاني واليقين أن أخص منه مقاصده، وأميّز لّبه من مبانيه، وأبيّن لهم ما هو المراد من مقاطعه ومعانيه ". فقلت: في تحرير الجواب، ما للتراب ورب الأرباب من أين وكيف لي وأنى أن أرشف ريقه المهنيّ؟ فلم يزد هم إلاّ المبالغة في الإلحاح ". ثم أضاف: " فلمّا لم يكن لي بدٌّ من تلقّهم بالإجابة، والله الكريم ولي الإصابة، فاستخرت الله تعالى واستوفّفته ورغبني دواعي الشكر إلى غوص ذلك البحر العميق، فتركت فيه الأسانيد والمكررات، وسميته: (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) " (3).

1 - ينظر اللوحة 5/أ من المخطوط.

2 - ينظر اللوحة 5/أ.

3 - ينظر : اللوحة رقم 5/ أ ، ب

المطلب الرابع

منهج الإمام الكازروني في التفسير ويشمل:

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة الشريفة .

ثالثاً : تفسير القرآن بقول الصحابة رضي الله عنهم .

رابعاً : تفسير القرآن بقول التابعين رضوان الله عليهم .

خامساً : التفسير اللغوي

سادساً : المصادر التي اعتمد عليها المصنف .

المنهج الذي سلكه الإمام في التفسير :

سلك الإمام الكازروني منهجاً علمياً دقيقاً في إيراد التفسير، فتناول في تأليف كتابه هذا منهج السلف الصالحين في تفسير القرآن، فسّر القرآن بالقرآن، وبالأحاديث النبوية، وبالأثار الثابتة المسندة، من أقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين وأتباعهم رحمهم الله تعالى، وعلى هذا الطراز تفسّر الإمام الطبري، وتفسّر ابن أبي حاتم، وغيرهما غير أن منهجه لم يخرج عن منهج شيخه ابن كثير، ويمكن إجمال منهجه على النحو التالي :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن :

طبق الإمام هذا المنهج خير تطبيق، فجدده قد جمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد، وحشد الآيات المماثلة التي يجمعها وحدة الموضوع، أو تندرج تحت قاعدة عامة يلتزم بها القرآن الكريم، فقد قال في مقدمته: "أصح طرق التفسير أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان، فإنه يُفسّر في مكان آخر، وما اختصره في موضع، فإنه مُفصّل في موضع آخر" (1). ويمكن إجمال ذلك في الآتي:

- 1 . حرص المؤلف على تسمية السور على طريقة شيخه ابن كثير، وأماكن نزولها مدنية كانت، أم مكية.
- 2 . من منهج الإمام الكازروني في تفسيره أن يُفسّر آية من القرآن الكريم، بآية أخرى، وله في ذلك مسالك منها: أنه في بعض الأحيان يأتي بالآية كاملة، كما في تفسير الآيات (54 - 55) من سورة مريم، فقد قال: " كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (2) ، وأحياناً يأتي ببعض منها، كما في تفسير الآية (7) من سورة مريم، قوله: " ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ، يعني أن زكريا أُجيب إلى ما سأل في دعائه، فقيل له: يا زكريا إننا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى، كما في قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ﴾ (3) ، إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

1 - اللوحة رقم 2/أ من المخطوط .

2 - من سورة الصف الآية : (2).

3 - من سورة آل عمران الآيات: (38) - (39).

3. عند تفسيره للآية (27) من سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٧﴾﴾ ، فقد أورد المصنف في تفسيرها قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾⁽¹⁾
4. وكذلك عند تفسيره للآية: (46) من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، فقد أورد شرحاً لها من آية أخرى وهو قوله تعالى: ﴿زِينٍ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾⁽²⁾
5. ذكره اختلاف الروايات للآية الواحدة كما في الآية: (44) من سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ اختلف القراء ههنا، فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ﴾ ، أي: في ذلك الموطن الذي حل به العذاب، فلا منقذ منه، وبيئدئ بقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ، ثم اختلفوا في قراءة الولاية، فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنى هنالك الموالاتة لله فيرجع كل أحد من مؤمن وكافر إلى موالاتة الله، والخشوع له إذا وقع العذاب، ومنهم من كسر الواو من الولاية، أي: هنالك الحكم لله الحق، ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية، ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله.
6. وفي بعض الأحيان يفسر آية بعدة آيات، فيذكر بعضها، ويشير إلى بعضها، كما فعل عند تفسيره للآيات: (73 - 74) من سورة مريم، قال تعالى: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ، في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي، وقال مجاهد: أي: فليدعه الله في طغيانه وواقفه ابن جرير، وهذه مباهلة للمشركين الذين زعموا على هدى كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾⁽³⁾ الآية، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾⁽⁴⁾ الآية. كما سبق في سورة البقرة، وكما ذكر مباهلة النصارى في سورة آل عمران.

1 - من سورة البقرة الآية: (28)

2 - من سورة آل عمران الآية: (14).

3 - من سورة الجمعة الآية : (6).

4 - من سورة البقرة الآية : (94).

7. يشير المؤلف في بعض الآيات التي سبق تفسيرها، إلى اسم السورة لا الآية ومثال ذلك قوله: " سبق في سورة البقرة، وأحياناً يشير إليها قبل أن يفسرها، كما في تفسيره للآيات (61 - 63) من سورة مريم، فقد أشار إلى سورة المؤمنون وترتيبها بعد سورة مريم، بقوله: كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾، وذلك في مواضع كثيرة .

8. يشير أحياناً إلى الآية دون ذكرها، كما في تفسيره للآيات (64 - 65) من سورة مريم، فقد أشار إلى سورة لم يفسرها بعد، فقد قال: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ " الآية. وهذه الآية كالتي في الضحى .

9. ذكر عند تفسير الآية (47) من سورة مريم قول إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾، فقد بينها بقوله: كما قال تعالى في وصفه المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾.

10. أورد عند تفسيره للآية: (55) من سورة مريم: قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿أَهْلُهُ﴾ أي: قومه، وقيل: جميع أمته، ثم أضاف موضحاً لها قوله: كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾⁽³⁾.

11. وعند تفسيره للآية (30)، (31) من سورة الحج، قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، فقد أورد لها تفسيراً وهو قوله تعالى: ﴿الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾⁽⁴⁾

12. وعند تفسيره للآية: (26) من سورة الكهف: ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾؛ أي: ولئن كان معاد ورجعة إلى الله، ليكونن لي هنالك أحسن من هذا لقبولي لديه، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، فقد استند في تفسيره (المنقلب)

1 - من الآية (63) من سورة الفرقان.

2 - من الآية (132) من سورة طه.

3 - من الآية (6) من سورة التحريم

4 - من الآية (3) من سورة المائدة .

على آية أخرى، فقال: و(المنقلب): المرجع، وهي من قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ رُجْعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ (1).

13. وعند تفسيره الآية: (29) من سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾؛ أورد في تفسيرها بقوله: أي: وساءت النار منزلاً وقيلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق، كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (2). والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ولا يسع المقام لسرها. آية أخرى

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة الشريفة :

وقد صور الإمام هذا الأصل في مقدمته بقوله " فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقوله: قال إمامنا الشافعي " كل ما حكم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مما فهمه من القرآن " (3). والأمثلة على تفسير القرآن بالسنة كثيرة جداً، ولتعدد جوانب الاستشهاد بها، ويمكن تدوين بعض النماذج في ذلك على النحو التالي :

1. أغلب الأحاديث التي استدلت بها المؤلف في مجملها صحيحة .
2. أحياناً يصرح بالمصدر وراوي الحديث قبل ذكر الحديث، ومثال ذلك في تفسير فضل سورة الكهف قوله: " وفي الصحيحين عن البراء قال: " كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو و تدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن " (4). وفي تفسير الآيات (5 - 7) من سورة الحج، قال: وفي مسند أحمد عن أنس قال: " إذا بلغ الرجل أربعين عاماً، أمن من أنواع البلاء من الجنون والجذام، والبرص ... " (5).

1 - من الآية: (50) من سورة فصلت.

2 - من الآية (66) من سورة الفرقان

3 - اللوحة رقم 2/أ من المخطوط .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1914/4 فضل سورة الكهف برقم : 4724 ، ومسلم في صحيحه 547/1 كتاب الصلاة باب نزول السكينة لنزول القرآن برقم: 597.

5 - أخرجه أحمد في مسنده 12/21 حديث أنس بن مالك برقم : 13279 بلفظ : " ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة " وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 342/10 باب فيمن طال عمره من المسلمين برقم : 17564 عن أنس رضي الله عنه وعزاه إلى الطبراني في الكبير ، وقال من رواية عبدالله بن عمرو عن عبدالله بن أبي بكر ، ولم يدركه ، ولكن رجاله ثقات.

3. أورد عند تفسيره للآية (10) من سورة الكهف: ﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، قوله: أي: وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً؛ أي: اجعل عاقبته رشداً، كما جاء في الحديث: "وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً" (1) وفي المستدرک، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة" (2)

4. وكذلك عند تفسيره للآيتين: (23)، (24) من سورة الكهف: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعِلْتُ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾، هذا إرشاد من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - إلى الأدب فيما عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله علام الغيوب، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "قال سليمان عليه السلام: لأ طوفن الليلة على سبعين امرأة" (3)، تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته" (4).

5. وأورد في تفسيره للآية: (28) من سورة الكهف، نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيشِيَّ﴾ (5) الآية، فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس وحافي الجلد، وذو الثوب

1 - أخرجه البخاري في الأدب المفرد 222/1 باب دعاء الأخ بظهر الغيب برقم : 639 ، والحاكم في مستدرکه 702/1 كتاب الدعاء والتكبير والتهليل برقم: 1914، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

2 - أخرجه أحمد في مسنده 181/4 حديث بئر بن أبي أرطاة رقم : 17665، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 50/11 باب بئر بن أبي أرطاة رقم : 17390 ، وعزاه إلى أحمد والطبراني وقال : رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات .

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1260/3 باب قول الله تعالى ووهبنا لداود برقم : 3242 عن خالد بن مخلد نحوه ، ومسلم في صحيحه 1275/3 باب الاستثناء برقم : 1654 نحوه.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 2007/5 باب لأ طوفن الليلة على نسائي برقم: 4944 نحوه، بلفظ " وكان أرجى لحاجته"، وكذلك 2470/6 باب الاستثناء في الأيمان برقم: 6341 به ، ومسلم في صحيحه 1275/3 باب الاستثناء برقم : 1654 به .

5 ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيشِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف الآية (28) .

الواحد، فلما رأهم جلس معهم، وقال: " الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم " (1).

6. عند ذكره الحديث في بعض الأحيان يذكر المصدر، وصاحبه، مثل ما جاء في الحديث الذي أورده في فضل سورة الكهف، قوله: " وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له النور ما بينه، وبين الجمعتين " (2). رواه الحاكم في مستدركه، والبيهقي عنه.

7. يذكر المصنف في بعض الأحاديث المصدر، قبل ذكره الحديث، مثال ذلك عند تفسيره الآيات (9) - (12) من سورة الكهف قوله: - وفي المستدرک - " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة " (3). وقوله عند تفسيره الآيات: (13) - (16) من سورة الكهف: كما في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف " (4)

8. يأتي أحياناً بذكر المسانيد مجملة، كما في تفسيره للآيات (47) - (49) من سور الكهف، فقد أورد الحديث كالاتي: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحقرات الذنوب، وإنما مثل محقرات الذنوب، مثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء هذا بعود، وهذا بعود، وهذا بعود، فاطبخوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات " (5) هكذا في بعض المسانيد.

9. يشير في بعض الأحيان إلى كتب السنن، ويستثني أحدها كما ذكر عند تفسيره للآيات (36) - (38) من سورة النور حين قال: عن عائشة قالت: " أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببناء المساجد في الدور، وأن تُنظَّف وتُطَيَّب " (6) رواه

1 - أخرجه الطبراني في أوسطه 357/8 باب من اسمه مقدم برقم: 8866، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 88/7 باب سورة الأنعام برقم: 10998، وعزاه إلى الطبراني، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

2 - أخرجه الحاكم في مستدركه 369/2 برقم: 3392، والبيهقي في شعب الإيمان 474/2 باب ذكر سورة الكهف بلفظ " ما بينه وبين البيت العتيق " . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجَاه.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 181/4 حديث بُسر بن أبي أرطاة رقم: 17665 ، وابن حبان في صحيحه 229/3 باب الأدعية رقم: 949 بلفظ " عاقبتنا " ، والحاكم في المستدرک 683/3 باب بسر بن أبي أرطاة برقم: 6508.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1213/3 باب الأرواح جنود مجندة برقم: 3158، و مسلم في صحيحه 2030/4 باب الأرواح جنود مجندة برقم: 2638 .

5 - أخرجه أحمد في مسنده 467/37 مسند أبي مالك سهل بن سعد رقم: 22808، وأورده الهيثمي في الزوائد 190/10 باب فيما يحتقر من الذنوب برقم: 17462 ، وعزاه إلى أحمد والطبراني في الثلاثة من طريقين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة .

6 - أخرجه أبو داود في سننه 178/1 باب اتخاذ المساجد في الدور برقم: 455، والترمذي في سننه 489/2 باب ما ذكر في تطييب المساجد برقم: 594 وسكت عنه، وابن ماجه في سننه 250/1 باب تطهير المساجد

أحمد، وأهل السنن إلا النسائي. وأحياناً لا يستثنى، كما في تفسيره للآية نفسها، حيث قال: وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تقوم الساعة حتى تتباهى الناس في المساجد " ⁽¹⁾. رواه أحمد، وأكثر أهل السنن.

10. يشير المصنف في بعض الأحاديث إلى الحديث بلفظ (حسنه أو صححه) وذلك عندما يكون الحديث قد رواه الترمذي، كما في تفسيره الآيات (19) - (22) من سورة الحج. عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الحميم ليُصبّ على رؤوسهم، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يُعاد كما كان " ⁽²⁾. رواه الترمذي (وصححه)، وعند تفسيره الآيات (32) - (33) من سورة الحج فقد قال : وعن أبي سعيد " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضحى بكبش أقرن فحيل، يأكل في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد " ⁽³⁾. رواه أهل السنن، (وصححه) الترمذي. وفي تفسيره الآية (36) من سورة الحج : وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من هراقه دم، وإنه لتأتي يوم القيامة بقرونها، وأظلافها، وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً " ⁽⁴⁾. رواه الترمذي (وحسنه).

11. وأحياناً يستعمل اللفظين (حسنه وصححه)، كما أورد ذلك في سورة المؤمنون الآية (101) - (104) قوله: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾**، قال: تشويه النار، فَتَقَلَّصُ شَفْتَهُ الْعَلِيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ

وتطيبها برقم: 758 بلفظ " وإن تُبْنَى في الدور وأن تُطَهَّرَ وتُطَيَّبَ ". وأحمد في مسنده 396/43 مسن عائشة رضي الله عنها برقم: 26386. وأورده الألباني في صحيح أبي داود 354/2 باب اتخاذ المساجد في الدور برقم: 480.

¹ - - أخرجه أبوداود في سننه 176/1 باب في بناء المساجد برقم: 449، والنسائي في سننه 32/2 باب المباهاة في المساجد برقم: 689، وابن ماجه في سننه 224 باب تشييد المساجد برقم: 739، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 133/1 برقم: 449 وقال: صحيح.

² - أخرجه الترمذي في سننه 705/4 صفة شراب أهل النار 705/4 برقم: 2582، وأحمد في مسنده 452/14 مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم: 8864، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

³ - أخرجه الترمذي في سننه 85/4 باب ما يستحب من الأضاحي برقم: 1496 عن أبي سعيد رضي الله عنه وابن ماجه في سننه 1046/2 باب ما يستحب من الأضاحي برقم: 3128، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حفص بن غياث.

⁴ - أخرجه الترمذي في سننه 83/4 باب فضل الأضحية برقم: 1493، والحاكم في مستدركه 222/4 برقم: 7523، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرَّتَه "(1) رواه الترمذي (وحسنه وصححه).

12. إذا تطلب المقام تكرار الحديث، فإنه يذكره مختصراً، ثم يشير إلى محل ذكره مبسوطاً، كقوله عند تفسير الآيات (30) - (31) من سورة الحج، كما في حديث البراء رضي الله عنه: " إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت ، وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح لهم أبواب السماء بل تطرح روحه طرْحاً من هناك "(2) الحديث، وقد سبق مبسوطاً في سورة إبراهيم.

13. عند تفسيره للآية (18) من سورة النور ذكر حديث، واستعمل لفظة (اتفقا عليه) وهي المرة الوحيدة، ولم أجد لها في غيرها من الأحاديث التي ذكرها. فقال: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها، ما لم يقل، أو يعمل "(3)، (اتفقا عليه) . وقد وجدت هذا الحديث في الصحيحين.

14. يذكر أحياناً حديثاً في غير الصحيحين، ثم يشير إليه في أحدهما، ولا يذكر المتن، كما في تفسير الآيات (92) - (96) من سورة الكهف فقد روى حديثاً، ثم أشار إلى آخر عند البخاري دون ذكره، فقال: " ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله: قد رأيت سدّاً يأجوج، ومأجوج، قال: انعته لي؟ قال: كالبرد المُحَبَّرِ طريقتاً سوداء، وطريقتاً حمراء، قال: قد رأيتَه "(4). وروى نحوه البخاري مُختصراً.

15. يذكر أحياناً الإمام البخاري، دون ذكر الكتاب، ثم بعدها يذكر المتن، كما في تفسير الآية (103) - (106) من سورة الكهف، فقد قال: " وفي - البخاري - عن مُصعب بن سعد (5) قال: سألت أباي؛ أي: سعد بن أبي

1 - أخرجه الترمذي في سننه 708/4 صفة أهل النار برقم: 2587، والحاكم في مستدركه 428/2 برقم: 3490، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

2 - أخرجه أحمد في مسنده 502/30 حديث البراء بن عازب برقم: 18534 نحوه، والحديث ورد مطولاً والبيهقي في شعب الإيمان 610/1 برقم: 390، والحديث ورد مطولاً أيضاً.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2454/6 باب إن حنث ناسياً في الأيمان برقم: 6287 بلفظ " إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم ". ومسلم 116/1 باب تجاوز الله عن حديث النفس برقم: 127 بلفظ " إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به ".

4 - أما ما أخرجه البخاري في صحيحه 1219/12 باب قصة يأجوج ومأجوج بلفظ " مثل البرد المُحَبَّرِ " هكذا مختصراً برقم: 3345 نحوه، والطبراني في مسند الشاميين 71/4 باب قتادة عن رجال لم يسمهم بلفظ " طريقة حمراء من نحاس، وطريقة حمراء من حديد " برقم: 2658.

5 - مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، تابعي مشهور يُكنى أبا زرارة، يروي عن أبيه سعد، وعن علي بن أبي طالب، وطلحة، وابن عمر، وروى عنه: أبو اسحاق السبيعي، وعاصم بن بهدلة، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ت: 103 هـ ينظر الإيثار 173/1 باب الميم، وتقريب التهذيب 533/1 برقم: 6688 والتقات 411/5 باب الميم.

وقاص⁽¹⁾: قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً هم : الحرورية؟، قال: لا هم اليهود، والنصارى ..."⁽²⁾.

ثالثاً : تفسير القرآن بقول الصحابة رضي الله عنهم .

قال الإمام في مقدمته : " إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة⁽³⁾ - رضي الله عنهم - ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، لما لهم من الفهم والعلم الصحيح"⁽⁴⁾ ، بما أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم أعراف الناس بالتفسير بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد اعتمد المؤلف على تفاسيرهم، وأكثر النقل عنهم في الروايات.

ومن أوجه أهمية تفسير الصحابي :

1 - إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعتمدون في تفسيرهم لكتاب الله على القرآن الكريم، وعلى ما يتلقونه من النبي - صلى الله عليه وسلم -، واللغة العربية، وما يؤدي إليه اجتهادهم .

2 - إن أقوالهم في أسباب النزول لها حكم الرفع ، وكذلك أقوالهم في الأمور الغيبية لها حكم الرفع .

3 - وقد نزل القرآن بلغتهم، فلهم القدرة على فهم القرآن واستنباط الأحكام

4 - حجية قول الصحابي في التفسير، وخصوصاً إذا لم يعارضه صحابي آخر

5 - حظي بعض الصحابة، بل الكثير منهم بكتابة الوحي، وهذا ساعدهم على بيان الناسخ والمنسوخ، وبيان المشكل، والمكي والمدني ، وتخصيص العام .

6 - خلو تفاسيرهم من التأويل المذموم .

1 - سعد بن أبي وقاص: يكنى أبا اسحاق وأوه حمنة بنت سفيان بن أمية ، أسلم بعد ستة ، وقيل بعد أربعة ، وكان عمره 17 سنة، أحد الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، أحد الستة أصحاب الشورى ، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأخبر الفاروق رضي الله عنه أنه هو أحد الذين توفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ، وهم العشرة سادات الصحابة، توفي بالمدينة في إمارة معاوية ، روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة موتاً عام: 54 هـ. ينظر الاستيعاب 606/2 رقم: 963، وأسد الغابة 433/2 رقم: 2029، والتاريخ الكبير 43/4 باب سعد رقم: 1908 .

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1758/4 تفسير سورة الكهف برقم : 4451 به ، والنسائي في سننه 392/6 تفسير سورة الكهف برقم : 11313 به ، والحاكم في مستدرکه 371/2 برقم : 3401 نحوه ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجَاه .

3 - الصحابي: وهو من لقي النبي - صلى الله تعالى عليه - وعلى آله وسلم - مؤمناً به، ومات على الإسلام. ينظر الإصابة 353/1، وفتح المغيثة 93/3، ونخبة الفكر 230/1.

4 - اللوحة رقم 2/ب .

7 - قوة منهجيتهم، ومنها النقد المبكر، والتثبت من الرواية .

8. من أمثلة ذلك: تفسيره للآية: (9) من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه (1) "أي الذي أتيتك به من العلم والسنة والكتاب أفضل من أصحاب الكهف والرقيم"، والكهف: هو الغار في الجبل وهو الذي لجأ إليه، والرقيم: "وادي قريب من آيلة، قاله ابن عباس وغير واحد رضي الله عنه."

9- وكذلك عند تفسيره للآية (46) من سورة الكهف: ﴿وَأَلْبَقَيْتُ الْأَصْلِحَاتِ صَبْرًا﴾، قال ابن عباس وغير واحد: "هي الصلوات الخمس" (2)، وعنه أيضاً: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، وبه قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه (3)

10 - وعند تفسيره للآية (28) من سورة الكهف: وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: أي: "لا تجاوزهم إلى غيرهم ولا تبدل أصحاب الشرف والثروة بهم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا"

11 - وعند تفسيره للآية: (1) من سورة مريم: فقد أورد قول ابن عباس: " الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين، من عليم وعظيم والصاد من صادق. والأمثلة على ذلك كثيرة لا يسع المقام لسردها .

1 - ابن عباس رضي الله عنه: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كني بابنه العباس، وهو أكبر أولاده وأمه لبانة بنت الحارث، قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " اللهم علمه الحكمة"، وفي رواية: " اللهم فقهه في الدين"، يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمر، وعلي وغيرهم، ويروي عنه: ابن عمر، وأنس بن مالك، وعكرمة، وعطاء رضي الله عنه، وكان قد عُمي في آخر عمره، توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين. (ت: 68هـ) بالطائف. ينظر الاستيعاب 934/3، وأسد الغابة 295/3 باب العين والباء.

2 - ينظر تفسير الطبري 32/18 في تفسير سورة الكهف الآية: 46، وتفسير القرطبي 414/10 في تفسير سورة الكهف، وسيأتي تفصيلها لاحقاً .

3 - عثمان بن عفان بن العاص بن عبد شمس يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف يكنى أبا عبدالله، وقيل أبو عمرو، وهو ذو النورين، وأمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين دعاه الصديق إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة قُتل في عام: 35 هـ في أيام التشريق. ينظر الاستيعاب 1037/3 باب عثمان رقم: 1778، وأسد الغابة 696/3 رقم: 3575، والإصابة 456/4 باب العين بعدها الثاء رقم: 5452.

12. عند تفسيره الآية (27) من سورة النور أورد آية وقال: إنها في مُصحف ابن مسعود رضي الله عنه (1) (حَتَّى تَسَلُّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا)، وأيضاً رواية عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو اختيار ابن جرير، وهو تفسيراً للآية.

13. وعند تفسيره الآية: (85) من سورة مريم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾، أورد قول الإمام علي رضي الله عنه (2): " لا والله ما على أرجلهم يُحشرون، ولكن بِنُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة ".

رابعاً : تفسير القرآن بقول التابعين رضوان الله عليهم :

قال المؤلف - في تفسيره -: " إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا عن الصحابة - رضي الله عنهم - ، فقد رجع الأكثرون في ذلك إلى أقوال التابعين (3)، فقد اعتمد المؤلف على تفاسيرهم (4)، وَأَكْثَرَ النُّقْلِ عَنْهُمْ، وذلك للقيمة العلمية التي انتهجها المؤلف في تفسيره. ومن أوجه هذه القيمة ما يلي :

1. قول النبي - صلى الله عليه وسلم - " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم .. " (5)

2. إن هؤلاء التابعين قد تلقوا العلم عن الصحابة رضوان الله عليهم، فكان طبيعياً أن يُعَوَّلَ عليهم في التفسير، والحديث، والفتيا، إذا لم يوجد في الموضوع حديثاً للنبي - صلى الله عليه وسلم -، أو قول الصحابي، ومن هنا تأتي أهمية تفسيرهم.

1 - عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أسلم مع فاطمة بنت الخطاب، وزوجها سعيد بن زيد، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وكان إسلامه أول الإسلام، شهد بدرًا وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل، وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه: ابن عباس، وابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم، ومن التابعين علقمة، ومسروق، وغيرهما، (ت: 32هـ)، ودفن بالبقيع ليلاً لأنه أوصى بذلك. ينظر الاستيعاب: 987/3 رقم: 1659، وأسد الغابة: 394/3 رقم: 3169، والثقات: 308/3 رقم: 703، والجرح والتعديل: 149/5 رقم: 686.

2 - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو الحسن، وأبو السبطين، وأبو تراب، وقال سهل بن سعد الساعدي: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وأنه كان يفرح إذا دُعي به، استمرت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وهو أول خليفة من بني هاشم، وشهد جميع المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تبوك، كان الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله وقال له: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، ت: 40 هـ قتله عبد الرحمن بن ملجم. ينظر أسد الغابة 100/4، وأسماء الخلفاء 162/2، وألقاب الصحابة والتابعين 48/1، والتاريخ الكبير 259/6، والجرح والتعديل 191/6.

3 - التابعي: وهو من (صحاب الصحابي)، أو من لقي الصحابي. ومات على الإسلام. ينظر التقييد والإيضاح 21/1، ونخبة الفكر 230/1.

4 - اللوحة رقم 3/أ.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 938/2 باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم: 2508. ومسلم في صحيحه 1962/4 باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم: 2533.

3. أن التابعين لهم روايات في أسباب النزول لها حكم الرفع، وذلك إذا جاءت روايات بأسانيد ثابتة عن أكثر من تابعي، فإنها تقوي بعضها بعضاً، ويكون لها حكم الرفع. .

4. إذا وردت الرواية الضعيفة عن الصحابي، فإن الرواية الصحيحة عن التابعي تقويها، وتكون كالشاهد لها إذا كان التابعي قد تتلمذ على الصحابي. .

5. غزارة أقوالهم في التفاسير، وخاصة في التفاسير كبيرة الحجم، مثل تفسير الطبري، حيث يحتوي على كثرة الروايات من أقوال المفسرين من التابعين. .

6. أكثر الأقوال الذين ينقل عنهم ينسبها إلى ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم. .

7 - من أمثلة ذلك: في تفسيره للآية (9) من سورة الكهف: ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾، قال مجاهد: الرقيم: كان بنيانهم، وقال كعب(1):

الرقيم: اسم القرية، وقال ابن جبير(2): الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف. ويقول الإمام ابن كثير: [والظاهر أن الرقيم: الكتاب المرقوم، كما هو اختيار ابن جرير].

8 - وكذلك في تفسيره للآية: (42) من سورة الكهف، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ قال

قتادة (3) : أي: فصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليهم.

1 - كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع، بكسر المثناة من فوق الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ويقال له: (كعب الحبر)، والراجح أن إسلامه في خلافة عمر، وكان قد قرأ الكتب، يروي عن: ابن عمر، وابن عباس، وروى عنه الناس، (ت: 34 هـ). ينظر أسد الغابة 514/4، والإصابة 647/5 رقم: 7501، والثقات 333/5 رقم: 5095.

2 - سعيد بن جبير بن هشام مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، يروي عن: ابن عمر، وابن عباس وجماعة من الصحابة، يروي عنه: عمرو بن دينار، وأيوب، كان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً، وعن ابن بشر قال: كان سعيد بن جبير أعلم من مجاهد وطاوس، وكان يختم القرآن كل ليلتين، وكان لا يدع أحد يغتاب عنده ت: 95 هـ، قتله الحجاج وقال له " اختر لنفسك أي قتلة شئت فقال: اختره أنت فإن القصاص أمامك " فقتله ثم مات الحجاج بعده بأيام. ينظر التاريخ الكبير 461/3، و تذكرة الحفاظ 60/1 رقم: 73، والثقات 275/4 رقم: 2883، والجرح والتعديل 9/4 رقم: 29 والطبقات الكبرى 266/6.

3 - قتادة بن دعامة السدوسي من أهل البصرة كنيته أبو الخطاب، وكان أعمى، وهو من علماء الناس بالقرآن والفقهاء، ومن حفاظ أهل زمانه، جالس سعيد بن المسيب، يروي عن: أنس بن مالك، روى عنه شعبة بن الحجاج، وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث، توفي بواسط عام: 117 هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 98/1 باب قتادة والثقات/322 باب القاف، والطبقات الكبرى 7/ 228 الطبقة الثالثة.

9 - وأورد في تفسيره للآية: (5) من سورة مريم: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾، قال مجاهد⁽¹⁾: المراد بالموالي العصبية.

10. وعند تفسيره للآية: (16) من سورة مريم، وهو قوله تعالى: ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾؛ أي: اعتزلتهم، وتحت عنهم، وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس، قال السدي⁽²⁾: "لحيض أصابها"⁽³⁾

11. وعند تفسيره الآية: (71) من سورة مريم: قال قتادة في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: هو الممر عليها.

12. عند تفسير الآية: (21) من سورة طه وهو قوله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾، فقد أورد قول وهب⁽⁴⁾ في تفسيرها: (خذها بيمينك ولا تخف).

وكذلك عند تفسيره الآية: (98): من سورة مريم: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾؛ أي: هل ترى منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً، هكذا قالوه، وقال الحسن⁽⁵⁾ وقتادة: هل ترى عيناً، أو تسمع صوتاً.

1 - مجاهد بن جبر، ويقال ابن جبير، أبو الحجاج مولى عبد الله بن السائب، روى عن: ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، روى عنه: عطاء، وطاوس، وغيرهما، وكان فقيهاً عالماً كثير الحديث من الطبقة الثانية، توفي وهو ساجد عام: 103 هـ. ينظر التاريخ الكبير 411/7 رقم: 1805. والجرح والتعديل 319/8 رقم: 1469، والطبقات الكبرى 466/5 الطبقة الثانية.

2 - السدي: إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، والسدي: بضم السين المهملة، وتشديد الدال، وعرف بذلك لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يُقال له السدة، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، وقد رأى ابن عمر^[7] مولى زينب بنت قيس، يُعدُّ من الكوفيين، قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير، وما تركه أحد، سمع أنس بن مالك^[7] وروى عنه، سمع منه أبو حماد سالم الصيرفي وشعبة والثوري وغيرهم، قال يحيى بن سعيد: سمعت ابن أبي خالد يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، وقال ابن حنبل: السدي ثقة، وذكره العقيلي في الضعفاء، وقال ابن عدي لأبأس به، مات بالكوفة عام: 127 هـ. ينظر الثقات 20/4 باب الألف، والجرح والتعديل 184/2 برقم: 625، والضعفاء 87/1 باب الألف برقم: 101.

3 - ينظر تفسير السدي ص/339، وتفسير الطبري 162/18، والدر المنثور 495/5.

4 - وهب بن منبه: أبو عبدالله اليماني الصنعاني من التابعين أصله من أبناء الفرس الذي بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء، وولي القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين صحب ابن عباس، ولزمه ثلاث عشر سنة، وكان عابداً فاضلاً يروي عن جابر بن عبدالله، وابن عباس، وأخيه همام بن منبه، ويروي عنه: عمر بن دينار، والمغيرة بن حكيم، والمنذر بن النعمان وغيرهم، قال عنه أبو زرعة: ثقة، وهم خمسة إخوة، ت: 113 هـ. ينظر أخبار القضاة 303/3. والأنساب 11/3 باب الزماني، والتاريخ الكبير 164/8 برقم: 2565 باب وهب، وقال: كان ذو القرنين ملكاً، فقيل له: فلم سمي ذا القرنين، قال: اختلف فيه أهل الكتاب. فقال بعضهم: ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين. ينظر تفسير الطبري 93/18.

5 - الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحانية والمهملة الأنصاري، وهو على رأس الطبقة الوسطى من التابعين، وأمه خيرة مولاة أم سلمة نشأ بالمدينة، وحفظ كتاب الله في خلافة

خامساً: التفسير اللغوي :

يظهر أثر البيان اللغوي في تفسير المؤلف من خلال استشهاده بالشعر العربي وذلك في مواضع كثيرة أوردها المؤلف، فأحياناً يأتي بشرط البيت، كما في تفسيره للآيات (6 - 8) من سورة الكهف، قال تعالى: ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾⁽¹⁾، قيل: عدداً، وقيل: غايةً، فإن المدد: الأمد لغاية، كما في قول الشاعر⁽²⁾: سبق الجواد إذا استولى على الأمد وأحياناً يأتي بالبيت كاملاً، كما في تفسير الآيات (19 - 20) من سورة الكهف ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾، وقيل أكثر طعاماً، ومنه زكى الزرع إذا كثر، قال الشاعر⁽³⁾:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... والسبعُ أزكى من ثلاثٍ وأطيبُ.

وأحياناً يأتي بعدة أبيات: كما في تفسير الآيات (40 - 44) من سورة طه ﴿لَعَلَّهُ يَنْذِكُرَ أَوْ يَخْشَى﴾، والخشية تحصيل الطاعة، ونقل عن زيد بن عمرو بن نفيل هنا شعراً وقيل: هو لأمية بن أبي الصلت: فقد أورد ثمانية أبيات منها :

وأنت الذي من فضل منّ ورحمة بعثت إلى موسى رسولا منادياً

فقلت له اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان باغياً⁽⁴⁾.

عثمان، تابعي كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، حدث عن: عثمان بن عفان، وعمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وطائفة، حدث عنه: قتادة، وأبان بن يزيد، وأمم سواهم، قال ابن سعد: كان جامعاً عالماً رقيقاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً حافظاً علامة من بحور العلم"، وقال ابن حجر: "كان يرسل كثيراً ويُدلس"، وقال الذهبي: "وهو مُدلسٌ فلا يُحتج بقوله" (ت: 110 هـ). ينظر تذكرة الحفاظ 57/1، وتقريب التهذيب 160/1 برقم: 1227، وتهذيب الأسماء للنووي 216/1 برقم 122، وسير أعلام النبلاء 563/4 برقم: 223، والطبقات الكبرى 156/7.

¹ الآية (12) من سورة الكهف.

² - الشاعر هو النابغة الذبياني، أحد شعراء المعلقات وهذا البيت من البحر البسيط . ينظر ديوان الشاعر ص : 33.

³ - الشاعر هو القتال الكلابي : وهذا اللقب غلب عليه لتمرده وقتكه، وكان يكنى بأبي المسيب وأبي شليل، وهو من المخضرمين، أي: أنه أدرك الجاهلية، والإسلام، وقد وجدته بلفظ : قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاثٍ وأكثرُ .

ينظر ديوان الشاعر ص/ 12 - 13 - 14 + 50.

⁴ - هذه الأبيات وجدتها في ديوان أمية بن أبي الصلت، في باب مستقل بعنوان : صلة الديوان، أو ما يُنسب إليه وإلى غيره ، في قصيدة تتألف من: 23 بيتاً ، وقد نسبت إلى زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً ، والشواهد المذكورة

(من البيت 9 إلى البيت 17) وسقط منها البيت العاشر وهو قوله :

فقال أعني يا ابن أمي فإنني .. كثير به يا رب صل لي جناحيا.

ينظر ديوان أمية بن أبي الصلت ص : 194.

ولأن المصادر السابقة قد تناولت كثيراً من غريب القرآن، يُروى بعضه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبعضه عن الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، وأغلبهم من قبائل عربية فصيحة، أخذ بهذه الروايات، لأنها هي أساس التفسير. والمؤلف قد سار على طريقة شيوخه، فاشتمل تفسيره على كثير من الرأي، والنقل والسماع، ونراه لا يهتم بالإعراب، واللغة كاهتمامه بالرواية، لأن الاستفادة من المصادر السابقة أغنته عن التفسير اللغوي.

سادساً : المصادر التي اعتمدها المصنف :

أ . المصادر التي صرح بها : (الترتيب هجائياً):

- 1 . تفسير ابن أبي حاتم ، (ت : 223 هـ).
- 2 . تفسير البغوي لأبي محمد الحسن بن مسعود بن محمد الفراء، (ت : 516 هـ) واسم كتابه (معالم التنزيل).
- 3 . تفسير الطبري، (ت : 310 هـ)، واسم كتابه جامع البيان في تأويل القرآن.
- 4 . تفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت : 450 هـ) ، واسم تفسيره (النكت والعيون).
- 5 . تهذيب الأسماء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي (ت: 676 هـ)
- 6 . الشفاء للقاضي عياض اليعصبى، (ت : 544 هـ).
- 7 . الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت 393 هـ).
- 8 . الكتب الستة مضافاً إليها مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- 9 . المستدرک، تأليف: محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الحاكم، (ت: 405 هـ)
- 10 . مسند الموصلي، للحافظ أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، (ت: 307 هـ) .
- 11 . المعارف ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت : 276 هـ).
- 12 . الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم، (ت: 224 هـ)

ب . المصادر التي لم يصرح بها :

- 1 . تاريخ مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى، توفى بعد (سنة 244 هـ).
- 2 . تفسير السدي الكبير، (ت: 137 هـ).
- 3 . تفسير القرطبي، وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: 671 هـ) . وهو المسمى (الجامع لأحكام القرآن الكريم).
- 4 . تفسير مجاهد، (ت: 104 هـ).
- 5 . فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، (ت: 224 هـ).
- 6 . المعارف لابن قتيبة، وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276 هـ).

المطلب الخامس: التعريف بالمخطوط:

أولاً : وصف المخطوط

ثانياً : ملاحظات على النسخة .

ثالثاً : أهم مختصرات تفسير الإمام ابن كثير

رابعاً : ذكر الطلبة الذين قاموا بتحقيق بقية المخطوط

أولاً : وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا العمل على نسخة واحدة، وهي نسخة مصورة من مخطوط بمدينة اسطنبول، بمكتبة نور عثمان (تركيا)، وهي تقع في مجلد واحد، مصنفة تحت رقم إهداء: (384)، وعدد لوحاته (571) لوحة، وفي كل لوحة صفحتان .

المؤلف :

أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت : 785 هـ) .

نوع الخط :

خط مختلط بين النسخ والثلاث، وهو خط جميل وواضح .

الناسخ :

محمد بن شيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجويمي الجهرمي .

تاريخ النسخ :

انتهى من نسخ النصف الأول من القرآن الكريم ، بنهاية سورة الإسراء يوم الأحد 3 من شهر الربيع الثاني من شهور (سنة 920 هـ)، وانتهى من النصف الثاني في 23 خلت من ثاني جمادى (سنة 928 هـ) بجهرم. و(جَهْرَمَ) بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم، اسم مدينة بفارس. ينظر معجم البلدان 194/2.

عدد الأسطر والكلمات في كل صفحة :

عدد الأسطر 29 سطراً تقريباً، وعدد الكلمات في كل سطر 18 كلمة تقريباً.
عدد اللوحات المراد تحقيقها : 66 لوحة .

محتوى النسخة المراد تحقيقها :

تبدأ النسخة من أول سورة الكهف وتنتهي بنهاية سورة النور .

حالة المخطوط :

يوجد في جزء من اللوحات 287 - 288 - 289 بياض في بعض أسطرها، وقد بينت ذلك بالهامش، وبما أن المخطوط من نسخة واحدة فقد ملأت تلك الفراغات من تفسير ابن كثير . وقد أرفقت مع هذا الوصف عدة صور من المخطوط .

ثانياً : ملاحظات على النسخة .

1. عدم ضبط الآيات القرآنية الضبط الدقيق سواء المراد تفسيرها، أو الشواهد عليها
- 2 . عدم الاهتمام بضبط الكلمات إلا ما ندر، وكذلك عدم ترقيم الآيات، وعدم تمييز العبارات التي يقوم بنقلها من غيره، فليس هناك ضبط دقيق، أو فاصلة، أو علامات استفهام، أو أقواس، أو علامات تعجب، أو نحو ذلك .
3. وقع الناسخ في هفوات عديدة أثناء النسخ، كسقط بعض الكلمات، أو الحروف، وربما كان مسئولاً عن ذلك، أو يحتمل أن النسخة التي نقل عنها بهذا الوصف، وقد تكون هنات بسيطة، أما (الخطأ) الذي أراه (فادحاً) أنه أخلط آيات في بعضها دون أن يشير إلى ذلك، ومثال هذا عندما أورد تفسير الآية (58) من سورة مريم، فقد أورد آيتين من سورتين مختلفتين كشاهد عليها، وأدخلهما في بعضها فبدت كأنهما آية واحدة، فقال: " قال تعالى: [مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]، والصحيح: أنهما آيتين من سورتين (النساء، و غافر) وهي قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ الآية: (164) من سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآية: (78) من سورة غافر.

- 4 . وكذلك الخطأ الذي وقع في ترتيبه عند تفسيره للآية: (44) من سورة المؤمنون، فقال في تفسيره: " ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ﴾، أي: أخباراً، وأحاديث للناس يتحدث من بعدهم، بأمرهم، وشأنهم ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. وهذا خطأ في السياق. فالترتيب الصحيح للآية هو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

- 5 . أخطأ أيضاً عند تفسيره للآية: (76) من سورة مريم، عند ذكره الشاهد، فقد أورد شاهداً لها الآية: (124)، والآية: (125) من سورة التوبة، فقال: " كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾. إلى قوله: [كافرين] ". وهذا خطأ، والصحيح: [كافرون]، وهو قوله تعالى: ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

6 . النسخة حافلة بالتعليقات، قصد منها شرح المفردات وترجمتها، وقد أُورِدَتْ بعضها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، ووجدت أن بعضها مكتوب بالفارسية.

7. إن النسخة ابتدأت بحديث شريف وانتهت بحديث شريف أيضاً، ففي (أول سورة الكهف): الحديث الذي جاء في الصحيحين: عن البراء قال: " كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين، فتغشَّته سحابة، فجعلت تدنو، وتدنو وجعل فرسه ينفِر، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن "(1). وفي (نهاية سورة النور) الحديث الذي جاء في السنن: عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تُنزلوا النساء العُرف، ولا تُعلموهنَّ الكتابة وعلموهنَّ المغزل، وسورة النور "(2).

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1914/4 فضل سورة الكهف برقم: 4724 ، ومسلم في صحيحه 547/1 كتاب الصلاة باب نزول السكينة لنزول القرآن برقم: 597.

2 - أخرجه الحاكم في مستدرکه 340/2 تفسير سورة النور برقم: 3494، والطبراني في الأوسط 34/6 باب من اسمه محمد برقم: 7513، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ثالثاً : أهم مختصرات تفسير الإمام ابن كثير :

- 1 . البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير تأليف : أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني. (والذي نحن بصدد تحقيقه)
- 2 . ترتيب وتهذيب تفسير ابن كثير لصلاح الخالدي ست مجلدات مؤسسة الرسالة 1429 هـ
- 3 . تعقبات الحافظ ابن كثير ، تأليف : هاني الحاج.
- 4 . تهذيب تفسير ابن كثير ، تأليف : صلاح الجندي.
- 5 . تيسير الرحمن الرحيم في اختصار تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، محمد رياض الأحمد السلفي الأثري ، طبع 1422 هـ مجلدين.
- 6 . تيسير تفسير ابن كثير في سؤال وجواب ، د. عبد المنعم إبراهيم طبعة نزار الباز مكة المكرمة ، 1420 هـ مقسم على الأجزاء ثلاثين جزء عادي .
- 7 . تيسير العلي القدير في اختصار ابن كثير ، محمد نسيب الرفاعي 1410 هـ أربع مجلدات
- 8 . حسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير ، محمد الحمود النجدي .
- 9 . صحيح مختصر ابن كثير ، أحمد البكري ومحمد العبد اللطيف الخلف دار السلام بالقاهرة.
- 10 . العلم الغزير في تفسير ابن كثير ، تأليف : اسماعيل الزرعي، خطيب جامع الديلع والمخطوط موجود في الرباط / تريم 52 / 269 .
- 11 . فتح الجواد الكريم في اختصار تفسير ابن كثير، لأبي عبدالرحمن محمد بن إبراهيم بن عطية.
- 12 . فتح القدير في تهذيب تفسير ابن كثير ، للقاضي محمد أحمد كنعان ، طبع في لبنان 1416 هـ في ست مجلدات.
- 13 . القبس المنير مختصر تفسير ابن كثير . تأليف : محمد سليمان الأشقر . صدر حديثاً عن دار الأعلام ودار ابن حزم الطبعة الأولى 1430 هـ .
- 14 . لباب التفسير من ابن كثير ، تأليف : عبد الله محمد آل شيخ الرشد الرياض 1414 هـ مجلدين.
- 15 . مختصر تفسير ابن كثير ، تأليف : الشيخ أحمد شاكر.
- 16 . مختصر تفسير ابن كثير ، محمد كريم راجح في مجلدين ، دار المؤيد 1425 هـ.
- 17 . مختصر تفسير ابن كثير ، تأليف : محمد علي الصابوني ، ثلاث مجلدات دار الجيل 2003 م
- 18 . المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير - إعداد جماعة من العلماء ، بإشراف صفي الرحمن المبارك فوري ، دار السلام ، الرياض ، 1434 هـ / 2013 م.
- 19 . اليسير في اختصار تفسير كلام ابن كثير ، د. صلاح محمد عرفات ، محمد الشنقيطي، وخالد فوزي عبد الحميد ، إشراف : صالح بن حميد ، صدر عن دار الهداية للنشر بجدة . الطبعة الأولى 1426 هـ

رابعاً : الطلبة الذين قاموا بتحقيق بقية المخطوط :

الطلبة الذين قاموا ويقومون بدراسة وتحقيق كتاب (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) لأبي المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود الكازروني هم:

- 1 . الطالب محمد شكلاون، أخذ تفسير سورة الفاتحة والبقرة.
- 2 . الطالب هشام أبو قرين، أخذ تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة .
- 3 . الطالب وليد الشاوش، أخذ تفسير سورة الأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة.
- 4 . الطالب خالد الشاوش، أخذ من بداية سورة يونس إلى نهاية سورة الإسراء .
- 5 . الطالب سالم رمضان ضو، أخذ من بداية سورة الكهف إلى نهاية سورة النور
- 6 . الطالب محمد الشريف، أخذ من بداية سورة الفرقان إلى نهاية سورة فاطر.
- 7 . الطالب خالد إسماعيل، أخذ من بداية سورة يس إلى نهاية سورة الفتح.
- 8 . الطالب عبد الهادي الفيتوري، أخذ من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم .
- 9 . الطالب بشير قليصة، أخذ من بداية سورة الملك إلى نهاية سورة الناس.

(نماذج مصورة من المنظومات)

بعد ان اعلان لنا ... اعرف انفاق بركات محل اسرا ...
 ع م ... نور فرقات ...
 نسا فاطمة ... صافات ...
 والنجم ... وقع ...
 تبارك ... الخاقه معارج ...
 مرسلات ... تلاعات ...

او راجع
 ٢٠

سطر
 ٢٩

امر المؤمنين ...
 نور ...
 ...
 ...

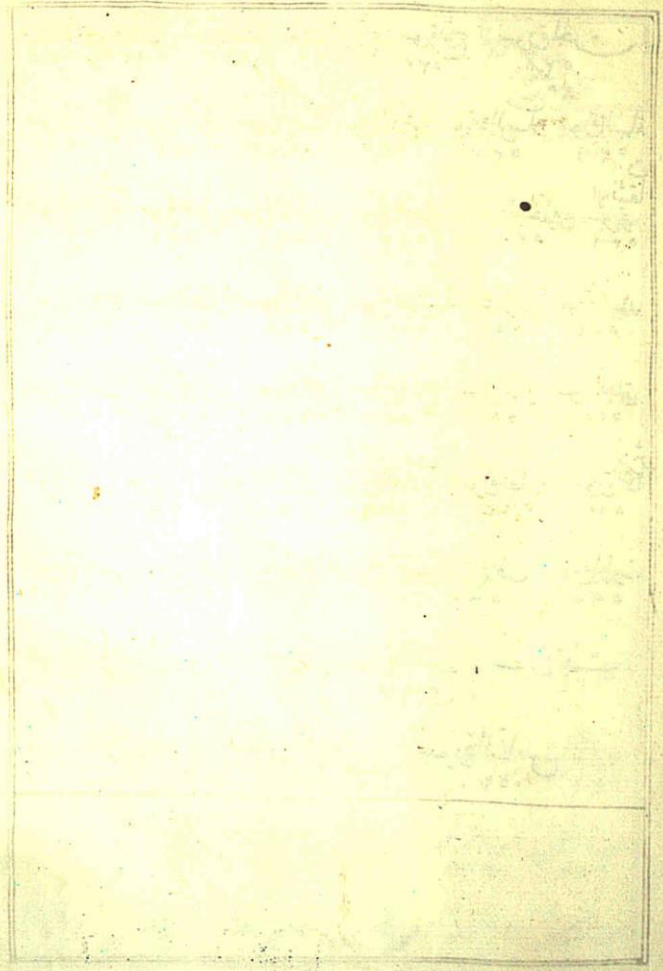
قال زياد لابنه اياك وصدر المجلس
 فابها مجلس ...
 ...
 ...



وصف السلطان السلطان اعظم ...
 ...
 ...



NURUOSI' YE KOTUPHANE SI	
Kismi :	N. 8.
Yeni Kayit :	281
Eski Kayit :	384
Yeni No. :	297. 1 = 927



بسم الله الرحمن الرحيم عليه وسلم وهو رب العرش الكريم
الحمد لله الذي ابتدأ بالبرهان آياتنا الطاهرة على البرهان. الهادي الذي وسع حياته الالهية عملا للامتحان
المحسن الذي جعلنا محاسبين من احسانه الاول. الموفق علينا بما جعلنا اليه من امتنائه العظيم النبي صلى
ولما العالمين بالحق الذين والكتاب المستبين. المشكي لاعدائنا والويل للمحققين والعقل المبين. الذي
رطل الليل النور النافع على اتحاد طريقه العاجلة وتلاوها. وقال الزبهر الهادي الاستاذ ذلك الاجل وجلاها
على ما تكفه الصدور من اسرارها المحجوبة. وفيما يمشى القلوب. ويصير ما تحته الشؤن من اسرار الكون في طواسير
صداف النيوب. تحسنه على ما شرنا به من الاميان وتوحيده. وتكون على ما عرفنا به من الاميان بغير انية
وتسعيه على ما استكرناه من بركة الشيطان. ويستغفره ما استكرناه من حجة النيبان. وهو بكيفية الاستغناء
من خياله هذا الزمان. وتلوذ بكريمه مما استكفينا من لهاته ذلك الامان. ونهت ما كرهه الله وحده لا شريك
ولا حده ولا يذله ولا يبدله. ونشهد ان محمدا عبده المأمون بدينه خليفه اليه. وامينه الموثق على ما وقا به
المزلة عليه. انزله للبشر بالقرآن الضامع. وهدى بالسيف القاطع. ودايا الامان الابرار. وسراجا باليوب
الناطع. فبين مناد التوحيد مستديرة وانشاده. وانا انا ان الشكر بتاييد واداء. وهذا الهادي شاد الطيرت
ورقاده. وجاهد في حق جهاده واجاده. فضلى الله عليه وعلى آله واصحابه مائة الف مرة. واصحابه واصحابه
صالح الدين. وتسلم قلوبنا جاون عزة فطرنا اسطار. وكرم بكرنا عما نرد حروف الاسماء **اما بعد** فاننا ندم
المنة النبوية ابو الحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكاهن بن جني. سقا الله برحمته صوب عقرانه
وكساه بفضله ثوب رضوانه لما نظرت في مشيخا شيخ الاسلام. ذوق الامم الامم. عواد الدين ابو الفداء اسمعيل بن
كثير بن صوف بن كثر بن عوف القرشي. ذبح الله ذبحه. والى من لوجه فوجه. وحدث كما جامعنا انواع العلم الدينية
حان القواعد والاسرار اليقينية. قد اودع فيه لطائف غريبة. وقد افاض آياته بحجة. مع عبارات مؤشحة واستعداد
مؤشحة من تروى في ضمن آياته. ويزد في طليعه وتساقر. وتفرح في حقايقه بكونه اعناء عن شرح فضيلة
مؤشحة والاشارة بدينه كنه محب وضع زماننا. الله المستعان على في ظفاه نارة الفان. وهو المشكي من اهل
اليه من الصاب والحق. مطلق بحيث يفهم المبر عن قهباري ويحمله. ويقل العكر عن ضبط جلته وتفصيله مشحون
بالاسانيد والطرق والتكريرات. واختلاف الاقوال والوجوه بالبيانات. ما فرح على بعض اخواني في طريق العلم و

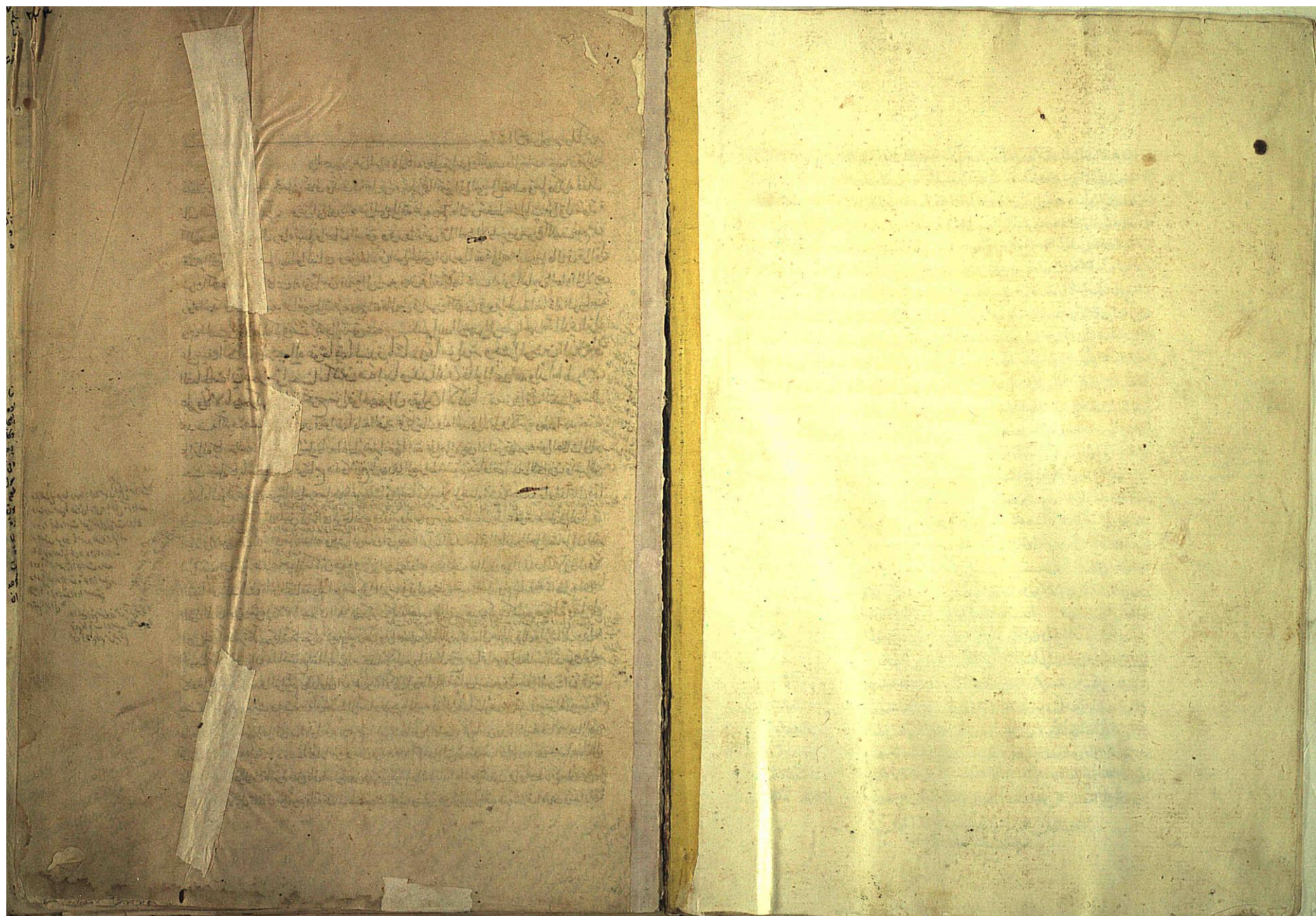
سنة

المن

والدين وتخلي من اهل المعاني واليقين. ان الحق منه مقاصده وامتهن له من ثباته. واثبت لهم ما هو الماد من حقا
ومثابه. فقلت في بحر الجواب. ما للرب وتب الاناب. من اين وكيف لي واني. ان اشدت بعبه المعنى
فلم تزد هم الا بالفتنة والامحاح. والمرحمة بالترابي لهم بالامحاح. فلما لم يكن لي يد من تلقهم بالاجابة. والله اكبر
وقد اجابته. استخبت الله تعالى واستوففته. واستدعيت من فضله واستوففته. ورجعتي دعاي التكاليف
ذلك البحر العميق. وبشيتي فرغت الذر الى استبحار ما فيه من اللذة والعقيق. حتى جرت بالاجمعي من غاب تلك
الجواهر نظرا وشكرا. وسجرت ما انصفتي من غراب تيك الماثر سراجها. وتركت فيه الاكيدة والمكررات. وساس
ما يستغنى عنه في المسقطات. وسويته اللذات المبررة الملقى من تسييران الكثرة. ساد ان الله الهادي والنفوس
لا ياميه. فان كل من تلم فضله واعلمه. وان ينغى اولا في الطالين. وسار الملبين. انه خير مني في نعمه الميعت
المقصد اعلم انه يجب على العلماء الكنف عن ملام الله وتفسيره وتطلبه من طياته وتعلمه وتعليمه كما قال الله تعالى واد
اخذ الله شيئاك الذين اوقا الكتاب لئلا يكونوا من الكفرة اليه. قال عز وجل ان الذين يشركون بعد الله واليطيقون
ثنا فلما اتمى. قدم على اهل الكتاب قلنا باعرا منهم عن كتاب الله وابقا لهم على الدنيا وتجمعها واشتغلوا بهم بما اشرنا
به من شرايع كتاب الله فقلنا ايها المسلمين انتم هي عادتهم بالله. وان تأقربا امرنا به من قبل القرآن وقوله وتقفه و
تقيمه قال عز وجل الم بان الذين امنوا ان يخضعوا لغير الله الا لله وحده لا اله الا هو له ان يبدل ان قلبها
تنبه على ما قال كما يحيى ارض بعد موتها كذلك لانت القلوب بالاميان بعد موتها من الذنوب والمعاصي شرعا لمن اخرجت
التفسيرات في تفسير القرآن بالقرآن بما جعل في كتابه فانه مفسر في مكان آخر وما اختصر في موضع فانه مفصل في موضع اخر
فان اعتدلك فليلك الشئ فانها شارحة وموضحه **والله** اسما الشافي وهو الله على كل ما حكم به رسول الله فهو حقا
فهيته من القرآن والاله تعالى انا انزلنا الكتاب ليعلمكم بل للناس بما اراد الله ولا يكون للحاين حجة. وقال عز وجل
ما انزلنا الكتاب الا للذين آمنوا به ولا يظنون انهم انزلنا عليك الكتاب الا بالبين لهم الذي يتخللوا
فيه وهدي وتوجه لهم في شئونهم ولها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انزلنا القرآن وشمله معه على المنه وهي
ايضا نزلت عليه بالحق ما انزل عليه القرآن الا انها لا يلبى الا كما ينزل القرآن. وقد استدل الشافي وغيره عليه باوجه كثيرة
لها موضعها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه من الله تعالى انزلنا عليك الكتاب بالبين لهم الذي
قال فينه رسول الله قال ان لم يجدت قال لا تجد لها في حال فخرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال الحمد لله الذي
وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره. وحينئذ اذ لم يجدوا في القرآن والاسماء التي اختصها بها في الدنيا
وجمنا ذلك الى قول القائل رضي الله عنهم وانهم اعلم بذلك لما شاهدوه من القرآن والاسماء التي اختصها بها في الدنيا
العلم والعلو الصحيح لشيئا على اهلهم وكبراهم كالحق والاشرف والامم الهتدين. منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال
الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري باسناده الى ان مسعود قال والذين لا اله الا الله عز وجل انزلت آية من كتاب الله انا اعلم اني نزلت
واين نزلت ولما علم مكان احد اهل كتاب الله حتى سألته المصلا اكيته وقال اصحابك الرجل اذا فقم عذرات لم تجاهد
حتى تعرفت معاصيهم والعلو بهم **والله** ابو عبد الرحمن الذي قدنا الذين انزلنا انهم كانوا استغروا
من علي بن ابي طالب وسلم وكانوا اذا فعلوا عذرات لم يتخلوها حتى يعلوا بافهامهم المثل فقلنا القرآن فالعلو جسيما ومنه
الخير الخيرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبنجان القرآن بركة دعاه النبي صلى الله عليه وسلم حشا قال له اللهم فقعه في ليدت

خط

مفسرة



بنيته الذرية من كروا بنى الامين وانا وبنوه من ابني بلا ذكر فبنت القسمة الرابعة والما له على حال قد تيرة وعظم
سلطان وتوقله وبنوه من ابي ويجعل هذا الغلام رجعة من الله بيا من لا يبياء بل يعوا الى عبادة الله وتوحيده والجهاد
فالت مره كنت اذا خلوت حدثني عيسى فكلمني وهو في بطنى واذا اكلت مع الناس يتبع في بطني ويترى وعوله وكان اضر
مفصيا يحتمل ان هذا من تمام كلام جبرئيل امره بخرها الله هذا امر مرتبه وعلم الله ودينه وشيخه وان كان من خسر من خسر
الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه لى هذا عن النسخ وفتحها كما قال ويرى امه عمران التي احصلت فيها فغنى
فيها من رويها بالان اسحق ان الله دنعهم علينا فليس منه بد وبها اختيارا بخر جملته فاعلمت به مكا نا
قصصا فاجاعة هذا المخاض الجذع العظمي قلت يا ابنتي بنت قلهما وكنت نسيبا منسبا اخبرنا على من انا
يا قال لها جبرئيل عن الله ما قال انها اسلمت ليعضا الله وكران الملك وهو جبرئيل عند ذلك فخرج جيب درعها فترت
النسخي وكنت العزم فقلت بالولد اذن الله فخلصت به فطقت ذرعا به ولم يزد ما ذاق قول الناس فانها علمت ان
الان لا يصدقونها فيما يحرم به غير انها اذنت سرها وكرمت امها لاحتها امرة زكيا وذلك ان زكيا كان
ذيق الله الولد فاجيب ذلك فحكى امره وادخلت عليها مره فاعتنتها فقالت اشعرت بامرهم فيجلى فقلت
لها من يعمل طيب ايضا انجلى وكرمت طائفتها وبما كان منجرها وكما بايت ايمان وصدقين مما كانت امره زكيا
بذته لك اذا واجهت مره تحذ الذي في جوفها تحيد الذي في بطن مره اي يعطيه ويحضع له فالسج كان فطمتم
عند السلام مشروقا كما جسد يوسف اتوا واخوته وكما امر الله الملكة ان تتجد لادم ولكن حرم فمشتاهن كميللا
للعظيم طلال الرب تعالى ثم اختلفوا وبرز عملها فالشهور عن الجمهور ان مره حملت عيسى خمسة اشهر وواله عكره
تمانية اشهر ولهذا لا يمتن ولدا لهما بيه اشهر وسئل ابن عباس عن جبرئيل قال لم يكن الا ان حملت ووضعت وهذا
عرب وكانه ما حوته غظا هريرة حكمة فاستدلت به مكا ناقصا فالها وان كان للتفتيت لكن يعقب كل شيء بحسبه
سما وقوله ثم خلقنا المطفئة علقته خلقنا الملقوة مضممة خلقنا المضمعة عظاما فهذه الفاء للفتيت بحسبها وفي
الصحيفين ان بين كرو صفتين اربعين وبما فالشهور الظاهر انها حملت به كما حمل النساء وما لا يوهن وهذا اشعرت مره
من قوتها انها بالربة انذرت منهم اى تحتمت وانفرت مكا ما قصبا اى فاصنا منهم بعيدا عنهم ولما ولهم قوتها
وال ابن اسحق فلما حملت استعملها المهن وظلمها كما يظلم على الحامل فما دخل على بيت ما دخل على بيتي اسرله
تقالوا انما صاحبها نوسف الذي يخدم السويديتها ولم تكن معها والكنيسة حنة وتوارت من الناس وانحرفت من وتم
حما قالوا لها امد ولا راء وقوله فاحا بها المخاض الجذع العظمي فاضطربها والحاهها الطاق الجذع العظمي في
المكان الذي تحتمت اليه وبها خلقت فيه فقال الشريف كان شرفي بجوارها الذي تضل عنه من بنت المحدثين وعين
وصب فان كان ذلك على ما يه ابيال من بنت المحدثين وقوته هناك مقال لها بيت لحم ولا ينك فيه النصارى وقوله
تعالى اخيرا عنها قالت يا ابنتي بنت قلهما في حواء قتي الموت عند الفضة فانها عرفت انها استبلى وتحن هذا الملة
الذي لا صدق فيها وبها كانت عذبة مما عارة ناسكة نصير عندهم فيما يظنون تأهرا ذابيه فالت بالمقبت
فلهذا اقول ان المالك وكنت نسيبا من ابي لم اخلق ولم الرسيه فانه ابن عباس وبه لقيادة اى كنت نسيبا من ابي
لا مرتك ولا ذلك وهو السقط الذي يبتى ولا يطيب كرف الحين الحادي الغيب ويحتم لم تطلب لم تذكر وكذلك

اي

كلمة

سليبي نبي وتزل فبني نبي فانه السيد وعينه فاد بها من تحتها ان لا تحرف فليجعل ذلك نبيك سيرا وهري
اليك جند الغلظتسا فطعلك رطبا جينا كحلي واستري وترى عينا فلما ترون من البشر احدا فقولي
او بدلت لكم من صومنا فلن اكلم اليوم انسانا من تحتها فبني ابي الذي تحتها وترى بالكر على حرف
جرحها

وتعبر وقوله لا تحرف
باله ابن جبرئيل
اذ جعل رايك تحرك
به السلم والاول اظهر
ابن عباس وقيل غيره وبها
منها طعاما وشرا فقال
من التبر والركب وقرا
قرا البراءة كذا يطاي
سبحن صوما المراد

وروي انها كانت تحول باليد لا امرها
ولا في وكان الوقت طبا في قوتها
تقول الله لها راسا وحسنا ووطيا
لستيتها برك لما ذمير الحيات الاله
على براءة ساحتها فان ظلمها لا تقوت
لن تركل التواضع والسهة لمن يها
عليه فانه من قدر ان تتر العلة
الياسه تراشاه قدر ان يحلمها من
غرفل وان ليس سرج على
الارراء والطام والكرت
الاررفاء لعل والسن سو قاي

لصغيره كذا
الجوز والكم شفا به
بها القول الاشارة اليه بذلك
انهم كانوا اذا
اجتمع عليهم في شريعتهم
لم يزلوا تحرفي كالت وكيف لا تخون وانبت
قالها عيسى انا اليك الكلام فاما ترون من
كلام عيسى واقفة وهبت فانبت به قو
ابولامر اسوء وصا كانت املك بصا
الكتاب وسلمني مساركا انما كنت واوص
شيقنا والسلام على نور ولديت ونور اموري
ذالك ان كل احد من البشر فابها استلقى امرها ويقام جبر

انما عينا وذلك
ولما لا عيسى
بنت قلهما
قال هذا كله
انما كان في
الذي في عذبة الله انما
ساجد يحلمو
من امرت انصوم
حلت لفضائله واخذت وكلة
فانبت به قوتها فلهذا رايها كذلك اعطوا امرها واستكروه جدا والوا بامرهم لعدجت شيا قوتها الى الله
فالهجا هذوقه واحد وقال نوب الكلي خرج وبها في ظلها وكانت من لها بيت قوة وتشرق فلم يحتموا
تلقوا راغي بغيرها لوار است قاة وكذا فغتها فاك ولكن رايها الله من بقرى تام انه قط قالوا وبما رايها
رايها اليها سمع من هذا الودي وروايه قال رايها نورنا طاسا فتوجهوا اخف فالطم فاستقبلهم مره فلما وافهم
مدت وحلمت انها في حوضها فمراحتي فامر اعطها وقالوا لامرهم لعدجت سنا واعطها لاحت هرويت با شيهة هرون
والعادة ما كان الولد امر سوزة وكما كانت املك نسيبا اى بنت مريت طيب ظاهره مرف بالصلاح والعبادة والرخاءة
كلف هذا صدمت املك وه السيد وعينه فلها لاحت هرويت اى حرمي وكانت من نسله كما يقال للبيبي انجي نيم

البركة كثره الخور وراوته
فما كثر له ان تزل به خوره
وكذا ان يسهل كما

القرآن وسورة التورع تفسير سورة الفرقان تكبر وهي **بسم الله الرحمن الرحيم**
تنازل الذي نزل الفرقان على عبدك لكون العالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم
ينجد ولما ولم يكن له شرك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً سبحانه الله نفسه الكريمة على ما نزل على نبيه
من القرآن العظيم قال تعالى الحاقة الذي انزل على عبدك الكتاب وبآياته نفا على من لم يركب الاستقامة الالاعة الذي نزل القران
الذي نزل على نبيك صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على نبيك صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على نبيك صلى الله عليه وسلم
الذي نزل على نبيك صلى الله عليه وسلم

انما المؤمنون الذين يؤمنون بالله ورسوله واذا نزلوا معهم على امر جامع لم يذهبوا حتى ينزلوا ان
الذين نسا ذنوبك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا نزلوا عليهم نزلوا عليهم وانزلوا عليهم
منهم واستغفر لهم الله ان الله عفور رحيم هذا اذا نزل على من عبادته المؤمنون وكان امرهم بالاستئذان
عند النخلة كذلك امرهم بالاستئذان عند الاضراب لا سيما اذا كانوا وامرهم بالجمع والجمعوا على امرهم عليه الصلوة
الساكن صلوة حمة او عبد او جاعته او اخيه او شيوخه ونحو ذلك الى امرهم الله ان لا يفرقوا عنه والحاله هذه الاهل الاستئذان

بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلنا القرآن على نبيك صلى الله عليه وسلم
والله اعلم بالصواب

القسم الثاني

تحقيق الجزء المختار من المخطوط

من بداية سورة الكهف إلى نهاية سورة النور
عدد اللوحات 66 (لوحة)

أولاً

﴿ تفسير سورة الكهف ﴾

وهي مكية وعدد آياتها (110) آية

تفسير سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَوْنُكَ يَا كَرِيمِ

في الصحيحين عن البراء رضي الله عنه (1) قال: " كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين (2)، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وتدنو، وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فذكر له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن " (3)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (4) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدجال " (5) رواه مسلم (6).

¹ - البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم الأنصاري، يكنى أبا عمرو، وقيل: أبو عمار، رده الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن بدر استصغره، وأول مشاهده أحد، وقيل الخندق، وغزا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة غزوة، وهو الذي افتتح الري سنة 24 هـ، وحضر مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الجمل وصفين والنهران هو وأخوه عبيد بن عازب، ونزل بالكوفة وابتنى بها داراً، وقال: سافرت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانية عشر سفراً، ومات أيام مصعب بن الزبير. ينظر الاستيعاب 155/1 وأسد الغابة 258/1 رقم: 389، والإصابة 278/1 رقم: 618.

² - بشطنتين: (الشطن): الحبل، وقيل: هو الطويل منه، وإنما شدّه بشطنتين لقوته، وشدته، ينظر النهاية في غريب الحديث 1160/2 باب: شطن.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه 1914/4 فضل سورة الكهف برقم: 4724، ومسلم في صحيحه 547/1 كتاب الصلاة باب نزول السكينة لنزول القرآن برقم: 597.

⁴ - أبو الدرداء: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري، وكان اسمه عامر، وكانوا يقولون له: عويمر صحابي من الحكماء الفرسان القضاة كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة، روى عنه 179 حديثاً أسلم يوم بدر، وشهد أحد، روى عن عائشة رضي الله عنها، وزيد بن ثابت، وروى عنه: ابنه بلال، وزوجته أم الدرداء، وجبير بن نفير، رضي الله عنهم. ينظر أسد الغابة 340/4 باب العين والواو برقم: 4128، وأسماء من يُعرف بكنيته 42/1 برقم: 52، وتهذيب التهذيب 156/8 من اسمه عويمر.

⁵ - أخرجه مسلم في صحيحه 555/1 باب فضل سورة الكهف برقم: 809، وابن ماجه في سننه 1356/2 باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، برقم: 4075 والحديث ورد مطولاً، وفي منته " من رآه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف ".

⁶ - مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها راء، نسبة إلى قشير بن كعب، وهي قبيلة كبيرة يُنسب إليها كثير من العلماء، كان ثقة من الحفاظ، وله معرفة بالحديث، وسمع من أحمد بن حنبل، ومن اسحاق بن راهويه، وروى عن: يحيى بن يحيى النيسابوري، ومحمد بن إسحاق، وعبدالله بن مسلمة، روى عنه: محمد بن عبد الوهاب الفراء، وعلي بن الحسن بن أبي عيسى، وهم أكبر منه، وأبو عوانة الاسفراييني، وغيرهم قال محمد الماسرجيني: سمعت مسلماً يقول: صفت هذا الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث، روى في صحيحه عن مائتين وسبعة عشر، وروى عنه الترمذي حديثاً واحداً فقط. ينظر تاريخ الإسلام 182/20، وتذكرة الحفاظ 125/2 رقم: 613، وتهذيب التهذيب 113/10 رقم: 227. والجرح والتعديل 182/8 رقم: 797

وأصحاب السنن⁽¹⁾ وفي رواية " من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عَصِمَ من فتنة الدجال"⁽²⁾، رواه مسلم أيضاً والنسائي⁽³⁾، وعن معاذ بن أنس الجهني⁽⁴⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " من قرأ أول سورة الكهف، وأخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء إلى الأرض " ⁽⁵⁾ رواه أحمد⁽⁶⁾. وعن أبي سعيد⁽⁷⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم -:

1 - أصحاب السنن وهم على الترتيب الآتي (بحسب المكانة العلمية):

(أ). سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني الأزدي، (ت: 257 هـ) .

(ب). السنن الكبرى : لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، (ت: 303 هـ).

(ج). الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، (ت: 297 هـ)

(د). السنن : تصنيف أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، (ت: 273 هـ) .

2 - أخرجه مسلم في صحيحه 555/1 باب فضل سورة الكهف برقم: 809 بلفظ: " من حفظ عشر آيات من أول

سورة الكهف عصم من الدجال"، والنسائي في سننه 235/6 باب اختلاف الناقلين لخبر ثوبان برقم: 10784

3 - النسائي أحمد بن شعيب بن علي ، أبو عبدالرحمن النسائي الخراساني ، صاحب السنن ، وُلِدَ في نسا في خراسان ، وطلب العلم في صغره، وارتحل إلى قتيبة بن سعيد في (عام 230 هـ) ، فأقام عنده سنة فأكثر عنه سمع اسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، وخلق كثير، كان من بحور العلم مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف، حدث عنه: أبو بشر الدولابي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، توفي بفلسطين (عام: 303هـ) . ينظر تهذيب التهذيب 80/1 رقم: 47، وتهذيب الكمال 328/1 رقم: 48، وسير أعلام النبلاء 125/14 رقم : 67.

4 - معاذ بن أنس الجهني ، له صحبة ، نزل مصر وبقي إلى خلافة عبدالملك ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن كعب الأحمري وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، روى عنه ابنه سهل ، ولم يرو عنه غيره ، وهو لَين الحديث إلا أن أحاديثه حسان في الرغائب والفضائل، روى له البخاري في الأدب، وأبوداود، والترمذي، وابن ماجه. ينظر التاريخ الكبير 360/7 رقم: 1557، وتقريب التهذيب 191/2، وتهذيب الكمال 105/28 رقم: 6019 . والجرح والتعديل 245/8 رقم: 113

5 - أخرجه أحمد في مسنده 390/24 مسند معاذ بن أنس برقم: 15664، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 145/7 برقم: 11144 وعزاه إلى أحمد والطبراني، وقال: في إسناده أحمد بن لهيعة، وهو ضعيف وقد يُحَسَّن، وورد بلفظ " ما بين الأرض والسماء " .

6 - أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي الأصل، والبغدادي المنشأ، كان من كبار الحفاظ الأئمة، ومن أعبار هذه الأمة، فهو في مكانته المعروفة بين فقهاء الأمة، وكان إماماً في الحديث وعلومه حفظاً، ومعرفة لرواته، وأسانيده ناقداً جهدياً، متقناً ورعاً فقيهاً لازماً للورع الخفي، مواظباً على العبادة الدائمة، به أعان الله - جل وعلا - أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وذاك أنه ثبت في المحنة، وعصمه الله من الكفر، وجعله علماً، يقتدى به وملجأ يُلتجأ إليه، سمع إبراهيم بن سعيد، سفيان بن عيينة، وروى عنه: أهل العراق، (ت: 241 هـ). ينظر تاريخ أسماء الثقات 11/1 رقم: 11. والتاريخ الكبير 5/2 رقم : 1505 ، والثقات 18/8 رقم: 12069 ، والجرح والتعديل 292/1 ،

7 - أبوسعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان أنصاري مدني من صغار الصحابة وخيارهم ، الإمام المجاهد مفتي المدينة ، كان من المكثرين للرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيهاً مجتهداً ممن بايعوا ألا تأخذهم في الله لومة لائم، شهد معه الخندق، وما بعدها، غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اثنتي عشرة غزوة وحفظ عن الرسول صلى الله عليه وسلم سنناً كثيرة، روى عنه جماعة من الصحابة، ومن التابعين، (ت: 74هـ) ينظر الاستيعاب 602/2 رقم: 954، والإصابة 78/3 رقم: 3198، والثقات 150/3 رقم: 500، وسير أعلام النبلاء 114/3 باب أبو سعيد الخدري رقم: 28

" من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له النور ما بينه وبين الجمعتين " (1)
رواه الحاكم (2) في مستدركه (3) والبيهقي (4) عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾

قد سبق في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه الكريمة عند فواتح الأمور، وخواتيمها فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى، والآخرة، ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على الرسل، فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض، إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور، حيث جعله كتابا مستويا لا اعوجاج فيه، ولا زيغ، بل يهدي إلى صراط مستقيم بينا واضحا نذيرا للكافرين، وبشيرا للمؤمنين، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾؛ أي: لم يجعل فيه اعوجاجا، ولا زيغا، ولا ميلا، بل جعله معتدلا مستقيما، ولهذا قال: ﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: مستقيما، ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديدا عقوبة عاجلة في الدنيا، وأجلة في الآخرة ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ أي: من عند الله ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح، ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾؛ أي: مثوبة عند الله جميلة ﴿مَّا كَثِيرٌ فِيهِ﴾، أي: في ثوابهم عند الله، وهو الجنة خالدين فيها ﴿أَبَدًا﴾ دائما لا زوال، ولا انقضاء ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، هم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة، وهم بنات الله ﴿مَّا لَهُمْ بِهِ﴾؛ أي: بهذا القول الذي

1 - أخرجه الحاكم في مستدركه 369/2 برقم: 3392، والبيهقي في شعب الإيمان 474/2 باب ذكر سورة الكهف بلفظ " ما بينه وبين البيت العتيق " . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجَاهُ.

2 - الحاكم: محمد بن عبدالله النيسابوري، أبو عبدالله الحاكم، لقبه (ابن البيع) من أكبر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، صاحب التصانيف، اتفق له ما لعله يبلغ ألف جزء من تخريج الصحيحين، والعلل، وغيرها وكان شديد التعصب للشيعة في الباطن، قال الذهبي: يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفا غالبا عن معاوية رضي الله عنه، وعرف أبوه بالحاكم لأنه تولى القضاء بنيسابور، مولده ووفاته في نيسابور، أخذ عن نحو ألفي شيخ، وولي القضاء، وهو أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، (ت: 405 هـ). ينظر تاريخ أبي الفداء 58/2، وسير اعلام النبلاء 175/17، وطبقات ابن شهبة 193/1، والوافي بالوفيات 427/1.

3 - المستدرک على الصحيحين في الحديث للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابوري، اعتنى فيه في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين، مما رآه على شرط الشيخين، أو على شرط أحدهما، أو ما أداه اجتهاده إلى تصحيحه، وإن لم يكن على شرط واحد منهما، وهو واسع الخطو في شرط الصحيح، متساهل في النقاط. ينظر كشف الظنون 1672/2، وهداية العارفين 477/1.

4 - البيهقي: أبو بكر بن أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور، على يومين منها، سمع وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو صاحب التصانيف، لزم الحاكم مدة وأكثر عنه، سمع أبا عبدالله الحاكم، وأبا عبدالرحمن السلمي وخلقاً بخراسان وبغداد ومكة، ولم يكن عنده سنن النسائي، ولا جامع الترمذي سنن ابن ماجه، بل كان عنده الحاكم فأكثر عنه، عمل كتاباً لم يُسَبِّقْ إلى تحريرها، منها الأسماء والصفات، والسنن، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة، وغيرها كثير، (ت: 458 هـ). ينظر تذكرة الحفاظ 1132/3 رقم: 1014، وسير اعلام النبلاء 163/8 رقم: 86، والعبير 308/2 (سنة 458 هـ).

افتروه ﴿ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾؛ أي: أسلافهم ﴿ كَبُرَتْ ﴾: كلمة نصب على التمييز تقديره، كبرت كلمتهم هذه كلمة، وقيل: على التعجب؛ أي: أعظم تكلمهم كلمة، كما تقول: "أكرم بزيد رجلا"، وقرأ بعضهم ﴿كَلِمَةً﴾⁽¹⁾ بالرفع، كما يقال: "عظم قولك وكبر شأنك" وقرآءة الجمهور أظهر للمعنى، فإن هذا [تشنيع]⁽²⁾ لمقاتلهم واستعظام لإفكهم، ولهذا قال: ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾؛ أي: [ليس]⁽³⁾ لها مستند سوى قولهم، ولا دليل عليها إلا كذبهم وافتراؤهم، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾، وقال ابن عباس⁽⁴⁾: "سبب نزول هذه السورة أن قريشا بعثت النضر بن الحارث⁽⁵⁾ وعقبة بن أبي معيط⁽⁶⁾ إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفا لهم أمره، وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جنناكم لتخبرونا صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ، فرأوا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض⁽⁷⁾، ومغاربها،

1 - اختلفت القراء في قراءة ﴿كَلِمَةً﴾ على النحو التالي: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ قرأ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ رفعا يحيى بن يعمر، والحسن، وابن محيصن، وابن أبي إسحاق، والثقفى، والأعرج، على أنها فاعلة ﴿كَبُرَتْ﴾، وقرأ الجمهور: ﴿كَبُرَتْ﴾ على ضم الباء، وقد أسكنت تخفيفا، و﴿كَلِمَةً﴾: بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز وفاعل ﴿كَبُرَتْ﴾، مضمود يعود على المقالة المفهومة من قوله: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾، وفي ذلك معنى التعجب، أي: ما أكبرها كلمة، والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها، وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوس به الشيطان في القلوب ويحدث به النفس لا يمكن أن يتقوه به بل يصرف عنه الفكر، فكيف يمثل هذا المنكر، يقول أبو حيان: والنصب أبلغ في المعنى وأقوى. ويقول ابن جرير: الصواب عندي من قرأها بالنصب لإجماع الحجة من القراء عليها " ينظر التبيين في إعراب القرآن 98/2، وتفسير البحر المحيط 95/6، وتفسير الطبري 595/17، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 23/2، والمحزر الوجيز 496/4.

2 - عند ابن كثير [تشيع] . ينظر 136/5.

3 - [ليس] ضرورة تطلبها السياق لعلها سقطت من الناسخ .

4 - ابن عباس: هو عبد الله بن عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كني بابنه العباس، وهو أكبر أولاده وأمه لبانة بنت الحارث، قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " اللهم علمه الحكمة "، وفي رواية: " اللهم فقهه في الدين "، يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمر، وعلي وغيرهم، ويروي عنه: ابن عمر، وأنس بن مالك، وعكرمة، وعطاء، وكان قد عُمي في آخر عمره، توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين. (ت: 68هـ) بالطائف. ينظر الاستيعاب 934/3، وأسد الغابة 295/3 باب العين والباء .

5 - النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة، يكنى أبا قائد، وكان أشد قريش في تكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وكان يقول " إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين " فنزلت فيه عدة آيات قتله علي بن أبي طالب يوم بدر . ينظر تاريخ الطبري 566/1 والكامل في التاريخ 594/1، والمغازي 58/1 .

6 - عقبة بن أبي معيط واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى أبا الوليد، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعداوة للمسلمين، قتل يوم بدر، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري. ينظر البداية والنهاية 372/3، والكامل في التاريخ 595/1 .

7 - الرجل الذي طاف الأرض شرقاً، وغرباً، وهو ذو القرنين، وقد ذكره الله تعالى، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق، والمغارب، وملك الأقاليم، وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة، والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط . ينظر البداية والنهاية 536/2، والتحوير والتنوير 243/15، ولباب النقول 143/1.

ما كان (نَبَأُهُ)⁽¹⁾؟، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فهو نبي مرسل، فاتبعوه وإن لم يخبركم، فإنه رجل مُتَقَوِّلٌ فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر، وعقبة حتى قدما على قريش، فقالوا: يا معشر قريش قد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله أموراً، فأخبروهم بها، فجاؤوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا: يا محمد أخبرنا؟، فسأله عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أخبركم بما سألتكم عنه غداً، ولم يستثن وانصرفوا عنه، وكملت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولم يأت جبريل حتى أرجف أهل مكة، وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألتنا عنه، وحتى أحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنكت الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من - الله تعالى - بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف"⁽²⁾ وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾

﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ٦ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَّبِلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ٧ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ٨ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾.

هذه تسليية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان، وبعدهم عنه، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾؛ أي: مهلك لها بحزنك عليهم على آثارهم، أي: بعدهم، وإعراضهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، يعني: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ والأسف: الحزن، وقال مجاهد⁽⁴⁾: " لا تأسف عليهم، بل أبلغ رسالة الله، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾⁽⁵⁾، ثم أخبر تعالى: أنه جعل داراً فانية مزيّنة بزينة زائلة، وإنما جعلها دار اختبار، لا دار قرار، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَّبِلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، عن أبي سعيد⁽⁶⁾ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله

1 - هكذا في المخطوط، والصواب: [نَبَأُهُ]، ينظر اللوحة: 274/ ب. وتفسير ابن كثير 136/5.

2 - أورده البيهقي في دلائل النبوة 270/2 برقم: 568، والأصبهاني في دلائل النبوة 217/1. والسيوطي في الدر المنثور 357/5. وفي لباب النقول في أسباب النزول 143/1.

3 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية (85) من سورة الإسراء.

4 - مجاهد بن جبر: ويقال ابن جبير، أبو الحجاج مولى عبد الله بن السائب، روى عن: ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، روى عنه: عطاء، وطاوس، وغيرهما، وكان فقيهاً عالماً كثير الحديث من الطبقة الثانية، توفي وهو ساجد (عام: 103 هـ). ينظر التاريخ الكبير 411/7 رقم: 1805، والجرح والتعديل 319/8 رقم: 1469، والطبقات الكبرى 466/5 الطبقة الثانية،

5 - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾

الآية: (41) من سورة الزمر.

مستخلفكم فيها، فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل، كانت في النساء⁽¹⁾، رواه مسلم، ثم أخبر تعالى بزوالها، وفنائها وفراغها، وخرابها، فقال: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾؛ أي: بلقاعاً لا ينبت، ولا ينتفع به، والصعيد الأرض التي ليس فيها شجر، ولا نبات يعني أن ما في الأرض لغان، وإن المرجع إلى الله، فلا تأس، ولا يحزنك ما تسمع، وترى .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ① إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ② فَضَرْبَنَا عَلَى عَازِنِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ③ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ④

هذا إخبار من الله عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ يعني: يا محمد ﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾؛ أي: ليس أمرهم عجيب في قدرتنا وسلطاننا، فإن خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قدير ولا يعجزه شيء أعجب من خبر أصحاب الكهف، كما قال مجاهد⁽²⁾: " أي: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك، وقال ابن عباس⁽³⁾: أي: الذي آتيتك به من العلم والسنة والكتاب، أفضل من أصحاب الكهف والرقيم"، والكهف: هو الغار في الجبل وهو الذي لجأ [إليه]⁽³⁾ هؤلاء الفتية المذكورون، والرقيم: " وادٍ قريب من آيلة"⁽⁴⁾ قاله ابن عباس وغير واحد، وقال الضحاك⁽⁵⁾: الكهف هو غار الوادي، والرقيم:

1 - أخرجه مسلم في صحيحه 2098/4 باب أكثر أهل الجنة الفقراء برقم: 2742 به، والترمذي في سننه

483/4 باب ما أخبر النبي أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم: 2191، وقال الترمذي: هذا حديث حسن .

2 - قال مجاهد: ليسوا عجباً بأعجب آياتنا، وعن قتادة كان يقول: كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك، وقال

قتادة: ليسوا من أعجب آياتنا، كانوا من أبناء الملوك، ينظر تفسير الطبري 601/17 الآية 9 من سورة الكهف

وتفسير ابن كثير 138/5 الآية 9 من سورة الكهف، وتفسير ابن أبي حاتم برقم: 12718.

3 - [إليه] ضرورة تطلبها السياق لعلها سقطت من الناسخ .

4 - قال ابن عباس: الرقيم هو الكتاب، وعنه أيضاً هو وادٍ دون فلسطين، وقال سعيد بن جبیر: الرقيم لوح من

حجارة، وقال السدي: الرقيم حين رقت أسماؤهم في الصخرة، كتب الملك فيها اسمائهم، ينظر تفسير ابن أبي

حاتم رقم: 12711 - 12712 - 12713، وتفسير الطبري 601/17 تفسير الآية 9 من سورة الكهف.

5 - الضحاك بن مزاحم البلخي أبو القاسم المفسر كان يؤدب الأطفال ويقال كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي،

وقال الذهبي: كان يطوف عليهم على حمار، له كتاب في التفسير توفي بخراسان عاد 102 هـ . ينظر الأنساب

667/5 باب اللام، تهذيب التهذيب 450/4 رقم: 794، والكنى والأسماء 309 /5 باب الضاد وميزان الاعتدال

.471/1

اسم الوادي، وقال مجاهد: الرقيم: كان بنيانهم، وقال كعب⁽¹⁾: الرقيم: اسم القرية، وقال ابن عباس⁽²⁾: اسم ذلك الجبل منجلوس، وقيل: اسم الجبل (بناجلوس)، واسم الكهف (حيرم)، والكلب (حمران)، وقال ابن جبير⁽²⁾: الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف، والظاهر أن الرقيم: الكتاب المرقوم، كما هو اختيار ابن جرير، وقوله: ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ أخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنهم عنه، فهربوا منهم، (فَلَجَأُوا)⁽³⁾ إلى غار في جبل، ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله رحمته، ولطفه بهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾؛ أي: هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا (من قومنا) ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾؛ أي: وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً؛ أي: اجعل عاقبته رشداً، كما جاء في الحديث: " وما قضيت لنا من قضاء، فاجعل عاقبته رشداً "⁽⁴⁾، وفي المسند: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة "⁽⁵⁾ وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾؛ أي: ألقينا عليهم النوم حين دخلوا الكهف ناموا سنين كثيرة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾؛ أي: من رقدتهم تلك، وخرج أحدهم بدرهم معه ليشري لهم بها شيئاً يأكلونه، كما سيأتي تفصيله، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ

¹ - كعب الأبحار: هو كعب بن ماتع، بكسر المثناة من فوق الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأبحار، ويقال له: (كعب الحبر)، والراجح أن إسلامه في خلافة عمر، وكان قد قرأ الكتب، يروي عن: ابن عمر، وابن عباس، وروى عنه الناس، (ت: 34 هـ). ينظر أسد الغابة 514/4، والإصابة 647/5 رقم: 7501، والثقات 333/5 رقم: 5095.

² - سعيد بن جبير بن هشام مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، يروي عن: ابن عمر، وابن عباس وجماعة من الصحابة، يروي عنه: عمرو بن دينار، وأيوب، كان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً، وعن ابن بشر قال: كان سعيد بن جبير أعلم من مجاهد وطاوس، وكان يختم القرآن كل ليلتين، وكان لا يدع أحد يغتاب عنده ت: 95 هـ، قتله الحجاج وقال له " اختر لنفسك أي قتلة شئت فقال: اختره أنت فإن القصاص أمامك " فقتله ثم مات الحجاج بعده بأيام. ينظر التاريخ الكبير 461/3، و تذكرة الحفاظ 60/1 رقم: 73، والثقات 275/4 رقم: 2883، والجرح والتعديل 9/4 رقم: 29 والطبقات الكبرى 266/6.

³ - [لجأوا]: هكذا في المتن، والصواب: [فلجأوا]. ينظر اللوحة 274/2 ب من المخطوط. وتفسير ابن كثير 139/5.

⁴ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد 222/1 باب دعاء الأخ بظهر الغيب برقم: 639، وأبو داود الطيالسي في مسنده باب أم كلثوم عن عائشة رضي الله عنهما 148/3 رقم: 1674، والحاكم في مستدركه 702/1 كتاب الدعاء والتكبير والتهليل برقم: 1914، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. (يقصد في الصحيحين).

⁵ - أخرجه أحمد في مسنده 181/4 حديث بسر بن أبي أرطاة رقم: 17665، وابن حبان في صحيحه 229/3 باب الأدعية رقم: 949 بلفظ " عاقبتنا "، والحاكم في المستدرک 683/3 باب ذكر بسر بن أبي أرطاة برقم: 6508، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 50/11 باب بسر بن أبي أرطاة رقم: 17390، وعزه إلى أحمد والطبراني وقال: ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات.

الْحَزِينِينَ؛ أي: المختلفين فيهم ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ ، قيل: عددًا، وقيل: غايةً، فإن الأمد: الغاية، كما في قول الشاعر(1):

سبق الجواد إذا استولى على الأمد

﴿تَحْنُ نَفْصَ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَإِلَّا اللَّهُ فَأَوْرُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

من ههنا شرع في بسط القصة، وشرحها، فذكر تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ ، وهم الشباب وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وداموا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقواً على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وقوله: ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: اعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد، كما هو مذهب جمهور أهل السنة، وأنه ينقص، وقد ذكروا أنهم كانوا على دين المسيح ابن مريم، والظاهر إنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية، لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم، وأمرهم لمباينتهم لهم، وقد سبق قريباً، أنهم أمروا قريشاً أن يمتحنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسؤال عن خبر هؤلاء، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فدلَّ هذا على أن هذا كان محفوظاً في كتبهم، وأنه مقدم على دين النصارى، (والله أعلم). وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا به من العيش والنعمة، فإنه قد ذكروا أنهم من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يوماً في أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد، يقال له: (دقيانوس)، وكان يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنعون بعين

1 - الشاعر هو النابغة الذبياني أحد شعراء المعلقات وهذا البيت من البحر البسيط والبيت كاملاً :
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ينظر ديوان الشاعر ص : 33، وتاج العروس 392/7، وتهذيب اللغة 206/5، وجمهرة اللغة 659/2.

بصيرتهم، فعرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم، والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم فيتبرز عنهم ناحية، فكان أول من جلس منهم وحده جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هنالك الذي جمع قلوبهم على الإيمان ، كما في الصحيحين ⁽¹⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف " ⁽²⁾ وجعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه من أصحابه خوفاً منهم، ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم: تعلمون يا قوم أنه ما أخرجكم من قومكم، وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره، فقال آخر: أما أنا فإني والله يا قوم رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يُعبد وحده، ولا يشرك به شيئاً هو الله الذي خلق كل شيء، وقال الآخر: أنا والله وقع لي كذلك، وقال الآخر: كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يداً واحدة، وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه، فعرفوا بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه فأجابوا بالحق ودعوته إلى الله وحده، ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا﴾ ، ولن: (لنفي التأييد) ⁽³⁾، أي: لا يقع منا هذا أبداً لأننا لو فعلنا ذلك لكننا على الباطل، ولهذا قال عنهم: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا﴾ ؛ أي: باطلاً وكذباً وبهتاناً، ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ﴾ ، أي: هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك، قيل: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم، وتهددهم، وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان من زينة قومهم عليهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه، فلما وقع عزمهم على الذهاب، والهرب من قومهم، واختار الله لهم ذلك فأخبر عنهم به في قولهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا

¹ - يقصد بهما صحيح الإمام البخاري ، وصحيح الإمام مسلم.

² - أخرجه البخاري في صحيحه 1213/3 باب الأرواح جنود مجندة برقم : 3158، و مسلم في صحيحه 2030/4 باب الأرواح جنود مجندة برقم : 2638 .

³ - وهذا مذهب الزمخشري: أما ما عليه جمهور النحاة، فإنها ليست للتأييد، جاء في (الجنى الداني): (لن): حرف نفي، ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال، ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبداً، خلافاً للزمخشري، وهو لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل، بل قد يكون النفي بـ(لا) أكد من النفي بـ(لن) لأن النفي بـ(لا) قد يكون جواباً للقسم، والنفي بـ(لن) لا يكون جواباً له، ونفي الفعل إذا أقسم عليه أكد. ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ص: 271.

يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ أَي: وإذ فارقتموهم، وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأديانكم، ﴿فَأُوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾؛ أي: الذي أنتم فيه مرفقاً؛ أي: أمراً ترتفقون به، فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف، فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، وطلبهم الملك، فيقال: إنه لم يظفر بهم، وعمى الله عليه خبرهم، كما فعل بنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه الصديق حين لجأوا إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب، فلم يهتدوا إليه، مع أنهم يمشون عليه، حتى جزع الصديق في قوله: يا رسول الله: "لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (1) فقصه هذا الغار أشرف وأجل، وأعجب من قصة أصحاب الكهف، وقد قيل: "إن قومهم ظفروا بهم، ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه، فقالوا ما كنا نزيد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوه بأنفسهم، فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم، ففعل ذلك"، (وفي هذا نظر)، فإن الله تعالى قد أخبر عنهم أن الشمس دخل عليهم بكرة وعشياً كما قال تعالى:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

وهذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال، لأنه تعالى أخبر إذا دخلته عند طلوعها تزاوَرُ عنه ذات اليمين؛ أي: تنقلص الفياء عنه، كما قال ابن عباس رضي الله عنه (2)، وغير واحد: تزاوَرُ؛ أي: تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق، تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾؛ أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية الشرق، فدل على صحة ذلك، وهذا بيِّن لمن تأمل، وكان له حظ من معرفة الهيئة، وسير الكواكب، وقال ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة (3):

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1337/3 باب مناقب المهاجرين برقم: 3453، ومسلم في صحيحه 1854/4 باب فضائل أبي بكر رقم: 2381.

2 - قال ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وقتادة: ﴿تَزَّوَرُّ﴾، أي: تميل، وفي قوله: ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾، قال ابن عباس: تذرهم. ينظر تفسير الطبري 620/17 الآية 17 من سورة الكهف، وتفسير ابن أبي حاتم 12731 - 12733.

3 - قتادة بن دعامة السدوسي من أهل البصرة كنيته أبو الخطاب، وكان أعمى، وهو من علماء الناس بالقرآن والفقہ، ومن حفاظ أهل زمانه، جالس سعيد بن المسيب، يروي عن: أنس بن مالك، روى عنه شعبة بن الحجاج، وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث، توفي بواسط عام: 117 هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 98/1 باب قتادة والتقات 322 باب القاف، والطبقات الكبرى 7/ 228 الطبقة الثالثة.

"تتركهم" (1)، وقد أخبر تعالى عن ذلك، وأراد منا فهمه، وتدبره، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعضهم فقال: "إنه قريب من أيلة" (2)، وقيل: "هو عند نينوى" (3)، وقيل: " ببلاد الروم"، وقيل: ببلاد البلقاء (4)، (والله أعلم) بأي موضع هو، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾؛ أي: في متسع من الكهف داخلاً بحيث لا يمسه الشمس"، إذ لو أصابتهم لاحترقت أبدانهم وثيابهم" (5) قاله ابن عباس ؓ، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم لتبقى أبدانهم، ولهذا قال: ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا﴾؛ أي: هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَتْ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾

ذكر بعض العلماء أنهم لما ضرب الله على أذانهم بالنوم، لم تنطبق أعينهم، لئلا يسرع إليه البلي، فإذا بقيت ظاهرة للهواء، كان أبقى لها، ولهذا قال: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، قيل: يقبلون في العام مرتين، قال ابن عباس ؓ: " لو لم يقبلوا لأكلتهم الأرض" (6) ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ

1 - عن مجاهد، في قوله: ﴿تَقْرُضُهُمْ﴾، قال: تتركهم، وقال ابن عباس: تذرهم. وقال قتادة: تدعهم ذات

الشمال، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12733 / 235، وتفسير الطبري 622/17، وتفسير مجاهد ص/374،

2 - أيلة (بالفتح): مدينة على ساحل بحر القلزم، مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز، وأول الشام، قال أبو زيد أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فخالفوا، فمسخوا قردة، وخنازير. ينظر معجم البلدان 292/1.

3 - مدينة نينوى، مدينة يونس عليه السلام كورة من كور الموصل من عمل الجزيرة، وهي مقابلة للموصل بينهما دجلة، وإلى أهلها بعث يونس بن متى عليه السلام، ينظر الروض المعطار 584/1، ومعجم البلدان 339/5. وأيلة: في طريق مكة، من مصر، وهي أول حد الحجاز، وهي مدينة جليلة القدر، بها يجتمع حجاج مصر والمغرب، وبها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس. وسميت بأيلة بنت مدين قالوا: وهي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن. ينظر الروض المعطار 70/1 باب " أيلة ".

4 - البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبقاء بن سوريّة من بني عبيل بن لوط وهو بناها، وبها كان اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاصي رضي الله عنهما وهي من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وفيها قرى كثيرة. ينظر الروض المعطار 96/1، ومعجم البلدان 489/1.

5 - وهم في فجوة منه، فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني في فضاء منه، قاله قتادة. والثاني: داخل منه، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنه المكان الموحش والرابع: أنه ناحية متسعة، قاله الأخفش، ينظر تفسير الماوردي 290/3 الآية 17 سورة الكهف

6 - لأكلتهم الأرض لطول مكثهم، وقيل أنهم كانوا يقبلون في كل عام مرتين، وقال مجاهد: إنما قبلوا تسع سنين بعد ثلاثمائة سنة لم يقبلوا فيها، ينظر تفسير الماوردي 293/3.

ذَرَّاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴿١﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه، وطائفة: " الوصيد: الفناء بالباب " (1)، وقيل:
بالصعيد: وهو التراب، والصحيح الأول، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ﴾ (2)؛ أي: مطبقة مغلقة، ويقال: وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب، كما
جرت به عادة الكلاب في الحراسة، وهذا من سجيته حيث ربض ببابهم، كأنه
يحرصهم، وكان جلوسه خارج الباب " لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب " (3). هكذا
في الحديث الصحيح، وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك
الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وشأن وخبر، وكان
كلب صيد لأحدهم، وهو الأشبه، وقيل: كلب طباخ الملك، وكان أحدهم فصحه كلبه،
قال الحسن (4): اسم هذا الكلب (قطمير)، واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها
ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ ، وقوله: ﴿لَوْ
اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أنه تعالى ألقى عليهم المهابة، بحيث لا يقع نظر أحدهم عليهم
إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد، ولا يمسه يد لامس
حتى تنقضي مدتهم التي شاء الله فيهم، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة
الواسعة.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ
أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ إِنْ
يُظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿١٢﴾﴾

أي: كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من
أحوالهم وهيأتهم شيئاً، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ولهذا تساءلوا بينهم ﴿كَمْ
لَبِئْتُمْ﴾؛ أي: كم رقدتم؟ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، كأنه كان دخولهم إلى

1 - قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر : الوصيد : هو فناء البيت ، وقال السدي : الوصيد : هو الباب ،
والكهف ليس له باب ولا عتبة ، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت ، ينظر أضواء البيان 224/3
وتفسير الرازي 86/21 الآية 18 من سورة الكهف ، وتفسير الطبري 624/17 الآية 18 سورة الكهف

2 - ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ الآية (8) من سورة الهمزة

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 114/4 باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة رقم : 3227 ، وكذلك 31/20
باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة رقم: 5960 نحوه، ومسلم في صحيحه 663/3 باب تحريم تصوير صورة
الحيوان رقم : 2104 بلفظ " كلب ولا صورة " .

4 - قال ابن عباس : اسم الكلب حمران ، وقيل : قطمير ، وقال الحسن البصري : كان اسم كبش إبراهيم عليه
السلام (جرير)، وهدد سليمان عليه السلام (عنقر)، واسم كلب أصحاب الكهف (قطمير)، وعن مجاهد أن اسم
كلبهم (قطمور)، والحسن قال: اسم كلبهم (قطمير)، ينظر تفسير ابن أبي حاتم ص / 2352 برقم : 12741 -
12442 ، وتفسير القرطبي 360/10 الآية 18 سورة الكهف .

الكهف في أول النهار، واستيقاظهم كان في آخره، ولهذا استدركوا، ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ أي: الله أعلم بأمركم وكأنه حصل [له] (1) نوع تردد في كثرة نومهم، ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذلك، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب، فقالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾؛ أي: فضتكم هذه، وذلك أنهم كانوا قد استصبحوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها، وقوله: ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾؛ أي: مدينتكم التي خرجتم منها ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾، وقيل: أكثر طعاماً، ومنه زكى الزرع إذا كثر، قال الشاعر (2):

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... والسبع أزكى من ثلاثٍ وأطيبُ

والصحيح: الأول، لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال كثيراً كان، أو قليلاً وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ أي: في خروجه، وذهابه، وشرابه، وإيابه؛ أي: و(ليخفف) كل ما يقدر عليه ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: و[لا] (3) يعلمن بكم أحداً إنهم أن يظهروا عليكم يرموكم؛ أي: إن علموا بمكانكم رجموكم، أو يعيدوكم في ملتهم يعنون أصحاب (دقيانوس) يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب. إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها، أو يموتوا، وإن وافقوهم على الكفر، فلا فلاح لهم في الدنيا، ولا في العقبى، ولهذا قالوا: ﴿وَلَنْ نُقْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿١٥﴾﴾

أي: وكذلك أطلعنا عليهم الناس ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها ذكر كثير من السلف: أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، وفي أمر القيامة، وكان منهم من قال: يبعث الأرواح، ولا يبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة، ودلالة، وآية على ذلك، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة تنكر، وخرج يمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة، وذكروا أن

1 - [له] هكذا في المخطوط، لعله يقصد: [لهم] فهي الأنسب مع السياق. ينظر تفسير ابن كثير 145/5
2 - الشاعر هو القتال الكلابي: وهذا اللقب غلب عليه لتمرده وقتكه، وكان يكنى بأبي المسيب وأبي شليل وهو من المخضرمين أي أنه أدرك الجاهلية والإسلام وهذا البيت من قصيدة مطلعها :
عفا بطن سبهي من سليمانى وصمعرُ
خلاء فوصل الحارثية أعسرُ
والبيت المذكور هو البيت الخامس في هذه القصيدة ووجدته بلفظ :
قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاثٍ وأكثرُ.
ينظر ديوان الشاعر ص / 12+13+14+50
3 - [لا] ضرورة تطلبها السياق لعلها سقطت من الناسخ اللوحة: 276/ب، وتفسير ابن كثير 145/5.

اسمها (دِفوس)، وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن، وأمة بعد أمةٍ وتغيرت البلاد ومن عليها، كما قال الشاعر⁽¹⁾:

أما الديار فإنها كديارهم أرى رجال الحي غير رجاله.

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التي يعرفها، ولا يعرف أحداً من أهلها لا خواصها، ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه، ويقول أحل بي جنون أو مس أو أنا حالم، ويقول: والله ما بي شيء من ذلك، وأن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة؛ ثم قال: التعجل في الخروج من (ههنا)⁽²⁾ أولى، ثم عهد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعاماً، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم، ويقولون لعلّ هذا قد وجد كنزاً، فسألوه عن حاله وأمره، ومن أين له هذه النفقة؟ لعله وجدها من كنز، وممن أنت، فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة، وعهدي بها عشية أمس، وفيها (دقيانوس) فنسبوه إلى الجنون، وحملوه إلى ولي أمرهم، فسألوه عن شأنه، وأمره حتى أخبرهم بأمره، وهو متحير في حاله وما هو فيه، فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف متولى البلد، وأهلها حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي، فدخل، فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبرهم، ويقال: بل دخلوا عليهم وسلموا عليهم، وعادوا إلى مضاجعهم، وتوفاهم الله تعالى، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: كما أرقدناهم وأيقظناهم بهياتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: في أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجةً لهم عليهم فقالوا: ﴿أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾؛ أي: سدوا باب كهفهم وذروهم على حالهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، قيل: إن القائلين كانوا مسلمين منهم، وقيل: غير مسلمين، و[الظاهر أن القائلين هم أهل التوحيد]⁽³⁾، لكن هل هم

1 - لم أقف على نسبة هذا الشعر بهذا اللفظ، والذي وقفت عليه، قول الشاعر:
أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نساها.

للشاعر أبي بكر الشبلي، ينظر ديوان الشاعر ص/158.

2 - جاء في المطالع النصرية للمطابع المصرية: " فأما (هاء) التنبيه، فتحذف ألفها في ثلاث حالات: {الأولى}: أن يأتي بعدها اسم إشارة غير مبدوء بـ(تاء)، ولا (هاء)، وليس بعده (كاف)، مثل: (هذا)، و(هذه)، و(هذان)، و(هؤلاء)، و(هكذا)، و(أيها)، بخلاف المبدوء بالتاء مثل: (هاتان)، و(هاتين)، وبالهاء، مثل: (هاهنا)، وبخلاف ما بعده، كاف نحو (ها ذاك)، فلا تُحذف الألف منها، و{الثانية}: إذا وقع بعدها اسم الجلالة في القسم، بأن قيل: (ها لله لا فعلن كذا)، و{الثالثة}: إذا جاء بعدها ضمير مبدوء بالهمزة نحو: (هأنا)، (هأنتم)، بخلاف (ها هو)، و(ها هي) ...". ينظر المطالع النصرية ص/370.

3 - عند ابن كثير [والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ] ينظر التفسير 147/5.

محمودون أم لا؟ (فيه نظر)، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم، وصالحيهم مساجد" (1)، يُحَدَّر ما فعلوه.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ٣٢﴾

أخبر تعالى في عدة أصحاب الكهف، فحكى ثلاثة أقوال يدل على أنه لا قائل برابع، ولما ضَعَفَ القولين الأولين، بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: قول بلا علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فَبِلَا قَصْدٍ، ثم حكى الثالث، وسكت عليه، أو قرره بقوله: ﴿وَتَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ دلّ على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر، وقوله: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾، إرشاداً إلى الأحسن في هذا المقام ردّ العلم إلى الله إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾؛ أي: من الناس، قال ابن عباس: " أنا من القليل الذين استثنى الله كانوا سبعة" (2)، وهو موافق لما سبق، وقال مجاهد: " لقد حَدِثْتُ أنه كان على بعضهم من حادثة سنة وَضَحُ الْوَرِقِ" (3)، قال ابن عباس: " وكانوا ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبيكون، ويستغيثون بالله" (4) وقيل: كانوا ثمانية نفر: (كدامكسليمينا)، وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم، (ومجسهلنينا)، و (يميليا)، و (ومرطوش) و(كشوطونش)، و(بيروفش) و(دينموش)، و (طونبس) (قابوس)، هكذا وقع في هذه الرواية، والصحيح عن ابن عباس: كانوا سبعة كما سبق، وفي صحة تسميتهم هذه الأسماء، واسم كلبهم نظر، فإن غالب مثل ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾؛ أي: سهلاً هيناً، وإن الأمر في معرفة ذلك، لا يترتب عليه كثير فائدة. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: فإنهم لا علم

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 466/1 باب ما يُكره من اتخاذ المساجد على القبور برقم: 1265 ، ومسلم في صحيحه 376/1 (باب النهي عن بناء المساجد على القبور) برقم: 529 بلفظ " قبور انبيائهم مساجد " .

2 - أخرجه الطبراني في أوسطه 175/6 باب من اسمه محمد برقم: 6113 نحوه، وأحمد في فضائل الصحابة 845/2 برقم: 1557، وأورده الهيثمي في الزوائد 147/7 باب سورة الكهف، وعزاه إلى الطبراني في أوسطه وقال: وفيه يحيى بن أبي ورق وهو ضعيف. و أورد ابن أبي حاتم هذا القول، ونسبه إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأورد القرطبي تفصيلاً في عدد أصحاب الكهف، فقال: قالت اليعقوبية: أنهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: أنهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: سبعة وثامنهم كلبهم، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12754/2354، وتفسير الطبري 642/17، وتفسير القرطبي 382/10.

3 - وأورد هذا القول ابن جرير في تفسيره بلفظ " لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حادثة أسنانه وضح الورق" . ينظر تفسير الطبري 607/17 .

4 - أورد ابن جرير هذا القول بهذا اللفظ. ينظر تفسير الطبري 607/17.

لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم من غير سندٍ صحيح، وقد بعث الله محمداً بالحق الذي لا شك فيه، فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب، والأقوال والأفعال.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِيٍّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿١٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾

هذا إرشاد من الله [ل] (1) رسوله - صلى الله عليه وسلم - إلى الأدب فيما عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله علام الغيوب، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه (2) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " قال سليمان عليه السلام : لأ طوفن الليلة على سبعين امرأة " (3)، وفي رواية: " تسعين امرأة " (4)، وفي رواية " مائة امرأة " (5)، تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته " (6) ، وفي رواية: " ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعين " (7)، ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾؛ أي: الاستثناء فاستثنى عند ذكرك له، وقال عكرمة (8): " أي: إذا غضبت "، وهذا

1 - [ل] ضرورة يقتضيها السياق لعلها سقطت من الناسخ .

2 - أبو هريرة أختلف في اسمه قيل: عبدالرحمن بن صخر، وقيل: غيره، الصحابي الجليل حافظ الصحابة كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقال : كنانى أبي بآبي هريرة لأنى كنت أرى غنماً فوجدت أولاد هرة وحشية فلما أبصرهن، وسمع أصواتهن أخبرته فقال: أنت أبو هر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، روى عنه: ابن عباس، وابن عمر، (ت: 59 هـ). ينظر، أسد الغابة 475/3 باب العين والباء رقم: 3320، وتذكرة الحفاظ 28/1. وتهذيب الكمال 366/34، باب الهاء رقم: 7681 ، وتهذيب التهذيب 288/12 من كنيته أبو هريرة رقم: 1216.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1260/3 باب قول الله تعالى ووهبنا لداود برقم : 3242 عن خالد بن مخلد نحوه ، ومسلم في صحيحه 1275/3 باب الاستثناء برقم : 1654 نحوه.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 2447/6 باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 6263، ومسلم في صحيحه 1275/3 باب الاستثناء برقم : 1654.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 1038/3 باب من طلب الولد للجهاد برقم : 2664 نحوه، والنسائي في سننه 328/5 باب طواف الرجل على نسائه برقم: 9032.

6 - أخرجه البخاري في صحيحه 2007/5 باب لأ طوفن الليلة على نسائي برقم : 4944 نحوه ، بلفظ " وكان أرجى لحاجته " ، وكذلك 2470/6 باب الاستثناء في الأيمان برقم : 6341 به ، ومسلم في صحيحه 1275/3 باب الاستثناء برقم : 1654 به .

7 - أخرجه البخاري في صحيحه 1038/3 باب من طلب الولد للجهاد 2664 بلفظ " فرساناً أجمعون " ، ومسلم في صحيحه 151/11 باب الاستثناء برقم : 4379 بلفظ " أجمعون " .

8 - عكرمة أبو عبدالله البربري ثم المدني الهاشمي مولى ابن عباس ، روى عن مولاه وعن عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم ، وروى عنه : عاصم الأحول ، والشعبي ، وروى مالك عن رجل عن عكرمة في الحج ، كان ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت عنده بدعة ، من الثالثة ، توفي بالمدينة عام : 107 هـ . ينظر التاريخ الكبير 49/7 برقم: 218، وتذكرة الحفاظ 95 /1 برقم : 87 ، وتقريب التهذيب 396/2 برقم : 4673 .

(تفسير باللازم)⁽¹⁾، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو أن يقول إن شاء الله ليكون آتياً بسنة الاستثناء إذا كانت فاصلة طويلة، وعنه أيضاً: أنه خاصُّ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس لأحدٍ منها أن يستثنى إلا في صلة من يمينه، وفيه وجهٌ آخر، وهو أنه تعالى أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله، لأن النسيان منشأه من الشيطان، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان من الإنسان، فذكر الله سببٌ للذكر، وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾، أي: إذا سئلت عن الشيء لا تعلمه، فاسأل الله فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب، والرشد في ذلك.

﴿وَلْيَبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ١٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ١٦﴾

هذا خبر من الله لرسوله بمقدار لبثهم في الكهف منذ أرقدهم إلى أن بعثهم، وأنه كان مقدار ثلاثمائة سنة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾؛ أي: سئلت عن لبثهم، وليس عندك في ذلك توقيف من الله فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل في مثل هذا: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلع عليه من خلقه، قاله أكثر السلف. وقال قتادة: في قوله: ﴿وَلْيَبْثُوا﴾، إلى آخره هذا قول أهل الكتاب⁽²⁾ وقد رده الله بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا﴾، وفي قراءة عبدالله رضي الله عنه⁽³⁾ "وقالوا: ﴿وَلْيَبْثُوا﴾، يعني: أنه

1 - التفسير باللازم: وهو العدول عن المعنى اللفظي المباشر إلى لفظ هو لازم من لوازمه، بمعنى: أن يأتي إلى الآية، ويكون في ذهنه معنى للآية مربوط بلازم معين، فيعبر بلفظ غير اللفظ المطابق، وغالباً ما يزيد ذلك التعبير المعنى الأصلي فائدة، ومن أمثلة ذلك: في قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) [فصلت: 11]، يقول (استوى) بمعنى (قصد)، وفي تفاسير السلف لا يكون بمعنى (القصد)؛ لكن هنا فسروا (استوى) بمعنى (قصد) لأنه عُدِي بِ(إِلَى) والتعديدة بِ(إِلَى) أفادت أن (استوى) مضمّنة معنى فعل آخر يناسب التعديدة بِ(إِلَى)، (استوى إِلَى) معناها في اللغة في تفاسير السلف (على). يعني استوى على السماء، لأن المعنى الأصلي معروف، وإنما هذا المعنى الثاني. والتفسير هذا لا ينفي المعنى الأول ولا يعد تأويلاً، وإنما هو تفسير بلازم الإثبات. ومن أمثلة ذلك: تفسير سعيد بن جبير لقوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) الكهف: (110)، أي: يخشى لقاء ربه. وتفسير أبي العالية لقوله تعالى: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقُيُومِ)، طه: 11 أي: خضعت، وتفسير ابن عباس لقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ)، طه: (128) قال: لأولى النهي. ينظر إتحاف ذوي البصائر 213/1، والتفسير باللازم عند المفسرين ص/151، وتفسير الطبري 298/18، والدر المنثور 601/5 وشرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ 21/1.

2 - أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلْيَبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قال: هذا قول أهل الكتاب فرد الله عليهم ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ قال مجاهد: بعد موتهم إلى نزول القرآن فيهم.

ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12766/2356، وتفسير القرطبي 387/10.

3 - قوله عز وجل: ﴿وَلْيَبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في قراءة ابن مسعود "قالوا لبتوا في كهفهم". وفيه قولان: أحدهما: أن هذا قول اليهود، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبتوا في كهفهم ثلاثمائة سنين

قاله الناس، وفي قول قتادة نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة من غير تسع يعنون بالشمسية، ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال: ﴿وَأَزْدَادُوا﴾، وظاهر الآية إنما هو إخبار الله لا حكاية عنهم، ونسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود غير معتبر، ومخالف للجمهور، فلا يحتج بها، وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾، أي: أنه لبصير بهم سميع لهم، قال ابن جرير⁽¹⁾: وذلك في معنى مبالغة في المدح كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه يعني ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، قال قتادة: أي: " فلا أحد أبصر من الله، ولا أسمع منه " ⁽²⁾، وقوله: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، أي: أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير، تعالى وتقدس .

﴿وَأْتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٧٧﴾
وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٧٨﴾﴾

أمر الله تعالى بتلاوة كتابه العزيز، وإبلاغه الناس ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾؛ أي: غير مغير لها ولا محرّف، وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك، فإنه لا ملجأ لك من الله، وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهلّلونه، ويحمدونه ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه بكرةً وعشيّاً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء، يقال: إنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجلس معهم وحدهم ولا يجالسهم ضعفاء

وازدادوا تسعاً، فرد الله تعالى عليهم قولهم، وقال لنبيه: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، والقول الثاني: أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخوله إلى ما ماتوا فيه، وأورد الطبري قوله في قراءة ابن مسعود: {وقالوا ولبثوا} قال قتادة: يعني أنه قال الناس، ينظر تفسير الطبري 647/7 وتفسير الماوردي 300/3 .

¹ - ابن جرير: محمد بن جرير بن يزيد الطبري المؤرخ المفسر ولد في طبرستان واستوطن ببغداد وتوفي بها وعرض عليه القضاء وامتنع، وهو من ثقات المؤرخين، وكان مجتهداً في أحكام الدين، ورأس المفسرين، أحد الأئمة، روى عن: أحمد بن منيع، روى عنه: الطبراني، من أشهر مصنّفاته: أخبار الرسل والملوك المعروف "بتاريخ الطبري"، وجامع البيان في تفسير القرآن المشهور "بتفسير الطبري" ت: 320 هـ . ينظر طبقات المفسرين 50/1 رقم: 70، ووفيات الأعيان 191/4 .

² - يقول الماوردي في قوله تعالى "أبصر به وأسمع" وفيه تأويلان: أحدها: أن الله تعالى أبصر وأسمع أبصر بما قال، وأسمع لما قالوا. والثاني: معناه أبصرهم وأسمعهم ما قال الله فيهم، وقال ابن زيد: يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم، ينظر تفسير الطبري 650/17، وتفسير الماوردي 300/3 .

أصحابه ك(بلال)⁽¹⁾، و(عمار)،⁽²⁾ و(صُهيب)⁽³⁾ وإيفرد أولئك بمجلس على حده، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾⁽⁴⁾ الآية، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء⁽⁵⁾، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية، عن سعد بن أبي وقاص⁽⁶⁾ قال: " كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ستة نفر، فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم - : اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: كنت أنا وابن مسعود⁽⁷⁾ ورجل من هذيل، وبلال⁽⁸⁾، ورجلان [لستُ أَسْمِيَهُمَا]⁽⁸⁾، فوقع في نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شاء الله أن يقع، فحدثت نفسه⁽⁹⁾، فأُنزل

¹ - بلال بن رباح^(ع)، يكنى أبا عبد الكريم، وقيل أبا عبدالله، وهو مولى أبي بكر الصديق، وأعتقه الله عز وجل وكان مؤدناً للرسول - صلى الله عليه وسلم - وخازناً له، شهد بدرًا والمواقع كلها، وكان من السابقين إلى الإسلام، وبعد موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذهب إلى الشام، وتوفي بها عام: 20 هـ . ينظر أسد الغابة 305/1 رقم: 492، والإصابة 326/1 رقم: 736، والثقات 28/3 رقم: 95 باب الباء .

² - عمار بن ياسر^(ع)، أبو اليقظان وهو من السابقين إلى الإسلام، وأمه سمية، أول شهيدة في الإسلام، وهو من عُدب في الله، وقال مجاهد: أول من أظهر إسلامه سبعة وذكر " عمار، وأمه سمية "، وشهد المشاهد كلها وشهد اليمامة فقتعت أذنه، قتل يوم صفين (عام: 37 هـ)، ودفنه علي - رضي الله عنه - . ينظر أسد الغابة 139/4 باب العين والميم، الإصابة 575/4 رقم: 5708 .

³ - صهيب بن سنان بن مالك^(ع)، ويقال له أبو عسال الرومي وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيراً وكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأبلّة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيياً وهو صغير فنشأ بالروم فصار ألكن، ثم اشتراه عبد الله بن جدعان، وأعتقه فأقام معه حتى هلك، وقيل: أنه هرب من الروم فقدم مكة وحالف ابن جدعان، توفي في خلافة علي بن أبي طالب (عام: 38 هـ) ودفن بالبيقع . ينظر أسد الغابة 25/2، والإصابة 449/3 رقم: 4208، والثقات 193/3 رقم: 656 .

⁴ - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية (52) من سورة الأنعام.

⁵ - سبب نزولها: أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذوهم، فقالوا: يا رسول الله، لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنا، يعنون: سلمان وأبا ذر، وفقراء المسلمين^(ع)، فنزلت هذه الآية إلى قوله إنا اعتدنا للظالمين نارا، وقال السيوطي: فلما نزل ذلك فيهم، قالوا: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لو طردتهم عنا، ونكون نحن جلساءك وأخوانك لا نفارقك، فأُنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى منتهى الآيتين. ينظر الدر المنثور: 274/3 وزاد المسير 32/5.

⁶ - سعد بن أبي وقاص^(ع)، يكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية أسلم بعد ستة، وقيل أربعة، وكان عمره 17 سنة، روى عنه: ابن عمر، وابن عباس، وهو أحد الستة أصحاب الشورى، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، أخبر عمر بن الخطاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنه راضٍ، توفي بالمدينة في إمارة معاوية، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة موتاً عام: 54 هـ . ينظر الاستيعاب 606/2 رقم: 463، وأسد الغابة 433/2، رقم: 2029، والإصابة 47/3 رقم 3196 باب السين بعدها العين .

⁷ - عبدالله بن مسعود^(ع)، أسلم مع فاطمة بنت الخطاب، وزوجها سعيد بن زيد، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وكان إسلامه أول الإسلام، شهد بدرًا وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل، وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه: ابن عباس، وابن عمر وأبو هريرة^(ع) من الصحابة، ومن التابعين علقمة، ومسروق، وغيرهما، (ت: 32 هـ)، ودفن بالبيقع ليلاً لأنه أوصى بذلك . ينظر الاستيعاب: 987/3 رقم: 1659، وأسد الغابة: 394/3 رقم: 3169، والثقات: 308/3 رقم: 703، والجرح والتعديل: 149/5 رقم: 686 .

⁸ - هكذا في المتن، ينظر اللوحة رقم: 277/ب، وكذلك في تفسير القرطبي 432/6، وتفسير الخازن 137/2، أما عند ابن كثير فقد وردت: [نسيت اسميهما]. ينظر تفسيره 152/5.

⁹ - أخرجه مسلم في صحيحه 127/7 باب فضل سعد بن أبي وقاص رقم: 6393، والنسائي في سننه 62/5 باب سعد بن مالك رقم: 8220.

الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾⁽¹⁾ رواه مسلم، وعن أنس⁽²⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسناتٍ "⁽³⁾ رواه أحمد، وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف⁽⁴⁾ قال: نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية. فخرج يلتمسهم، فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس وحافي الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم "⁽⁵⁾ رواه الطبراني، وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ، قال ابن عباس⁽⁶⁾: أي: " لا تجاوزهم إلى غيرهم ولا تبدل أصحاب الشرف والثروة بهم، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا "⁽⁶⁾؛ أي: من شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾، أي: أعماله وأفعاله، سفةً وتفريط وضياع، ولا يكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾⁽⁷⁾ الآية.

1 - الآية (52) من سورة الأنعام .

2 - أنس بن مالك بن ضمضم بن النجار الخزرجي ن وإنما سمي النجار لأنه قتل رجلاً بفأس، كنيته أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يتسمى به ويفتخر بذلك ن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وآخرين ، روى عنه : أولاده : موسى والنضر و أبو بكر ، وحفيده ثمامة ، وخلائق ، وكان يصلي فيطول القيام حتى تقطر قدماه دماً ، قدم الرسول وهو ابن عشر سنين ، وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين ، وانتقل إلى البصرة ، وتوفي بها عام : (91 هـ - 93 هـ) . ينظر أسد الغابة 192/1 رقم : 258 ، وإسعاف المبطأ 6/1 الثقات 4/3 ، والأنساب 459/5 .

3 - أخرجه أحمد في مسنده 437/19 مسند أنس بن مالك برقم: 12453، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 75/10 باب ما جاء في مجالس الذكر برقم : 16764 وعزاه إلى أحمد، وأبي يعلى، والبخاري، والطبراني في الأوسط وقال: وفيه ميمون المرثي، وثقه جماعة، وفيه ضعف ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

4 - عبد الرحمن بن سهل بن حنيف الأنصاري: ذكره أبو داود في الصحابة، ولا يصح، وإنما الصحبة لأبيه، ولأخيه أبي أمامة، وذكره ابن قانع في الصحابة وكذلك البخاري، روى عن أبي الزناد، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، يروى عنه محمد بن كعب القرظي أنه غزا فمرت به روايا تحمل خمراً فشققها برمحه، وقال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهانا أن ندخل الخمر بيوتنا وأسقيتنا، ولم تُذكر التراجم تاريخ وفاته. ينظر الاستيعاب 836/2 رقم: 1424 باب عبد الرحمن. وأسد الغابة 471/3 رقم: 3314، والإصابة 38/5 رقم: 6219 .

5 - أخرجه الطبراني في أوسطه 357/8 باب من اسمه مقدم برقم: 8866، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 88/7 باب سورة الأنعام برقم : 10998، وعزاه إلى الطبراني، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقد ذكر الطبراني عبد الرحمن في الصحابة .

6 - قال ابن عباس لا تعد عينك عنهم، أي: لا تتعدهم إلى غيرهم، ولا تتجاوزهم، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12779/2358، وتفسير الطبري 6/18.

7 - ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88) من سورة الحجر ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (131) من سورة طه .

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٦٦﴾﴾

أي: قل يا محمد للناس: هذا الذي جنتكم به من ربكم هو الحق الذي لا شك فيه ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وهذا تهديد ووعد شديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أُرصدنا، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾؛ أي: سُورُها، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة" (1)، رواه أحمد، والترمذي، ﴿يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "المهل: ماء غليظ مثل دُرْدِيّ الزيت" (2)، وقيل: هو كالدّم والقيح، وقيل: هو الشيء الذي انتهى. حرّه، وقال الضحاك (3): ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود، فالمهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود منتن غليظ حار، ولهذا قال: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾؛ أي: من حره إذا أراد الكافر أن يشربه، وقربه من وجهه شواه حتى يسقط جلدة وجهه فيه، كما روى أبو سعيد رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ماء كالمهل، قال: كعكر الزيت، فإذا قرّبه إليه سقطت فروة وجهه فيه" (4) رواه أحمد والترمذي، ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفة القبيحة: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾؛ أي: بئس هذا شراباً، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: وساءت النار منزلاً وقبلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق، كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (5).

1 - أخرجه الترمذي في سننه 706/4 باب صفة شراب أهل النار برقم: 2584 بلفظ " مثل مسيرة أربعين سنة"، وأحمد في مسنده 29/3 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11252، وقال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد وفي رشدين مقال وقد تكلم فيه من قبل حفظه، ومعنى قوله كنف كل جدار يعني غلظه .

2 - قال ابن عباس المهل ماء غليظ ، مثل دُرْدِيّ الزيت ، وعنه أيضاً : أسود كعكر الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سُئل عن المهل فدعا بذهب وفضة فأذابه ، فلما ذاب قال : هذا أشبه بالمهل الذي هو شراب أهل النار . و(دُرْدِيّ) الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. ينظر تفسير ابن أبي حاتم ص: 2358 ، 2359 أرقام : 12787 - 12788 .

3 - قال مجاهد: المُهْلُ: هو القيح، والدّم أسود كعكر الزيت ، وقال الضحاك: ماء جهنم أسود، وهي سوداء وشجرها أسود، وأهلها سود ، فالمهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة ، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2359 رقم : 12701 - 12791 .

4 - أخرجه الترمذي في سننه 704/4 باب صفة شراب أهل النار برقم : 2581 ، وأحمد في مسنده 210/18 مسند أبي سعيد الخدري برقم : 11762، وقال الترمذي وبهذا الإسناد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لسرادق النار أربعة جدر كنف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة"، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد وقد تُكلم فيه . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرّجه

5 - ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الآية (66) من سورة الفرقان .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٢﴾﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا الصالحات بما أمروا به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن؛ أي: إقامة تجري من تحت غرفهم، ومنازلهم الأنهار، ﴿يُحَلَّوْنَ﴾؛ أي: من الحلية فيها من أساور من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، والسندس: من ثياب رقاق رفاق كالقمصان، وما جرى مجراها، وأما الاستبرق: فغليظ الديباج، وفيه بريق ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، قيل: الاضطجاع، وقيل: التربع في الجلوس، وهو الأشبه بالمراد ههنا، والارائك: جمع أريكة، وهي السرير تحت الحجة، وقال قتادة: " الأرائك هي الحجال " (1)، وهي معروفة، وقوله: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾؛ أي: نعمت الجنة ثواباً على أعمالهم، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: وحسنت منزلاً ومقيلاً وموضعاً للارتفاق.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٣﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٤﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾﴾

هذا مثل مضروب للمشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء، والمساكين من المسلمين، فضرب الله للفريقين مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين؛ أي: بستانين من أعناب [محفوفين] (2) بالنخيل المحدقة جنباتهما، وفي خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، ولهذا قال: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ

1 - قال ابن عباس: الأرائك: هي السرر في جوف الحجال، والحجال جمع حجلة، وهو بيت يُزَيَّن للعروس بجميع أنواع الزينة، وسئل عكرمة عن (الأرائك) فقال: هي الحجال على السرر، وعن قتادة: (الأرائك): الحجال فيها السرر. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12802/2360 ، وتفسير الطبري 22/18 تفسير سورة الكهف الآية : 34، والدر المنثور 389/5.

2 - هكذا في المتن اللوحة رقم: 378/أ، وعند ابن كثير [محفوفين] ينظر 157/5

أُكْلَهَا؛ أي: أخرجت ثمرها، ﴿وَلَمْ تَظَلْمْ مِنْهُ﴾، أي: ولم ينقص منه شيئاً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾؛ أي: والأنهار تجري فيها (ههنا، وههنا)⁽¹⁾، وكان له ثمر، وقيل: المراد المال، وقيل: الثمار، وهو الأظهر ههنا، وتويده القراءة الأخرى ﴿وكان له ثَمْرٌ﴾ بضم الثاء وتسكين الميم على جمع ثمرة، وقرأ آخرون: بفتح الثاء والميم⁽²⁾ فقال: يعني صاحب هاتين الجنتين لصاحبه، وهو يحاوره؛ أي: يجادله ويخاصمه يفخر عليه ويترأس، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾؛ أي: أكثر خدماً وحشماً، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر⁽³⁾ وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، أي: بكفره وتمردّه وإنكاره المعاد، قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ اغتراراً منه لما رأى من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وارجائها، فظن أنها لا تفنى ولا تهلك، وذلك لقلّة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا، وزينتها وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، أي: كائنة، ﴿وَلَئِنْ رُيدَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ﴾، أي: ولئن كان معاد ورجعة إلى الله ليكونن لي هنالك أحسن من هذا لقبولي لديه، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، والمنقلب: المرجع، كما قال في آية أخرى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾⁽⁴⁾.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ

1 - الصواب: (هاهنا) . ينظر المطالع النصرية ص/371
 2 - اختلف القراء في ثمره التي وردت في سورة الكهف على ثلاثة أوجه :
 (أ). قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحزمة والكسائي " وكان له ثمره وأحيط بثمره "بضميتين .
 (ب). قرأ أبو عمرو " بثمره "بضمّة واحدة وأسكن الميم .
 (ج). قرأ عاصم " وكان له ثمره وأحيط بثمره " ، بفتح الثاء والميم . ، يقول ابن جرير : " وأولى القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأ " وكان له ثمرٌ بضم الثاء والميم لإجماع الحجة من القراء عليه ، وإن كانت جمع ثمار كما الكتب جمع كتاب " .
 وفي اختلاف القراءات قولان : القول الأول : أنهما بمعنى واحد فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات :
 أحدها : أنه الذهب والفضة ، قاله قتادة ، لأنها أموال مثمرة .
 الثاني : أنه المال الكثير من صنوف الأموال ، قاله ابن عباس لأن تثميره أكثر
 الثالث : أنه الأصل الذي له نماء ، قاله ابن زيد ، لأن في النماء تثميراً .
 والقول الثاني : أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف ، فعلى هذا في الفرق . بينهما ، أربعة أوجه :
 أحدها : أنه بالفتح جمع ثمرة ، وبالضم جمع ثمار .
 الثاني : أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة ، وبالضم جميع الأموال ، قاله ابن بحر .
 الثالث : أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله ، وبالضم ما كان ثماره من غيره .
 الرابع : أن الثمر بالضم الأصل ، وبالفتح الفرع ، قاله ابن زيد . ينظر تفسير الطبري 21/18، وتفسير الماوردي 306/3 ، والسبعة في القراءات ص/264
 3 - بمعنى وأعرّ عشيرة ورهطاً، كما قال عبيدة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن سادات العرب وأرباب الأموال، فتحّ عنا سلمان وخبّابا وصُهيبا، احتقاراً لهم، وتكبراً عليهم. وعن سعيد عن قتادة : وتلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال، وعزة النفر " ، ينظر تفسير الطبري 22/18 تفسير الآية 34 من سورة الكهف .
 4 - ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ الآية (50) من سورة فصلت.

مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرِنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٥﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٦﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُوَ طَلَبًا ﴿٣٧﴾

أخبر تعالى عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له زاجراً عما هو فيه من الكفر، والاعتذار أكفرت بالذي خلقك من تراب؟ ثم من نطفة ثم سواك رجلاً هذا إنكار، وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربّه الذي خلقه، وابتداء خلق الإنسان من طين، وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾⁽¹⁾؛ أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية لا

يخفى على أحد، فإنه ما من أحد إلا ويعلم أنه كان معدوماً، ثم وُجد، وليس ذلك إلا بإيجاد خالق وهو الله، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾⁽²⁾، ولهذا قال: المؤمن: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾؛ أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾، بل هو الله المعبود وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾؛ أي: وهلا تحضيض، وحث على ذلك؛ أي: هلا إذا أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت إليها؛ فحمدت على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يُعط غيرك ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ولده أو ماله، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله وذلك مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روي فيه حديث ضعيف مرفوع في مسند الموصلي⁽³⁾ عن أنس قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو مال، أو ولد، فيقول - ما شاء الله لا قوة إلا بالله - فيرى فيه آفة دون الموت "⁽⁴⁾، والآية متأولة بهذا الحديث "، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا قوة إلا

1 - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ لِمَيْتُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية (28) من سورة البقرة
2 - ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الآية (102) من سورة الأنعام.

3 - الموصلي: وهو الإمام أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، متفق عليه، راضيه الحفاظ، وأخرجه في صحيحهم، شيخ الإسلام، وهو أكبر من النسائي بخمس سنين وأعلى إسناداً منه، لقي الكبار، وجالس أحمد بن حنبل، وصحب الحفاظ، وحدث عنه أبو القاسم الطبراني، وابن حبان، ت: 307 هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 193/2 باب أبي يعلى رقم: 726، وسير أعلام النبلاء 174/14 باب أبي يعلى رقم: 100، وطبقات الحفاظ 60/1 الطبقة العاشرة.

4 - أخرجه الطبراني في الأوسط 301/4 باب من اسمه عباس، وفي الصغير 352/1 باب من اسمه علي، والبيهقي في شعب الإيمان 90/4 رقم: 4060، وأورده الهيثمي في الزوائد 203/10 عن أنس بن مالك رقم: 17151، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه (عبد الملك بن زرارة: وهو ضعيف). ولم أفق عليه في مسند الموصلي.

بالله" (1) رواه أحمد منفرداً به، وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ ، أي: في الدار الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ ؛ أي: على جنتك في الدنيا الذي ظننت لا تفنى، ولا تبيد، ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس ؓ وغير واحد: "أي: عذاباً" (2) الظاهر: أنه مطر عظيم مُزْعَج يقطع زرعها وأشجارها، ولهذا قال: ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ؛ أي: بلقماً ترابياً أملس لا يثبت فيه قدم، وقال ابن عباس ؓ: كالجُرن الذي لا ينبت شيئاً، وقوله: ﴿أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غُورًا﴾ ؛ أي: غائراً في الأرض منقطعاً ذاهباً لا تناله الأيدي، وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض، ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ؛ أي: إن طلبته لا تجده لذهابه وانقطاعه، والغور: مصدر بمعنى غائر، وهو أبلغ منه ﴿وَأُحِيطَ بِغَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

أي: وقع بهذا الكافر ما يُحذر منه مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسابان على جنته التي أغرَّ بها، وألهته عن الله - عز وجل - فأحاط العذاب بثمر جنته، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، قال قتادة: أي: فصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليهم ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾، أي: ساقطة على عروشها، أي: سقوفها، ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ؛ أي: عشيرة ولا ولد، كما افتخر بهم واستعزَّ ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ أي: يمنعونه من عذاب الله، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ؛ أي: ممتنعاً منتقماً؛ أي: لا يقدر على الانتصار لنفسه، ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ اختلف القراء ههنا، فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ﴾ ؛ أي: في ذلك الموطن الذي حل به العذاب، فلا منقذ منه، وبيئدئ بقوله: ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ، ثم اختلفوا في

1 - أخرجه أحمد في مسنده 90/16 مسند أبي هريرة رقم: 10056 به، والبيهقي في شعب الإيمان 444/1 فصل في إدامة ذكر الله رقم: 659، وقد جاء ذكره بأسانيد ومتون أخرى في الصحيحين وفي السنن وبأطراف أخرى.

2 - ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفيه خمسة تأويلات: أحدها: يعني عذاباً، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: ناراً قاله الضحاك. والثالث: جراداً. والرابع: عذاب حساب بما كسبت يداك، قاله الزجاج، لأنه جزء الآخرة. والجزء من الله تعالى بحساب. والخامس: أنه المرامي الكثيرة، قاله الأخفش وأصله الحساب وفي السهام التي يرمى بها في طلق واحد، وكان من رمي الأساورة، وقال قتادة: ناراً، وقال السيوطي في إتقانه " كل ما فيه من حسابان فهو العدد إلا حساباناً من السماء في الكهف فهو العذاب". ينظر الإتقان في علوم القرآن 156/2، وتفسير ابن أبي حاتم رقم: 12820 - 12821 وتفسير الماوردي 307/3.

قراءة الولاية⁽¹⁾، فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنى هنالك الموالاتة لله فيرجع كل أحد من مؤمن وكافر إلى موالاتة الله، والخشوع له إذا وقع العذاب، ومنهم من كسر الواو من الولاية؛ أي: هنالك الحكم لله الحق، ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية، ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾؛ أي: جزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقَابًا﴾؛ أي: الأعمال التي تكون لله ثواباً خيراً، وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾﴾

أي: واضرب للناس يا محمد ﷺ ﴿مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، في زوالها وانقضائها، ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾؛ أي: فيها من الحب، فشب وحسن وعلاه الزهر، والنور، والنصرة، ثم بعد هذا كله أصبح هشيماً يابساً تذروه الرياح أي: تطرحه، وتفرقه ذات اليمين، وذات الشمال، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ أي: هو قادر على هذه الحال، وتلك الحال، وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل، كما في سورة يس والزمزم والحديد على ما سيجيء بيانه إن شاء الله، وقوله: ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، كقوله: ﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾⁽²⁾ الآية. يعني: الإقبال على الله، والتفرغ لعبادته، خير لكم من اشتغالكم بهم، والجمع لهم، والشفقة المفرطة عليهم، ولهذا قال: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: "هي الصلوات الخمس"⁽³⁾، وعنه أيضاً: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، وبه قال عثمان بن عفان -

¹ - قرأ أبو عمرو والكسائي "الحق" بالرفع نعتاً للولاية. وقرأ أهل المدينة وحمزة "الحق" بالخفض نعتاً لله عز وجل، والتقدير: لله ذي الحق. قال الزجاج: ويجوز "الحق" بالنصب على المصدر والتوكيد؛ كما تقول: هذا لك حقاً. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي "الولاية" بكسر الواو، والباقون بفتحها، هنالك الولاية لله الحق وقيل: الولاية بالفتح من الموالاتة وبالكسر يعني السلطان والقدرة والإمارة؛ وقال أبو عبيد: إنها بفتح الواو للخالق وبكسرها للمخلوق قال الفراء من فتح الواو يقول النصر، يقال: هم أهل ولاية عليك، أي: متناصرون عليك وكان تأويل الكلام هنالك النصر. ينظر التبيين في إعراب القرآن 849/2، وتفسير القرطبي 411/10 والحجة في القراءات السبع ص/225، وحجة القراءات ص/418.

² - ﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْقَطِيرِ الْمَقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَأْبَ﴾ الآية: (14) من سورة آل عمران.

³ - ينظر تفسير الطبري 32/18 في تفسير سورة الكهف الآية: 46، وتفسير القرطبي 414/10 في تفسير سورة الكهف، وسيأتي تفصيلها لاحقاً.

رضي الله عنه⁽¹⁾ وعن بعض السلف: " زيادة الصلاة والزكاة والصيام والحج ولا حول ولا قوة إلا بالله على ذلك "⁽²⁾ ، وعن أبي سعيد⁽³⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " استكثروا من الباقيات قيل: وماهي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله "⁽³⁾، رواه أحمد، وعن ابن عباس⁽⁴⁾ أيضاً: " أن جميع أعمال الحسنات هي الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة مادامت السموات والأرض "⁽⁴⁾، ولهذا قال: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ؛ أي: جزاءً وافياً، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ؛ أي: ما يأمله ويرجوه الإنسان.

﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

أخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظام، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَنُسِيرُ الْجِبَالَ سَيْرًا﴾⁽⁵⁾؛ أي: تذهب من أماكنها، وتزول كما قال: ﴿وتترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾⁽⁶⁾ يعني يوم تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض سطحاً مستوياً لا عوج فيها ظاهرة ليس

1 - عثمان بن عفان بن العاص بن عبد شمس يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف يكنى أبا عبدالله، وقيل أبو عمرو، وهو ذو النورين، وأمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين دعاه الصديق إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة قُتل في عام: 35 هـ في أيام التشريق. ينظر الاستيعاب 1037/3 باب عثمان رقم: 1778، وأسد الغابة 696/3 رقم: 3575، والإصابة 456/4 باب العين بعدها الثاء رقم: 5452، وتقريب التهذيب 1/ 385.

2 - عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْبُقَيْتُ الصَّلْحْتُ﴾، قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعنق والجهد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض. ينظر تفسير الطبري 32/18

3 - أخرجه أحمد في مسنده 241/18 مسند أبي سعيد الخدري رقم: 11713 بلفظ " قيل: وماهي يا رسول الله؟ قال الملة " ثم قال: " التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله " والحاكم في مستدرکه 694/1 كتاب الدعاء والتكبير رقم: 1889، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 98/100 باب ما جاء الباقيات الصالحات رقم: 16836، وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى إلا أنه قال: "وماهن بدلاً من وما هي " واسنادهما حسن.

4 - وفيها خمسة أقوال: أحدها: أنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، عن ابن عباس. والثاني: أنها لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله ولا قوة إلا بالله. عن علي بن أبي طالب. والثالث: أنها الصلوات الخمس. عن ابن عباس. والرابع: الكلام الطيب. عن ابن عباس. والخامس: هي جميع أعمال الحسنات. عن ابن عباس. ينظر زاد المسير في علم التفسير 149/5 تفسير الآية 46 من سورة الكهف.

5 - ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَنُسِيرُ الْجِبَالَ سَيْرًا (10)﴾ من سورة الطور

6 - ﴿وتترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ الآية (88) من سورة النمل.

[فيها]⁽¹⁾ معلم لأحد، ولهذا قال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾؛ أي: بادية لا مكان يوارى أحد بل الخلق كلهم صاحون لربهم لا يخفى عليه منهم خافية، وقيل: بارزة؛ أي: لا خمر فيه، ولا غيابة ولا بناء ولا شجر، وقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾؛ أي: وجمعناهم، الأولين منهم والآخرين، ﴿فَلَمْ نُعَادِرْ﴾؛ أي: فلم نترك منهم أحداً لا صغيراً، ولا كبيراً، وقوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾، يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفاً واحداً، أو أن يقوموا صفوفاً متعددة، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: أحياءً فرادى، هذا تقرير للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد مخاطباً لهم: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾؛ أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن، وقوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، أي: كتاب الأعمال الذي فيه الجليل، والحقير والفتيل والقطمير، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِينًا﴾؛ أي: خائفين مما فيه، أي: من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾؛ أي: يا حسرتنا، وويلتنا على ما فرطنا من أعمارنا، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؛ أي: لا يترك ذنباً صغيراً، ولا كبيراً، ولا عملاً، وإن صغر إلا أحصاها؛ أي: ضبطها وحفظها، عن سهل بن سعد⁽³⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب، مثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء هذا بعود، وهذا بعود، وهذا بعود، فاطبخوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات" ⁽⁴⁾ هكذا في بعض المسانيد، وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾؛ أي: من خيرٍ أو شر كقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾⁽⁵⁾؛ أي: تظهر المخبيات والضمائر، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

1 - ضرورة تقتضى لعلها سقطت من الناسخ. اللوحة 279/أ، وتفسير ابن كثير 165/5.

2 - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الآية (22) من سورة الفجر

3 - سهل بن سعد بن مالك، يكنى أبا العباس، وقيل: أبو يحيى، وشهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المتلاعنين، وأنه فرّق بينهما، وكان اسمه حزناً فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سهلاً، وكان يوم توفي الرسول صلى الله عليه وسلم عمره 15 سنة، وعاش حتى أدرك الحجاج، روى عنه: أبو هريرة، وسعيد بن المسيب وابنه عباس بن سهل بن سعد، توفي عام: 88 هـ، ويقال أنه آخر من بقي من الصحابة بالمدينة، ينظر أسد الغابة 547/2 رقم: 2283، وتقريب التهذيب 1/257 برقم: 2658، وتهذيب الأسماء 334/1.

4 - أخرجه أحمد في مسنده 467/37 مسند أبي مالك سهل بن سعد رقم: 22808، والطبراني في الكبير 165/6 مسند سهل بن سعد رقم: 5872، وفي الصغير 129/2 باب من اسمه محمد برقم: 7267، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 190/10 باب فيما يحتقر من الذنوب برقم: 17462، وعزاه إلى أحمد والطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة.

5 - ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ الآية (9) من سورة الطارق.

وسلم - قال: " يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طلباً " (1) رواه الدارمي (2)، وابن ماجه (3)، وفي الصحيحين: أنه عليه الصلاة والسلام قال: " لكل غديرٍ لواءٌ يوم القيامة يُعرف به " (4)، وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾؛ أي: يحكم بين عباده في أفعالهم جميعاً، ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو ويصفح ويغفر لمن يشاء برحمته ويعذب، من يشاء بقدرته وحكمته، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (5) الآية، وعن جابر بن عبد الله (6) فيما يروي عن عبد الله بن أنيس (7) قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " يحشر الله تعالى الناس يوم القيامة، أو قال العباد عُرَاءَ غُرْلًا بُهْمًا، قلت: وما بُهْمًا، قال: ليس معهم شيء، ثم ينادونهم بصوت يسمعه من بُعدٍ، كما يسمعه من قُربٍ: أنا الملك الديان لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌ حتى أقصه منه، حتى اللطمة " (8). رواه أحمد.

1 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1417/2 باب ذكر الذنوب رقم : 4243 بلفظ " إياك ومحقرات الأعمال "، والدارمي في سننه 392/3 باب في المحقرات برقم: 2726.

2 - الدارمي : عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي ، أبو محمد الحافظ علم سمرقند ، كان من الحفاظ المتقين ، وأهل الورع في الدين ، ممن حفظ وجمع وتفقه وصنّف وحدث وأظهر السنة في بلده ، قال أبو حاتم : هو إمام أهل زمانه ، روى عن أبي نعيم ، والنضر بن شميل ، ويزيد بن هارون ، وخلق روى عنه : مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والبخاري في غير الجامع ، والحسن بن الصباح البزار ، والذهلي وهما أكبر منه وغيرهم ، ت : 255 هـ . ينظر تهذيب التهذيب 258/5 رقم : 502 . والثقات 364/8 رقم : 13893 والكاشف 567/1 رقم : 2822 .

3 - ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه بتخفيف الجيم ، الربيعي بفتح الراء والموحدة صاحب السنن والتفسير والتاريخ ، ومحدث تلك الديار ، قال أبو يعلى الخليلي : ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به ، روى عن : أبا بكر بن أبي شيبة ، ويزيد بن عبدالله اليمامي ، وهشام بن عمار وطبقتهم ، وروى عنه: علي بن سعيد الغداني ، وإبراهيم بن دينار الجرشي ، وأحمد بن إبراهيم القزويني وغيرهم قال ابن حجر " وكتابه في السنن جامع جيد كثير الأبواب والغرائب وفيه أحاديث ضعيفة جدا حتى بلغني أن السري كان يقول مهما انفرد بخبر فيه هو ضعيف غالبا وليس الأمر في ذلك على إطلاقه باستقرائي وفي الجملة ففيه أحاديث منكورة والله تعالى المستعان " ت : 273 هـ . ينظر تذكرة الحفاظ 155/2 ، وتقريب التهذيب 514/1 رقم : 6409 ، وتهذيب التهذيب 468/9 رقم : 872 ، والعبير 178/1 سنة 273 هـ .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1164/3 باب إثم الغادر للبر والفاجر برقم : 3015 نحوه عن أنس بن مالك ، ومسلم في صحيحه 462/11 باب تحريم الغدر برقم : 4634 به .

5 - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (40) من سورة النساء .

6 - جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن سلمة الأنصاري يكنى أبا عبدالله ، وأبا عبد الرحمن ، وأبا محمد أحد المكثرين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، روى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة ، شهد العقبة ، ولم يشهد (بدرًا) ولا (أحدًا) ، وقال: منعتني أبي ، شهد صفين مع علي، وعمي في آخر حياته ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، (ت: 74 هـ - 78 هـ) . ينظر الاستيعاب 219/1 حرف الجيم 256 . وأسد الغابة 376/1 برقم : 646 باب الجيم والألف ، والإصابة 433/1 برقم : 1027 باب الجيم .

7 - عبدالله بن أنيس الأسلمي ، وهناك من جعله مع ابن أنيس الجهني ترجمة واحدة ، قال ابن منده : فرّق أبو حاتم بينهما وأراهما واحدًا ، والأصح أنهما واحدًا ، الجهني ثم الأنصاري ، يقال له الجهني ، والأنصاري ، والسلمي بفتحيتين ، حليف بني سلمة شهد بدرًا وأحدًا وما بعدهما ، يكنى أبا يحيى ، مات بالمدينة في ولاية معاوية بن أبي سفيان عام : 54 هـ . ينظر أسد الغابة 178/3 رقم : 2811 باب العين والباء ، والإصابة 4م 16 برقم : 4553 حرف العين ، والثقات 233/3 برقم : 754 ، والطبقات 50/2 باب سرية عبدالله بن أنيس .

8 - أخرجه البخاري في الأدب المفرد 377/1 باب المعانقة برقم : 970 ، وأحمد في مسنده 495/3 مسند عبد الله بن أنيس برقم : 16085 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 346/1 باب الرحلة في طلب العلم برقم : 561 وعزاه إلى أحمد والطبراني مسنداً ، وقال : فيه عبدالله بن محمد وهو ضعيف .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

نبه الله بني آدم على عداوة إبليس لهم ولأبائهم من قبلهم وويح لمن أتبعه منهم وخالف ربه الذي أنشأه وابتدأه، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: لجميع الملائكة كما سبق تقريره في أول سورة البقرة " (1) ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾؛ أي: سجود تشريف وتكريم وتعظيم وقوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ أي: خانه أصله فإنه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور، كما ثبت عن عائشة [رضي الله عنها] عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ " (2) رواه مسلم، فعند الحاجة يترشح كل إناء بما فيه، وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم في العبادة، فهذا أدخل في عبادتهم وعصى بالمخالفة، ونبه تعالى (ههنا) أنه: ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾؛ أي: خلق من نار، قال الحسن: " كان إبليس أصل الجن، كما أن آدم أصل البشر " (3)، وقال ابن عباس: (4): " كان إبليس من حي من أحياء الملائكة، يقال لهم: الجن، خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ اسْمُهُ الْحَرِثُ، وَخُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ، وَخُلِقَ الْجِنُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لِسَانُ النَّارِ الَّذِي يَكُونُ فِي طَرْفِهَا إِذَا التَّهَبَّ، قَالَ: وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْ أَشْرَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَكْرَمِهِمْ قَبِيلَةً، وَكَانَ خَازِنًا عَلَى الْجَنَانِ، وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَسُلْطَانُ الْأَرْضِ، وَمِمَّا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مِنْ قَضَائِ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ لَهُ شَرَفًا بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَوَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ كِبَرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَاسْتَخْرَجَ اللَّهُ ذَلِكَ الْكِبَرَ مِنْهُ حِينَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ، لِآدَمَ فَاسْتَكْبَرَ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ أي: " من خزان الجن " (5)، وعن

1 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية (34) من سورة البقرة.

2 - أخرجه مسلم في صحيحه 2294/4 باب في أحاديث متفرقة برقم: 2996 بلفظ " وخلق الجن من مارج من نار " ، وأحمد في مسنده 109/42 مسند عائشة رضي الله عنها برقم: 25194.

3 - قال الحسن البصري: " إن الجن ولد إبليس، والأنس ولد آدم ". ينظر تفسير القرطبي 5/19 تفسير سورة الجن .

4 - قال ابن عباس: أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، وكان اسمه بالسريانية عزازيل، وبالعربية الحارث، وكان من خزان الجنة، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا، وكان له سلطانها وسلطان الأرض، فلما عصى الله مسخه شيطاناً رجيماً . ينظر تفسير القرطبي 295/1 تفسير سورة البقرة.

5 - كان من خزان الجنان، وكان من الجن، قال ابن عباس: إنما سمي بالجنان لأنه كان خازناً عليها قال ابن عباس: وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ إنما يسمى بالجنان أنه كان خازناً عليها، كما يقال للرجل مكّي ومدني وكوفي وبصري. ينظر تفسير الطبري 503/1 تفسير سورة البقرة الآية 34، والدر المنثور 402/5 .

القسم الثاني (التحقيق) البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير (تفسير سورة الكهف)

ابن المسيب⁽¹⁾، وابن جبير⁽²⁾، وطاوس⁽³⁾، ونحوه، وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾؛ أي: فخرج عن طاعة الله، فإن الفسق: هو الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من (كَمَامِهَا)⁽⁴⁾، ثم قال تعالى: مُفْرِعاً وَمَوْبِخاً لِمَن أَتَبَعَهُ وَأَطَاعَهُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾؛ أي: بدلاً عني، ولهذا قال: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، وهذا المقام بعد ذكر القيامة، وأهوالها ومصير كل من السعداء، والأشقياء في سورة يس ﴿وَأَمَّا زُورَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ (5) إلى قوله: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ (٥١)

أي: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء بدلاً عني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتم خلقي السموات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين، يعني: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها، ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك، ولا وزير، ولا مشير، وماله منهم من ظهير، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلُونَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾؛ أي: أعواناً.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (٥٢) وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٥٣)

1 - سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي كنيته أبو محمد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وكان من سادات التابعين فقها ودينا وورعا وعلما وعبادة وفضلا، وكان سيد التابعين وأفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا ما نودي بالصلاة أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد ينتظرها، ويقال أنه ممن أصلح بين عثمان وعلي، روى عن عمر وعلي وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري وقاتدة ويحيى بن سعيد، ت: 93 هـ أو 94 هـ. ينظر تقريب التهذيب 241/1 رقم: 2396. والثقات 273/4 رقم: 288.

2 - عن سعيد بن جبير في قوله: كان من الجن قال: من خزنة الجنان من الجنان الذين يعملون في الجنة وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: كان إبليس رئيسا من الملائكة في سماء الدنيا وعن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، قال: من خزنة الجنان". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2366/402/5 .

3 - طاوس بن كيسان الجندي إمام أهل اليمن من التابعين مولى جبير بن ريسان الحميري، وكان من عباد أهل اليمن وفقهائهم، يروي عن: جابر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وروى عنه: عمرو بن دينار وغيره كثير، قال قيس بن سعد: كان طاوس فينا مثل ابن سيرين في البصرة، مات بمكة (سنة: 101 هـ)، قبل موت مجاهد بيومين. ينظر تقريب التهذيب 281/1 رقم: 3009. والثقات 391/4 رقم: 3511، والجرح والتعديل 500/4 رقم: 2203.

4 - والكُم والكُمَّ بالكسر والكَمَامَةُ: وعاء الطلع وغطاء النور، والجمع: كِمَامٌ وأكَمَّةٌ وأكَمَامٌ. ينظر الصحاح 302/6.

5 - ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ٥٨ وَأَمَّنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ٥٩ أَلَمْ أَعْهَدْ لِلَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢﴾ (الآيات من سورة يس).

أخبر تعالى عما يُخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقریباً لهم وتوبيخاً، بقوله: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾؛ أي: في الدار الدنيا ادعوهم اليوم يُنقذونكم مما أنتم فيه، وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، كما قال: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (1) الآية؛ أي: فاستغاثوا بهم، فلم يجيبوهم، ولم ينصروهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾؛ أي: مهلكاً، وقيل: هو وادٍ عميق في جهنم فُرق به يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة، والظاهر أنه المهلك، ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره، إلا أنه تعالى أخبر أنه لا سبيل إلى هؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلوص لواحدٍ من الفريقين إلى الآخر، بل بينهما مهلك وأمرٌ عظيم، وأما أن جعل الضمير في قوله عائداً إلى المؤمنين، والكافرين، فهو كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَذِّبُ نَقْرَفُونَ﴾ (2)، وغيره من الآيات، وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾؛ أي: أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فحينئذٍ تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها، ليكون ذلك من باب تعجل الهمة، والحزن لهم، فإن توقع العذاب، والخوف منهم قبل وقوعه عذاب ناجز، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، أي: وليس لهم طريق يعدل بهم عنها، [ولابد عنهم عنها] (3) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " وينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة بما لم يعمل في الدنيا، وأن الكافر ليرى جهنم، ويظن أنها مواقعه من مسيرة أربعين سنة " (4) رواه أحمد .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (5)

أي: ولقد بيّنا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور من كل نوع، لئلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى، ومع هذا البيان، فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة، والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله، ونصره لطريق النجاة، وفي الصحيحين : " عن علي رضي الله عنه (5) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

1- ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ الآية: (64) من سورة القصص

2- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَذِّبُ نَقْرَفُونَ﴾ الآية (14) من سورة الروم

3 - الصحيح : [ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها] . ينظر تفسير ابن كثير 5/171 .

4 - أخرجه أحمد في مسنده 75/3 مسند أبي سعيد الخدري برقم : 11732 ، وابن حبان في صحيحه 349/16 باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث برقم : 7352 ، وأورده الهيثمي في الزوائد 608/10 عن أبي سعيد برقم : 18340 ، وقال: إسناده حسن على ما فيه من ضعف .

5 - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنيته أبو الحسن ، وأبو السبطين ، وأبو تراب ، وقال سهل بن سعد الساعدي : ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وأنه كان يفرح إذا دُعي به ، استمرت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وهو أول خليفة من بني هاشم ، وشهد جميع المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله وقال له : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، (ت : 40 هـ) قتله عبد الرحمن بن

- طَرَفَهُ وفاطمة عليها السلام (1) بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلةً فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله، إنَّما أنفُسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته، وهو مُولٌّ يضرب فخذه، ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (2).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۗ ﴿٥٦﴾﴾

أخبر تعالى عن تمرّد الكفرة في قديم الزمان، وحديثه، وتكذيبهم بالحق البين مع ما يشاهدون من الآيات الواضحات، وأنه ما منعهم من أتباع ذلك إلا ظنهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عياناً، كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ (3) الآية، وغيرها من الآيات البينات، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: غشيانهم العذاب، وأخذهم من أجرهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، أي: يرونه عياناً مواجهة مقابلة، ثم قال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: قبل العذاب، [مبشرون] من صدقهم، وأمن بهم و[منذرون] (4) من كذبهم وخالفهم، ثم أخبر عن الكفار بأنهم يُجادلون بالباطل ﴿لِيُدْحِضُوا﴾، أي: ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، أي: اتخذوا الحجج، والبراهين، وخوارق العادات التي بُعث بها الرسل، وما أنذروهم، وخوفوهم به من العذاب ﴿هُزُوًا﴾؛ أي: سخروا منهم في ذلك، وهو أشدّ التكذيب.

ملجم. ينظر أسد الغابة 100/4، وأسماء الخلفاء 162/2، وألقاب الصحابة والتابعين 48/1، والتاريخ الكبير 259/6، والجرح والتعديل 191/6.

1 - فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها كانت تكنى أم أبيها بكسر الموحدة بعدها تحنانية ساكنة وأنكح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة علي بن أبي طالب بعد وقعة أحد، روت عن أبيها، وروى عنها ابنها وأبوها وعائشة وأم سلمة وأنس رضي الله عنهم، ت: 11هـ. ينظر الاستيعاب 1893/4 رقم 4057، والإصابة 53/8

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 379/1 كتاب التهجد باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل برقم: 1075، ومسلم في صحيحه 537/1 باب فيمن نام الليل أجمع برقم: 775.

3 - ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية (32) من سورة الأنفال.

4 - ينظر اللوحة رقم: 280/أ، وعند ابن كثير [مبشرين، ومنذرين] ينظر 172/5.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۗ﴾
 ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْأَقْرَبَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يعني، وأي عباد الله ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ﴾؛ أي: وُعِظَ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا، أي: تَنَاسَاهَا وَأَعْرَضَ، وَلَمْ يُصِغْ لَهَا، وَلَا أَلْقَىٰ لَهَا بَالًا، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ؛ أي: مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: أَغْطَيْتِهَا وَغَشَاوَهُ ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أي: لَا يَفْقَهُوهُ هَذَا الْقُرْآنَ، وَالْبَيَانَ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؛ أي: صَمَمَ مَعْنَوِي عَنِ الرَّشَادِ، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾؛ أي: الدِّينِ ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، لَمَّا قُدِّرَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ الْأُولَىٰ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾؛ أي: وَرَبُّكَ غَفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: مِنَ الذُّنُوبِ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْلُمُ وَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ، وَرَبَّمَا هَدَىٰ بَعْضَهُمْ مِنَ الْغِيِّ إِلَى الرَّشَادِ، وَمَنْ اسْتَمَرَ مِنْهُمْ، فَلَهُ يَوْمَ يَشِيبُ فِيهِ الْوَالِدُ مِنْ هَوْلِهِ وَعِقَابِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾، يَعْنِي: الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾؛ أي: لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَحِيدٌ وَلَا مَعْدِلٌ وَلَا مَلْجَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَقْرَبَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾؛ أي: الْأُمَّمَ السَّالِفَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾؛ أي: جَعَلْنَاهُ إِلَىٰ مَدَّةٍ مَعْلُومَةٍ، وَوَقْتٍ مَعِينٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِحْذَرُوا أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ رَسُولٍ وَأَعْظَمَ نَبِيٍّ، فَخَافُوا عَذَابِي وَنُذِرُ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آتَيْنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

لا أبرح أزال أمشي وأسير، حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال قتادة وغير واحد⁽¹⁾: " هما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب " وقيل: مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب، وقوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾؛ أي: ولو أسير حُقُبًا من الزمان، أي: دهرًا طويلًا، قيل: سبعون وقيل: ثمانون، وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، وذلك أنه قد أمر بحمل حوت مملوح معه، وقيل له: متى فقدت الحوت فهو ثمة، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين، وهناك عين يقال لها: عين الحياة، فناما هنالك، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب، وكان في مكث وسقط في البحر، وجعل يسير فيه والماء له مثل: الطاق لا يلتئم بعده، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، أي: صار أثره كأنه حجر، فانجاب كالكوّة حتى رجع إليه موسى، فرأى مسلكه، فقال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾؛ أي: المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهما، وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾⁽²⁾، وإنما يخرج من المالح على أحد القولين، فلما ذهب عن المكان الذي نسياه فيه مرحلة، قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتَيْنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾؛ أي: الذي جاوز فيه المكان ﴿نَصَبًا﴾؛ أي: تعبًا، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود دون نهر الزيت، فإني نسيت الحوت؛ أي: تركته وفقدته، ونسيت أن أخبرك ﴿وَمَا أَدْسِيئُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾؛ أي: ذلك لك ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾⁽³⁾، قيل: هذا من قول يوشع، وقيل: من قول موسى، أي: اتخذ في البحر طريقًا فعجبت من ذلك عجبًا قال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾؛ أي: نطلب ﴿فَارْتَدَّ﴾؛ أي: رجعا على ﴿آثَارِهِمَا﴾؛ أي: طريقهما ﴿قَصَصًا﴾؛ أي: يقصان أثر مشيهما، ويقفوان أثرهم ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾، هذا

1 - قال قتادة: مجمع البحرين هما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب، وقال الحسن وقاتادة: هما بحر فارس والروم، وقال ابن جريج: البحر المالح والأنهار العذبة، وذكر الماوردي في البحرين ثلاثة أقاويل: أحدها: يعني بحر الروم وبحر فارس، أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب وحكى الطبري أنه ليس في الأرض مكان أكثر ماء منه، والقول الثاني: هو بحر أرمنية مما يلي الأبواب. والثالث: الخضر وإلياس، وهما بحران في العلم، حكاه السدي. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12885/2375 - 12886 ، وتفسير القرطبي 162/17 ، وتفسير الماوردي 322/3 .

2 - ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية (22) من سورة الرحمن .

3 - ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى؛ أي: اتخذ الحوت سبيله عجبًا للناس ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ تمام الخبر، ثم استأنف التعجب فقال من نفسه: ﴿عَجَبًا﴾ لهذا الأمر. واتخذ سبيله في البحر عجبًا فيه قولان: أحدهما: انه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخرًا فلما رآه موسى عجب من مصير الماء صخرًا، والثاني: أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً . عن ابن عباس ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً . ينظر تفسير الطبري 61/18، وتفسير القرطبي 14/11، وتفسير الماوردي 324/3 .

هو الخضر عليه السلام ﴿عَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا ۝١٥﴾؛ أي: علم الباطن إلهاماً، فإنه لم يكن نبياً عند الجمهور⁽¹⁾، في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير⁽²⁾ قال: قلت لابن عباس: إنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ⁽³⁾ يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس⁽⁴⁾: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب⁽⁴⁾ أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل " ⁽⁵⁾، وفي رواية " إنَّ موسى رسول الله ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمُ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حَوْتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ، فَحَيْثَمَا فَقَدْتَ الْحَوْتَ، فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخْذُ حَوْتًا، فَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلِقْ فَانْطَلِقْ مَعَهُ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ حَتَّى أَتِيَ الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحَوْتَ فِي الْمَكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ، وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحَوْتَ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ: (الطاق)⁽⁶⁾، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوط، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاةَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال

1 - قول الأئمة في نبوءة الخضر عليه السلام في هذه الآية دليل أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله؛ فالخضر إن كان وليا لموسى أفضل منه، لأنه نبي والنبي أفضل من الولي وإن كان نبيا لموسى فضله بالرسالة. والله أعلم، يقول الماوردي: واختلفوا في الخضر هل كان ملكاً أو بشراً على قولين: أحدهما: أنه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن. الثاني: أنه كان بشراً من الإنس، واختلف من قال هذا على قولين: أحدهما: كان نبياً لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، الثاني: أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أودعه الله تعالى من علم باطن الأمور ما لم يودع غيره. ينظر تفسير القرطبي 17/11، وتفسير الماوردي 325/3

2 - سعيد بن جبير وقد سبقت ترجمته ينظر ص/ 62، هامش رقم: 2 من هذا البحث .

3 - نوف البكالي: بكسر الباء المنقوطة بوحدة، والكاف المخففة، وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى بني بكال وهو بطن من حمير، والمشهور بهذه النسبة هو أبو يزيد نَوْفًا، ويقال أبو عمرو، ويقال أبو رشيد، وهو من التابعين أمه كانت امرأة كعب الأحمار، وكان أحد الحكماء عالماً، قد قرأ الكتب، وسمع من كعب علماً كثيراً، يروي عن: عبدالله بن عمرو، وروى عنه أبو عمران الجوني، وأبو إسحاق الهمداني. ينظر الأنساب 382/1 فصل في معرفة العرب بالأنساب، أخبار مكة 276/2، وحلية الأولياء 51/6 أخبار نوف البكالي، وطبقات الأسماء المفردة 98/1 الطبقة الثانية، والكنى والأسماء 1181/3 من كنيته أبو يزيد،

4 - أبي بن كعب بن قيس بن الأنصاري الخزرجي كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبو المنذر ن وكناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبو الطفيل، شهد العقبة وبدراً ن وكان عمر يقول: "أبي سيد المسلمين"، روى عنه: عبادة بن الصامت، وابن عباس، وابنه الطفيل وغيرهم، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم "أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤهم أبي بن كعب" وكان يكتب للرسول الوحي وهو سيد القراء، اختلف في سنة موته (19هـ - 30هـ). ينظر أسد الغابة 78/1 رقم: 34، والتاريخ الكبير 39/2 باب أبي برقم: 1615، وتقريب التهذيب 96/1 ذكر من اسمه أبي، والفتاوى 5/3 باب الألف برقم: 11.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 3/ 1246 باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام برقم: 3220، ومسلم في صحيحه 1847/4 باب فضائل الخضر برقم: 2380،

6 - الطاق: عقد البناء، حيث ما كان، والجمع: أطواق، وطيقان. ينظر العين 194/5، ولسان العرب 231/10، والمحکم والمحيط الأعظم 534/6

له فتاه: ﴿أَرَعَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، فقال فكان للحوث سرباً، ولموسى وفتاه عجباً فقال موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا برجل مُسَجَّى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال له الخضر: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل، قال: نعم أتيتك لتعلمني مما عَلَّمْتَ رُسَدًا، قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، يا موسى إني على علم من علم الله عَلَّمَنِيهِ، لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله، علمك الله لا أعلمه، فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرّت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوه بغير نول، فلما ركبا السفينة لم (يفجأ)⁽¹⁾ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم ﴿أَخْرَقْتَهَا لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، قال: وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي، وما علمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قال: وهذه أشد من الأولى قال: ﴿إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾، قال: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾، قال: مائل، فقال الخضر بيده: ﴿فَاقَامَهُ﴾، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطعمونا، ولم يضيفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما "(2).

1 - فجأته فجأً وفجئته فجأة - إذا لقيته وهو لا يشعر بك وقد فجأ فجأً فجأة وفجأً. ينظر المخصص 466/3.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1752/4 سورة الكهف برقم: 4448 ، ومسلم في صحيحه 1847/4 باب فضائل الخضر برقم: 2380 نحوه ، والنسائي في سننه 309/6 باب سورة الكهف برقم: 3149 نحوه .

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا ﴿٨٠﴾

أخبر تعالى عن قول موسى للخضر الذي كان خصه الله بعلم مالم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم مالم يعطه الخضر عليهما السلام، قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يسأل المتعلم العالم، وقوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ أصحابك وأرافك، ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾؛ أي: مما علمك الله شيئاً استرشد به في أمري علماً وعملاً، فقال الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: لا تقدر مصابحتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأنني على علم من علم الله ما علمك الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منهما مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحتي، ﴿وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، أي: علماً، ﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾؛ أي: على ما أرى من أمورك ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، أي: ولا أخالفك في شيء، فعند ذلك شارطه الخضر، وقال: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: ابتداءً ﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: ابدأك أنا به قبل أن تسألني.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

أخبر تعالى عن موسى وصاحبه الخضر أنهما لما توافقا واصطحبا انطلقا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره، حتى يكون هو الذي يبتدئ به من تلقاء نفسه في شرحه وبيانه، فركبا في السفينة، كما سبق في الحديث، فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ودخلت اللجة قام الخضر فخرقها، واستخرج لوحاً من ألواحها، ثم رفعها فلم يملك موسى نفسه بأن قال مُنْكَرًا عليه: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وهذه اللام: (لام العاقبة)⁽¹⁾.

¹ - (لام العاقبة): لأنها توضح عاقبة الشيء، وما يؤول إليه. وتسمى الصيرورة: لبيان ما يصير إليه الأمر، و(لام العاقبة) و(لام المال)، ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب 282/1.

كما في قول الشاعر (1):-

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخِرَابِ...

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ؛ أي: منكرًا عجبًا، فعندها ذكَّره الخضر ما تقدم من الشرط وقال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ، يعني: وهذا الصنيع فعلته قصدًا، وهو مما شرطت عليك ألا تُنكر عليَّ فيها، ﴿ قَالَ ﴾ ، أي: موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ ؛ أي: لا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَلَا تُشَدِّدْ، وَلَا تُكَلِّفْنِي مَشَقَّةَ أَرْهَقَهُ عُسْرًا.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

أي: فانطلقا بعد ذلك حتى إذا لقيا غلامًا، وكان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى فعمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجملهم فقتله، فروى أنه احترز رأسه وقيل: رضخه بحجر، وقيل: اقتلعه بيده، فلما شاهد موسى ذلك أنكره أشد من الأول وبادر، فقال: ﴿ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ ؛ أي: صغيرة لم تعمل الحنث، فقتلته بغير أن قتل نفساً توجب القصاص، ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ ، ظاهر النكارة، فذكَّره الخضر ثانياً الشرط الذي كان بينهما مؤكداً بقوله لك، قال له موسى: ﴿ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ ، أي: إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة، ﴿ فَلَا تُصْحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ؛ أي: قد أعذرت إلي مرة بعد مرة.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

أخبر تعالى عنهما أنهما انطلقا بعد المرتين الأولتين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ ، قال ابن سيرين (2): هي الأيلة، وفي الحديث: " إذا أتيا قرية لناماً، أي: بخلاء فطلبا منهم

1 - الشاعر أبو العنابية ، وهذا البيت من البحر الوافر ، وبقية البيت :

فكلكم يصير إلى تراب. ينظر ديوان الشاعر ص : 20

2 - محمد بن سيرين: كنيته أبوبكر مولى أنس بن مالك الأنصاري ، سمع أبا هريرة، وابن عمر، وسمع منه : الشعبي، وقتادة، وأيوب السخستاني وغيرهم، وكان من أروع أهل البصرة، وكان فقيهاً فاضلاً حافظاً متقناً يُعبر الرؤيا، وكان ثقةً مأموناً، وكان به صمم ، وكان حسن العلم بالقضاء، حسن العلم بالفرائض، حسن العلم بالتجارة، رأى ثلاثين من الصحابة، (ت : 110 هـ) بعد موت الحسن بمائة يوم. ينظر التاريخ الكبير 90/1 برقم

الضيافة، فأبوا أن يُضيّفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض " (1) إسناد الإرادة إلى الجدار مجازي، فإن الإرادة في المحدثات: بمعنى الميل والانقضاض: هو السقوط، وقوله: ﴿فَأَقَامَهُ﴾، أي: فردّه إلى حالة الاستقامة بيديه، دَعَمَهُ حتى رَدَّ ميله، وهذا خارق، فعند ذلك قال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، أي: لأجل أنهم لم يُضيّفونا، ونحن جياع، قال الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، وفاءً بالشرط الذي شرطت على أنك ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾، فهو فراق بيني وبينك ﴿سَأَنْبُتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقال الخضر:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿٧٩﴾

هذا تفسير ما خفي أمره على موسى، وأنكر ظاهره، وقد اطلع الله الخضر على حكمة باطنة، فقال: السفينة إنما خرقتها لأعيبها، لأنهم كانوا يمرّون بها على ملك من الظلمة، (يأخذ كل سفينة صالحة)، كما هو قراءة بعض الصحابة⁽²⁾، أي: جيدة ﴿غَصْبًا﴾، فأردت عيبها لأردّه عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابها من المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها، وقد قيل: إنهم أيتام، وقيل: إن اسم ذلك الملك (هُدَد بن بُدَد)، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ﴿٨٥﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨٦﴾

هذا الغلام اسمه (جيسور)، وفي حديث أبي بن كعب: عن النبي صلى الله عليه وسلم: " الغلام الذي قتله الخضر طُبعَ كافرًا " (3) ولهذا قال: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ ؛ أي: يحملهما حُبّه على موافقته في الطغيان والكفر، قال قتادة: " قد فرح به أبواه حين وُلِد، وحننا عليه حين قُتِل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما

: 2511، والثقات 348/5 برقم: 5161 باب الميم، والجرح والتعديل 250/7 برقم: 1518، والطبقات الكبرى 193/7 الطبقة الأولى .

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1246/3 باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام برقم: 3220 نحوه، ومسلم في صحيحه 1847/4 باب فضائل الخضر عليه السلام برقم: 2380 بلفظ " أهل قرية لثاماً " .

² - ويقصد بها قراءة الإمام عبدالله بن مسعود ، وكان الإمام ابن عباس يقرأ بها أيضاً. ينظر تفسير ابن كثير 176/5، وتفسير الطبري 84/18، والدر المنثور 415/5، والكشاف 68/2، وأخرجه البخاري في صحيحه 1752/4 سورة الكهف برقم: 4448 .

³ - أخرجه مسلم في صحيحه 2050/4 باب كل مولود يولد على الفطرة برقم: 2661، وأبو داود في سننه 639/2 باب في الغدر برقم: 4705، والترمذي في سننه 312/5 باب سورة الكهف برقم: 3150، وأحمد في مسنده 60/35 مسند عبدالله بن عباس برقم: 21121. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

فرضى امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من قضائه فيما يُحب " (1). وصح في الحديث: " لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له " (2)، وقوله: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾ ، أي: ولداً أذكى من هذا، وهما أرحم به منه وهو أبرّ بوالديه، وقد بدل الله لهما جارية، وقال ابن جريج (3): لما قتله الخضر كانت أمه حاملاً بغيلاً مسلماً.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

يعني: أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، قال الأكثرون: كان تحته مالٌ مدفون، وهذا هو الظاهر واختاره ابن جرير (4)، وقال ابن عباس ؓ وجماعة: " كنز علم وصنّف فيها علم " (5)، كما روى أبو ذر ؓ مرفوعاً قال: " إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه، لوح من ذهب ، مُصمّت مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك؟

1 - عن قتادة، أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر، فقال: قد فرح به أبواه حين ولد وحننا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من قضائه فيما يحب. وقوله ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ يقول: خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً ودينياً. ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قيل: هو من كلام الخضر عليه السلام، وهو الذي يشهد له سياق الكلام، وهو قول كثير من المفسرين، أي: خفنا أن يرهقهما طغياناً وكفراً قاله الكلبي، وكان الغلام لصاً يقطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القرينتين ويمنعون منه، قال قتادة: فرح به أبواه حين ولد، وحننا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما. وقيل: كان اسم الغلام (جيسور)، قال مقاتل: وكان اسم أبيه (كازير)، واسم أمه (سهوى). ينظر تفسير الطبري 87/18، وتفسير القرطبي 36/11، وتفسير الماوردي 333/3 .

2 - أخرجه أحمد في مسنده 203/19 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 12160، والبيهقي في شعب الإيمان 189/7 باب ذكر ما في الأوجاع والأمراض برقم: 9951 نحوه، وأورده الهيثمي في الزوائد 456/7 باب قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمنين برقم: 11907، وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى بنحوه، إلا أنه قال: تبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: فذكره، ورجال أحمد ثقات، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح غير أبي بحر ثعلبة، وهو ثقة.

3 - ابن جريج: هو عبدالمك بن عبدالعزيز أبو الوليد ، وأبو خالد ،فقيه الحرم المكي، إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنّف في العلم بمكة ، رومي الأصل من موالى قريش مكي المولد والوفاء كان ثباتاً ، لكنه يُدلس، وقال الدار قطني: شر التدليس تدليس ابن جريج، (ت: 150هـ). ينظر تقريب التهذيب 363/1 برقم: 4193، وتهذيب التهذيب 357/6 برقم: 758، وصفة الصفوة 216/2 برقم: 211، وطبقات المدلسين 41/1 برقم: 83 .

4 - أورد الماوردي في تفسيره أن في هذا الكنز ثلاثة أقاويل : أحدها : صحف علم ، قاله ابن عباس وسعيد بن جببر ومجاهد ، والثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حكم قاله الحسن ، والثالث : أنه كنز مال مذخور من ذهب وفضة ، وهذا الذي رجحه الطبري ، ينظر تفسير الطبري 88/18، وتفسير الماوردي 336/3 .

5 - أخرجه الحاكم في مستدرکه 400/2 برقم : 3396 بلفظ " عن سعيد بن جببر عن بن عباس رضي الله عنهما وكان تحته كنز لهما قال ما كان ذهباً ولا فضة كان صحفاً علماً "، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد صحت الرواية بضده عن أبي الدرداء ."

وعجبت لمن ذكر الموت لِمَ غَفَلَ؟ - لا إله إلا الله محمد رسول الله - " (1)، وعن الحسن وأقرانه نحوه، موقوفاً بطرق مختلفة، وهذا لا يخالف قول من قال: كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب، وفيه مال جزيل مُودَعاً فيه علم، وهو حَكْمٌ ومواعظ، وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صُلْحًا﴾، فيه دليل على أن الرجل يحفظ في ذريته ويشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى درجته في الجنة لتقر عينه بهم، وقوله: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، وهنا أسند الإرادة إلى الله لأن بلوغهما الحلم، لا يقدر عليه إلا الله، أي: يبلغا ويعقلا ويدركا قوتها بإرادة الله تعالى، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ حينئذ، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، والوالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، أي: أمرتُ به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوذة الخضر (2)، مع ما تقدم من قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (3) وقال آخرون: كان رسولاً، وقيل: بل كان ملكاً نقله (الماوردي) (4) في تفسيره (5)، وذكر كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً، و(الله أعلم). وذكر (ابن قتيبة) (6): أن اسم

1 - أخرجه البزار في مسنده 454/9 حديث ابن حجية عن أبي ذر يرقم: 4065، وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يُرَوَى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان 223/1 باب في أن القدر خير به وشرة من الله عز وجل برقم: 209 عن علي بن ابي طالب نحوه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 147/7 باب سورة الكهف برقم: 11151 عن أبي ذر نحوه، وقال: رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبدالله اليمصبي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات .

2 - يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، هذا يدل على نبوته، وأنه يوحى إليه بالتكليف والأحكام، كما أوحى للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - غير أنه ليس برسول، (والله أعلم). ويقول الإمام ابن كثير: وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه أحدهما: قوله تعالى: (وعلمناه من لدنا علماً). والثاني: قول موسى له: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً)، فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، والثالث: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام وهذا دليل مستقل على نبوته وبرهان ظاهر على عصمته. والرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كله: (رحمة من ربك وما فعلته عن أمري)؛ أي: ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به، وأوحى إلي فيه، فدللت هذه الوجوه على نبوته ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته. ينظر البداية والنهاية 328/1، وتفسير القرطبي 16/11، 28 تفسير سورة الكهف.

3 - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية (65) من سور الكهف 4 - الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي بفتح الميم والواو وسكون الراء وفي آخرها الدال المهملة نسبة إلى بيع ماء الورد وعمله، وكان من وجوه فقهاء الشافعية، وكان ثقة، تفقه على يد أبي القاسم الصيمري، وأبي حامد الاسفراييني، وكان حافظاً للمذهب عظيم القدر مقدماً عند السلطان، حدث عن الحسن بن علي الجبلي، وحدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه، وله العديد من المصنفات أشهرها في تفسير القرآن وسماه: (النكت و العيون)، (ت: 450 هـ). ينظر الأنساب 181/5 حرف اللام، وسير أعلام النبلاء 64/18 برقم: 29، وطبقات المفسرين للسيوطي 83/1 برقم: 77 .

5 - يقول الماوردي: واختلفوا في الخضر: هل كان ملكاً؟ أو بشراً؟ على قولين: أحدهما: أنه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمله إياه من علم الباطن. والثاني: أنه كان بشراً من الإنس، واختلف من قال هذا على قولين: أحدهما: كان نبياً لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، قال مقاتل: والثاني: أنه لم يكن نبياً، وإنما كان عبداً صالحاً أودعه الله تعالى من علم باطن الأمور ما لم يودع غيره. ينظر تفسير الماوردي 325/3.

6 - ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، وقيل: المروزي، العلامة الكبير، نزل بغداد وصنف وجمع وبعث صيته، حدث عن اسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وطائفة، وحدث عنه: ابنه القاضي، وعبدالله

الخضر: " بُلَيَاءُ بن ملكان بن فالع بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام " (1)، قالوا: كان يُكْتَبَى أبو العباس، ويُلقَّب بالخضر، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إنما سُمِّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء " (2) رواه البخاري، والمراد بالفروة ههنا: الحشيش اليابس: وهو الهشيم من النباتات، وكان من أبناء الملوك، ذكره (النووي في تهذيب الأسماء) (3)، وحكى هو وغيره، في كونه باقياً إلى الآن، ثم إلى يوم القيامة قولان، ومال هو وابن الصلاح (4) إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وأثراً من السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، ورَجَّح آخرون من المحدثين، وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (5)، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر: " اللهم أن تُهْلِكَ هذه العصابة لا تُعْبَد في الأرض " (6)، وبأنه لم يُنْقَل أنه جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا حضر عنده ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان

بن جعفر وغيرهم، قال الخطيب: كان ثقة دِيناً فاضلاً من تصانيفه: غريب القرآن، وغريب الحديث والمعارف، ومشكل القرآن وغيرها كثير، (مات في رجب 276 هـ). ينظر البداية والنهاية 503/14 برقم: 4601 ، ووفيات الأعيان 42/3

1 - " واسم الخضر: بلياً بن ملكان بن فالع بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكان أبوه ملكاً عظيماً جداً". والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها، والخضر لقب، قالوا: واسمه (بلياء)، بموحدة مفتوحة، ثم لام ساكنة، ثم مثناة تحت، بفتح الميم وإسكان اللام، وقل: (كليمان) ". ينظر تهذيب الأسماء واللغات 177/1، والمعارف 42/1. وتفسير الآية (64) من سورة الكهف في هذا البحث.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 474/2 برقم: باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام برقم: 3151 بلفظ " فأهتزت تحته خضراء "، والترمذي في سننه 313/5 برقم: 3151، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

3 - يحيى بن شرف بن مرّي الحزامي الحوراني الدمشقي الشافعي أقام بالمدينة والحزامي بكسر الحاء، والنووي نسبة إلى نوى، ويجوز كتابتها بالألف " النواوي "، وكان هو يكتبها بغير ألف، وكني أبو زكريا لأن اسمه يحيى، والعرب تكنى من كان كذلك بأبي زكريا التفتاً إلى نبي الله زكريا عليه السلام، وحج مع أبيه، كان يقرأ اثني عشر درساً على مشائخه شرحاً وتصحيحاً، فاق الأقران، وتقدم على جميع الطلبة، سمع من عبدالعزيز الحموي وغيره، وكان قانعاً باليسير مقتصداً في ملبسه ومطعمه، وكانت تلوه سكية وهيبة، ت: 676 هـ. ينظر تاريخ الإسلام 246 /50 برقم: 330، وتذكرة الحفاظ 174/4 باب النووي رقم: 1162، وشذرات الذهب 353/5. والعبير 334/3 ست وسبعين للهجرة،

4 - ابن الصلاح: أبو عمر عثمان ابن المفتي صلاح الدين الكردي الشافعي، كان غاية في الذكاء، وصفاء الحس، والنقاء في العلوم الرياضية بحيث وقع الإجماع عليه بأنه لم ير مثله في جميع العلوم، وكان لا يقبل من الولاة صلة، ولي مشيخة دار الحديث، وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافئاً عن تأويل المتعلمين، وكان وافر الجلالة كثير الهيبة، وهو أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث، سمع من عبدالله بن السمين، محمود بن علي الموصلي، وجمال الدين عبدالصمد، وغيرهم، (ت: 643 هـ). ينظر تاريخ الإسلام 341/37، وتذكرة الحفاظ 149/4 برقم: 1141، والنجوم الزاهرة 354/6. وقال ابن الصلاح: وأما الخضر - عليه السلام - فهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والعامه معهم في ذلك، وإنما شد بإنكار ذلك بعض أهل الحديث واختلفوا في كونه مرسلًا، والله أعلم. ينظر أدب المفتي والمستفتي 185/1 رقم: 36. وتهذيب الأسماء واللغات 248/1. وفتاوى ابن الصلاح 185/1.

5 - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ الآية (34) من سورة الأنبياء.

6 - أخرجه مسلم في صحيحه 1383/3 باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر برقم: 1763 بلفظ " هذه العصابة من أهل الإسلام "، والترمذي في سننه 269/5 باب سورة الأنفال برقم: 3081 به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه من حديث عمر إلا من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل و أبو زميل اسمه سماك الحنفي وإنما كان هذا يوم بدر.

من أتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه عليه - الصلاة والسلام - كان مبعوثاً إلى جميع الثقيلين الجن والإنس، وأخبر قبل موته بشهر بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته عين تطرف، ونفس منفوسة آخر كلام (الشيخ)⁽¹⁾. والجواب: أنه لا يلزم من طول عمره وبقائه إلى آخر الزمان أن يكون له الخلد، فإنه داخل في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾⁽²⁾، ويمكن أن الخضر كان حاضراً ببدر، كما نقل أنه يكون بالرصد لحراسة بيضة الإسلام من غير أن تكون ظاهراً يُعرف ويُنقل، وأنه وصل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان ما كان عليه من الأمور الخارقة للعادة، كما يُنقل عنه وأنه - عليه الصلاة والسلام - رخصه لذلك، وأنه لم يكن ممن هو على وجه الأرض على العادة حينئذ، بل كان على الهواء، أو على البحر لمصالح تقتضيها حكمة الله، فإن الصحيح بقاؤه ودوامه إلى آخر الزمان (والله أعلم)⁽³⁾. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، أي: هذا تفسير ما ضفقت به ذراعاً، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال الشكل، قال: ﴿تَسْطِعْ﴾، وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً، فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف كما قال: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾، وهو الصعود إلى أعلاه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾⁽⁴⁾ وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه، لفظاً ومعنى، (والله أعلم).

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٧﴾ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَعَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾

يعني: ويسألونك يا محمد عن خبر ذي القرنين، وقد سبق أن كفار مكة بعثت إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: " سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يُدرى ما صنعوا وعن الروح، فنزلت

1 - لعله يقصد بـ(الشيخ) الإمام ابن كثير لأنه ذكر في المقدمة ما نصه: " لما نظرت في تفسير(شيخنا) شيخ الإسلام قدوة الأئمة الأعلام عماد الدين ابن الفداء اسماعيل بن كثير بن ضوء القرشي ". وبالبحث في تفسير ابن كثير لم أجد كلمة (الشيخ) في هذا الموضع. ينظر مقدمة المخطوط 2/أ .

2 - ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية(88) من سورة القصص.

3 - والذي أراه ما رجحه المُحدِّثون وهو عدم بقاءه حياً، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية (88) من سورة القصص، وكذلك الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه 1966/4 باب قوله - صلى الله عليه وسلم - (لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) برقم: 2538 عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول قبل أن يموت بشهر، تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة".

4 - ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ الآية (97) من سورة الكهف

سورة الكهف⁽¹⁾، والحديث الذي رواه ابن جرير، وغيره في شأنه منكر، لا يصح ومن نكارته أنه من الروم، وليس كذلك ، وإنما الرومي: هو الاسكندر الثاني، وهو ابن (فَيْلَقِس) اليوناني المقدوني الذي يُورِّخ به الروم من مملكته، وقد كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة، وكان وزيره (أرسطاطاليس) الفيلسوف المشهور، وأما الأول المذكور في القرآن، فكان في زمن الخليل، وقد ذكر الأزرقى⁽²⁾ وغيره: أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل أول ما بناه، وأمن به، وأتبعه، وقرَّب إلى الله قرباناً وكان وزيره الخضر، قال وهب بن منبه⁽³⁾: كان ملكاً، وإنما سُمي ذا القرنين (إن صفحتي)⁽⁴⁾ رأسه كانتا من نحاس، وقيل: لأنه ملك الروم، وفارس، وقيل: إنه كان في رأسه شبه القرنين، وسئل علي - رضي الله عنه - عن ذي القرنين فقال: " كان عبداً ناصحاً الله فناصره دعا قومه إلى الله، فضرب على قرنه فمات، فأحياه الله ودعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات فسُمي ذا القرنين "⁽⁵⁾، وقيل : لأنه بلغ المشارق والمغرب من حيث تطلع قرنا الشمس، وتغرب، وقوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: أعطيناه ملكاً عظيماً متمكناً فيه له من جميع ما يؤتى الملوك من التمكّن، والجنود، وآلات الحرب، والحصارات، ولهذا ملك مشارق الأرض ومغربها، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، وقوله: ﴿وَعَايَنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ، قال ابن عباسؓ وغير واحد : يعني علماء، وقيل: منازل الأرض وأعلامها، وقيل: تعليم الألسنة كان ما يغزو قوماً إلا

1 - الرجل الطواف: يعنون به ذا القرنين، وعن فتية لهم قصة عجيبة في الزمان الماضي: يعنون أصحاب الكهف. ينظر أضواء البيان 253/3 سورة الكهف .

2 - الأزرقى : محمد بن عبدالله بن أحمد أبو الوليد بن الأزرق مؤرخ يمني من أهل مكة ، وبنو الأزرق حي من جاسم من العماليق من العاربة ، وكانت منازلهم في الحجاز إلى أن أخرجهم منها بنو اسرائيل ، ولهم يُنسب الأزرقى ، يروي عن : ابن ماجه ، وعن جده أحمد بن محمد الأزرقى ، وعلي بن هارون العجلي وغيرهم ، يروي عنه : محمد بن إسحاق الخزاعي ، (ت: 250 هـ) . ينظر الطبقات الكبرى 537/5 الطبقة الثانية والفهرست 162/1 ، واللباب 47/1 باب الألف مع الزاي ، ونهاية الأرب 33/1 برقم : 236 .

3 - وهب بن منبه: أبو عبدالله اليماني الصنعاني من التابعين أصله من أبناء الفرس الذي بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمّه من حمير ولد ومات بصنعاء ، وولي القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز ، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين صحب ابن عباس ، ولزمه ثلاث عشر سنة ، وكان عابداً فاضلاً يروي عن جابر بن عبدالله ، وابن عباس ، وأخيه همام بن منبه ، ويروي عنه : عمر بن دينار ، والمغيرة بن حكيم ، والمنذر بن النعمان وغيرهم ، قال عنه أبو زرعة : ثقة ، وهم خمسة إخوة ، ت : 113 هـ . ينظر أخبار القضاة 303/3 . والأنساب 11/3 باب الذماري ، والتاريخ الكبير 164/8 برقم : 2565 باب وهب ، وقال: كان ذو القرنين ملكاً، فقيل له : فلم سُمي ذا القرنين، قال: اختلف فيه أهل الكتاب. فقال بعضهم: ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين. ينظر تفسير الطبري 93/18.

4 - في المخطوط: [أن] والسياق يتطلب: [لأن] لعلها سقطت من الناسخ. ينظر اللوحة:282/ب.

5 - سئل عليّ رضوان الله عليه عن ذي القرنين، فقال: " كان عبدا ناصح الله فناصره، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين" ، واختلف في تسميته بذو القرنين على أربعة أقاويل : أحدها : لقرنين في جانبي رأسه على ما حكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . والثاني : لأنه كانت له ضفيرتان فسُمي بهما ذو القرنين ، قاله الحسن . والثالث : لأنه بلغ طرفي الأرض من المشرق والمغرب، فسُمي لاستيلائه . على قرني الأرض ذو القرنين ، قاله الزهري . والرابع : لأنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ينظر تفسير الطبري 93/18 ، وتفسير الماوردي 337/3 سورة الكهف .

كلمهم بلسانهم، والمراد أن الله يسر له الأسباب؛ أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد والأراضي، وكسر الأعداء، وتسخير ملوك الأرض، وأنه أوتي من كل شيء ما يحتاج إليه مثله سبباً.

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقُرْنَيْنِ بِمَا آتَىٰ أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨﴾

قال ابن عباس: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾، أي: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب، وقال قتادة⁽¹⁾: منازل الأرض ومعالمها، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾، أي: فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب من الأرض لا غير، وما قيل من وصوله إلى مغرب الشمس من السماء، فمن خرافات أهل الكتاب، واختلاف زنادقتهم وكذبهم، وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله رآها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الرابع التي هي مثبتة فيه لا يفارقه و(الحمئة) في إحدى الروايتين⁽²⁾ مشتقة من الحماة وهي الطين، وسئل كعب⁽³⁾ عن ذلك فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء، وأمّا (حامية) بالألف: فهي حارة، والقراءتان مشهورتان، فأيهما قرأ القارئ فهو

¹ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ منازل الأرض، وقال مجاهد: أي طريقاً، وقال الضحاك: المنازل، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي "فاتبع سبباً" مقطوعة الألف، وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو "فاتبع سبباً" بوصلها؛ أي اتبع سبباً من الأسباب التي أوتيتها وأتيناها من كل شيء سبباً، بنظر السبعة في القراءات 398/1 وأورد الماوردي في قوله تعالى وأتيناها من كل شيء سبباً تفسيره وقال فيه وجهان: أحدهما: من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته، قاله ابن عباس وفتادة، والثاني: ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد. ويحتمل وجهاً ثالثاً: وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبته. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2383/رقم: 12941 - 12942 - 12944، وتفسير الطبري 61/18، وتفسير الماوردي 338/3.

² - قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي "حامية" أي: حارة، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص في "عين حمئة"، أي كثيرة الحماة، وهي الطبقة السوداء، وفي ذلك وجهان: أحدهما عين ماء ذات حمأة، قاله مجاهد وفتادة، والثاني: يعني طبقة سوداء، قاله كعب، يقول الزمخشري: لا تنافي بينهما فجانز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعاً، أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود، يقوا ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستقيمتان في قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، ينظر تفسير الزمخشري 744/2، ينظر تفسير القرطبي 247/10، وتفسير الطبري 97/18، وتفسير الماوردي 338/3.

³ - إنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ، قَرَأَ آيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: (تَغْرِبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَقُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَقَرْتُمَا إِلَّا: "حَمِيَّةٌ"، فَسَأَلَ مَعَاوِيَةَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: كَيْفَ نَقَرْتُمَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَمَا قَرَأْتُمَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَقُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ: فِي بَيْتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرِبُ فِي التُّورَةِ؟ فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَلْ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهَا، وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرِبُ فِي التُّورَةِ فِي مَاءِ وَطِينٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12947/2383.

مُصِيب، ولا منافاة بين معنييهما، إذ قد يكون حار لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وحمئة فيها طين أسود، وروى ابن أبي حاتم (1): إن ابن عباس ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (2) قرأ في عين حامية، قال ابن عباس رضي الله عنه: فقلت لمعاوية: ما (نقرأها) (3) إلا حمئة، فسأل معاوية عبدالله بن عمرو رضي الله عنه (4): كيف نقرأها؟ قال عبدالله رضي الله عنه: كما قرأتها، قال ابن عباس رضي الله عنه: فقلت لمعاوية رضي الله عنه: في بيتي نزل القرآن، فأرسل إلى كعب (5)، فقال له: أين تجد الشمس في التوراة؟ فقال كعب: سل أهل القرية، فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإنني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين، وأشار بيده إلى المغرب، قال (ابن حاضر) (6) لابن عباس: لو أني عندهما قد أفدتك

1 - ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد الرازي التميمي الحنظلي أبو محمد، حافظ للحديث من كبارهم، إمام عصره، والرجوع إليه في مشكلات الحديث، وهو من العلماء الموصوفين بالفضل والحفظ والرحلة، أخذ العلم عن أبيه، وعن أبي زرعة، وكان زاهداً، سمع محمد بن عبدالله الأنصاري، وأبا يزيد النحوي، روى عنه: أبو الشيخ ابن حيان، وعلي بن مدرك، وأبو أحمد الحاكم وغيرهم وقال: لم يدعني أبي أطلب الحديث حتى قرأت القرآن، وقال: رحل أبي سنة خمس وخمسين وما احتلمت بعد، فلما بلغنا ذا الحليفة احتلمت، فسراً أبي لذلك حيث أدركت حجة الإسلام، ت: 327 هـ. تذكرة الحفاظ 34/3 رقم: 812، وطبقات الشافعية للسبكي 324/3، وفوات الفوات 287/2.

2 - معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، يجتمع أبوه وأمه في عبد شمس، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه في الفتح، وكان هو وأبوه من المؤلفات قلوبهم، وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو نعيم: كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، حلماً وقوراً، روى عنه الصحابة ابن عباس، وعبدالله بن الزبير وغيرهم، ومن التابعين مروان بن الحكم، وعبدالله بن الحارث وآخرون، (ت: 60هـ). ينظر الاستيعاب 1416/3 برقم: 2435، وأسد الغابة 220/5 برقم: 4969 والإصابة 51/6 برقم: 8074، والتاريخ الكبير 326/7 برقم: 1405.

3 - الهمزة المتوسطة المضمومة تُكْتَبُ (واواً) مطلقاً، مخففة كانت أو مشددة، سواء كان ما قبلها مفتوحاً، أو مضموماً، أو مكسوراً، أو ساكناً، صحيحاً، أو معتلاً، ومن أمثلة ذلك:

1 - المفتوح ما قبلها، نحو: (رُؤْف)، و(أُوب) جمع أبٍ للمرعى.

2 - المضموم ما قبلها، نحو: (لُؤْم)، بوزن (عُنُق): جمع (لُؤوم).

3 - المكسورة ما قبلها، نحو: (مُئُون)، و (فُئُون).

4 - الساكن ما قبلها، نحو: (أرؤس) و (التفأول)، ينظر المطالع النصيرية ص/170 - 172.

4 - عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل، يكنى أبا محمد، وقيل أبو عبدالرحمن، كان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله أكتب ما أسمع في الرضا وفي الغضب، قال: نعم فإنني لا أقول إلا حقاً، قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، إلا عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب، روى عنه: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعطاء، ومجاهد، وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه رواية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفين، وقد اختلف في سنة وفاته: (63 هـ - 97 هـ). ينظر الاستيعاب 965/3 باب عبدالله، وأسد الغابة 356/3 برقم: 3079، والإصابة 192/4 برقم: 4850، والتاريخ الكبير 5/5 باب العين رقم: 6.

5 - كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع يكنى أبا إسحاق من التابعين: سبقت ترجمته ينظر ص/64 من هذا البحث.

6 - ابن حاضر، وأبو حاضر، وأبو حاضرة: عثمان بن حاضر الحميري، ويقال: الأزدي، سمع أبو العباس عبدالله بن العباس، روى عنه: زياد بن سعد الخراساني، وإسماعيل بن أمية القرشي، وهو صدوق من الرابعة، وسئل أبو زرعة عن أبي حاضر الحميري الذي روى عن ابن عباس، فقال: يمانى حميري ثقة. ينظر الأسامي والكنى 162/4 برقم: 1839، والتاريخ الكبير 218/6 برقم: 2212، وتقريب التهذيب 382/2 برقم: 4457، وفتح الباب 276/1 برقم: 2367.

بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة، قول تُبَعُّ(1): فيما ذَكَرَ به ذا القرنين في تخلُّقه بالعلم وإتباعه إياه وهو هذا.

بلغ المشارق والمغرب بيتغي أسباب أمر من حليم مُرشد

فراى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خُلبٍ وثأطٍ جَرَمَدٍ(2)

فقال ابن عباسؓ(3): ما الخُلبُ؟ قال: الطين بكلام حمير، قال: فما الثأطُ؟ قال: الحماة، قال: فما الحَرَمَدُ؟ قال: الأسود، فأمر ابن عباسؓ وكتب ذلك عن قوله. وقوله: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ ، أي: أمة من الأمم عظيمة من بني آدم، وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، يعني: أن الله تعالى مكَّنه منهم وأظفره عليهم، وحكَّمه فيهم، وخيَّره إن شاء قتل وسبا، وإن شاء منَّ أو فدى، فعرف عدله، وإيمانه فيما أبداه، وعدله وبيانه في قوله: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾؛ أي: استمر على كُفْره، وشركه برَبِّه، فسوف يُعَذِّبه، قال قتادة(4): بالقتل، وقال السُّدي(5): كان يحمي لهم نُقْرَ النحاس، ويضعهم فيها حتى يذوبوا، وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾؛ أي: شديداً بليغاً وجيعاً أليماً، وفي هذا إثبات المعاد والجزاء، وقوله: ﴿وَأَمَّا

1 - تُبَعُّ اليماني: هو أبو كرب أسعد بن كليكب ابن تبع بن حسان الأقرن. وأبو كرب هذا هو تبع الثالث ويقال هو الأوسط وهو الكامل، اجتمع فيه ما افترق من الملوك، لأنه بلغ في مغازيه جميع ما بلغه أبؤه من شرق وغرب، وزاد عليهم في بلوغ الشمال والجنوب، ثم سار إلى الظلمات، ودخل بلاد فارس وتفسير كليكب بلغة حمير كُلى وَجْه وكرب فلاح، فكانه وجه فلاح، وكان تُبَعُّ هذا شاعراً منجماً، يسير بسعد النجوم. ويقول الأشعار فيكثر، ومكث زماناً لا يغزو حتى سمته حمير مونتان، وهو القاعد في لغتهم. ينظر الأنساب للصحاري 218/1 والأغاني 38/15 وتاريخ الطبري 404/1.

2 - الشاعر هو أمية بن أبي الصلت، وهي من قصيدة من البحر الكامل، وجدتها في ديوان الشاعر في باب مستقل بعنوان "صلة الديوان وما نسب إليه وإلى غيره" ومطلعها: وأقام ذو القرنين فيها حُجَّةً خوفاً يطوف على اللظى المتوقِّد والشاهد عندنا وجدته في البيت الثالث والرابع بقوله:

طاف المشارق والمغرب بيتغي أسباب أمر من حكيم مُرشد

فراى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خُلبٍ وثأطٍ حرمد . ينظر ديوان الشاعر ص: 162 .
3 - يقول الماوردي: " الخُلب: الطين. والثأط: الحماة. والحرمد: الأسود، ثم فيها وجهان: أحدهما: أنها تغرب في نفس العين، والثاني: أنه وجدها تغرب وراء العين حتى كأنها تغيب في نفس العين. " ينظر تفسير الماوردي 339/3 تفسير سورة الكهف .

4 - ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ قال ابن عباس: بالقتل فيه وجهان: أحدهما: أنه خيره في عقابهم أو العفو عنهم. والثاني: إما أن تعذب بالقتل لمقامهم على الشرك وإما أن تتخذ فيهم حُسناً بأن تمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى، فحكى مقاتل أنه لم يؤمن منهم إلا رجل واحد، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12955/2386 - 12956 . وتفسير الماوردي 338/3 .

5 - السُّدي: إسماعيل بن عبدالرحمن السُّدي، تابعي حجازي الأصل، والسدي: بضم السين المهملة، وتشديد الدال، وغُرف بذلك لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يُقال له السدة، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، وقد رأى ابن عمرؓ مولى زينب بنت قيس، يُعَدُّ من الكوفيين، قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السُّدي إلا بخير، وما تركه أحد، سمع أنس بن مالكؓ وروى عنه، سمع منه أبو حماد سالم الصيرفي وشعبة والثوري وغيرهم، قال يحيى بن سعيد: سمعت ابن أبي خالد يقول: السُّدي أعلم بالقرآن من الشعبي، وقال ابن حنبل: السُّدي ثقة، وذكره العقيلي في الضعفاء، وقال ابن عدي لابس به، مات بالكوفة (عام: 127 هـ). ينظر النقات 20/4 باب الألف، والجرح والتعديل 184/2 برقم: 625، والضعفاء 87/1 باب الألف برقم: 101 .

مَنْ آمَنَ؛ أَي: تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾، أَي: في الآخرة عند الله، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، أَي: معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿١٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿١٤﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿١٥﴾﴾

أَي: ثم سلك طريقان فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مرّ بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله - عزّ وجلّ - فإن أطاعوه وإلا أذلهم، وأرغم أنفهم واستباح أموالهم، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على قتال الإقليم المخالف لهم، وفي أخبار بني اسرائيل أنه عاش ألفاً وستمئة سنة يجوب الأرض طولها وعرضها حتى بلغ المشارق والمغرب، ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾؛ أَي: أمة، ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾؛ أَي: ليس لهم بناء يكنهم، ولا أشجار تظلمهم، وتستترهم من حرّ الشمس، قال ابن جبیر: " كانوا حُمرًا قِصاراً مساكنهم الغيران أكثر معاشهم من السمك "(1) وقال الحسن(2): " إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تغوروا في المياه، وإذا غابت خرجوا يتراعون، كما ترعى البهائم "، قيل: لأحدهم أذنان تفرش واحدة وتلبس أخرى، وقيل: هم الزنج، ومدخلهم إمام البحر، وإمام السرب وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ أَي: علماً، يعني نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه لا يخفى منهم شيء، وأن يُفرق أممهم، وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿١٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٤﴾ قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

1 - قال الحسن : أرضهم لا تحمل البناء ، وقال قتادة : لم يكن بينهم وبين الشمس ستراً ، وأنهم بأرض لا يثبت لهم فيها شيء فهم إذا طلعت دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا ، وقال سعيد بن جبیر : فيلقى لهم سمك أكثر معيشتهم ، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 12961/2387 - 12962 - 12965 ، وتفسير القرطبي 54/11 تفسير سورة الكهف .

2 - الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحتمانية والمهملة الأنصاري، وهو على رأس الطبقة الوسطى من التابعين، وأمه خيرة مولاة أم سلمة نشأ بالمدينة، وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان، تابعي كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، حدث عن: عثمان بن عفان، وعمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وطائفة، حدث عنه: قتادة، وأبان بن يزيد، وأم سواهم، قال ابن سعد: كان جامعاً عالماً رفيعاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً حافظاً علامة من بحور العلم"، وقال ابن حجر: " كان يرسل كثيراً ويدلّس "، وقال الذهبي: " وهو مُدلّس فلا يُحتج بقوله " (ت: 110 هـ) . ينظر تذكرة الحفاظ 57/1، وتقريب التهذيب 160/1 برقم: 1227، وتهذيب الأسماء للنووي 216/1 برقم 122، وسير أعلام النبلاء 563/4 برقم: 223، والطبقات الكبرى 156/7 .

عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ مَا مَكَّيِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٤٧﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٤٨﴾

أي: ثم سلك طريقاً، ومنازل من مشارق الأرض، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منهما يأجوج ومأجوج على بلاد الترك يُعِيثُونَ فيهم فساداً، وَيَهْلِكُونَ الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم، كما ثبت في الصحيح " أن الله تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول أَبْعَثْ بَعَثَ النار؟ فيقول: وما بَعَثَ النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذٍ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وقيل: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاها يأجوج، ومأجوج "(1)، وقد حكى النووي في (شرح مسلم)(2): عن بعض الناس؛ أنه ذهب إلى أن يأجوج ومأجوج: خُلِقُوا من مَنِيَّ خَرَجَ من آدم، فاختلط بالتراب، فخُلِقُوا من ذلك، فعلى هذا هم مخلوقون من ماء آدم، وليسوا من حواء " (وهذا غريب جداً)(3)، ثم لا دليل عليه لا عقلاً، ولا نقلاً، ولعلّ هذا من أكاذيب أهل الكتاب، وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه (4) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " وَآدَ نوح ثلاثة : سام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك "(5)، فقال بعض العلماء: هؤلاء من نسل يافث؛ أي: الترك، وقال: إنما

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1221/3 باب يأجوج ومأجوج برقم : 3170 عن أبي سعيد الخدري نحوه ومسلم في صحيحه 201/1 باب قوله " يقول الله لآدم أخرج بعث النار " برقم : 379 عن أبي سعيد الخدري .

2 - ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 98/3 باب (باب بيان كون هذه الامة نصف أهل الجنة) .

3 - قال وهب بن منبه، ومقاتل بن سليمان: هم من ولد يافث بن نوح، وقال الضحاك: هم جبل من الترك، وقال كعب: هم بادرة من ولد آدم من غير حواء، قال: وذلك أن آدم - صلى الله عليه وسلم - احتلم فامتزجت نطقته بالتراب، فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج (والله أعلم). وتعقب دعوى الاحتلام بأن الأنبياء عليهم السلام لا يحتلمون، وأجيب بأن المنفي الاحتلام بمن لا تحل لهم، فيجوز أن يحتلموا بنسائهم، فعمل احتلام آدم عليه السلام من القسم الجائز، ويحتمل أيضاً: أن يكون منه. عليه السلام إنزال من غير أن يرى نفسه أنه يجمع، وقال الحافظ ابن حجر: لم يرد ذلك على أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية (نوح عليه السلام، ونوح من ذرية حواء قطعاً). ينظر روح المعاني 38/16، وفتح الباري 106/13، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 98/3.

4 - سمرة بن جندب بن هلال رضي الله عنه حليف الأنصار ، وهو ذو الرأسين أو ذو الرياستين، كنيته أبو سعيد، وأبو عبدالرحمن، وأبو سليمان، ورُوي عنه أنه قال : " لقد كنت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غلاماً فكنت أحفظ عنه، وما منعتني من القول إلا أن ها هنا رجلاً هم أسن مني "، وغزا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - غير غزوة ، وسكن البصرة ، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار الكوفة ، وكان شديد على الخوارج ، وكان ابن سيرين وفضلاء أهل البصرة يثنون عليه ، روى عنه الشعبي ، والحسن البصري ، وابن سيرين ت : (158 هـ - 159 هـ)، بالبصرة، وقد سقط في قدر ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليه من كزاز شديد أصابه فسقط فمات فيها . ينظر الاستيعاب 197/1 ، وأسد الغابة 527/2 باب السين برقم : 2231 ، والإصابة 178/3 برقم : 3477 ، والثقات 174/3 برقم : 563 .

5 - أخرجه الترمذي في سننه 725/5 باب مناقب فضل العرب برقم : 3931 بلفظ " يافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش " ، وأحمد في مسنده 9/5 حديث سمرة بن جندب برقم : 20111 ، والطبراني في الكبير 210/7 باب

سُمُوا تُرْكَاءً، لأنهم تُرِكُوا من وراء السد من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك، ولكن كان في أولئك بغي، وفساد، وجُرأة، وقد ذكر ابن جرير⁽¹⁾ ههنا عن وهب بن منبه⁽²⁾ (أثراً طويلاً عجيباً) في سير ذي القرنين، وبناء السد، وكيفية ما جرى له، وفيه (طولٌ وغرابة)، ونكارة في أشكالهم، وصفاتهم، وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم (لا نطول الكتاب به)، وقوله: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ أي: لاستعجاب كلامهم، وبعدهم عن الناس، ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾، قال ابن عباس⁽³⁾: أي: "أجرًا عظيمًا"، يعني: أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى ﴿تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، فقال ذو القرنين: عِفَّةٌ وديانةٌ، وقصدًا للخير ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾؛ أي: الذي أعطاني الله من الملكِ والتمكين خيراً من الذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بقوة؛ أي: بعملكم، وآلات البناء، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾؛ أي: سداً حاجزاً، فلا يصلون إليكم، ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، هي جمع زبرة: وهي القطعة منه، وهي كاللينة، يقال: كل لينة زنة قنطار، أو يزيد عليه ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾؛ أي: وضع بعضه على بعض من الأساس حتى حاذى به رؤوس الجبلين [طولاً]⁽⁴⁾ وعرضاً، واختلفوا في مساحته على أقوال، وقال: ﴿انْفُخُوا﴾؛ أي: أججوا عليه النار فأججت حتى صار كله ناراً، ﴿قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، قال ابن عباس⁽⁵⁾ وغير واحد هو: النحاس المذاب مستشهداً بقوله، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾⁽⁵⁾، ولهذا تشبهه بالبرد المحبّر قال قتادة: "ذكر لنا أن رجلاً قال يا رسول الله: قد رأيت سداً يأجوج ومأجوج، قال: انعته لي، قال: كالبرد المحبّر: طريقة

سمره بن جندب برقم: 6871 وأورده الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي 231/7 برقم: 3231 وقال: "ضعيف". ويقال: "يافت، ويافت، ويفث" وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

1 - عن وهب بن منبه اليماني، قال: إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، وقال: كان ذو القرنين ملكاً، فقيل له: فلم سمي ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب. فقال بعضهم: ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين، ينظر تفسير الطبري 111/18.

2 - وجدتها في تفسير الطبري عن ابن وهب قوله: "إن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف طولهم كطول الأرز، وصنف طوله وعرضه سواء، وصنف يفترش أدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، فتغطي سائر جسده. ينظر تفسير الطبري 111/18 تفسير الآية 92 من سورة الكهف .

3 - عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وعن معمر، عن قتادة: (خراجاً): أي: أجرأ، وقرأ حمزة والكسائي: خراجاً وقرأ الباقون: خرجاً، وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه: أحدها: أن الخراج: الغلة، والخرج: الأجرة. والثاني: أن الخراج: اسم لما يخرج من الأرض، والخرج: ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو بن العلاء. والثالث: أن الخراج: ما يؤخذ دفعة، والخراج: ثابت مأخوذ في كل سنة، قاله ثعلب. ينظر تفسير الطبري 111/18، وتفسير الماوردي 342/3.

4 - ضرورة تطلبها السياق سقطت من الناسخ. ينظر اللوحة رقم: 283/ب، وتفسير ابن كثير 196/5.

5 - ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ أَلْحَنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الآية: (12) من سورة سبأ.

سوداء، وطريقة حمراء، قال: قد رأيتُه⁽¹⁾، وفي البخاري نحوه مُختصراً، وقد بعث الخليفة الواثق بالله⁽²⁾ في دولته بعض أمرائه، وجَهَّز معه جيشاً سرّية، لينظروا إلى السد، ويعاينوه، وينعتوا له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن مُلك إلى مُلك حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد والنحاس، وذكروا أنهم رأوا باباً عظيماً، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللّبن والعمل في برج هناك وإنّ عنده حرساً من الملوك والرّجال، وإنه عالٍ مُنيف شاق لا يستطيع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً، وعجائب.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿١٩﴾﴾

أخبر تعالى عن يأجوج، ومأجوج أنهم ما قدروا أن يصعدوا من فوق هذا السد، ولا يُقَبُّوا من أسفله، ولما كان الظهور عليه أسهل من نَقْبِهِ قابل كلاً بما يُناسبه، وهذا دليل على أنهم لم يقدرُوا على نقبه، ولا شيء منه، وأمّا الحديث الذي في مُسند أحمد عن أبي هُريرة⁽³⁾ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إنَّ يأجوج ومأجوج لَيَحْفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شُعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثنى، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فيسقون المياه، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فيرجع، وعليها كهيئة الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله (نغفاً)⁽³⁾ في أعناقهم، فيقتلهم بها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم"⁽⁴⁾، رواه ابن ماجه والترمذي وقال:

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1219/12 باب قصة يأجوج ومأجوج بلفظ: " مثل البرد المُحَبَّر " هكذا مختصراً برقم: 3345 نحوه، والطبراني في مسند الشاميين 71/4 باب قتادة عن رجال لم يسمهم برقم: 2658 بلفظ: " طريقة حمراء من نحاس، وطريقة حمراء من حديد "

² - الواثق بالله هارون أبو جعفر بن المعتصم بن الرشيد ببيع للخلافة عام: 227 هـ، وفي عام 231 هـ ورد كتابه إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة بخلق القرآن ثم رجع في آخر أمره، وكان وافر الأدب، مليح الشعر، وكان يُسمى المأمون الأصغر لأدبه وفضله، أما بشأن إرساله للكشف عن السد يقول الألويسي: " فتقات المؤرخين على تضعيفه، وعندى أنه كذب لما فيه مما تأبى عنه الآية ". ينظر البداية والنهاية 308/10 وتاريخ بغداد 15/14 برقم: 7351، وتاريخ الخلفاء 340/1، وروح المعاني 42/16، وسير أعلام النبلاء 306/10.

³ - نغفاً: دود يوجد في أنوف الإبل والغنم فتموت به في أقرب وقت، واحدها: نغفة، ويقال للذي يُحْتَقَر: إنما أنت نغفة وتشكر: تسمن وتمتلئ لحماً. ينظر الفائق في غريب الحديث 8/4، والنهاية في غريب الحديث 193/5.

⁴ - أخرجه الترمذي في سننه 313/5 تفسير سورة الكهف برقم: 3153، وابن ماجه في سننه 207/5 كتاب الفتن باب فتنة المسيح الدجال برقم: 4080 نحوه، والحاكم في مستدرکه 534/4 كتاب الفتن والملاحم برقم:

غريب. ولكن في رفعه نكارة، لأن ظاهر الآية تدل على أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، ولا من نقبه لإحجام بنائه، وصلابته وشدته، لكن قد رُوِيَ نحوه معناه عن كعب الأحبار، وذلك يقبل التأويل، ولعلّ أبا هريرة رضي الله عنه تلقاه من كعب، فإنه كثيراً ما كان يُجالسه ويُحدثه، فحدّث به أبو هريرة رضي الله عنه، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه (والله أعلم). وفي الصحيحين عن زينب بنت جحش [رضي الله عنها] (1) قالت: " استيقظ النبي - صلى الله عليه وسلم - من نوم وهو مُحَمَّرٌ وجهه، وهو يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب فتح اليوم، من رَدْمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذا وَحَلَقٌ " وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه " وَعَقَدَ تَسْعِينَ، قلت يا رسول الله: أَنُهَلِكَ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبثُ " (2). وقوله: ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾؛ أي: ما بناه ذو القرنين، قال: هذا رحمة من ربّي بالناس حيث جعل بينهم وبين - يأجوج ومأجوج - حائلاً يمنعهم من الفساد في الأرض ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي ﴾؛ أي: اقترب الوعد الحق، ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءً ﴾؛ أي: ساواه بالأرض، يقول العرب: ناقة دكّاء، إذا كان ظهرها مستوياً لا سنام لها، وقيل: أي: طريقاً مفتوحاً، كما كان، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾، كائن لامحالة، وقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ ﴾؛ أي: بعض الناس ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾؛ أي: يوم يَدُكُّ هذا السد، ويخرج هؤلاء، فيموجون في الناس، ويُفسدون عليهم أموالهم، وَيُئَلِّفُونَ أَشْيَاءَهُمْ، وهذا قبل يوم القيامة، وبعد الدجال، كما سيأتي بيانه إن شاء الله عند قوله: ﴿ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ (3)، الآية، وعن ابن عباس رضي الله عنه: " الجن والإنس يموج بعضهم في بعض، وهذا عند قيام الساعة يختلط بعضهم في بعض لكثرتهم كموج الماء " (4) وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾، هو كما جاء في الحديث:

8501 به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرّجاه.

1 - زينب بنت جحش رضي الله عنها (أم المؤمنين) زوج النبي، أخت عبد الله بن جحش. وهي أسدية من أسد بن خزيمية، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وعمته النبي، وتكنى أم الحكم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وقيل سنة خمس، قالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم تساميني في حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش، وهي التي نزل فيها قوله تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) الآية 37 من سورة الأحزاب روى عنها ابن أخيها محمد بن عبد الرحمن وأم حبيبة أم المؤمنين وزينب بنت أبي سلمة وغيرهم، (ت: 20هـ) وهي أول نساء النبي صلى الله عليه وسلم لحوقاً به. ينظر الاستيعاب 1849/4، وأسد الغابة 138/7 رقم: 6941، وإسعاف المبتأى 34/1، وتهذيب التهذيب 449/12 رقم: 2800.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1221/3 قصة يأجوج ومأجوج برقم: 3168 نحوه، ومسلم في صحيحه 2207/4 باب اقتراف الفتن برقم: 2880 نحوه. و(الخبث) في هذا الحديث عند أهل العلم أولاد الزنا، وإن كانت اللفظة محتمة لذلك ولغيره، وفي المنهاج: (الخبث) بفتح الخاء والباء فسرّه الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنى خاصة، وقيل: أولاد الزنى. ينظر الاستذكار 509/7، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج 4/18 باب الفتن وأشرط الساعة رقم: 2880

3 - ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ الآية (96) الآية من سورة الأنبياء .

4 - وفي ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج، والثاني: أنهم الكفار، والثالث: أنهم جميع الخلائق الجن والأنس يختلط إنسهم وجنهم من شدة الهول وهو الذي رُوِيَ عن ابن عباس. ينظر روح المعاني 43/16 وزاد المسير 195/5.

"الصور قرن ينفخ فيه" (1)؛ أي: الذي ينفخ فيه إسرافيل، وفيه أحاديث كثيرة، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته ينتظر متى يُؤمر بالنفخ، فقالوا يا رسول الله: وما تأمرنا، قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل " (2) رواه الترمذي، وقوله: ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾؛ أي: أحضرنا الجميع للحساب في صعيد واحد.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾
﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿١٣٢﴾

أخبر تعالى عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم؛ أي: يُبرزها لهم ويُظهرها، ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ من تعجيل الهمم والحزن لهم ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه (3) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يؤتى بجهنم تُقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك" (4) رواه مسلم. ثم أخبر عنهم، وقال: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي﴾ أي تعاملوا وتغافلوا عن قبول الهدى واتباع الحق، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، ثم قال: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: ظنوا واعتقدوا أنهم يصلح لهم ذلك وينتفعون بذلك،

1 - أخرجه أبو داود في سننه 378/4 باب ذكر البعث برقم: 4744، والنسائي في سننه 392/6 باب سورة الكهف برقم: 11312 به، والترمذي في سننه 620/4 باب ما جاء في الصور برقم: 2430 به، والحاكم في مستدرکه 506/2 برقم: 3870، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرّجاه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث سليمان التيمي.

2 - أخرجه النسائي في سننه 316/6 باب تفسير سورة آل عمران برقم: 11082، والترمذي في سننه 420/4 ما جاء في باب الصور برقم: 2431 نحوه، بلفظ " وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ". وقال أبو عيسى هذا حديث حسن، وقد رواه الأعمش أيضا عن عطية عن أبي سعيد.

3 - عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن، كان إسلامه قديماً أول الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، شهد بدرًا، واليرموك، وسائر المشاهد، وهو الذي أجهز على أبي جهل في غزوة بدر، وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة ومن التابعين علقمة، ومسروق وغيرهم، (ت: 32هـ) ودفن بالبقيع ليلاً كما أوصى. ينظر الاستيعاب 987/3 برقم: 1659، وأسد الغابة 394/3 برقم: 3169 : 703، والثقات 308/3 برقم: 308، والجرح والتعديل 149/5 برقم: 686 .

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 2184/4 باب شدة نار جهنم برقم: 2842، والترمذي في سننه 701/4 صفة أهل النار برقم: 2573، والطبراني في الكبير 192/10 مسند عبدالله بن مسعود برقم: 10428 نحوه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 710/10 برقم: 18582 بلفظ: " يُجاء بجهنم تُقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر بن الصباح، وقد وثقه ابن حبان .

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾؛ أي: هيأنا للكافرين جهنم منزلاً، كما يُهيأ النزل للضيف.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّذُوا عَآئِيَّتِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴿١٦﴾

في البخاري عن مُصعب بن سعد⁽²⁾ قال: سألت أبي أي سعد بن أبي وقاص⁽³⁾ " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، هم: الحرورية؟ قال: لا. هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه⁽⁴⁾ وكان سعد⁽⁴⁾ يسميهم الفاسقين، وقال علي بن أبي طالب⁽⁵⁾ وغيره: " إن هذه الآية تشمل الحرورية، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص، ولا هؤلاء، بل أعم من هذا، لأن هذه الآية مكية، قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله تعالى على غير طريقة مرضية يحسب أنه مُصيب فيها، وأن عمله مقبول وهو مُخطئ وعمله مردود؛ أي: قل: يا محمد: هل نخبركم بالأخسرين أعمالاً، ثم فسّرهم، فقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾؛ أي: يظنون ويعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون مُتابون، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾؛ أي: جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه الذي أقام على وحدانيته وصدق رسله، وكذبوا بالدار الآخرة، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾، أي: لا يتقبل

1 - ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ الآية (82) من سورة مريم .

2 - مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، تابعي مشهور يُكنى أبا زرارة ، يروي عن أبيه سعد، وعن علي بن أبي طالب، وطلحة، وابن عمر، وروى عنه: أبو اسحاق السبيعي، وعاصم بن بهدلة، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث (ت: 103 هـ) ينظر الإيثار 173/1 باب الميم، وتقريب التهذيب 533/1 برقم: 6688، والنقات 411/5 باب الميم .

3 - سعد بن أبي وقاص: يكنى أبا اسحاق وأوه حمنة بنت سفيان بن أمية ، أسلم بعد ستة ، وقيل بعد أربعة ، وكان عمره 17 سنة، أحد الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، أحد الستة أصحاب الشورى ، شهد بديراً والمشاهد كلها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأخبر الفاروق رضي الله عنه أنه هو أحد الذين توفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ، وهم العشرة سادات الصحابة، توفي بالمدينة في إمارة معاوية ، روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة موتاً (عام: 54 هـ). ينظر الاستيعاب 606/2 رقم: 963، وأسد الغابة 433/2 رقم: 2029، والتاريخ الكبير 43/4 باب سعد رقم: 1908 .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1758/4 تفسير سورة الكهف برقم : 4451 به، والنسائي في سننه 392/6 تفسير سورة الكهف برقم : 11313 به.

موازينهم لأنها خالية عن الخير، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة " (1) وأقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾، وقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ ؛ أي: إنما جازيناهم بهذا الجزاء، بسبب كفرهم، واتخاذهم آيات الله ورسله هزواً استهزاءوا بهم، وكذبوهم أشدّ تكذيب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٣٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿٣٨﴾﴾

أخبر تعالى عن عباده السعداء، وهم الذين آمنوا بالله ورُسله، وصدّقوهم فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس، وقال مجاهد وغير واحد: " هو البستان بالرومية" (2): الذي فيه الأعناب، وهو ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها، كما جاء عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " الفردوس ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها" (3) رواه ابن جرير، وفي الصحيحين: " إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة" (4)، وقوله: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: ضيافة ﴿خَالِدِينَ﴾؛ أي: مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ أي: لا يختارون غيرها، ولا يُحبون سواها كما قال الشاعر: (5)

فحلّت سويداء القلب لا أنا باغياً ... سواها ولا عن حبها أتحوّل

وقوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ تنبيه على رغبتهم فيها، وحبهم لها بلا سامة، ولا ملالة، وأنهم لا يتوقعون متحولاً، ولا انتقالاً، ولا رحلة، ولا بديلاً.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1759/4 تغير سورة الكهف برقم: 4552 به، ومسلم في صحيحه 2147/4 كتاب صفات المنافقين برقم : 2785 .

2 - أورد الماوردي في الفردوس خمسة أقاويل : أحدها : أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها ، قاله قتادة . الثاني : أنه أعلى الجنة وأحسنها ، رواه ضمرة مرفوعاً . الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد الرابع : أنه البستان الذي جمع محاسن كل بستان ، قاله الزجاج . الخامس : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب . ، وقال السدي : الفردوس هو الكرم بالنبطية ، وأصله فرداساً ، وهو الذي فيه شجر الأعناب، وقال مجاهد : الفردوس سرّة المؤمن ، ينظر تفسير السدي ص/337 ، وتفسير الماوردي 348/3 ، وتفسير مجاهد ص/451.

3 - أخرجه الطبراني في الكبير 213/7 باب سُمرّة بن جندب برقم : 6886 بلفظ " الفردوس ربوة الجنة وأعلاه وأوسطها ومنها تُفجر أنهار الجنة " وأورده الهيثمي في الزوائد 734/10 باب جنات الفردوس برقم : 18648 ، وعزاه إلى الطبراني والبيزار ، وقال : " أحد أسانيد الطبراني رجاله وثقوا ، وفي بعضهم ضعف " .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1028/3 باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم : 2637 .

5 - الشاعر هو النابغة الجعدي وقد وجدت البيت في ديوانه بلفظ :

وحلّت سواد القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها متراخياً

ينظر ديوان الشاعر ص : 186 . وخزانة الأدب 316/3 ، ومغني اللبيب 316/1

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

أي: قل يا محمد: لو كان ماء البحر مداداً للأقلام الذي يكتب به كلمات الله، وحكمته وآياته والدلالات عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾، أي: بمثل البحر بجرراً آخر، ثم آخر، وهلم جرراً بحوراً يمدّه ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ (1) الآية. يعني: لو كان البحر مداداً لكلمات الله، والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام، وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٣٠﴾﴾

أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فمن زعم أنني كاذب، فليأت بمثل ما جئت به، فإنني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عما سألتكم عن قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين مما هو المطابق في نفس الأمر، لولا ما أطلعني الله عليه، وأنا أخبركم، ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾، الذي أدعوكم إلى عبادته إله واحد لا شريك له، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾؛ أي: في الدار الآخرة مع ثوابه، وجزائه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، وهو ما كان موافقاً لشرع الله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، بل يوحد الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون صالحاً صواباً خالصاً لله، موافقاً لشرعية رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن طاوس (2): " أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم " (3)، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، إلى آخره، رواه ابن أبي حاتم، وعن شداد ابن أوس (4) قال: سمعت رسول الله -

1 - ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية: (27) من سورة لقمان

2 - طاوس بن كيسان وقد سبقت ترجمته ينظر ص/88، هامش رقم (3) من هذا البحث .

3 - أخرجه الحاكم في مستدرکه 122/2 كتاب الجهاد برقم: 2527 نحوه، والبيهقي في شعب الإيمان 341/5 فصل في مقدار ما يستحب فيه القراءة برقم: 6438 نحوه، وأورده الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب 208/1 كتاب الجهاد برقم: 836 . وقال الحاكم " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه .

4 - شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا يعلى، وقيل أبو عبدالرحمن، قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكعب الأحبار، وروى عنه أهل الشام، وابنه يعلى، ومحمود بن لبيد، وأبو الأشعث الصنعاني، توفي في بيت المقدس ودفن هناك، وقد اختلف في سنة وفاته (41هـ - 64هـ). ينظر الاستيعاب 694/1 برقم: 1158 والإصابة 319/3 برقم: 3851 ، والتقات 185/3 برقم: 621، وتهذيب التهذيب 276/4 .

صلى الله عليه وسلم - يقول: " من صلى يُراني فقد أشرك، ومن صام يُراني، فقد أشرك، ومن تصدق يُراني، فقد أشرك ، إن الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئاً، فإن عمله قليله، وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني "(1) رواه أحمد، وعن شداد رضي الله عنه أيضاً، قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " أتخوفُ على أمتي الشرك، والشهوة الخفية، قلت يا رسول الله: أتشركُ أمتك من بعد؟ قال: نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً، ولا قمرأً، ولا حجراً، ولا وثناً، ولكن (يُراءون) (2) بأعمالهم، والشهوة الخفية: أن يُصبح أحدهم صائماً، فتعرض له شهوة من شهواته، فيتترك صومه "(3) رواه أحمد وابن ماجه، وعن محمود بن لبيد (4)، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس أعمالهم إلى الذين تُراءون لهم في الدنيا، فانظروا هل يجدون عندهم جزاء "(5) رواه أحمد، وعن أبي بكر رضي الله عنه (6) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من سمعَ سمعَ الله به، ومن رايَا رايَا الله به "(7)، وفي رواية أبي سعيد رضي الله عنه " من يُراني يُراني الله به ومن يُسمعُ يُسمعَ الله به "(8) رواه أحمد، وعن أبي سعيد

1 - أخرجه أحمد في مسنده 365/28 مسند شداد بن أوس برقم: 17180 به، والحاكم في مستدركه 365/4 كتاب الرقاق برقم: 7938، وأورده المقدسي في ذخيرة الحفاظ 2329/4 برقم: 5412، وقال: هذا الحديث رواه شهر عن عبدالرحمن بن غنم عن شداد بن أوس، وشهر ضعيف .

2 - ويجوز كتابة الهمزة على الواو في هذه الحالة، وهو الأصل. ينظر ص/104. هامش رقم: (2) من هذا البحث.

3 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1406/2 باب الرياء والسمعة بلفظ " إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراف بالله برقم: 4205، وأحمد في مسنده 346/28 مسند شداد بن أوس برقم: 17120 به، وأورده الهيثمي في الزوائد 458/3 باب فيمن يصبح صائماً، ثم يفطر برقم: 5226، وقال: رواه أحمد، وفيه عبدالواحد بن زيد، وهو ضعيف .

4 - محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس ، كانت له صحبة، ووالده له صحبة، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحدث عنه أحاديث كثيرة، وكان من العلماء، روى عنه الزهري، ومحمود بن إبراهيم التيمي، وذكره ابن حبان في التابعين، وقال ابن حجر: صحابي صغير وجُلُّ روايته عن الصحابة، وقال أبو حاتم الرازي: مديني أنصاري ثقة قليل الحديث، (ت: 96 هـ). ينظر أسد الغابة 122/5، والإصابة 42/6 برقم: 7826، وتقريب التهذيب 522/1 برقم: 6517، والطبقات الكبرى 77/5 الطبقة الأولى.

5 - أخرجه أحمد في مسنده 428/5 مسند محمود بن لبيد برقم: 23680، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 290/1 باب ما جاء في الرياء برقم: 375 وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

6 - أبي بكر نقيب بن الحارث بن كلدة أبو بكر الثقفي صحابي من أهل الطائف له 132 حديثاً، وقيل له أبي بكر لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ممن اعتزل الفتنة ، وكان من فضلاء أصحاب رسول الله عليه وسلم ، وكان كبير القدر ، كثير العبادة حتى مات ، وكان أولاده أشرافاً في البصرة بكثرة المال والعلم ، وهو أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه أولاده ، توفي بالبصرة في خلافة معاوية عام : 52 هـ . ينظر أسد الغابة 41/6 برقم : 5724 ، وأسماء من يُعرف بكنيته ، 12/1 ، والإصابة 571/3 ، ، والبداية والنهاية 63/22 . والطبقات الكبرى 15/7 .

7 - أخرجه أحمد في مسنده 108/34 برقم: 20456 به، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 382/10 باب ما جاء في الرياء برقم: 17661، وعزاه إلى احمد والطبراني، وقال: أسانيدهم صحيحة.

8 - أخرجه الترمذي في سننه 203/9 باب الرياء والسمعة برقم: 2556 به، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأحمد في مسنده 453/17 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11357.

بن أبي فضالة الأنصاري الصحابي⁽¹⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ من أشرك في عملٍ عمَلَهُ الله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك"⁽²⁾ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه (والله أعلم).

1 - أبي سعيد بن أبي فضالة : ويقال أبو سعد بن فضالة ، وقع عند البعض بسكون العين (سعد) وبه جزم أبو أحمد الحاكم، وقال أبو حاتم الصحيح هو أبو سعد بن أبي فضالة، أخرج له الترمذي في الرياء، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه زياد بن مبنا وذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال علي بن المديني: سنده صالح. ولم أقف على تاريخ وفاته في المصادر التي أطلعتُ عليها. ينظر الإصابة 172/7 حرف السين برقم: 10002، والتاريخ الكبير 36/9 برقم: 311 وتهذيب التهذيب 116/12 برقم 486، والكنى للبخاري 36/1.

2 - أخرج الترمذي في سننه 314/5 سورة الكهف برقم: 3154 به، وابن ماجه في سننه 1406/2 باب الرياء والسمعة برقم: 4203 به، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر . وأحمد في مسنده 161/25 مسند ابن أبي فضالة برقم: 15838.

ثانياً

﴿ تفسير سورة مريم ﴾

وهي مكية وعدد آياتها (98) آية

تفسير سورة مريم (1) وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿كَهَيْعِصَ ١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ٦ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾

سبق الكلام في حروف أوائل السور في أول سورة البقرة، قال ابن عباس رضي الله عنه (2): الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين، من عليم وعظيم والصاد من صادق، وقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا، والمد والقصر فيه قراءتان مشهورتان (3)، وكان نبياً عظيماً من أحبار بني اسرائيل، وفي البخاري: أن رسول - الله صلى الله عليه وسلم - قال: " كان زكريا نجاراً " (4)؛ أي: أنه كان يأكل من عمل يديه في النجارة، وقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، قال بعضهم: " إنما خفي نداؤه لئلا يُنسب في طلب الولد إلى الرعونة

1 - في هذه السورة يوجد بياضاً في جزء من اللوحة رقم/287 واللوحة رقم/288 واللوحة رقم/289 وبما أن المخطوط من نسخة واحدة، وخوفاً من ضياع قيمته، فقد جعلت تفسير الحافظ ابن كثير النسخة المقابلة لسد ذلك البياض. ينظر تفسير ابن كثير 224/5 تفسير سورة مريم .

2 - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿كَهَيْعِصَ﴾ قال: كبير، يعني بالكبير، الكاف من ﴿كَهَيْعِصَ﴾. وعن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿كَهَيْعِصَ﴾. عن ابن عباس، قال: كان يقول في الهاء من ﴿كَهَيْعِصَ﴾ : هاء: هاد. وياء يمين. عين من عالم. عين: عزيز. صاد: صادق. وعن ابن عباس، في قوله ﴿كَهَيْعِصَ﴾ قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله. وعن قتادة في قوله: ﴿كَهَيْعِصَ﴾ قال: اسم من أسماء القرآن. وعن ابن عباس أيضاً: معناه كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم بهم، صادق في وعده. ينظر تفسير الطبري 142/18. وتفسير القرطبي 74/11.

3 - وقرأ يحيى بن يعمر ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾ (زَكْرِياً) : يمد ويقصر قراءتان مشهورتان. وكان نبياً عظيماً من أنبياء بني إسرائيل.. واختلف في (زكريا) فحفص وحمزة والكسائي، وكذا خلف بالقصر من غير همزة في جميع القرآن وافقهم الحسن والأعمش والباقرن بالهمز والمد. وقرأ (زكريا) بالقصر بلا همز حفص وحمزة والكسائي وخلف، وَأَمَالَ (نادى) حمزة والكسائي وخلف. ينظر إتحاق فضلاء البشر 222/1. 376/1. وتفسير ابن كثير 211/5، والمحرر الوجيز 4/4.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 1847/4 باب من فضائل زكريا عليه السلام رقم: 2379 به، وابن ماجه في سننه 727/2 باب الصناعات رقم : 2150 به، والحاكم في مستدركه 645/2 باب ذكر زكريا بن آدن النبي عليه الصلاة والسلام برقم: 4145، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، أما ما أخرجه البخاري في صحيحه 730/2 باب كسب الرجل وعمل يده برقم: 1966 بلفظ " وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده "

لِكِبْرِهِ"⁽¹⁾، حكاه الماوردي، وقيل: لأن النداء الخفي أحبُّ إلى الله، قال قتادة في هذه الآية: " إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْقَلْبَ النَّقِيِّ، وَيَسْمَعُ الصَّوْتِ الْخَفِيِّ "⁽²⁾، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾؛ أي: ضَعْفَ رِقِّ ﴿وَاسْتَنْعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾؛ أي: اضطرم المشيب في السواد، وصار أشمط، والمراد الإخبار عن الضعف، والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة، وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾؛ أي: ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردني قط فيما سألتك قوله، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلِيَّ مِنْ وَرَائِي﴾، قال الأكثرون: بنصب الياء من الموالي على أنه مفعول، وسكنها الكسائي⁽³⁾، قال مجاهد: المراد بالموالي العَصَبَة وقيل: الكَلَالَة، وقرأ عثمان بن عفان⁽⁴⁾ - رضي الله عنه - ﴿إِنِّي خِفْتُ الْمَوْلِيَّ﴾ بتشديد الفاء؛ أي: قَلَّتْ عصباتي من بعدي، ووجه خوفه على القراءة الأولى أنه خشى أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً فسأل الله ولداً نبياً، من بعده لئسويهم بنبوته، وما يُوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا إنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلةً وأجلّ قدراً من أن يُشفقَ على ماله إلى ما هذا حدّه أن يأنف من وراثته عصباته له، ويسأل أن يكون له ولداً ليحوز ماله دونهم بل خاف تبديل الدين في تضييعه، وتغيير أحكامه من بني عمه، كما عاهده من بني اسرائيل، ولأنه لم يذكر أنه كان ذا مالٍ، بل كان نجاراً يأكل من كسب يده، ومثل هذا لا يجمع مالاً ولا سيماً الأنبياء، فإنهم كانوا أزهّد الناس في الدنيا، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " نحن معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركنا فهو صدقة "⁽⁵⁾، فيتعيّن حمل قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾، على

1 - ﴿نَدَاءٌ خَفِيًّا﴾، فيه قولان: أحدهما: قاله ابن جريج، سراً لا رياء فيه. وقال قتادة إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي فأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب إلى الرياء فيه. الثاني: قاله مقاتل، إنما أخفى لئلا يهزأ الناس به، فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد. ويحتمل ثالثاً: أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه: " إن الذي تدعونه ليس بأصم " أخرجه النسائي في سننه 255/5 برقم: 8823 والترمذي في سننه 457/5 برقم: 2374، وقال هذا حديث حسن. ينظر تفسير ابن جريج ص/208، وتفسير الماوردي 352/3، وتفسير مقاتل 306/2.

2 - ينظر تفسير الطبري 142/18، وتفسير الماوردي 354/3.

3 - الكسائي: علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي أبو الحسن إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، مستقيم الحديث، سمع أبا عماره حمزة بن حبيب، وأبا معاذ سليمان بن أرقم، وروى عن: الأعمش، وعاصم بن أبي النجود، وروى عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، ت: 289 هـ مع محمد بن الحسن الشيباني في يوم واحد، وقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه. ينظر الأسامي والكنى 329/3 رقم: 1432، والأنساب 484/3، والثقات 457/8 باب العين رقم: 14414.

4 - وروي عن عثمان بن عفان أنه قرأه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلِيَّ﴾ بفتح الخاء والفاء المشددة بصيغة الفعل الماضي وهذا على معنيين، أحدهما: أن يكون ﴿وَرَائِي﴾، بمعنى خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي: أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوليّ يرزقه. والثاني: أن يكون بمعنى قدامي، فيتعلق بخفت، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد، يقول الشنقيطي: شاذة لا تجوز القراءة بها، وإن رويت عن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين، وغيرهم رضي الله عنهم. ينظر أضواء البيان 367/3، والكشاف 62/4.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 1126/3 باب فرض الخمس برقم: 2926 نحوه، ومسلم في صحيحه 1376/3 باب حكم الفء برقم: 1757 نحوه.

النبوة ، ولهذا قال: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، كما قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾⁽¹⁾ أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصّه من بين إخوته بذلك، قال مجاهد: "كان وراثته من آل يعقوب علماً وكان زكريا من ذرية يعقوب"، وقال الحسن: "يرث نبوته، وعلمه، ونبوة آل يعقوب"⁽²⁾، وقيل: "يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة"، وهذا اختيار ابن جرير⁽³⁾ وقوله: ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، أي: مرضياً عندك، وعند خلقك تحبّه، وتُحبّه إلى خلقك في دينه.

﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ﴾

يعني: أن زكريا أجيب إلى ما سأل في دعاء، فقيل له: ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾، اسمه يحيى كما في قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁴⁾ وقوله: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، قالوا: أي: لم يُسم أحد قبله بهذا الاسم وهو المختار؛ وقال مجاهد: أي: شبهاً، كما في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾⁽⁵⁾؛ أي: شبهاً، وقال ابن عباس: "أي: لم تلد العواقر قبله مثله"⁽⁶⁾، وهذا دليل على أن زكريا كان لا يولد له، وكذلك امرأته كانت عاقراً من أول عمرها، بخلاف إبراهيم وسارة، فإنهما تعجبا من البشارة بإسحاق لكبرهما، لا لعقرهما.

1 - ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ وَرِثْنَا مِنْكُمْ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الآية (16) من سورة النمل.

2 - عن الحسن، في قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، قال: نبوته وعلمه، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13038/2398

3 - عن ابن عباس: قال: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وقال الحسن: نبوته وعلمه، وقال السدي: يرث نبوتي، ونبوة آل يعقوب، وقال القرطبي: الحكمة والعلم، وقال ابن جرير يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب. ينظر تفسير السدي ص/338، وتفسير الطبري 146/18، وتفسير القرطبي 78/11، والدر المنثور 480/5.

4 - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) فَوَدَّعَاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (39)﴾ من سورة آل عمران.

5 - ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (65) من سورة مريم.

6 - ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، أي لم نسم أحدا قبل يحيى بهذا الاسم، قاله ابن عباس وقتادة وابن أسلم والسدي، ويقول الماوردي في تفسيره: تضمنت هذه البشيرة ثلاثة أشياء: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة والثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة، والثالث: أن يفرد بتسميته. فدل ذلك على أمرين: أحدهما: اختصاصه به. والثاني: على اصطفاؤه له. قال مقاتل سماه يحيى لأنه صبي بين أب شيخ وأم عجوز، وفي قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، ثلاثة أقاويل: أحدها: أي لم تلد مثله العواقر، قاله ابن عباس. فيكون المعنى لم نجعل له مثلاً ولا نظيراً. الثاني: أنه لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولداً، قاله مجاهد. والثالث: أي لم يسم قبله باسمه أحد قاله قتادة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13044/2395، وتفسير القرطبي 83/11، وتفسير الماوردي 375/3.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾

هذا تعجب من زكريا حين أُجيبَ إلى ما سأل، وبُشِّرَ بالولد، وفرح به فرحاً شديداً، وسأل عن كيفية ما يُولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع إنَّ امرأته كانت عاقراً لا تلد مع كبرها وعتيها؛ أي: يُيسها ونحول عظمها، يقال: (عتا) الشيخ يعنو عتياً، إذا انتهى سنه وكبره، بحيث لم يبق فيه لقاح ولا جماع، تقول العرب: العود إذا يبس عتا، والمراد: نحول العظم والييس، قال ابن عباس: " لا أدري أكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه الحرف وقد بلغت من الكبر عتياً أو عسيّاً؟ أي: بالتاء أو بالسین وكلاهما بمعنى "(1)، ﴿قَالَ﴾؛ أي: الملك، مُجيباً لزكريا عمّا استعجب منه، ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ﴾؛ أي: اتخاذا الولد منك من زوجتك هذه لا من غيرها ﴿هَيِّئٌ﴾؛ أي: سهل يسير على الله، ثم ذكر ما هو أعجب مما سأل عنه، وقد خلقتك من قبل؛ أي: من قبل يحيى، ولم تكن موجوداً.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

أخبر تعالى عن زكريا أنه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾؛ أي: علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي، ويطمئن قلبي بما وعدتني، كما قال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (2)، الآية. قال: ﴿آيَتِكَ﴾؛ أي: علامتك، ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْالٍ سَوِيًّا﴾؛ أي: يحتبس لسانك عن الكلام ثلاث، وأنت صحيح سوي من غير مرض، ولا علة قال: اعتقل لسانه من غير مرض، وكان يقرأ ويسبح، ولا يستطيع أن يُكلم إلا بالإشارة، وعن ابن عباس: (3) ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: متتابعات والأول عنه،

1 - ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يعني النهاية في الكبر والبيس والجفاف، ومثله العسي، قال الأصمعي: عسا الشيء يَعْسُو عُسُوًا وَعَسَاءَ ممدود أي: يبس وصلب، وقد عسا الشيخ يَعْسُو وَلَى وَكَبِرَ مِثْلَ عَنَاءٍ. يقول ابن أبي حاتم: وقرأ ابن عباس: عسيّاً، وهي كذلك في مصحف أبي من قولهم للشيخ إذا كبر: قد عسا وعتا، ومعناها واحد، وعسى يعسو عسيبا وعسوا، وكلّ متناه إلى غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات وعاس. ينظر البحر المحيط 166/6، وتفسير الطبري 149/18، وتفسير القرطبي 83/11، وتفسير الماوردي 357/3.

2 - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية (260) من سورة البقرة.

3 - ﴿سَوِيًّا﴾، وفيه تاويلان: أحدهما: صحيحاً من غير خرس، قاله قتادة. والثاني: ثلاث ليالٍ متتابعات، قاله عطية، فيكون السوي على الوجه الأول راجعاً إلى لسانه، وعلى الثاني إلى اللبالي، وعن ابن زيد: حبس لسانه فكان لا يستطيع إن يكلم أحداً، وهو في ذلك يسبح، ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطيع إن يكلمهم،

وعن الجمهور أصح . وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾؛ أي: الذي بُشِّرَ فيه بالولادة، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: أشار إشارة خفية سريعة ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ أي: موافقة له فيما أمر في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله تعالى على ما أولاه ، وقيل: أي: كُتِبَ لهم في الأرض أن سَبَّحُوا.

﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾﴾

يعني: لما وُجِدَ هذا الغلام المُبَشَّرَ به، وهو يحيى عليه السلام، وأن الله علّمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدرسونه بينهم، ويحكم بها النبيون، وكان سنّه إذ ذاك صغيراً، ولهذا عرض بذكره، وبما أنعم به عليه، وعلى والديه، فقال: ﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ﴾؛ أي: تعلم الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بجِدِّ وجرص واجتهاد، ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ أي: الفهم والعلم والجِدِّ والعزم والاجتهاد فيه وهو صغير حدث، قال مُعَمَّرُ(1) قال الصبيان ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُفْنَا، قال: فلماذا أنزل الله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وقوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال ابن عباس وغير واحد: "ورحمة من عندنا على زكريا، لا يقدر عليها غيرنا، وتَعَطُّفًا منا عليه"(2)، وقيل: أي: محبةً وتعظيماً، والظاهر أن (حناناً) معطوف على مفعول(3)، ﴿وَءَاتَيْنَاهُ﴾؛ أي: وأتيناها الحكم، وحناناً وزكاة؛ أي: وجعلناه ذا حنانٍ وزكاة، فالحنان: هو المحبة في شفقة وميل، كما يقول العرب حنّت الناقة على ولدها، والمرأة على زوجها، ومنه سُميت المرأة حنةً من الحنة، وحنَّ الرجل إلى وطنه، ومنه التعطف والرحمة، وفي

وعن ابن عباس، قال: ثلاث ليالٍ متتابعات. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13054/2399 ، وتفسير الطبري 152/18، وتفسير الماوردي 358/3.

1 - معمر بن المثنى، أبو عبيدة النحوي تيمي كان الغالب عليه معرفة الأدب والشعر، روى عن روبة بن العجاج روى عنه قيس بن حفص ، وإبراهيم بن محمد بن عرعة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ت: (209 هـ ، 211 هـ) ينظر الثقات 196/9 ، والجرح والتعديل 259/8 رقم : 1175.

2 - وفي معنى الحنان عن ابن عباس قولان : أحدهما : قال : تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة ، والقول الآخر ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك. وأصله من حنين الناقة على ولدها ويقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فيه ستة تأويلات : أحدها : رحمة من عندنا ، قاله ابن عباس وقتادة ، والثاني : تعطفاً ، قاله مجاهد . والثالث : محبة ، قاله عكرمة . والرابع : بركة ، قاله ابن جبير . والخامس : تعظيماً . والسادس : يعني آتينا حنناً على العباد . ينظر تفسير القرطبي 87/11، وتفسير الماوردي 360/3.

3 - (وَحَنَانًا) الواو عاطفة و(حناناً) معطوف على الحكم، أي: وآتينا حناناً، (مِّن لَّدُنَّا) متعلقان بصفة محذوفة ل(حناناً) و(نا) مضاف إليه، وقيل: معطوف على الحكم أي وهبنا له (حناناً)، وقيل: هو مصدر . ينظر إعراب القرآن الكريم (دعاس) 238/2، والتبيان في إعراب القرآن 868/2، والجدول في إعراب القرآن 279/16، ومشكل إعراب القرآن 450/2.

الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " يبقى رجل في النار يُنادي ألف سنة يا حنان يا منان " (1) رواه أحمد ، وقوله: ﴿وَزَكَاةٌ﴾ ، معطوف على: ﴿وَحَنَانًا﴾ فالزكاة الطهارة من الدّنس والآثام، وقال قتادة: " الزكاة العمل الصالح " (2) : وكان تقيّاً طاهراً لم يعمل بذنوب، قاله ابن عباس ؓ وقوله: ﴿وَبَرًّا بُولَدِيهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى طَاعَتَهُ لِرَبِّهِ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ ذَا رَحْمَةٍ وَزَكَاةٍ وَتُقَى، عَطَفَ بِذِكْرِ طَاعَتِهِ لَوَالِدِيهِ، وَبَرَّهُ بِهِمَا وَمُجَانِبَتِهِ عُقُوقَهُمَا قَوْلًا وَفِعْلًا أَمْرًا وَنَهْيًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ؛ أَي: لَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا، وَلَا عَاصِيًا، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ الْأَحْوَالِ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ (3): " أَوْحَشَ مَا يَكُونُ الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ، يَوْمَ يُوَلَّدُ، فَيُرَى نَفْسَهُ خَارِجًا مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، فَيُرَى قَوْمًا لَمْ يَكُنْ عَيْنَهُمْ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، فَيُرَى نَفْسَهُ فِي مَحْشَرٍ عَظِيمٍ، قَالَ: فَأَكْرَمَ اللَّهُ فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَا، فَخَصَّهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِيهَا " رواه ابن جرير. وقال ابن المسيّب: " قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما من أحدٍ يلقى الله يوم يلقى إلا ذا ذنوبٍ، إلا يحيى بن زكريا " (4)، قال قتادة: " ما أذنّب ولا همّ بذنوبٍ " قال الحسن: " إن يحيى وعيسى التقياء، فقال له عيسى: استغفر لي أنت خيرٌ مِنِّي، فقال له الآخر: استغفر لي أنت خيرٌ مِنِّي سلّمْتُ على نفسي، وسلّمَ الله عليك، فعُرفَ والله فضلُهما. " (5)

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي

1 - أخرجه أحمد في مسنده 99/21 مسند أنس بن مالك برقم : 13411 ، وأبو يعلى في مسنده 214/7 برقم : 4210 نحوه ، والطبراني في أوسطه 265/4 باب من اسمه علي برقم : 4154 نحوه ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 699/10 باب ما جاء في رحمة الله برقم : 18559 ، وعزاه إلى أحمد وأبو يعلى وقال : ورجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان .

2 - "الزكاة" التطهير والبركة ؛ أي: جعلناه مباركا للناس يهديهم. وقيل: المعنى زكينا بحسن الثناء عليه كما تزكي الشهود إنسانا. ينظر تفسير القرطبي 88/11، وتفسير الماوردي 360/3.

3 - وجدته في تفسير الطبري منسوب إلى ابن عطية ، وليس إلى ابن عيينة كما أورد ابن كثير، ينظر تفسير ابن كثير 217/5، وتفسير الطبري 161/18.

4 - أخرجه أحمد في مسنده 144/4 مسند عبدالله بن عباس برقم: 13802 ، والبزار في مسنده 166/2 مسند ابن عباس برقم: 4784، والحاكم في مستدركه 647/2 برقم : 4149 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 383/8 باب ذكر يحيى بن زكريا عليهما السلام وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى والبزار ، وزاد أنه لم يهملهما ولم يعملهما، وإلى الطبراني ، وقال : وفيه علي بن زيد، ضعفه الجمهور، وقد وثق، وبقية أحمد رجال الصحيح . وأورده الطبري في تفسيره 44/16. وللحديث أطراف أخرى " ما من آدمي إلا وقد أخطأ.. " .

5 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13069/2402 ، وتفسير الطبري 161/18 ، وتفسير القرطبي 89/11، وأورده أحمد في كتاب الزهد 76/1 باب حكمة عيسى. وأخرج الطبراني في الكبير 36/3 باب أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما برقم: 2603 حديثاً بلفظ: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِقَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَوَلَدَ الْأَنْبِيَاءَ غَيْرِي وَإِنَّ ابْنَيْكَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى وَعَيْسَى " .

عُلِّمَ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٥٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئًا وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٥١﴾ .

لما ذكر تعالى قصة زكريا، وأنه وجد منه في حال كبره، وعُقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف بذكر قصة مريم في إيجادها ولدها عيسى - عليه السلام - منها من غير أب، فإن بين القصتين مناسبة، ومشابهة، ولهذا ذكرهما في آل عمران، و(ههنا) وسورة الأنبياء⁽¹⁾ قارناً بين القصتين لتقارب بينهما في المعنى، ليدل على قدرته وعظمة سلطانه، فقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، هي بنت عمران من سلالة داود - عليه السلام -، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في(آل عمران)، وأنها نذرتها محررة؛ أي: يخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون بذلك، فقبلها ربها بقبول حسن، كما سبق في (آل عمران)، فلما أراد الله تعالى - وله الحكمة - أن يوجد منها عبده عيسى (عليه السلام)، أحد الرسل أولي العزم الخمسة⁽²⁾، ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾؛ أي: اعترلتهم، وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس، قال السدي: "الحيض أصابها"⁽³⁾ قال ابن عباس: ﴿إِنِّي لِأَعْلَمُ خَلْقَ اللَّهِ لِأَيِّ شَيْءٍ اتَّخَذَتْ النَّصَارَى الْمَشْرِقَ قِبْلَةً، لِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فاتخذوا ميلاد المسيح عيسى قبله"، قال قتادة: "أي مكاناً شاسعاً منتحياً"، وقيل: "اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه"⁽⁴⁾، وقوله: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾؛ أي: استترت منهم، وتوارت، فأرسل الله إليها جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ أي: على صورة إنسان تام كامل، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل، وهذا هو الظاهر، فإنه - تعالى - قال

¹ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقُبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) من سورة آل عمران. وقال تعالى: (فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَخَنَّا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)). من سورة الأنبياء.

² - أولي العزم الخمسة، أخرج الحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة 546/2 برقم: 4007 "سيد الأنبياء خمسة ومحمد - صلى الله عليه وسلم - سيد الخمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم" وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان موقوفاً على أبي هريرة.

³ - ينظر تفسير السدي ص/339، وتفسير الطبري 162/18، والدر المنثور 495/5.

⁴ - قوله تعالى: ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فيه ثلاثة أوجه، أحدها: ناحية المشرق، قاله الأخفش ولذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة، والثاني: مشرق داره التي تظلمها الشمس، قاله عطية، والثالث: مكاناً شاسعاً بعيداً، قاله قتادة. وقال قتادة: "قبل المشرق، شاسعاً منتحياً" وقال الحسن: "فتنحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها"، وعن السدي، قال: "خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها"، وقال نوف البكالي: "اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13070/3402. وتفسير ابن كثير 219/5، وتفسير الطبري 162/18، وتفسير الماوردي 361/3.

في آية أخرى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾⁽¹⁾، الآية، وقال أبي بن كعب: "إن روح عيسى من حملة الأرواح التي أخذ عليهم العهد في زمان آدم، وهو الذي تَمَثَّلَ لها بَشَرًا سَوِيًّا؛ أي: عيسى، فحملت الذي خاطبها دخل في فيها"⁽²⁾، وهذا في غاية الغرابة والنكارة، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾، لَمَّا تَبَدَّى لها الملك في صورة بشر، وهو في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب خافتة وظنت [أن يريد لها] (3) على نفسها، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾؛ أي: كنت تخاف الله تذكير له بالله، وهذا هو الشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل؛ فَخَوَّفَتْهُ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وقد عَلِمَتْ إِنْ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾؛ أي: فقال لها الملك مُجِيبًا وَمُزِيلًا لما حصل عندها من الخوف على نفسها مما تَظُنُّنَّ، ولكنِّي رسول رَبِّكِ؛ أي: بعثني إليك، فيقال: إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرعاً، وعاد إلى هيئته، وقال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا، قرأ أبو عمرو (4) هكذا بالياء، وقرأ آخرون: لأهب بالألف وكلا القراءتين حسن صحيح ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾؛ أي: فتعجبت مريم من هذا، فقالت: كيف يكون لي غلام؟ أي: على أي صفة يُوجَدُ هذا الغلام مِنِّي، وَلَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ وَلَا يَتَّصِرُ مِنِّي الْفَجُورُ؟ ولهذا قالت: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، والبغي: هي الزانية، ولهذا جاء في الحديث: "نهى عن مهر البغي"⁽⁵⁾، ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ أي: فقال الملك مُجِيبًا لها عما سألت: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ: سَيُوجَدُ مِنْكَ وَلَدٌ غُلَامًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بَعْلٌ، وَلَا يُوْجَدُ مِنْكَ فَاحْشَةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ، ولهذا قال: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾؛ أي: دلالة، وعلامة للناس على قُدرة بارئهم، وخالقهم الذي تنوع في

1 - ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (3) عَلَى قَلْبِكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿لِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (19) من سورة الشعراء.

2 - عن أبي بن كعب في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، كان في علمه يوم اقروا به، من يصدق به، ومن يكذب به، فكان عيسى - عليه السلام - من تلك

الازواج التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمان آدم. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 10498/1972.

3 - [يريدها] وجدتها كذلك في تفسير ابن كثير 220/5. لعل المقصود يراودها والله أعلم.

4 - هو أبو عمرو بن العلاء صاحب القراءات، واسمه: زبَانُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ عَمَارِ بْنِ الْعَرِيَانِ، الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، وقد أُخْتُلِفَ في اسمه، قال الذهبي: والذي لا أشك فيه أنه زبَانُ بِالزَّايِ، وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج، فقرأ بمكة والمدينة، وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك وغيره، وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري، وأبي العالية رفيع ابن مهران الرياحي على الصحيح، وعاصم بن أبي النجود، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وغيرهم، روى عنه: عبدالوارث، وة كعب، والأصمعي، وأبو زيد النحوي، وكان أعلم الناس بالقرآن، والعربية مع الصدوق. والثقة، والزهد، ت: (148هـ - 157هـ). ينظر الثقات 345/6، والجرح والتعديل 616/3، وسير أعلام النبلاء 407/6، وغاية النهاية في طبقات القراء 286/1 رقم: 1234.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 779/2 باب ثمن الكلب برقم: 2122 به، ومسلم في صحيحه 1199/3 باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن برقم: 1568 بلفظ: "شر الكسب مهر البغي، وثمر الكلب، وكسب الحجام".

خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى، فإنه أُوْجِدَهُ من أنثى بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية، والدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وقوله: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾، أي: ويجعل هذا الغلام رحمة من الله نبيا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله وتوحيده، قال مُجاهد: "قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني عيسى، وكَلَّمَنِي وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سَبَّحَ في بطني وكَبَّرَ" (1)، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، يحتمل: أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يُخبرها أَنَّ هذا أمر مُقَدَّرٌ في علم الله، وقدرته ومشينته، وأن يكون من خير الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه كَتَبَ بهذا عن النفخ في فَرْجِهَا كما قال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (2) قال ابن (اسحق) (3): "إن الله قد عزم على هذا فليس منه بُدُّ" (4)، وهو اختيار ابن جرير.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ

يَلِيَّتِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿١٤﴾﴾

أخبر تعالى عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله ما قال استسلمت لإ قضاء الله فذكر أن الملك هو جبريل، عند ذلك نُفِخَ في جَبِيْبِ دِرْعِهَا، فنزلت النفخة حتى ولجت الفرج، فحملت بالولد بإذن الله، فلما حملت به ضاقت ذرعاً به، ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها علمت أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها أخت امرأة زكريا، وذلك أن زكريا كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك، فحملت امرأته، فدخلت عليها مريم، فاعتنقتها، فقالت: أشعرت يا مريم أتِي حُبْلِي؟ فقالت لها مريم: وهل علمتِ أتِي حُبْلِي؟ وذكرت لها شأنها، وما كان من خبرها، وكانوا بيت إيمان وتصديق، ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم؛ أي: يُعَظِّمُهُ ويخضع

1 - قال مُجاهد: " قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت حَدَّثَنِي عَيْسَى وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر". تفسير ابن أبي حاتم برقم: 14131 .

2 - ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَاتِلِينَ ﴿١٢﴾ من سورة التحريم .

3 - في عرف القواعد الإملائية كثيراً ما يحذفون الألف من بعض الأسماء المشتهرة في الاستعمال مثل: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وعثمان، ينظر المطالع النصرية ص/264.

4 - ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه وجهان: أحدها: عَقَّتْ فامتنعت عن الفاحشة، والثاني: أن المراد بالفَرْجِ فَرْجُ دِرْعِهَا منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ، يقول: وكان خلقه منك أمراً قد قضاه الله، ومضى في حكمه، وسابق علمه أنه كائن منك، ذكر ابن جرير في تفسيره، عن ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن وهب بن منبه ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي أن الله قد عزم على ذلك، فليس منه بُدُّ. ينظر تفسير الطبري 165/18 ، وتفسير الماوردي 469/3.

له، فإن السجود كان في مِلَّتِهِمْ عند السلام مشروعاً، كما سجد ليوسف أبواه وأخوته، وكما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم، ولكن حَرَمَ في ملتنا هذه تكميلاً لتعظيم جمال الرب تعالى، ثم اختلفوا في مدة حملها، فالمشهور عند الجمهور أن مريم حملت بعبسى تسعة أشهر، وقال عكرمة: ثمانية أشهر، ولهذا لا يعيش ولد الثمانية أشهر. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن حمل مريم قال: " لم يكن إلا أن حملت ووضعت " وهذا غريب⁽¹⁾، وكأنه مأخوذ عن ظاهر قوله: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ، فالفاء وإن كانت للتعقيب، لكن تعقيب كل شيء بحسبه، كما في قوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾⁽²⁾، فهذه الفاء للتعقيب بحسبها، وفي الصحيحين: " أن بين كل صفتين أربعين يوماً "⁽³⁾، فالمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن، ولما استشعرت مريم من قومها بالريبة، انتبذت منهم؛ أي: تنحّت وانفردت مكاناً قَصِيًّا؛ أي: قاصيا منهم بعيداً عنهم، لئلا يراهم ولا يروها، قال ابن اسحاق⁽⁴⁾: " فلما حَمَلَتْ استمسك عنها الحيض، وظهر عليها ما يظهر على الحوامل، فما دخل على بيت ما دخل على بني اسرائيل، فقالوا إنما صاحبها يوسف الذي يخدم المسجد معها، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجاباً فلا يراها أحد، ولا تراه " وقوله: ﴿ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾؛ أي: فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذي تحت إليه، وقد اختلفوا فيه، فقال السُّدي⁽⁵⁾: كان شرقي محرابها

1 - اختلفوا في سبب حملها على قولين: أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، وكُمَّهَا فَحَمَلَتْ، قاله ابن جريج، الثاني: أنه ما كان إلا أن حملت فولدته، قاله ابن عباس، واختلفوا في مدة حملها على أربعة أقاويل: أحدها: تسعة أشهر قاله الكلبي. والثاني: ستة أشهر. والثالث: يوماً واحداً . والرابع : ثمانية أشهر ، وكان هذا آية عيسى فإنه لم يعيش مولوداً لثمانية أشهر سواه . ينظر ابن جريج ص/210، و تفسير الماوردي 362/3.

2 - ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ الآية (14) من سورة المؤمنون.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1174/3 باب ذكر الملائكة برقم : 3036 بلفظ : " إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً ... " ، ومسلم في صحيحه 2036/4 باب كيفية الخلق لأدمي في بطن أمه برقم : 2643 بلفظ : " إن أحدكم يجمع خلقه ... " .

4 - محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني، من حفاظ الحديث، صاحب المغازي، صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين مولى عبدالله بن قيس من أهل المدينة، كنيته أبو عبدالله، وأبو بكر يروي عن الزهري ، ونافع بن جببر، ونافع مولى ابن عمر، ويروي عنه: سفيان الثوري، وشعبة، قال عنه علي بن المديني: صدوق، وثقة، وقال عنه ابن سعد: ثقة، وقال عنه مالك : دجال من الدجالفة، (ت: 51 هـ - 52هـ) ببغداد. ينظر الثقات 380/7 برقم: 10534 باب الميم، والجرح والتعديل 191/7 برقم: 1087 والطبقات 321/7 آخر البصريين، والكامل في ضعفاء الرجال 102/6 برقم: 1623.

5 - ﴿ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾، فيه وجهان : أحدهما : معناه ألجأها ، قاله ابن عباس ، ومجاهد وقتادة، والثاني : معناه فجأها المخاض. وعن وهب بن منبه، قال: لما حضر ولأدها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق ، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة ، فوضعت عندها. وقال السدي : بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه ينظر تفسير الطبري 170/18 ، وتفسير الماوردي 363/3.

الذي تُصَلِّي فيه من بيت المقدس، وعن وهب قال: كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك، يُقال لها: (بيت لحم)⁽¹⁾، ولا يشك فيه النصارى، وقوله تعالى إخباراً عنها: ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ فيه جواز تمنّي الموت عند الفتنة، فإنها عرفت إنها سُنْبُلِي، وَتَمْتَحَن بهذا المولود الذي لا يُصَدِّقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تُصَبِّح عندهم، فيما يظنون عَاهِرَةً زانية، فقالت: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ ؛ أي: قبل هذا الحال، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ ؛ أي: لم أُخْلَق، وَلَمْ أَكُ شيئاً، قاله ابن عباس رضي الله عنه، وقال قتادة: "أي: كُنْتُ شيئاً متروكاً لا تُعْرَف ولا تُذَكَّر"⁽²⁾ وهو السِفْطُ الذي يُنْسَى ولا يُطَلَب كَحَرْقِ الحَيْض التي أُلْفِيَتْ وطُرِحَتْ لم تُطَلَب، ولم تُذَكَّر كل شيء نَسِي، وَتُرِكَ فهي نَسِي، قاله السدي وغيره.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿١٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٦﴾﴾.

قرأ بعضهم مَنْ تَحْتَهَا بفتح الميم؛ أي: الذي تحتها، وقرئ بالكسر على أنه حرف جر <.....>⁽³⁾؛ أي: ناداها من أسفل الوادي، وعن مجاهد <.....>⁽⁴⁾ وابن جرير

1 - بيت لحم : بقرب إيليا من أرض الشام، وبه ولد المسيح عليه السلام، وبه النخلة التي تساقطت على مريم رطباً جنياً، والسري الذي جعل الله تحتها فشربت منه وتطهرت به، والمهد الذي جعلت فيه المسيح حين ولده، بيت لحم بالفتح وسكون الحاء المهملة بليد قرب البيت المقدس عامر حفل فيه سوق وبيارات ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام . ينظر الروض المعطار 1/123. ومعجم البلدان 1/521.

2 - ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾، فيه خمسة تأويلات: أحدها: لم أُخْلَق، ولم أكن شيئاً ، قاله ابن عباس. والثاني: لا أعرف ولا يدري من أنا ، قاله قتادة. والثالث: النسي المنسي هو السقط ، قاله الربيع ، وأبو العالية. والرابع: هو الحيضة الملقاة ، قاله عكرمة ، بمعنى خرق الحيض. والخامس: معناه وكنت إذا ذكرت لم أطلب . ينظر تفسير الماوردي 3/363.

3 - قرأ بعضهم ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾ أي الذي تحتها. وقرئ بالكسر ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾ على أنه حرف جر. > واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال العوفي وغيره، عن ابن عباس: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جببر، والضحاك، والسدي، وقاتدة: إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام. < أي: ناداها من أسفل الوادي. ينظر تفسير ابن كثير 5/224. أن في هذا الحرف قراءتين: قرأه نافع وحفص عن عاصم وحزمة والكسائي ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم على أن (مَنْ) حرف جر، وخفض تاء تحتها، لأن الطرف مجرور بـ(مَنْ) وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة عن عاصم بفتح الميم (مَنْ) على أنه اسم موصول هو فاعل نادى، أن ناداها الذي تحتها . وفتح (تَحْتَهَا) فعلى القراءة فاعل النداء ضمير محذوف. وعلى الثانية ففاعل الاسم الموصول الذي هو (مَنْ). ينظر أضواء البيان 3/393، والبحر المحيط 6/173، والنشر في القراءات 2/218.

4 - وعن مجاهد > ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قال: عيسى ابن مريم، وكذا قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: قال الحسن: هو ابنها. وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جببر: أنه ابنها، واختاره ابن زيد، < وابن جرير في تفسيره، وقوله ألا تحزني . ينظر تفسير ابن كثير 5/224.

وقوله: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ ، <.....> (1)، قاله ابن جبير (2)، وغير واحد <.....> (3) ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾ <.....> (4) السلام، والأول: أظهر <.....> (5) ابن عباس ؓ وقيل: مُثْمِرَةٌ، وأنها <.....> (6) عندها طعاماً، وشراباً، فقال: <.....> (7) من التمر والرطب، وقرأ بعضهم: تَسَاقِطُ <.....> (8)، وقرأ البراء ؓ: ﴿يُسَاقِطُ﴾ (9)؛ أي: الجذع، والكل متقارب، <.....> (10) الرحمن صوماً، المراد بهذا القول: الإشارة إليه بذلك <.....> (11)؛ أي: صمتاً، وذلك أنهم كانوا إذا صاموا يحرم عليهم في شريعتهم <.....> (12)، ولما قال عيسى لمريم: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾، قالت: وكيف لا أحزن، وأنت

1 - وقوله: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ > أي: ناداها قائلاً: لا تحزني، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال سفيان الثوري وشعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال: الجدول، وعن ابن عباس: السري: النهر، وقال مجاهد: هو النهر بالسريانية. < وقال سعيد بن جبير: السري: النهر الصغير بالنبطية . ينظر تفسير ابن كثير 224/5 .

2 - وهو سعيد بن جبير سبقت ترجمته ينظر هامش سورة الكهف ص/62. من هذا البحث.
3 - > وقال وهب بن منبه: السري: هو ربيع الماء، وقال قتادة، والبراء بن عازب: < ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾. قال: الجدول. ينظر تفسير ابن كثير 224/5 .

4 - > وقال آخرون: المراد بالسري: عيسى، عليه السلام، وبه قال الحسن، وهو إحدى الروايتين عن قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم <، والقول الأول أظهر. ينظر تفسير ابن كثير 224/5 .

5 - > ولهذا قال بعده: ﴿وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي: وخذي إليك بجذع النخلة. قيل: كانت يابسة، < قاله ابن عباس. وقيل: مثمرة. ينظر تفسير ابن كثير 224/5 .

6 - > والظاهر أنها كانت شجرة، ولكن لم تكن في إبان ثمرها، قاله وهب بن منبه؛ ولهذا امتن عليها بذلك، أن جعل < عندها طعاماً وشراباً. ينظر تفسير ابن كثير 224/5 .

7 - فقال: > ﴿تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفساً؛ ولهذا قيل: ما من شيء خير للنساء < من التمر والرطب. ينظر تفسير ابن كثير 225/5 .

8 - وقرأ بعضهم قوله: > ﴿تَسَاقِطُ﴾ بتشديد السين، وآخرون بتخفيفها، وقرأ أبو نهيك: ﴿تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا﴾ وقرأ البراء < ﴿يُسَاقِطُ﴾، أي: الجذع. والكل متقارب. ينظر تفسير ابن كثير 225/5 .

9 - ﴿يُسَاقِطُ﴾: ويقرأ على تسعة أوجه: بالتاء والتشديد والأصل تنساقط وهو أحد الأوجه، و(الثالث): بالياء والتشديد والأصل يتساقط فأدغمت التاء في السين. و(الرابع): بالتاء والتخفيف على حذف الثانية والفاعل على هذه الأوجه النخلة، وقيل الثمرة لدلالة الكلام عليها. و(الخامس): بالتاء والتخفيف وضم القاف. و(السادس): كذلك إلا أنه بالياء والفاعل الجذع أو الثمر. و(السابع): تنساقط بتاء مضمومة وبالالف وكسر القاف. و(الثامن): كذلك إلا أنه بالياء. و(التاسع): تسقط بتاء مضمومة، وكسر القاف من غير ألف وأظن أنه يقرأ كذلك بالياء. ينظر البحر المحيط 175/6، والتبيان في إعراب القرآن، وتفسير الزمخشري 13/3 وتفسير الطبري 180/18.

وحجة القراءات 422/1، والنشر في القراءات 318/2.

10 - وقوله: > ﴿فَأَمَّا تَرِيْنَ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا﴾ أي: مهما رأيت من أحد ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ المراد بهذا القول: < الإشارة إليه بذلك. ينظر تفسير ابن كثير 225/5 .

11 - الإشارة إليه بذلك، > لا أن المراد به القول اللفظي لئلا ينافي ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ < ينظر تفسير ابن كثير 225/5 .

12 - قال أنس بن مالك في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: < صمتاً. والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام. ينظر تفسير ابن كثير 225/5 .

>.....<(1)، مِتُّ قَبْلَ هَذَا، قَالَ لَهَا عِيسَى: أَنَا أَكْفِيكَ الْكَلَامَ، فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ
>.....<(2)، قَالَ: هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ عِيسَى وَوَأَفَقَهُ وَهَبٌ(3).

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُرُ قَالُوا يُمَرِّمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ يَاأَخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ
صَبِيًّا ﴿٣٩﴾ قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٤١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٢﴾
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٤٣﴾﴾

مُخْبِرًا عَنْ مَرْيَمَ حِينَ أَمَرْتُ أَنْ تَصُومَ يَوْمَهَا ذَلِكَ، أَنْ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ، فَإِنَّهَا
سَتَكْفِي أَمْرَهَا، وَيُقَامُ بِحُجَّتِهَا، فَسَلِّمْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَاسْتَسَلَّمْتُ لِقَضَائِهِ، وَأَخَذْتُ وَلَدَهَا،
﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُرُ﴾، فَلَمَّا رَأَوْهَا كَذَلِكَ أَعْظَمُوا أَمْرَهَا، وَاسْتَنْكَرُوهُ جَدًّا،
﴿قَالُوا يُمَرِّمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ أَي: أَمْرًا عَظِيمًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ(4)،
وَقَالَ نُوَيْسُ بْنُ كِلَابٍ(5): " خَرَجَ قَوْمُهَا فِي طَلِبِهَا، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِوءَةٍ، وَشَرَفٍ،
فَلَمْ يَحْسُوا مِنْهَا شَيْئًا، فَلَقُوا رَاعِي بَقْرٍ، فَقَالُوا: رَأَيْتَ فَتَاةَ كَذَا، وَكَذَا نَعْتُهَا، قَالَ: وَلَكِنْ
رَأَيْتَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَقْرِي مَالِمَ أَرَهُ قَطٍ، قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ قَالَ: رَأَيْتَهَا اللَّيْلَةَ [سَجْدًا](6) نَحْوَ
هَذَا الْوَادِي"، وَفِي رِوَايَةٍ: " قَالَ: رَأَيْتَ نُورًا سَاطِعًا، فَتَوَجَّهُوا حَيْثُ قَالَ لَهُمْ
فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ مَرْيَمُ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قَعَدَتْ، وَحَمَلَتْ ابْنَهَا فِي حَجْرِهَا، فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا

1 - وقال عبد الرحمن بن زيد: لما قال عيسى لمريم: (أَلَا تَحْزَنِي) قالت: وكيف لا أأحزن > وأنت معي لا ذات
زوج ولا مملوكة، أي شيء عذري عند الناس؟ يا ليتني مت قبل هذا <، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾. ينظر تفسير ابن
كثير 225/5.

2 - قال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام > ﴿فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، قال ابن زيد: هذا كله من < كلام عيسى لأمه. وكذا قال وهب. ينظر تفسير ابن كثير 225/5.

3 - قال ابن زيد هذا كله كلام عيسى لأمه ووافقته وهب ﴿فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾، يقول الماوردي " إما
للإنكار عليك وإما للسؤال لك. فإن رأيت من بني آدم أحدا يكلمك عن أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك له
﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، أي: أوجبت على نفسي الله صمتا ألا أكلم أحدا من بني آدم اليوم، ينظر

تفسير ابن كثير 225/5، وتفسير الطبري 182/18. وتفسير الماوردي 367/3

4 - ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، أي: جئت بأمر عظيم كالآتي بالشيء يفتريه. قال مجاهد: فَرِيًّا عَظِيمًا.
وقال سعيد بن مسعدة: أي مختلفا مفتعلا؛ يقال: فريت وأفريت بمعنى واحد. والولد من الزنى كالشيء
المفترى. شَيْئًا فَرِيًّا فيه خمسة تأويلات: أحدها: أنه القبيح من الإفتراء، قاله الكلبي. والثاني: أنه العمل
العجيب، قاله الأخفش. والثالث: العظيم من الأمر، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي. والرابع: أنه المتصنع مأخوذ
من الفرية وهو الكذب، قاله اليزيدي. والخامس: أنه الباطل. تفسير القرطبي 99/11، وتفسير الماوردي
368/3.

5 - سبقت ترجمته ينظر (ص: 93) هامش (3) من هذا البحث،

6 - هكذا في (المتن)، ينظر اللوحة 287/ب. وعند ابن كثير [سَجْدًا]. ينظر تفسير ابن كثير 226/5، والدر
المنثور 498/5.

عليها وقالوا: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً﴾، عظيماً، ﴿يَأْخُذَ هُرُونَ﴾، يا شبيهة هارون في العبادة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءاً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾؛ أي: أنت من بيت طَيِّبٍ طاهرٍ معروف بالصلاح، والعبادة، والزهادة، فكيف صدرَ هذا منك؟ وقال السدي وغيره⁽¹⁾: قيل لها: ﴿يَأْخُذَ هُرُونَ﴾؛ أي: أخي موسى، وكانت من نسله، كما يُقال للتميمي: يا [أخي تميم]⁽²⁾ وقد نُسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تُقاس به في العبادة والزهادة، وقيل: شَبَّهوها بِرَجُلٍ فَاجِرٍ كان فيهم يُقال له: هارون، (وهذا غريب)، وأغرب من ذلك ما نُقِلَ عن محمد بن كعب القرظي⁽³⁾: أنها أُخت هارون وموسى كلِّيم الله صاحب التوراة، وهذا خطأ ظاهر<....>⁽⁴⁾ كان بين عيسى، وبينهما قرون كثيرة وأنبياء لا يحصون، وأن عيسى آخر الأنبياء، وليس بعده إلا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم <.....>، ليس بيننا نبي "⁽⁵⁾، وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه⁽⁶⁾

1 - عن السدي: كانت من أولاده، وإنما قيل: يا أخت هرون، كما يقال يا أبا همدان، أي: يا واحدا منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها، شَبَّهوها به، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به، وذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمي هرون تبركا به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهارون هذا، وأورد الماوردي في تفسيره قوله: وفي هذا الذي نسبت إليه أربعة أقاويل: أحدها: أنه كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ينسب إليه من يعرف بالصلاح، قاله مجاهد وكعب، والمغيرة بن شعبه. والثاني: أنه هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده، كما يقال: يا أبا بني فلان، قاله السدي. والثالث: أنه كان أخاها لأبيها وأمه، قاله الضحاك. والرابع: أنه كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق ونسبت إليه، قاله ابن جبير. ينظر تفسير الزمخشري 14/3 وتفسير السدي ص/340، وتفسير الماوردي 18/3.

2 - الصواب [يا أبا تميم]. ينظر تفسير ابن كثير 227/5.

3 - محمد بن كعب بن سليم بن عمرو القرظي من أهل المدينة حليف الأنصار تابعي مشهور ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأباه من أبي قريظة وأمه من بني النضير، وكان من أفضل أهل المدينة علماً وفقهاً، سمع ابن عباس، وزيد بن أرقم، وروى عن أبي هريرة وأنس، وسمع منه: الحكم بن عتبة، وابن عجلان، ت: (108هـ، 117هـ، 118هـ، 120هـ) كان يقص فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فمات هو وجماعة معه تحت السقف. ينظر الاستيعاب 429/1 برقم: 2343، والتاريخ الكبير 216/1 رقم: 679، والثقات 361/5 برقم: 5164، والجرح والتعديل 67/8 برقم: 303.

4 - وهذا خطأ ظاهر > فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل، < فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه >. ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

5 - أنا أولى الناس بابن مريم؛ إلا أنه ليس بيني وبينه نبي". أخرجه البخاري في صحيحه 1270/3 باب وأذكر في الكتاب مريم برقم: 3258 نحوه، بلفظ " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي "، ومسلم في صحيحه 1837/4 باب فضائل عيسى عليه السلام برقم: 2365 نحوه. بلفظ "الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي". ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

6 - المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أبو عبدالله أحد دهاة العرب، وقادتهم وولاتهم صحابي أسلم عام الخندق وشهد الحديبية، وكناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عيسى، ولاه عمر البصرة، ثم ولاه الكوفة وعزله عثمان، شهد اليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه باليرموك، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان واستعمله معاوية على الكوفة حتى مات فيها بالطاعون عام: 50 هـ، روى عنه الصحابة: أبو أمامة الباهلي والمسور بن مخرمة، ومن التابعين: أولاده عمر، وحمزة وغفار، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم. ينظر

قال: <.....> (1) وموسى قبل عيسى بكذا، وكذا، وقوله: <.....> (2) كانوا يُتَسَمُّونَ بالأنبياء والصالحين، <.....> (3) كان في المهد صبيًّا؛ أي: أنهم لما استرابوا في أمرها، <.....> (4) وقد كانت يومها صائمة، فأحالت الكلام <.....> (5) أن تزدري وتلعب بهم كيف نُكَلِّمُ من كان في المهد صبيًّا، <.....> (6) كَلَّمُوهُ غَضِبُوا، وقالوا: لِسُخْرِيَتِهَا بنا حتى تأمرنا أن نُكَلِّمَ هذا الصبي، <.....> (7)؛ أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وَصِغْرِهِ، كيف يتكلم؟ <.....> (8)، عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لِرَبِّهِ، وقوله: ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة، قال نوف (9): لَمَّا قالوا لأمِّه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه وأتكا على جنبه الأيسر وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، <.....> (10) فوق منكبيه، وهو يقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾، قال عكرمة: أي: قضى أن <.....> (11) درس الإنجيل وأحكمها في بطن أمه، فذلك قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾، <.....> (12) للخير نفاعاً، وقيل: بركته الأمر

الاستيعاب 1445/4 رقم : 2483، وأسد الغابة 261/5 رقم : 5056 باب الميم والغين، والإصابة 197/6 رقم : 8185 الميم والغين، والثقات 372/3 باب الميم.

1 - عن المغيرة بن شعبة قال: > بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران، فقالوا: رأيت ما نقرءون : ﴿يَأْخُذُ هُرُونَ﴾ > وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

2 - قال: > فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ألا أخبرتهم أنهم > كانوا يُتَسَمُّونَ بالأنبياء والصالحين قبلهم. ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

3 - وقوله: > ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: إنهم > لما استرابوا في أمرها. ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

4 - واستكروا قضيتها، > وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية، >، وقد كانت يومها ذلك صائمة، صامته. ينظر تفسير ابن كثير ص/227.

5 - فأحالت الكلام > عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا متهمين بها، طائنين أنها > تزدري بهم وتلعب بهم. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

6 - وقال السدي: لما أشارت إليه غضبوا، وقالوا: لَسُخْرِيَتِهَا. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

7 - > هذا الصبي أشد علينا من زناها. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

8 - قال: > ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

9 - ويقصد به نوف البكالي وقد سبقت ترجمته ينظر ص/ 93 هامش (3) من هذا البحث

10 - > وقال حماد بن سلمة، عن ثابت البناني: رفع إصبعه السبابة > فوق منكبه، وهو يقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

11 - قال عكرمة: أي قضى > أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى. عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كان عيسى ابن مريم > قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

12 - > ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ قال مجاهد، وعمرو بن قيس، والثوري: وجعلني معلماً للخير. > وفي رواية عن مجاهد: نفاعاً. ينظر تفسير ابن كثير ص/228.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، أينما كان، وقوله: <.....> (1)، كقوله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (2)، والمراد بالزكاة <.....> (3)؛ أي: وأمرني ببرِّ والدتي، ذكره بعد طاعة ربِّه، لأنَّ الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته، وبين طاعة الوالدين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيئاً﴾، أي: ولم يجعلني جباراً مُستَكْبِراً عن طاعته وعبادته، وبرِّ والدتي، فأشقى بذلك، قال بعضهم: " لا نجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً " (4) قال قتادة: " أن امرأة [رأت] (5) (عيسى بن مريم) (6)، يُحيي الموتى، ويبرئ الأكمه، والأبرص في آيات سلَّطه الله عليهن، وأذن له فيهن، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعت به، فقال عيسى يُجيبها: " طوبى لمن تلا كتاب الله، فأتبع ما فيه، ولم يكن جباراً شقياً "، وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾، إلى آخره، إثبات منه لعبوديته لله - عزَّ وجلَّ - وأنه مخلوق من خلق الله يحيا، ويموت، ويُبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما تكون على العباد.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

- 1 - وقوله: < ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ كقوله تعالى < لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ .. ينظر تفسير ابن كثير ص/229.
- 2 - ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الآية (99) من سورة الحجر
- 3 - < ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ قال: أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ، ما أثبتها لأهل القدر. وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ ، أي: وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة الله ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين. ينظر تفسير ابن كثير ص/229.
- 4 - أورد ابن جرير في تفسيره : عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي قال: (لا تجد سيئ الملكة) إلا وجدته مختالاً فخوراً. وتلا: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُجِبُ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ النساء الآية 36، ولا (عاقاً) إلا وجدته جباراً شقياً. وتلا: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيئاً﴾. ينظر تفسير الطبري 350/8، والدر المنثور 537/2، والمحرم الوجيز 62/2.
- 5 - [رأت] يبدو أن هذه اللفظة قد سقطت من الناسخ، وقد وجدتها في تفسير ابن كثير 230/5.
- 6 - تحذف ألف (ابن) في ثلاثة مواضع:
 - 1 . إذا دخلت عليها همزة الاستفهام كأن تقول: أبنتك محمد؟
 - 2 . إذا دخلت عليها ياء النداء نحو: يا بن القاسم، يا بن آدم.
 - 3 . إذا وقع (ابن) بين علمين متناسبين، بأن يكون ثانيهما أبا للسابق ويقول الحريري: تحذف الألف من (ابن) إذا وقع صفة بين علمين من أعلام الأسماء، أو الكنى، أو الألقاب ليؤذن بتنزله مع الاسم قبله بمنزلة الاسم الواحد، لشدة اتصال الصفة بالموصوف، وحلوله محل الجزء منه، ينظر درة الغواص للحريري 46/1، والمطالع النصرية ص/342.

أي: ذلك الذي قصصناه عليك يا محمد ﷺ خبر عيسى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: يختلف المُبطلون، والمُحِقُّون بمن آمن به، وكَفَرَ به، ولهذا قرأ الأكثرون ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ مرفوعاً، وقرأ عاصم⁽¹⁾، وابن عامر⁽²⁾، منصوباً، وعن ابن مسعود⁽³⁾ أنه قرأ: " ذلك عيسى ابن مريم قال الحق "، والرفع أظهر⁽³⁾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾⁽⁴⁾، ولما ذكر تعالى أنه خلقه نبياً نَزَهَ نفسه المُقدَّسة، فقال ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه أي: عمّا يقول هؤلاء الجاهلون المعتدون علواً كبيراً ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، أي: إذا أراد شيئاً، فإنما يأمر به، ويصير كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: ومما أمر به عيسى قومه في مهده <.....>⁽⁶⁾ وربهم، وأمرهم بعبادته، فقال: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: هذا الذي جئتم به، <.....>⁽⁷⁾ وَهَدَى وَمَنْ خَالَفَ ضَلَّ وَغَوَى، وقوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾؛ أي: <.....>⁽⁸⁾ ووضوح حاله، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته

1 - - عاصم بن أبي النجود الأسدي وهو عاصم بن بهدلة، كان اسم أبي النجود بهدلة ، بفتح النون وضم الجيم، وقد غلط من ضم النون، ويقال أبو النجود أسم أبيه، لا يعرف له أسم غير ذلك، وبهدلة اسم أمه، كنيته أبو بكر من أهل الكوفة، القارئ بالكوفة في زمانه، وأخذ السبعة. وكان صالحاً خيراً حجةً في القرآن. صدوقاً في الحديث. أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، وطائفة من كبار التابعين، وهو معدود في صفار التابعين، روى القراءة عنه: أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد، وحفص بن سليمان، وحماد بن سلمة، وخلق لا يحصون، وروى عنه: حروفاً من القرآن أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، والحارث بن نبهان وغيرهم، (ت: 120هـ - 130هـ). ينظر النقات 256/7. سير أعلام النبلاء 256/5، والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص/70، والعيبر 167/1 باب سنة 128هـ، وغاية النهاية 343/1 رقم: 1440.

2 - ابن عامر : هو أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، بضم الصاد، وكسر ها نسبة إلى يحصب بن دهمان ، وكان عبد الله قد أخذ القراءة عن: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وقيل: إنه قرأ على عثمان نفسه نصف القرآن، وورد أيضاً أنه قرأ على أبي الدرداء، وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام، وبلاد الجزيرة إلا نفرا من أهل مصر، فإنهم ينتحلون قراءة نافع، والغالب على أهل الشام، قراءة ابن عامر. ت: 118هـ. ينظر السبعة في القراءات ص/85، والعيبر 149/1، وغاية النهاية 425/1.

3 - وَأَخْتَلَفَ فِي (قول الحق) فقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب اللام، على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة، أي: هذا الإخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها، وقرأ الباقون برفعها، وخيره مبتدأ محذوف أي: هو، أي: نسبته إلى أمه فقط قول الحق، ويُقرأ (قال الحق)، و(القال) اسم للمصدر مثل (القول)، و(قَوْلَ الْحَقِّ) بضم القاف مثل الروح. ينظر إتحاف فضلاء البشر 377/1، والتبيين في إعراب القرآن 874/2، والنشر في القراءات العشر 318/2.

4 - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الآية (147) من سورة البقرة. وقال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الآية (60) من سورة آل عمران

5 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية (59) من سورة آل عمران
6 - أمر عيسى به قومه وهو في مهده، > أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربهم، وأمرهم بعبادته، فقال: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. ينظر تفسير ابن كثير 230/5.

7 - هذا الذي جئتم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى.

8 - وقوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: > اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره < ووضوح حاله. ينظر تفسير ابن كثير 231/5.

ألقاها إلى مريم وروح منه، <.....> (1) ولد زنيّة، وقالوا: كلامه هذا سحر، وقالت طائفة أخرى: إنّما يكلم الله، وقال آخرون: <.....> (2) وقال آخرون: هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين، <.....> (3) اجتمع بنو إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فأمروا في عيسى حين رُفِع <.....> (4) إلى الأرض، فأحيا من أحياء، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم (اليعقوبية) (5) وقال: الثلاثة كذبت، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل أنت فيه، قال: هو ابن الله، وهم (النسطورية) (6)، فقال الاثنان كذبت، ثم قال أحد الأثنين للآخر: قل فيه، قال: هو ثالث ثلاثة: "الله إله، وهو إله، وأمه إله"، وهم (الإسرائيلية) (7) ملوك النصارى، قال الرابع: كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، وهم (المسلمون)، فكان لكل رجل أتباع على ما قالوا فاقتتلوا، وظهروا على المسلمين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ (8)، وهم الذين قال الله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، قال قتادة: فاختلفا فيه فصاروا أحزاباً كما مرّ

1 - > فصممت طائفة -وهم جمهور اليهود، عليهم لعائن الله <، على أنه ولد زنيّة. ينظر تفسير ابن كثير 231/5.

2 - وقال آخرون: > هو ابن الله، وقال آخرون: ثالث ثلاثة. وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله <.

3 - > عن قتادة في قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ، قال: <اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم . ينظر تفسير ابن كثير 231/5.

4 - فقال أحدهم: > هو الله هبط إلى الأرض <. ينظر تفسير ابن كثير 231.

5 - اليعقوبية: وهم أصحاب يعقوب بن علي الكوفي، وقالوا بالأقانيم الثلاثة، وزعم أكثرهم أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبا كما تركيب النفس، والبدن، فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا، وهو إنسان كله وإله كله، فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار الناسوت المسيح، وقالت اليعقوبية أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات، وصلب، وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام، ورجع، كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثًا، وأن المحدث عاد قديماً يقولون أن روح البارئ، اختلط ببطن عيسى اختلاط الماء باللبن، وقالوا أن الله نزل فدخل في بطن مريم فاتخذ من لحمها جسداً، فصار الله مع الجسد واحداً. (تعالى الله جل في علاه علواً كبيراً). ينظر اعتقادات المسلمين والمشرّكين 84/1 الفصل الثاني، بحث في الملل والنحل 224/1، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم 48/1، والملل والنحل للشهرستاني 220/1.

6 - النسطورية: وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج، كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به، كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم، وقالوا إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله، (تعالى الله عن كفرهم)، وهذه الفرقة غالبية على الموصل، والعراق، وفارس، وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور بطربركا بالقسطنطينية، ويقولون ليست تلك النفس هي الله، وإنما هي بعضه، وهذا هو البهتان الذي يعلم بطلانه كل إنسان، ينظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام 127/1. والفصل في الملل والنحل لابن حزم 48/1، والملل والنحل للشهرستاني 223/1

7 - الإسرائيلية: وهو الذين يقولون إن المسيح إله، والله إله، وأمه إله " ينظر تفسير الرازي 186/21.

8 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية: (21) من سورة آل عمران.

أَيْفَا" (1)، وقوله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، تهديد أكيد ووعد شديد لمن كذب على الله وافترى، وزعم أن له ولداً، ولكن أَنْظَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَجَلَّهُمْ حَلَمًا وَثِقَةً بِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يُعَجِّلُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ، وفي الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال صلى الله عليه وسلم: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، أنهم يجعلون له الولد، وهو يرزقهم ويعافيتهم" (2)، ولهذا قال: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: يوم القيامة، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت (3) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأنَّ الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (4)

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

أخبر تعالى عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (5) الآية، فقال أسمع بهم؛ أي: ما أسمعهم، وأبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، يعني يوم القيامة، ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا في ضلال مبين؛ أي: لا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يعقلون، فحيث يطلب منهم الهدى، فلا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك، ثم قال تعالى

1 - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً، أي ما بينهم فاختلقت الفرق أهل الكتاب في أمر عيسى عليه السلام فاليهود بالقدح والسحر. والنصارى، قالت النسبورية منهم: هو ابن الله. والملكانية ثالث ثلاثة. وقالت اليعقوبية: هو الله؛ فأفرطت النصارى وغلّت، وفرطت اليهود وقصرت. وقال مجاهد: الأحزاب هم أهل الكتاب. ينظر تفسير القرطبي 106/11. وتفسير مجاهد 455/1.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 2262/5 برقم: 5748 باب الصبر على الأذى، ومسلم في صحيحه باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل برقم: 2804 نحوه.

3 - عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري أبو الوليد، وكان جميلاً طويلاً جسيماً، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرًا، وأحداً والمشاهد كلها، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات، جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من سادات الصحابة، روى عنه ابنه الوليد، وحفيده عبادة بن الوليد وأنس بن مالك، وجبير بن نفير، وكان نقيباً على قواقل بني عوف، وسموا قواقل لأنهم كانوا في الجاهلية إذا نزل بهم الضيف، قالوا له قوقل حيث شئت يريدون اذهب حيث شئت، وقل ما شئت، فإن لك الأمان لأنك في ذمتي، ت: 34 هـ. ينظر أسد الغابة 158/3 برقم: 2778، وإسعاف المطبأ 15/1 حرف العين، والأنساب 513/3 باب الدال والياء، والثقات 302/3.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1267/3 باب يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم برقم: 3252 نحوه، ومسلم في صحيحه 57/1 باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة برقم: 46 به.

5 - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآية (12) من سورة السجدة.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾؛ أي: أُنذر الخلائق يوم الحسرة، ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ أي: فصل بين أهل الجنة، وأهل النار، ودخل كلُّ إلى ما صار إليه مخلداً فيه، ﴿وَهُمْ﴾ أي: اليوم ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عمّا أُنذروا به، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يُصدّقون به، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم - " إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يُجاء بالموت، كأنه كبش أملح، فيُوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا، قال: فيشربون، ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ويُقال يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت" (1)، قال: ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وأشار بيده وقال: " أهل الدنيا في غفلة الدنيا" (2)، رواه أحمد، والسياق له، قال ابن عباس رضي الله عنه: " الحسرة من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله وحذّره عباده " وهو إشارة إلى قوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (3)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، أخبر تعالى: أنه الخالق المال المتصرّف، وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو - تعالى وتقدّس - <.....> (4)، خلقه، والباقي بعدهم، الحاكم فيهم وإليه مصيرهم، ومرجعهم فيجزئهم بأعمالهم.

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾

أي: أُنذر في الكتاب إبراهيم واتله على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذي هم من ذريته، ويَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ، وقد كان صِدِّيقاً نَبِيّاً مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام، فقال: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾؛ أي: لا ينفعك، ولا يدفع عنك

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1760/4 تفسير سورة مريم برقم: 4453 نحوه، ومسلم في صحيحه 2188/4 باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم: 2849 نحوه.

2 - أخرجه أحمد في مسنده 120/17 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11066. بدون لفظ " أهل الدنيا في غفلة الدنيا ". وقال ابن عباس: (الْحَسْرَةُ) من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله، وحذّره عباده. ينظر تفسير الطبري 201/18.

3 - ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ الآية (56) من سورة الزمر.

4 - وتقدس < الوارث لجميع > خلقه والباقي بعدهم الحاكم فيهم. ينظر تفسير ابن كثير 234/5.

ضرراً، ﴿يَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، وإن كنت من صُلبِكَ، وتراني أصغر منك لأني ولدك، فاعلم أنني قد اطلعتُ من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت، ولا اطلعت عليه، ولا جاءك بعدُ، ﴿فَأَتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾؛ أي: طريقاً مُستقيماً موصلاً إلى نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب ﴿يَأْتِي لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ﴾؛ أي: لا تُطعُه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك، والراضي به، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكَ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (1)، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾؛ أي: مُخَالِفاً مُسْتَكْبِراً عن طاعة ربه، فَطَرَدَهُ وَأَبَعَدَهُ، فلا تتبعه تصير مثله، ﴿يَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾؛ أي: يُصِيبُكَ ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، أي: على شركك، وعصيانك لما أمرك به، ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يعني: لا يكون لك مولى، ولا، ناصرأ، ولا مُغيثاً إلا إبليس، فيكون مُوجباً لإحاطة العذاب بك.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

أخبر تعالى عن جواب أزر لولده إبراهيم إذ دعاه إليه أنه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، أما إذ لا تُريد عبادتها، ولا ترضاها، فأنته عن سبها، وشتمها، وإلا اقتصت منك، وشتمتك، وهو قوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، قاله ابن عباس رضي الله عنه وغير واحد (2) وقوله: ﴿واهجُرني مَلِيًّا﴾، قالوا: أي: دهرأ وزماناً طويلاً قبل أن تُصيبك مني عقوبة، فعندها قال إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكَ﴾، كما قال تعالى في وصفه المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (3)، يعني: أمّا أنا فلا ينالك مني مكروه، ولا أذى، وذلك لِحُرْمَةِ الأبوة، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾؛ أي: سأسأل الله فيك أن يهديك، ويغفر ذنبك ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه وغير واحد (4): أي:

1 - ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية (60) من سورة يس.
2 - ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ أترغب عنها إلى غيرها، ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال الحسن: يعني بالحجارة. وقال الضحاك: بالقول أي لأشتمتك. وقال ابن عباس: لأضربنك. وقيل: لأظهرن أمرك. ينظر تفسير السدي 341، وتفسير الطبري 205/18، وتفسير القرطبي 111/11، وتفسير الماوردي 374/3.
3 - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الآية (63) من سورة الفرقان.

4 - قال ابن عباس: أي: لطيفاً في أن هداني لعبادته، وقال السدي: الحفي الذي يهتم بأمره، الحفي المبالغ في البر والإلطف؛ يقال: حفي به وتحفي إذا بره. وقال الكسائي يقال: حفي بي حفاوة وحفوة. وقال الفراء: "كان بي عالماً لطيفاً يجيب دعائي إذا دعوته"، وفيه خمسة أوجه: أحدها: مُقَرَّباً. والثاني: مُكْرَماً. والثالث: رحيماً قاله مقاتل. والرابع: عليماً، قاله الكلبي. والخامس: متعهداً. ينظر تفسير السدي ص/341، وتفسير القرطبي 113/11، وتفسير الماوردي 375/3 ومعاني القرآن للفراء 169/2.

لطيفاً؛ أي: في أن هداني لعبادته والإخلاص له، قال السدي: " الحَفِيّ الذي يهتم بأمره " (1) وقد استغفر إبراهيم لأبيه مدة طويلة مديدة بقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (2)، وكذا المسلمون يستغفرون لقراباتهم من المشركين في ابتداء الإسلام حتى أنزل الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ (3) الآية. ثم بيّن تعالى أنّ إبراهيم أفلح عن ذلك، ورجع عنه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (4)، وقوله ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾، أي: وأعبد ربّي وحده لا شريك له ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، وعسى هذه موجبة لا محالة، فإنّه عليه السلام سيّد الأنبياء بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - أي: عسى ألا أسقى بعبادته ودُعائه، كما يشقون بعبادة الأصنام، وأن يجيبني إذا دعوته.

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

أي: لما اجتنب الخليل أباه، وقومه في الله، وأعرض عنهم، أبدله الله بمن هو خير منهم وهب له إسحاق ويعقوب، يعني: ابنه وابن ابنه، كما قال: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (5)، ولا شك أن اسحاق والد يعقوب بنص القرآن، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ (6)، الآية، وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق

1 - ينظر تفسير السدي ص/341.

2 - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ الآية (41) من سورة إبراهيم .

3 - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ . من سورة الممتحنة.

4 - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ من سورة التوبة .

5 - ﴿وَأَمْرُهُ قَانِمَةٌ فَصَحَّكَتْ فَبَسَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ الآية (71) من سورة هود.

6 - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَحْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الآية (133) من سورة البقرة.

بن إبراهيم⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾، قالوا: إنما هو ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد النجباء ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾، أي: الثناء الحسن، فإن جميع الملل، والأديان يتنون عليهم، ويمدحونهم .

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ .

أي: واذكر أيضاً يا محمد في الكتاب - وهو القرآن - موسى ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، قرأ بعضهم: بكسر اللام⁽²⁾، من الإخلاص في العبادة، قال الحواريون: يا روح الله أخبرنا عن المخلص لله، قال: الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس، وقرأ الآخرون بفتحها بأنه كان مصطفىً، كما قال: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾⁽³⁾ ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ جمع له بين الوصفين، فإنه كان من أولي العزم الخمسة⁽⁴⁾ وهم: " نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم - ﴿وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾؛ أي: الجبل من جانبه الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة رأها تلوح، فقصدتها، فوجدتها من جانب الطور الأيمن منه شاطئ الوادي، فكلمه تعالى وناداه وقرببه، وناجاه، قال ابن عباس وغير واحد⁽⁵⁾: "أُذِنِي حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ، يَعْنِي: صَرِيْفَ الْقَلَمِ بِكِتَابَةِ التَّوْرَةِ، وَقَالَ السُّدِّي: " أُذْخِلَ فِي السَّمَاءِ فَكَلَّمَ " ⁽⁶⁾، وقال بعض الصحابة: " لما قرب الله موسى

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1237/3 باب أم كنتم شهداء برقم : 3202 به ، وفي الأدب المفرد 399/2 باب من دعا في غيره من الدعاء برقم : 624 نحوه ، وأحمد في مسنده 523/9 مسند ابن عمر برقم : 5712 به وابن حبان في صحيحه 92/13 باب التفاضر برقم : 5776 نحوه ، والحاكم في مستدرکه 377/2 تفسير سورة يوسف برقم : 3325 . والطبراني في الأوسط 116/3 باب من اسمه إبراهيم برقم: 2657 .

² - يقرأ بفتح اللام وكسرهما فالحجة لمن (فَتَحَ) أنه أراد اسم المفعول به من قولك أخلصهم الله فهم مخلصون والحجة لمن (كَسَرَ) أنه أراد اسم الفاعل من أخلص فهو مخلص ومنه قوله تعالى في سورة مريم ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ ، واختلفوا في فتح اللام وكسرهما في سورة مريم، فقرأ ابن كثير وناقع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية الكسائي عن أبي بكر والمفضل عن عاصم (مُخْلَصًا) بكسر اللام ، وقرأ عاصم في رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر وحفص عنه (مُخْلَصًا) بفتح اللام ، وقرأ حمزة والكسائي (مُخْلَصًا) بفتح اللام أيضاً، ينظر الحجة في القراءات السبعة 194/1 تفسير سورة يوسف . والسبعة في القراءات 410/1 .

³ - ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الآية (144) من سورة الأعراف

⁴ - أولي العزم الخمسة : عن عطاء الخراساني أنهم " نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم - " ينظر تفسير الطبري 144/22 تفسير الآية : 35 من سورة مريم .

⁵ - ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه قربه من الموضوع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه . والثاني : أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صريف القلم ، قاله ابن عباس ، وقال غيره : حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة . والثالث : أنه قربه تقرب كرامة واصطفاء لا تقرب اجتذاب وإدناء لأنه لا يوصف بالحلول في مكان دون مكان . وقال السدي: " أُذْخِلَ فِي السَّمَاءِ فَكَلَّمَ " . ينظر تفسير السدي 341، وتفسير الطبري 210/18، وتفسير الماوردي 375/3 .

⁶ - ينظر تفسير السدي 342 . والدر المنثور 515/5 .

نجياً بطور سينا، قال يا موسى: [إني]⁽¹⁾، خلقت لك قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجةً تعينُ على الخير، فلم أخرجك من الخير، ومن أخرجك من الخير، فلم أفتح له من الخير شيئاً⁽²⁾، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ ؛ أي: وأجبنا له سؤاله، وشفاعته في أخيه، فجعلناه نبياً، كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾⁽³⁾، الآية، قال بعض السلف: " ما شفع أحدٌ في أحدٍ شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هارون، أن يكون نبياً "⁽⁴⁾، قال ابن عباس: " كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد أن يهب له نبوته "⁽⁵⁾.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٢﴾﴾.

أثنى الله على نبيه إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - ، وهو والد عرب الحجاز كلهم، بأنه ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، قال ابن جريج: " لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعني ما ألتزم عبادة قط بنذر، إلا قام بها ووفاهها حقها "⁽⁶⁾، وقال ابن عيينة: " إنه وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، ونسي الرجل، فأقام بهذا المكان ينتظره حولاً، واتخذ ذلك الموضع مسكناً حتى جاءه "، وعن عبدالله بن أبي الحمساء⁽⁷⁾ قال: "بايعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يُبعث وبقيت له بقية، فوعده أن آتية بها في مكانه، فنسيت، فذكرت بعد ثلاث، فإذا هو في مكانه، فقال: قد شققت علي،

1 - وجدتُها في تفسير ابن كثير بلفظ: [إذا]. ينظر تفسير ابن كثير 238/5.

2 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13147/2411، عن عمرو بن معد يكرب. والدر المنثور 515/5.

3 - ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ من سورة القصص

4 - " ما شفع أحدٌ في أحدٍ أعظم من شفاعته موسى في هارون " ينظر تفسير ابن كثير 238/5.

5 - قال ابن عباس: " كان هارون أكبر من موسى "، وقيل أن هارون أكبر من موسى بسنة، وقيل: بثلاث وقيل بأربع، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13146/4211، وتفسير الطبري 300/13 وتفسير القرطبي 197، 193/11.

6 - وصفه بصدق الوعد لأنه وعد رجلاً أن ينتظره، قال ابن عباس: حولاً حتى آتاه. وقال يزيد الرقاشي: انتظره اثنين وعشرين يوماً. وقال مقاتل: انتظره ثلاثة أيام. وعن سهل بن عقيل: " أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظلَّ به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد". وقيل: " إنه وعد من نفسه بالصبر على الذبح فصبر حتى فدى ". وهذا في قول من يرى أنه الذبيح. ينظر تفسير ابن جريج ص/212، وتفسير الطبري 211/18. وتفسير القرطبي 114/11. وتفسير الماوردي 376/3.

7 - عبدالله بن أبي الحمساء العامري بالمهملتين المفتوحتين وبينهما الميم ساكنة عداده من البصريين، وله صحبة، له حديث واحد مختلف في إسناده رواه أبو داود، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه باع منه بيعة قبل أن يُبعث، وقيل أنه ابن أبي الجدعاء، وابن منده وأبو نعيم رأياه واحداً لأنهما لم يذكرنا نسباً يفرق بينهما، ويقول ابن حجر: " يقال أنه عبدالله بن أبي الجدعاء، والصحيح أنه غيره، ولم أقف على سنة وفاته. ينظر الاستيعاب 893/3 باب عبدالله برقم: 1515، وأسد الغابة 98/2، والإصابة 63/4، والنقات 239/3 برقم:

أنا (ههنا) منذ ثلاث انتظرك" (1) رواه أبوداود، وقال بعضهم: إنما قيل له صادق الوعد، لأنه قال: لأبيه: ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فَصَدَّقَ فِي ذَلِكَ، فَصَدَّقَ الوَعْدَ من الصفات الحميدة، كما أنَّ حُفُّهُ من الصفات الذميمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (2)، وفي الحديث الصحيح في صفة المنافقين " وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ " (3)، وقوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، دلالة على شَرَفِ إسماعيل على أخيه إسحاق: أنه إنما وُصِفَ بالنبوءة فقط، وإسماعيل وصف بالرسالة والنبوءة، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إنَّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل " (4)، وذكر تمام الحديث، فدل على شرفه، وفضله على إسحاق، وقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾، هذا أيضاً من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، حيث كان مُدَاوِمًا على طاعة رَبِّه أَمْرًا بها أهله، كما قال تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ (5)، وقوله: ﴿أَهْلَهُ﴾؛ أي: قومه، وقيل: جميع أمته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (6)، الآية. أي: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر، وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةٍ قالوا: قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين، كُتِبَا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات " (7)، رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه. ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾؛ أي: قائماً لله بطاعته، وقيل: رضى لرسالته ونبوءته.

1 - أخرجه أبوداود في سننه 717/2 باب في العدة برقم : 4996 نحوه ، والبيهقي في سننه 198/10 باب من وعد غيره شيئاً ومن نيته أن يفئ به برقم : 21356 نحوه ، أورده الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود 496/10 برقم : وقال : ضعيف الإسناد.

2 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الآية (2) من سورة الصف.
3 - أخرجه البخاري في صحيحه 21/1 باب علامة المنافق برقم : 33 بلفظ : " آية المنافق ثلاث " - ومسلم في صحيحه 78/1 باب بيان خصال المنافق برقم : 107 بلفظ " آية المنافق ثلاث " .

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 1782/4 باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم برقم : 2276 بلفظ " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ... " ، والترمذي في سننه 583/5 باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم برقم : 3605 ، وأحمد في مسنده 194/28 مسند واثلة بن الأسقع برقم : 17028 ، والطبراني في الكبير 66/22 باب من اسمه واثلة برقم : 161 ، والبيهقي في شعب الإيمان 139/2 فصل في إدامة ذكر الله برقم : 1328 .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح
5 - ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْلُكُ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ الآية (132) من سورة طه.

6 - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ الآية (6) من سورة التحريم.

7 - أخرجه أبوداود في سننه 455/4 باب الحث على قيام الليل برقم : 1453 ، والنسائي في سننه 413/1 ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا برقم : 1310 ، وابن ماجه في سننه 423/1 باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل برقم : 1335 نحوه ، وابن حبان في صحيحه 307/6 باب النوافل برقم : 2568 نحوه.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

هذا ثناء من الله على إدريس، بأنه كان صديقاً نبياً، وأن الله رفعه مكاناً علياً، وقد تقدم في قصة الإسراء والمعراج " أنه - عليه الصلاة والسلام - مرَّ به، وهو في السماء الرابعة " (1)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أنه رُفِعَ إلى السماء السادسة، فمات بها، روى ابن جرير (ههنا) (2) أمراً غريباً عجيباً أن ابن عباس رضي الله عنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ قال كعب: " إن الله أوحى إلى إدريس، إنِّي أدفع لك كل يوم مثل عمل جميع أهل زمانه من بني آدم، فأحب أن ازداد عملاً، فأتاه خليل من الملائكة، إن الله أوحى كذا، وكذا، فكلَّم إلى ملك الموت، فليؤخرني حتى ازداد عملاً، فحمله بين جناحه، ثم صعد إلى السماء، فلما كان السماء الرابعة تلقَّاهم مُنحدرًا، فكلَّم ملك الموت في الذي كلَّمه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال: فالعجب، قيل: لي أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول، وكيف أقبض روحه في السماء الرابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك" (3) وفي رواية: " قال إدريس لذلك الملك: هل لك أن تسأل ملك الموت؟ كم بقي من أجلي؟ لكي ازداد من العمل، ولما سأله قال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال: إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك إلى إدريس تحت جناحه، فإذا هو قد قبض روحه ولا يشعر به "، هذا من أخبار كعب من الإسرائيليات، (وفي بعضه نكارة) (4)، قال ابن عباس رضي الله عنه: " وكان إدريس خياطاً، وكان لا يغرز إبرة إلا قال: سبحان الله، وكان يمشي حين يمشي، وليس في الأرض أحدٌ أفضل عملاً منه" (5)، وقال مجاهد: إدريس رُفِعَ ولم يمُت كما رفع عيسى، وهو جد أبي نوح، واسمه أخنوخ سُمِّي إدريساً لكثرة درسه الكتب" (6).

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1173/3 باب ذكر الملائكة برقم: 3035، ومسلم في صحيحه 145/1 باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم برقم 162. والحديث ورد مطولاً في الصحيحين.

2 - والصواب: (هاهنا) ينظر ص/71 هامش رقم: (2) من هذا البحث.

3 - قال كعب: " فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدرًا، فكلَّم ملك الموت في الذي كلَّمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس. فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وقال مقاتل: " يعني في السماء الرابعة وفيها مات ". ينظر تفسير الطبري 212/18. وتفسير مقاتل بن سليمان 316/2.

4 - ينظر تفسير ابن كثير 241/5.

5 - قال ابن عباس " كان إدريس خياطاً لا يغرز إبرة إلا قال سبحان الله " أورده ابن كثير في تفسيره 241/5.

6 - قال مجاهد إدريس رفع ولم يمُت . إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليس المخيط ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها . وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى ، ينظر تفسير القرطبي 117/11.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾

أي: هؤلاء النبيون، والمراد جنسهم لا المذكورون في هذه السورة فقط، فاستطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾، الآية. قال السدي وابن جرير: " فالذي عني به ممن حملنا مع نوح: إبراهيم، والذي عني به من ذرية إبراهيم: إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، والذي عني به من ذرية إسرائيل: موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى وعيسى بن مريم "، ولذلك فرق أنسابهم، وإن كان يجمع جميعهم آدم، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وهو جد نوح - عليهم السلام - على الأظهر⁽¹⁾، وقد قيل: إنه من أنبياء بني إسرائيل أخذاً من حديث الإسراء، حيث قال في سلامه على النبي - صلى الله عليه وسلم - مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح⁽²⁾ ولم يقل: والابن الصالح، كما قال آدم وإبراهيم. ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء، وأنها كقوله في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾⁽³⁾، إلى قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾⁽⁴⁾، وفي البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس⁽⁵⁾: " أفي ص سجدة ؟ قال : نعم "⁽⁵⁾، ثم تلا هذه الآية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدَهُ﴾⁽⁶⁾، فنبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم، قال: وهو منهم يعني داود، وقال تعالى: في هذه الآية ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي:

1 - أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم. يريد إدريس وحده ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يريد إبراهيم وحده ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ، فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم ، ولإبراهيم شرف القرب من نوح، ولإسماعيل وإسحاق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي إلى الإسلام ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ بالإيمان ينظر تفسير الطبري 214/18، وتفسير القرطبي 120/11.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 135/1 باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء برقمك 342، ومسلم في صحيحه 148/1 باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: 163.

3 - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نِّسَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (83) من سورة الأنعام
4 - وهذا (خطأ فادح) قد يكون وقع الناسخ فيه، فاستشهاده في هذا الموضوع قد خلط آيتين من سورتين مختلفتين ببعضهما، من سورة النساء، وسورة غافر دون أن يشير إلى ذلك، فببدت كأنهما آية واحدة، والصواب هو: قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (164) من سورة النساء. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآية (78) من سورة غافر.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 1695/4 سورة الأنعام برقم: 4356.

6 - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية (90) من سورة الأنعام.

إذا سمعوا كلام الله المتضمن حُجَجَهُ ودلائله وبراهينه، خرُّوا سُجَّدًا، أي: سجدوا لربهم، خضوعاً، واستكانة، وحمداً، وشكراً، على ما فيه من النعم العظيمة باكين، والبيكي: جمع باكٍ، فهذا أجمعوا على السجود على شرعية السجود (ههنا) إقتداءً بهم، وإتباعاً لهم.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۗ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۗ﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء - وهم الأنبياء - عليهم السلام - ومن اتبعهم من القائميين بأوامر الله وحدوده، ذكر أنه خلف من بعدهم خلف؛ أي: قرون أخر أضاعوا الصلاة فإذا أضاعوا الصلاة، فهم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين، وقوامه وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا، وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًّا؛ أي: خساراً يوم القيامة، وقد اختلفوا في إضاعة الصلاة (ههنا)، فقال بعضهم: المراد تركها بالكلية، ولهذا ذهب من ذهب من الأئمة كما هو المشهور عن أحمد⁽¹⁾، وقول عن الشافعي: " إلى تكفير تارك الصلاة"⁽²⁾، للحديث: " بين العبد والكفر ترك الصلاة"⁽³⁾، وفي حديث آخر: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"⁽⁴⁾ وليس هنا محل بسط هذه المسألة. وقال بعضهم: المراد إضاعة المواقيت، ولو كان تركاً كان كُفراً، وعن ابن مسعود⁽⁵⁾ أنه قيل له: إن الله يُكثِرُ ذكر الصلاة في القرآن الكريم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁵⁾،

¹ - حكم تارك الصلاة وقضائها عن الميت، جاء في مسائل الإمام أحمد: قلت رجل فرط في الصلاة فلما أدركه الموت أقر بذلك فقال: الصلاة لا تُقضى، ولكن يصدق عنه. وجاء أيضاً: قلت: فإن تركها، ولم يصل، قال: إذا كان عامداً استتبتة ثلاثاً، فإن تاب، وإلا قتل، من ترك الصلاة وهو بالغ عاقل جاحداً لها، أو غير جاحد دعي إليها في وقت كل صلاة ثلاثة أيام، فإن صلى، وإلا قتل. ينظر المغني لابن قدامة 297/2 باب الحكم في من ترك الصلاة، ومسائل الإمام أحمد 375/1 مسائل رقم: 348 - 349

² - قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من ترك الصلاة المكتوبة ممن دخل في الإسلام، قيل له: لم لا تصلي؟ فإن ذكر نسينا، قلنا: فصلِّ إذا نكرت، وإن ذكر: مرضاً، قلنا: فصلِّ كيف أطقت: قائماً، أو قاعداً، أو مضطجعا أو مومياً، فإن قال: أنا أطيق الصلاة وأحسنها، ولكن لا أصلي، وإن كانت على فرض، قيل له: الصلاة عليك شيء لا يعمله عنك غيرك، ولا تكون إلا بعملك، فإن صليت، وإلا استتبتناك، فإن تبت، وإلا قتلناك". ينظر الأم 291/1، والمغني لابن قدامة 297/2 باب الحكم في ترك الصلاة .

³ - أخرجه مسلم في صحيحه 88/1 باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم: 134 نحوه وأبو داود في سننه 353/4 برقم : 4680 باب في رد الإرجاء، والترمذي في سننه 13/5 باب ترك الصلاة برقم : 2618 نحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب

⁴ - أخرجه النسائي في سننه 231/1 باب الحكم في تارك الصلاة برقم: 463 به، والترمذي في سننه 13/5 باب ترك الصلاة برقم: 2621 به ، وابن ماجه في سننه 342/1 باب ما جاء في ترك الصلاة برقم: 1079 به وأحمد في مسنده 20/38 مسند بريدة بن حصيب برقم: 22937 به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب

⁵ - ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الآية (5) من سورة الماعون.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾⁽²⁾، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال: ذاك الكفر⁽³⁾، وعن مجاهد في قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ قال: "عند قيام الساعة" وذهاب صالحٍ هذه الأمة، يَنْزَوِي بعضهم على بعض في الأزقة، والطرق لا يخافون، ولا يستحيون من الناس⁽⁴⁾، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يكون خلف بعد ستين سنة ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، ثم: يكون خلف يقرأون القرآن، لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر، المؤمن: مؤمن به، والمنافق: كافر به، والفاجر: يتأكل به"⁽⁵⁾ رواه أحمد وابن أبي حاتم، وقال الحسن: "أي: عَطَّلُوا المساجد ولَزِمُوا الضيعات"⁽⁶⁾، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: أي: خسراناً، وقال قتادة وغيره: "هو وادٍ في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم من قيح ودم"⁽⁷⁾ وفي الحديث: "لو أن صخرة زنة عشر عشرات، قذف

1 - ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الآية (23) من سورة المعارج.

2 - ﴿وَهَذَا كَتَبَ أَنْزَلَهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية (92) من سورة الأنعام، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية: (9) من سورة المؤمنون، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية:

(34) من سورة المعارج.

3 - ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾؛ أي: على مواقيتها. وقال عقبه بن عامر: هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا. والدائم الساكن، وقال ابن جريج والحسن: هم الذين يكثر فعل التطوع منها، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، والمراد بالمصلين الذي يؤدون الصلاة المكتوبة. قال ابن مسعود: الذين يصلونها لوقتها، فأما تركها فكفر. وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون عامة. ينظر تفسير الطبري 216/18، وتفسير القرطبي 291/18.

4 - قال كعب: "والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة: شرايين للقهوات، تباعين للشهوات، لعانين للعبات رقادين عن العتبات، مفرطين في الغدوات، تراكين للصلوات، تراكين للجمعات، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ﴾. قال أبو عبيدة: حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: ذلك عند قيام الساعة، وذهاب صالحٍ هذه الأمة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم تفسير القرطبي 121/11.

5 - أخرجه أحمد في مسنده 440/17 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11340 نحوه، والحاكم في مستدركه 406/2 تفسير سورة مريم برقم: 3416 نحوه، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13159/2412، بلفظ "ثم يكون خلف، يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر". وقال الحاكم: هذا حديث صحيح رواه حجازيون و شاميون أثبات و لم يخرجاه.

6 - ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ وقرأ عبد الله والحسن ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ على الجمع. وهو ذم، ونص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر التي يوبق بها صاحبها ولا خلاف في ذلك، يقول الماوردي: "وفي إضاعتهم الصلاة قولان: أحدهما: تأخيرها عن أوقاتها، قال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز. الثاني: تركها، قاله القرطبي. ويحتمل ثالثاً: أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها". وعن القاسم بن مخيمرة، قال: أضاعوا المواقيت، ولو تركوها لصاروا بتركها كفاراً. ينظر تفسير القرطبي 121/11، وتفسير الماوردي 379/3.

7 - ﴿غِيًّا﴾. قال عبد الله بن مسعود: هو وادٍ في جهنم، وبه قال كعب. ويقول الماوردي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها: أنه وادٍ في جهنم، قالت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما. والثاني: أنه الخسران، قاله ابن عباس رضي الله عنه. والثالث: أنه الشر، قاله ابن زيد. الرابع: الضلال عن الجنة. الخامس: الخيبة، وقال قتادة: سوءاً، وعنه أيضاً أنه وادٍ في جهنم، ينظر تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري 218/18، وتفسير القرطبي 125/11. وتفسير الماوردي 380/3.

بها من شفير جهنم، ما بلغت قعرها خمسين خريفاً، ثم ينتهي إلى غيِّ وأثام، قال: قلت: وما غيِّ وأثام؟، قال: نيران في أسفل جهنم، فيهما صديد أهل النار⁽¹⁾، وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه: ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ وقوله في الفرقان: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾؛ أي: إلا من رجع عن ترك الصلاة، واتباع الشهوات، فإن الله يتقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها، وفي الحديث الآخر: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"⁽³⁾، ولهذا لا يُنْقَصُ هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها، فينقص لهم ما عملوه بعدها، لأن ذلك ذهب هدرًا، وترك مجاناً من كرم الكريم، وحلم الحليم.

﴿جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٧﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

أي: الجنات التي يدخلها التائبون، أي: جنات عدن، أي: إقامة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب، وهي من الغيب الذي يؤمنون به، وما رأوه، ذلك لشدة ايقانهم وقوة إيمانهم، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، تأكيد لحصول ذلك، وثبوتها واستقراره، فإن الله لا يخلف الميعاد، كقوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾⁽⁴⁾، وقوله (ههنا): ﴿مَأْتِيًا﴾، أي: العباد صائرون إليه، وسيأتونه ومنهم من قال: ﴿مَأْتِيًا﴾، بمعنى: آتياً؛ لأن كل ما أتاك، فقد أتيتك كما تقول العرب: "أتت عليّ خمسون سنةً وأتيت عليّ خمسين سنةً"، كلاهما بمعنى واحد، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ليس في هذه الجنات كلام ساقط تافه لا معنى له، كما يوجد في الدنيا، وقوله:

¹ - أخرجه الطبراني في الكبير 175/8 باب لقمان بن عامر عن أبي أمامة الباهلي برقم: 7731 بلفظ "لو أن صخرة وزنت عشر خَلَفَاتٍ قَذَفَ بها من شفير جهنم..." ، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب 255/4 فصل في بعد قعرها برقم: 5569 ، وقال: رواه الطبراني والبيهقي مرفوعاً ، ورواه غيرهما موقوفاً على أبي أمامة وهو أصح ، والخلفات: جمع خلفه وهي الناقاة الحامل ، وأورده الهيتمي في الزوائد 713/10 باب بعد قعرها برقم: 18591 وعزاه إلى الطبراني وقال: وفيه ضعفاء قد وتقههم ابن حبان وقد يُخَطَّنُونَ .

² - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية (68) من سور الفرقان.

³ - أخرجه ابن ماجه في سننه 1419/2 باب ذكر التوبة برقم: 4250 به، والطبراني في الكبير 150/10 حديث عبدالله بن مسعود الهذلي برقم: 10281 به، وأورده الهيتمي في زوائده 330/10 باب التائب من الذنب كمن لا ذنب له برقم: 17526 به ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

⁴ - ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الآية: (18) من سورة المزمل

﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ ، استثناء منقطع كقوله: ﴿إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾⁽¹⁾ ، وقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ﴾ ؛ أي: في مثل وقت البكرات، ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً، أو نهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيهم بأضواء، وأنوار، كما في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " أول زُمرَة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يمتطخون فيها، ولا يتغوَّطون، أنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يُسبِّحون الله بُكرةً وعشياً"⁽²⁾ رواه أحمد والسياق له، وعن ابن عباسؓ قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً"⁽³⁾، تفرد به أحمد، قال ابن عباسؓ: " المراد: مقادير الليل والنهار، فإنهم في نور، أبداً يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحُجُب، وفتح الأبواب"⁽⁴⁾، قاله ابن جرير، وقال مجاهد: " ليس هناك بُكرة وعشياً، لكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا"⁽⁵⁾ وقال الحسن: " البكور يرد على العشي، والعشي يرد على البكور، ليس فيها ليل"⁽⁶⁾ وقوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ، أي: هذه الجنة التي وصَّفتها بهذه الصفات العظيمة، هي التي نورثها عبادنا المتقين، وهم

1 - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ من سورة الواقعة

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1185/3 باب صفة أهل الجنة برقم: 3073 نحوه ، ومسلم في صحيحه 2178/4 باب الجنة وأهلها برقم: 2834 به .

3 - أخرجه أحمد في مسنده 220/4 مسند ابن عباس برقم: 2390، وابن حبان في صحيحه 515/10 باب فضل الشهادة برقم: 4658، والحاكم في مستدرکه 84/2 برقم: 2403، وأورده الهيثمي في زوائده 535/5 باب ما جاء في الشهادة وفضلها برقم: 9524 وعزاه إلى أحمد وقال ورجاله ثقات، وإلى الطبراني في الكبير والأوسط. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه .

4 - قال قتادة: كانت العرب في زمانها من وجد غداء وعشاء معا فذلك هو الناعم فنزلت. وقيل أي رزقهم فيها غير منقطع. وقال مالك بن أنس طعام المؤمنين في اليوم مرتان تفسير القرطبي 126/11.

5 - أورد ابن جرير في تفسيره عن مجاهد أنه قال: ليس بكرة ولا عشياً، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا. وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشياً، قدر ذلك الغداء والعشاء. ينظر تفسير الطبري 221/18.

6 - أورد ابن جرير عن زهير بن محمد قال: ليس في الجنة ليل، ولا شمس، ولا قمر، هم في نور أبداً ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب" .. لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، ينظر تفسير ابن جرير 221/18.

المطيعون لله في السراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١٦﴾﴾ ، إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ (1).

﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجبريل: " ما منعك ان تزورنا، أكثر مما أن تزورنا " قال: فنزلت ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، إلى آخر الآية (2)، وقال مجاهد: " لبث جبريل عن محمد - صلى الله عليه وسلم - اثنتي عشرة ليلة، ويقولون قلبي، فلما جاءه، قال يا جبريل: لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن، فنزلت ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (3) الآية، وهذه الآية كالتي في الضحى (4)، وفي رواية ابن أبي حاتم، قال مجاهد: " أبطأت الرسل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أتاه جبريل، فقال له: ما حبسك يا جبريل؟ فقال جبريل: وكيف آتيكم؟ وأنتم لا تقصون أظفاركم، ولا تنفقون براجمكم، ولا تأخذون شواربكم، ولا تستاكون، ثم قرأ: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (5)، الآية. وروى أحمد نحوه (6)، وقوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾، قيل: المراد بالأول

1 - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ آتَبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُغُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾. من سورة المؤمنون.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1760/4 تفسير سورة مريم برقم: 4454، والترمذي في سننه 316/5 تفسير سورة مريم برقم: 3158، وأحمد في مسنده 363/5 مسند عبدالله بن عباس برقم: 3365 نحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

3 - عن مجاهد، قال: " لبث جبرائيل عن محمد - صلى الله عليه وسلم - اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلبي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن " فنزلت ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. ينظر الإتيان في علوم القرآن 103/1، وتفسير الطبري 223/18، وتفسير الماوردي 381/3، ولباب النقول في أسباب النزول 145/1.

4 - ﴿وَالضُّحَىٰ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3)﴾ من سورة الضحى
5 - عن مجاهد، قال: أبطأت الرسل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاه جبريل، فقال: " ما حبسك عني، قال: كيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم، ولا تنفقون براجمكم، ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون، وقرأ: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، ينظر أسباب النزول (الواحدي) 290/1 - 291، وتفسير ابن أبي حاتم 13172/2414، ولباب النقول (السيوطي) 145/1.

6 - أخرجه أحمد في مسنده 68/4 مسند عبدالله بن عباس برقم: 2181 نحوه، والبيهقي في شعب الإيمان 24/3 برقم: 2765 بلفظ: " قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أنه أبطأ عنك جبريل عليه السلام، قال: ولم لا يبطئ علي وأنتم حولي لا تستنون، ولا تقلمون ولا تقصون شواربكم ولا تنفقون براجمكم"، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 302/5 باب في تقليم الأظافر برقم: 8855 وعزاه إلى أحمد والطبراني، وقال: وفيه أبو كعب مولى ابن عباس، قال أبو حاتم: لا يعرف إلا في هذا الحديث ورجاله ثقات.

الدنيا، وبالثاني الآخرة، وما بين ذلك بين النفختين "(1) ، قاله مجاهد وغير واحد، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ ، ما نستقبل من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما مضى من الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين الدنيا والآخرة، واختاره ابن جرير (2)، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ، قال مجاهد والسدي: أي: ما نسيك ربك، كما في سورة الضحى "(3)، وعن أبي الدرداء (4) يرفعه قال: " ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافيه، وأقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (5)، رواه ابن أبي حاتم ، وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: خالق ذلك، ومدبره، والحاكم فيه، والمتصرف الذي لا معقب لحكمه، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ قال ابن عباس (6): " هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً "(6)، وبه قال آخرون، وعنه أيضاً: ليس أحدٌ يُسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى.

1 - ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ يقول الماوردي: وفيه قولان: أحدهما: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الدنيا. وما بين ذلك يعني ما بين النفختين ، قاله قتادة. والثاني: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي ما مضى أمامنا من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة. ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جرير. ويحتمل ثالثاً ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ السماء ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الأرض. ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين السماء والأرض. وعن ابن عباس ﴿بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الدنيا. ينظر تفسير الطبري 224/18، وتفسير الماوردي 382/3.

2 - ورؤي ذلك عن قتادة ومقاتل ومجاهد أيضاً: ما بين أَيْدِينَا من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2588/489، وتفسير الطبري 336/5 برقم: 5782. وتفسير القرطبي 129/11، والدر المنثور 16/2.

3 - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي ناسياً إذا شاء أن يرسل إليك أرسل، وقيل: المعنى لم ينسك وإن تأخر عنك الوحي، وقيل المعنى أنه عالم بجميع الأشياء متقدمها و متأخرها ولا ينسى شيئاً منها. وقال الماوردي فيه وجهان: أحدهما: أي ما نسيك ربك. والثاني: وما كان ربك ذا نسيان. ينظر تفسير السدي ص/342، وتفسير القرطبي 130/11 وتفسير الماوردي 382/3، وتفسير مجاهد ص/457.

4 - أبو الدرداء : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري ، وكان اسمه عامر ، وكانوا يقولون له عويمر ، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة ، روي عنه 179 حديثاً أسلم يوم بدر ، وشهد أحد ، روى عن عائشة رضي الله عنها ، وزيد بن ثابت ، وروى عنه : ابنه بلال ، وزوجته أم الدرداء ، وجبير بن نفير ، وخلق . أسد الغابة 340/4 باب العين والواو برقم : 4128 ، أسماء من يُعرف بكنيته 42/1 برقم : 52 ، تهذيب التهذيب 156/8 من اسمه عويمر .

5 - أخرجه أبو داود في سننه 382/2 باب ما لم يذكر تحريمه برقم : 3800 بلفظ " وما سكت عنه فهو عفو " ، والحاكم في مستدركه 347/2 تفسير سورة الأنعام برقم : 2336 بلفظ " فهو عفو " ، وكذلك 406/2 تفسير سورة مريم برقم : 3419 بلفظ " فهو عافية " ، وأورده الهيثمي في الزوائد 150/7 تفسير سورة مريم برقم : 11160 ، وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

6 - ﴿لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم نسّم أحداً قبل يحيى بهذا الاسم ، قاله ابن عباس وقاتدة وابن أسلم والسدي، وقال قتادة: وفيه أربعة أوجه: أحدها: يعني مثلاً وشبيهاً، قاله ابن عباس، ومجاهد ، مأخوذ من المساماة. والثاني: أنه لا أحد يسمّى بالله غيره ، قاله قتادة، والكلبي . والثالث: أنه لا يستحق أحد أن يسمّى إلهاً غيره. والرابع: هل تعلم له من ولد، قاله الضحاك. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13177، 13176/2414. وتفسير السدي ص/342، وتفسير القرطبي 83/11، وتفسير الماوردي 382/3.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرِّبْكَ لِنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

أخبر تعالى عن الإنسان، أنه يتعجب ويُعيد إعادته بعد موته، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَيْدَا كُنَّا تُرْبًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (1) ، وقال: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (2) إلى قوله: ﴿عليم﴾، وقال ههنا: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، استدل تعالى بالبداءة على الإعادة يعني انه تعالى قد خلق الإنسان ولم يكُ شيئاً أفلا يُعيدُه وقد صار شيئاً، وفي الصحيح أن - رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: " يقول الله كذبني ابن آدم، ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني، ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذبيه إياي، فقله: لن يُعيدني كما بداني، وليس أول خلق بأهون عليّ من آخره، وأما أذاه إياي فقله: إن لي ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لي كفواً أحد" (3)، وقوله: ﴿فَوَرِّبْكَ لِنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾، أقسم تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً، وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، يعني: قعوداً كقوله: وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴿٤﴾ وعن ابن مسعود: ﴿جُثِيًّا يعني: قياماً، وبه قال السدي (5)، وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾؛ أي: من كل أمة، قاله مجاهد (6): ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، قال ابن

- 1 - ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَيْدَا كُنَّا تُرْبًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية (5) من سورة الرعد.
- 2 - ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) فَلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)﴾ الآيات من سورة يس.
- 3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1903/4 باب سورة الإخلاص برقم : 4690 نحوه ، والنسائي في سننه بشرح السيوطي 418/4 برقم : 2077 نحوه ، وابن حبان في صحيحه 500/1 باب ما جاء في الصفات برقم : 267 نحوه ، والطبراني في الكبير 308/10 حديث عبدالله بن عباس برقم : 10751 نحوه .
- 4 - ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية (28) من سورة الجاثية.
- 5 - وقيل: قائمين على الركب لضيق المكان. ينظر تفسير السدي ص/343، ومعالم التنزيل 245/5.
- 6 - ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، أي جثيا على ركبهم، قال ابن عباس: يعني القعود، وعن مجاهد وقتادة أي أنهم لشدة ما هم فيه لا يقدر على القيام، ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، يجوز أن يكون داخلها، كما تقول: جلس القوم حول البيت، أي: داخله مطيفين به، وقال السدي: أي قياماً، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ﴾ الشيعة الجماعة المتعاونون . قال مجاهد : والمراد بالشيعة الأمة لاجتماعهم وتعاونهم. ينظر تفسير السدي ص/343، وتفسير الطبري 228/18 وتفسير القرطبي 132/11.

مسعودي¹: يُحبس الأول على الآخر، حتى إذا تكاملت العدة، أتاهم جميعاً ثم بدأ بالأكابر، فالأكابر جرماً؛ أي: ثم لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر، قاله ابن جريج وغير واحد⁽¹⁾ وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾، ثم: (ههنا) لعطف الخبر على الخبر، والمراد: أنه - تعالى - أعلم بمن يستحق من العباد أن يُصلى بنار جهنم، ويُخلد فيها، ومن يستحق تضعيف العباد، كما قال سابقاً: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

عن جابر بن عبد الله³ قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لا يبقى برّ ولا فاجر، إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ تفرد به أحمد⁽³⁾، وكان أبو ميسرة⁽⁴⁾ إذا أوى إلى فراشه قال: " يا ليت أُمي لم تلدني ثم بكى، فقيل: وما يُبكيك؟ أخبرنا أنا واردوها، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها، وقد جاء نافع بن الأزرق⁽⁵⁾ إلى ابن عباس، فقال له: " رأيت قول الله تعالى: ﴿وَإِن

1 - أورد الماوردي في تفسيره: في كلمة (عتياً) خمسة أوجه: أحدها: أهل الإفتراء بلغة بني تميم، قاله بعض أهل اللغة. والثاني: جرأة، قاله الكلبي. والثالث: كفرة، قاله عطية. والرابع: تمرداً. وعن مجاهد ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾، يعني كفراً، يقول ابن جريج: أي لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر، ينظر تفسير ابن جريج ص/214، وتفسير الماوردي 3/383. وتفسير مجاهد ص/388.

2 - ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِلُهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَنبِتْهُمْ عَذَابًا مُّضِعًّا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية (38) من سورة الأعراف.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 396/22 مسند جابر بن عبد الله برقم: 14520 بلفظ " حتى إن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردهم "، والحاكم في مستدرکه 630/4 كتاب الأهوال برقم: 8744، وأورده الهيثمي في الزوائد 150/7 باب سورة مريم برقم: 11159 وقال: لجابر في الصحيح في الورود شيء موقوف غير هذا وعزاه إلى أحمد وقال: رجاله ثقات. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

4 - أبو ميسرة: عمرو بن شرحبيل الهمداني وهو تابعي كبير ثقة ذكره البخاري في التابعين، ووثقه ابن معين وآخرون، من شيوخ أبي إسحاق السبيعي، روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي، ومحمد بن المنتشر، وقال ابن أبي حاتم: كانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه (ت: 63هـ). ينظر الإصابة 146/5 برقم: 6493، والتاريخ الكبير 341/6 برقم: 2575، والثقات 68/5 باب العين برقم: 4402، والجرح والتعديل 237/6، برقم: 1320.

5 - نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الحروري أبو راشد رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفتيهم من أهل البصرة، صحب ابن عباس، فهو من رؤوس الخوارج من أصحاب الثورة على عثمان، ووالوا علياً إلى أن جاءت قضية التحكيم، فاجتمعوا في (حروراء)، وهي قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي - رضي الله عنه - وله مناقشة بينه وبين الحسين بن علي، وكان في أول أمره من أصحاب ابن عباس، وله أسئلة معه، مجموعة في جزء من روايته عن نافع، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير، وقد ذكره الجوزجاني في الضعفاء (ت: 65 هـ). ينظر الأعلام 351/7، وجمهرة أنساب العرب

مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا؟ قال: أما أنا وأنت يا [راشد]⁽¹⁾ فسندرها، فانظر، هل نصدرك عنها؟⁽²⁾، وعن ابن مسعود قال: " يرد الناس جميعاً الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرّ أرجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمرُّ يتكفأ به الصراط، والصراط دَحِضٌ مَزَلَّةٌ عليه حَسَكٌ كَحَسَكِ الْقِتَادِ حَافَتَاهُ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَلَالِيْبٌ مِنْ نَارٍ يَخْتَفُونَ بِهَا النَّاسُ " ⁽³⁾. رواه ابن أبي حاتم، وفي رواية عنه قال: " الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون، والملائكة يقولون اللهم سلّم سلّم " ⁽⁴⁾ رواه ابن جرير، ولهذا شواهد في الصحاح، والسنن من رواية جماعة من الصحابة، وعن حفصة⁽⁵⁾ قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ شهد بديراً أو الحديدية، قالت: فقلت أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قالت: فسمعتة يقول: ﴿ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ ⁽⁶⁾ رواه أحمد، وفي الصحيحين عن أبي هريرة⁽⁷⁾: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

311/2 باب الكلام في انقسام أجدام العرب ، ولسان الميزان 144/6 برقم : 506 من اسمه نافع ، المعني من الضعفاء 692/2 حرف النون برقم : 6581 .

1 - والصحيح [أبا راشد] يبدو أنها سقطت من الناسخ. ينظر تفسير ابن كثير 253/5.
2 - عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال : هذا خطاب للكفار. وروي عنه أنه كان يقرأ " وإن منهم " ردا على الآيات التي قبلها في الكفار، وعنه أيضاً قال : يردها البر والفاجر وعنه أيضاً أنه قال لا يبقى أحد إلا دخلها "، ينظر تفسير القرطبي 138/11، وتفسير مجاهد ص/457. والدر المنثور 535/5،
3 - أخرجه الترمذي في سننه 317/5 تفسير سورة مريم برقم : 3159 نحوه ، والحاكم في مستدركه 376/2 برقم : 3421 نحوه ، والبيهقي في شعب الإيمان 370/1 باب دار المؤمنين ومآبهم الجنة بلفظ : " يرد الناس النار " وفي رواية " يدخلونها أو قال : يلجونها". قال الترمذي: قال هذا حديث حسن ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

4 - أخرجه الحاكم في مستدركه 407/2 برقم : 3423 نحوه بلفظ: " الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول: رب سلم سلم " ، والبيهقي في شعب الإيمان 336/1 برقم: 362 نحوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

5 - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أم المؤمنين، كانت من المهاجرات، وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمي، وكان ممن شهد بديراً، وتوفي بالمدينة، وتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث عند أكثر العلماء، بعد زواجه من عائشة رضي الله عنها، ثم طلقها تطليقة واحدة، ثم ارتجعها أمره جبريل بذلك، وقال له: إنها صوامة قوامة، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أبيها رضي الله عنه، وروى عنها: أخوها عبدالله بن عمر، وابنه حمزة بن عبدالله، وعبدالرحمن بن الحارث، وأبو مجلز، وجماعة، أُخْتَلِفَ في سنة وفاتها، (40 هـ - 45 هـ). ينظر أسد الغابة. 74/7 رقم: 6838، وتهذيب التهذيب 439/12 رقم: 2763. والنقات 98/3 رقم: 327، والطبقات 81/8 .

6 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1431/2 باب ذكر البعث برقم : 4281 نحوه ، وأحمد في مسنده 362/6 برقم : 27087 عن حفصة بنت الخطاب رضي الله عنها نحوه ، والطبراني في الكبير 206/23 حديث أم مبشر الأنصارية عن حفصة برقم : 358 نحوه ، وأبو يعلى في مسنده 472/12 حديث حفصة أم المؤمنين برقم : 7044 به.

وسلم :- " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسّه النار إلا تحلّة القسم، يعني: الورود "(1) ، وقال قتادة: في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، هو الممر عليها، وقال ابن زيد(2): " ورود المسلمين على الحشر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها "(3)، وفي الحديث: " الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسر سماطان من الملائكة، دعاؤهم: يا الله سلم "(4) وقوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، قال ابن مسعود: " قسماً واجباً "(5)، وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أراد أمر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، وأهل الكبائر، وبحسبهم نجى الله المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط، وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أهل الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فلا يُخْرِجَنَّ خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم، وهي مواضع السجود، وإخراجهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيُخْرِجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، حتى يُخْرِجون من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يُخْرِج الله من النار من قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا يبقى في النار إلا من وَجَبَ عليه الخلود، كما ورد بذلك الأحاديث الصحيحة(6).

﴿وَإِذَا تَنَجَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعِيًّا ﴿٧٤﴾﴾

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 421/1 باب فضل من مات له ولد فاحتسب برقم : 1193 نحوه ، ومسلم في صحيحه 2028/4 باب من له ولد فيحتسبه برقم : 2632 نحوه ، وقال الشارح : " تحلة القسم ما ينحل به القسم وهو اليمين "

2 - عبدالرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب القرشي المدني ، روى عن أبيه ، وصفون بن سليم ، وروى عنه ، ابن وهب ، ومرحوم بن عبدالعزيز ، وأصبغ بن الفرج ، هو ضعيف ، وقال علي بن المديني: " ليس في ولد زيد بن أسلم ثقة " (ت: 182 هـ). ينظر التاريخ الكبير 284/5 برقم: 922 ، والجرح والتعديل 233/5 برقم: 1107 ، والضعفاء الصغير 71/1 باب العين برقم: 208 ، والكامل في ضعفاء الرجال 396/1 برقم : 213.

3 - ينظر تفسير ابن كثير 256/5 ، وتفسير الطبري 233/18 ، وروح المعاني 122/16 ، وزاد المسير 256/5.

4 - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 331/1 برقم : 360 عن أنس بلفظ " الزالون والزالات يومئذ كثير والملائكة بجانبه قيام ينادون اللهم سلم اللهم سلم " وقال : " وهذا إسناده ضعيف غير أن معنى ما روي فيه موجود في الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذكر الصراط "

5 - ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ الحتم: إيجاب القضاء، أي: كان ذلك حتماً. (مَقْضِيًّا)، أي: قضاه الله تعالى عليكم وقال ابن مسعود: أي: قسماً واجباً، قال الماوردي: فيه تأويلان: أحدهما: قضاء مقتضياً، قاله مجاهد . والثاني: قسماً واجباً، قاله ابن مسعود. ينظر تفسير القرطبي 141/11 ، وتفسير الماوردي 389/3.

6 - أخرج البخاري في صحيحه 2706/6 باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ برقم: 7001 حديثاً مطولاً بلفظ: " يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْْبُدُونَ . فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ... وفي آخره " ...فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا " .

أخبر تعالى عن الكفار حين تُتلى عليهم آياته ظاهرة الدلالة بيّنة الحُجّة، واضحة البرهان، إنهم يصدّون عن ذلك، ويعرضون، ويقولون للمؤمنين مفتخرين، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل، ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: أحسن منازل، وأرفع دوراً، والندي: مجتمع القوم للحديث؛ أي: ناديهم أعمار وأكثر واردة، وطارقاً يعنون، وكيف نكون نحن بهذه المثابة على باطل أولئك الذين هم مختلفون مستنثرون في دار الأرقم⁽¹⁾، ونحوها من الدور الحفيرة على الحق، كما قال تعالى مُخْبِرًا عَنْهُمْ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾⁽²⁾، وغيرها من الآيات، ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾؛ أي: وكم من آية، وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بالكفر، ﴿هُم أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا﴾، أي: كانوا أحسن هؤلاء أمتعة، وأموالاً، ومناظر، وأشكالاً. قال ابن عباس⁽³⁾: المقام: المنزل، والندي: المجلس، والأثاث: المتاع، والري: المنظر، وقال قتادة⁽⁴⁾: لما رأوا في عيش المؤمنين خشونة، وقشافة، فعرض أهل الشرك بما يستمعون ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، قيل: الأثاث: هو المال والمتاع والثياب، والري: المنظر، كما قال ابن عباس⁽⁵⁾، وقال الحسن: "الري: الصورة"⁽⁵⁾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٧٥)

1 - دار الأرقم: وهي دار الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم، وكان من السابقين إلى الإسلام، قيل كان ثاني عشر، شهد بدرًا، واستعمله الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الصدقات، وهو الذي استخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين فلم يزلوا بها حتى كملوا بها أربعين رجلاً، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب، فلما كملوا به أربعين خرجوا، اختلف في سنة موته قيل: عام 53 هـ، وقيل: عام 55 هـ، وأن هذه الدار حبسها الأرقم، وأن أحفاده بعد ذلك باعوها لأبي جعفر المنصور ينظر الأحاد والمثاني 18/2 برقم: 116، وأسد الغابة 94/1 باب الهمة مع الرءاء برقم: 70، والإصابة 43/1 الألف بعدها الرءاء برقم: 73، والثقات 14/3 باب الألف.

2 - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ الآية (11) من سورة الأحقاف.

3 - يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾؛ أي: من أمة وجماعة. ﴿هُم أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا﴾؛ أي: متاعاً كثيراً. وعنه أيضاً، أكثر أموالاً. عن ابن عباس: الأثاث: المال، والرئي: المنظر الحسن. وعنه أيضاً: ﴿أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا﴾ قال: الرئي: المنظر، والأثاث: المتاع. ينظر تفسير الطبري 241/18، وتفسير القرطبي 142/11.

4 - ﴿أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِيًّا﴾ قال قتادة: أي أكثر متاعاً وأحسن منزلة ومستقراً، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى. ينظر تفسير الطبري 241/18.

5 - عن الحسن، في قوله: ﴿أَثَانًا وَرِيًّا﴾ قال: الأثاث: أحسن المتاع، والرئي: المال. ينظر تفسير الطبري 241/18.

أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المدّعين أنهم على الحق، وأنكم على الباطل: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾؛ أي: منّا، ومنكم ﴿فَلْيُمِدُّ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾؛ أي: ما يملكه الله فيما هو فيه، حتى يلقي ربه، وينقضي أجله، وهذا أمر بمعنى خير؛ أي: يدعه في طغيانه، ويمهله في كفره ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا ﴿وَأِمَّا السَّاعَةَ﴾، بغتة تأتيه، وهي: القيامة، فيدخلون النار ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، حينئذٍ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام، وحسن الندي، وقال مجاهد: أي: فليدعه الله في طغيانه، ووافقه ابن جرير⁽¹⁾، وهذه مباحلة للمشركين الذين زعموا على هدى، كما ذكر تعالى مباحلة اليهود في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ (2) الآية وقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأُخْرَىٰ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ (3) الآية. كما سبق في سورة البقرة، وكما ذكر مباحلة النصارى في سورة آل عمران⁽⁴⁾ [حتى]⁽⁵⁾ صمموا على الكفر، والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله، وقرّر الله حججه على أنه عبد مخلوق كآدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (6).

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتِ الصَّلِحَتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

مَرَدًّا﴾ (٧٦)

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة، أخبر بزيادة المهتدين هدى؛ أي: إيماناً و يقيناً على يقينهم، كما قال: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًى

1 - ﴿وأضعف جندا﴾ أي: فئة، وأنصارا قابل به ﴿أحسن ندبا﴾ من حيث إن حسن النادي، باجتماع وجوه القوم، وأعيانهم، وظهور شوكتهم، واستظهارهم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، أي: تنكشف حينئذ الحقائق، وهذا رد لقولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدْبًا﴾ ينظر أنوار التنزيل 30/1، وتفسير الطبري 244/18، وتفسير القرطبي 144/11.

2 - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية (6) من سورة الجمعة.

3 - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأُخْرَىٰ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية (94) من سورة البقرة.

4 - المباحلة: مفاعلة من البهلة، وهي اللعنة، والمباحلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلاناً أي: لاعتته، ومعنى المباحلة: أن يجتمعوا إذا اختلفوا فيقولوا بهلة الله على الظالم منا، أو لعنة الله على الظالم منا. ينظر الفائق في غريب الحديث 140/1، ولسان العرب 71/11 بهل. وآية المباحلة: هي الآية (61) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ الآية (61) من سورة آل عمران.

5 - لعلها [حين] كما وجدتها في تفسير ابن كثير، وأشار إلى أنها وردت [حتى] في بعض النسخ. ينظر تفسير ابن كثير 258/5.

6 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية (59) من سورة آل عمران.

إِيمَانًا⁽¹⁾ إلى قوله: [كافرين]⁽²⁾، وقوله: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الْصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾ سبق تفسيره وبعض الأحاديث المتعلقة به في سورة الكهف⁽³⁾ ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾؛ أي: جزاءٌ ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾؛ أي: عاقبة، ومردًّا على صاحبها، عن أبي الدرداء: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلس ذات يوم، فأخذَ عوداً يابساً، فحطَّ ورقه، ثم قال: إنَّ قول - لا إله إلا الله - والله أكبر - والحمد لله - وسبحان الله - يحطُّ الخطايا، كما يحطُّ هذه الشجرة الريح، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يُحال بينك، وبينهن: هن الباقيات الصالحات، وهن من كنوز الجنة"⁽⁴⁾ رواه ابن ماجه.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ ائْتَحَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِيهِ وَمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

في الصحيحين عن خباب بن الأرت⁽⁵⁾ " كنتُ قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل⁽⁶⁾ سيفاً، فجنبت ألقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت: والله لا أكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حتى تموت، ثم بُعثت، قال: إنني إذا متُّ، ثم بُعثت جننتي ولي ثمَّ مال وولد، فأعطيتك، فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿ويأتينا فرداً﴾⁽⁷⁾، وعن ابن عباس⁽⁸⁾ قال: " إن رجالاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

1 - ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمَنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هُذَيْمَةٌ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَأَدْتَهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدْتَهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)﴾ من سورة التوبة
2 - الصحيح قوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، لعلَّ الخطأ وقع من الناسخ.
3 - ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ الآية (46) من سورة الكهف من هذا البحث.

4 - أخرجه ابن ماجه في سننه 718/4 باب فضل التسييح برقم: 3813 بلفظ: " عليك بسبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها يعني: يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها " ، والهيثمي في مجمع الزوائد 104/10 باب ما جاء في الباقيات الصالحات برقم: 16856 وعزاه إلى الطبراني بإسنادين في أحدهما عمر بن راشد اليمامي، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

5 - خباب بن الأرت خباب بن الأرت: اختلف في نسبه، ولم يختلف أنه حليف بني زهرة، وهو عربي، وقد لحقه السبي في الجاهلية والصحيح أنه تميمي، وهو سادس ستة في الإسلام، روى عنه: ابنه عبدالله بن خباب وقيس بن أبي حازم، وسعيد بن وهب، وحرثة بن مضرب، وغيرهم ت: 37 هـ، وقيل 19 هـ. ينظر أسد الغابة 141/2 برقم: 1400، والإصابة 258/2 برقم: 2212، والثقات 106/3 برقم: 351.

6 - العاص بن وائل: أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي من قريش، وهو الذي أجاز عمر من قريش، وكان عمر يقول له: خالي لأن أم عمر هي حنمة بنت هاشم بن المغيرة، وأمها الشفاء بنت قيس السهمية، فلهذا جعله خاله وأهل الأم كلهم أحوال وهو أحد الحكام في الجاهلية، وكان نديماً لهشام بن عبدالمك، وأدرك الإسلام، وظل على الشرك، ويعد من المستهزئين الذين ماتوا كفاراً وثنيين، وكان على رأس بني سهم، ت: (3 ق. هـ). ينظر أسد الغابة 162/4 باب هجرة عمر بن الخطاب، والأعلام 247/3 العاص بن وائل.

7 - أخرجه البخاري في صحيحه 736/2 باب السهولة والسماحة في الشراء برقم: 1985، ومسلم في صحيحه 2153/4 باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح برقم: 2795.

كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فلقوه يتقاضونه، فقال : أستم تزعمون أن في الجنة: ذهباً، وفضةً، وحريراً، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم في الآخرة، فو الله لأوتين مالاً وولداً ولأوتين، مثل كتابكم الذي جئتم به⁽¹⁾ " فَضْرَبَ اللهُ مِثْلَهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَقَالَ: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ، هكذا قالوا أنها نزلت في العاص بن وائل وقوله: ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، قرأ بعضهم بفتح الواو من ﴿ولداً﴾، وآخرون بضمها⁽²⁾، وهو بمعناه، قال روبة⁽³⁾ :

الحمد لله العزيز فرداً ... لم يتخذ من ولد شيء وُلداً.

وقال آخر⁽⁴⁾ :

فليت فلاناً كان في بطن أمه ... وليت فلاناً كان وُلداً حمار.

وقيل: الوُلْد بالضم جمعٌ، وبالفتح مفرد، وهي لغة قيس، وقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ إنكارٌ على هذا القائل ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ؛ يعني يوم القيامة؛ أي: أعلم ماله في الآخرة حتى تآلى، وحلف على ذلك، ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، أم له عند الله

¹ - عن ابن عباس، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: أستم تزعمون أن في الجنة فضة، وذهباً، وحريراً، ومن كل الثمرات، قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فو الله ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا﴾ ينظر تفسير الطبري 246/18.

² - قرأ بعضهم بفتح الواو ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، قرأ حمزة، والكسائي (مالا وولداً) بضم الواو، وسكون اللام جميع ما في هذه السورة، وفي الزخرف، وقرأ الباقون بفتح الواو، واللام، قال الفراء: " هما لغتان مثل البخل والبخل، والحزن، والحزن، وأورد الطبري قوله: واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿وَوَلَدًا﴾، فقرأته قراء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: ﴿وَوَلَدًا﴾ بفتح الواو من الولد، في كل القرآن، غير أن أبا عمرو بن العلاء خص التي في سورة نوح بالضم، فقرأها ﴿مَالَهُ وَوَلَدَهُ﴾، وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرءوا من هذه السورة من قوله: ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى آخر السورة، يقول ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾، يقرأ بفتح الواو، واللام، وبضم الواو، وإسكان اللام، ها هنا في أربعة مواضع، وفي الزخرف، وفي نوح، فالحجة لمن فتح: أنه أراد الواحد من الأولاد، والحجة لمن ضم: أنه أراد جمع ولد وقيل هما لغتان في الواحد، كقولهم عدم وعدم، وسقم، وسقم. ينظر التبيان في إعراب القرآن 281/2، وتفسير الطبري 246/18. والحجة في القراءات السبعة (لابن خالويه) 239/1، وحجة القراءات (لابن زنجلة) 477/1.

³ - رؤية بن عبدالله العجاج بن رؤية التميمي السعدي أبو الجحاف وهو من أعراب البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو من رُجَّاز الإسلام وفصحائهم والمنكوريين المقدمين، مدح بني أمية، وبني العباس وقد أخذوا عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً، روى عن أبيه عن أبي هريرة، وروى عنه: ابنه عبيد الله بن رؤية، ويحيى بن سعيد القطان، ت: 145 هـ. ينظر الأسامي والكنى 152/3 برقم: 1195، الأغاني 359/20 أخبار رؤية، الثقات 310/6 برقم: 7869، الجرح والتعديل 521/3 برقم: 2352.

⁴ - قيل: أن القائل هو (نافع بن الصفار) في قصيدة يهجو فيها الأخطل. ينظر ترتيب إصلاح المنطق 402/1، وهناك من يقول: أن اسمه (نفع بن الصفار). ينظر إكمال الكمال 36/5. ولم أقف له على ديوان.

عهد أن سيؤتيه ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنه: " يعني لا إله إلا الله فيرجو بها " (1). وقوله: ﴿كَلَّا﴾: هي حرف ردع لما قبلها، وتأكيدها، ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: من طلبه ذلك، وحكمه لنفسه ما تمنّاه، وكفره بالله العظيم ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: في الآخرة على قوله ذلك، وكفره بالله في الدنيا، ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: من مالٍ وولدٍ نسلبه منه عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالاً، وولداً زيادة على الذي في الدنيا، ولهذا قال: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، أي: مُجَرِّدًا من المال، والولد قال ابن عباس: ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ يرثه؛ أي: ما عنده، وهو قوله: ﴿لَا وَتَيْنَ مَالًا﴾، وقال ابن زيد: "أي: ما جمع في الدنيا، وما عمل فيها، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾" (2) من ذلك لا يتبعه قليل، ولا كثير.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُثُهُمْ أَرْثًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾﴾

أخبر تعالى عن الكفار بربهم، أنهم اتخذوا من دونه آلهة، ليكون لهم تلك الآلهة عزاً يعتزرون بهم، ويستنصرون منهم، ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا، فقال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾؛ أي: بخلاف ما ظنوا فيهم، وقرأ أبو نهيك (3) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ (4)؛ أي: يوم القيامة

1 - ﴿ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ قال قتادة، والثوري: أي عملاً صالحاً، وقيل: هو التوحيد، وقيل هو من الوعد وقال الكلبي عاهد الله تعالى أن يدخله الجنة، عن ابن عباس، قوله ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله. ينظر تفسير الطبري 255/18، وتفسير القرطبي 146/11.

2 - وقوله تعالى ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ قال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: بلا مال ولا ولد. والثاني: بلا ولي ولا ناصر قال ابن زيد، في قوله ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾، قال: ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ قال: فرداً من ذلك، لا يتبعه قليل ولا كثير.. ينظر تفسير الطبري 249/18 وتفسير الماوردي 388/3.

3 - أبو نهيك: عثمان بن نهيك بفتح النون الأزدي الفراهيدي البصري، القارئ، صاحب القراءات، مقبول من الرابعة، روى عن ابن عباس، وأبي زيد عمرو بن أخطب، وروى عنه: زياد بن سعد الخراساني، وأبو المنيب العنكي، والحسين بن واقد، وقتادة، وغيرهم، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبوداود، ينظر تاريخ الإسلام 301/7 رقم: 4، تقريب التهذيب 387/1، تهذيب التهذيب 142/7 رقم: 312، تهذيب الكمال 501/19 من اسمه عثمان، وعثمان، وعثيم.

4 - قوله تعالى (كَلَّا) يقرأ بفتح الكاف من غير تنوين، ومعناه الزجر عن قول منكر يتقدمها، ويُقرأ بالتنوين، وفيه وجهان: أحدهما مصدر كَلَّ أي: أعبأ، أي كَلَّوا، في دعواهم، والثاني: بمعنى النفل أي حملوا النفل، ويُقرأ بضم الكاف والتنوين، وهو حال، أي: سيكونون جميعاً، قرأ الجمهور: (كَلَّا) زجر وردع، وقرأ أبو نهيك: (كَلَّا) بفتح الكاف والتنوين، حكاه عنه، أبو الفتح وهو نعت لـ(آلهة)، وحكى عنه أبو عمرو الداني (كَلَّا) بضم الكاف والتنوين، وهو منصوب بفعل مضمّر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون أو ينكرون أو يجحدون، أو نحوه، ينظر التبيان في إعراب القرآن 881/2، وتفسير البحر المحیط 202/6، وتفسير القرطبي 149/11، والكشاف 41/3، والمحرر الوجيز 40/4.

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ؛ أي: بخلاف ما ظنوا فيهم بضم (الكاف)، قال السدي: "بعبادة الأوثان" وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، أي: بخلاف ما رجوا منهم، بل: يكونوا أعواناً عليهم يخاصمهم، ويكذبهم، وقال قتادة: "قرناء في النار، يلعن بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم ببعض" (1)، وقيل: الضد الحسرة، والبلاء، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ تُوَزُّهُمُ آزًا﴾، قال ابن عباس: أي: تغويهم إغواءً وتحرضهم على المعاصي والطغيان (2)، والأز والهز: التحريك، يعني: يزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾؛ أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ ؛ أي: إنما نوخرهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله، ونكاله، وقال السدي: "أي السنين، والشهور، والأعوام، والأيام، والساعات"، وقال ابن عباس: "؛ أي: يعدُّ أنفاسهم في الدنيا" (3).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٤٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٤٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٤٧﴾﴾

أخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدنيا، وأتبعوا رسله، وصدقوهم فيما أخبروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه، والوفد: هم القادمون ركباناً، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه، وأما المجرمون المكذبون للرسول، يُساقون عنفاً إلى النار ﴿وَرِدًّا﴾: عطاشاً قاله ابن عباس: وكثيرون (4)، وههنا يُقال: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ

1 - ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها. والثاني سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم، وفي قوله تعالى ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ فيه خمسة أوجه: أحدها: أعواناً في خصومتهم، قاله مجاهد. والثاني: قرناء في النار يلعنونهم، قاله قتادة. والثالث: يكونون لهم أعداء، قاله الضحاك. والرابع: بلاء عليهم، قاله ابن زيد. والخامس: أنهم يكذبون على ضد ما قدره فيهم وأملوه منهم. وأورد ابن جرير عن قتادة قوله: "قرناء في النار، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض".

ينظر تفسير الطبري 250/18 تفسير القرطبي 148/11، وتفسير الماوردي 338/3.

2 - ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ تُوَزُّهُمُ آزًا﴾ قال ابن عباس: تغويهم إغواءً. وعنه أيضاً: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله: تُوَزُّهُمُ آزًا قال: تُوَزُّهُمُ آزًا يقول الزمخشري الأز، والهز، والاستفزاز: أخوات، ومعناها التهيج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس. ينظر الدر المنثور الدر 537/5، والكشاف 42/3.

3 - ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول الزمخشري: عجلت عليه بكذا: إذا استعجلته منه، أي: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا، حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم، وتظهر الأرض بقطع دابرهم، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة، وعن ابن عباس: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا، فهي معدودة كسنتهم وأجالهم. ينظر تفسير الطبري 252/18، والكشاف 42/3.

4 - نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ففعله: نَسُوقٌ يدل على أنهم يساقون إلى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء، والورد اسم للعطاش، لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش. وقال ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما والحسن والأخفش والفراء وابن الأعرابي: حفاة مشاة، وقال ابن عباس وأبو هريرة

مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا⁽¹⁾ ، قيل: يستقبل المؤمن عند خروجه من القبر أحسن صورته، وأطيبه ريحاً، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عمك، وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل، طيب الريح، فطالما ركبك في الدنيا، فَهَلُمَّ اركبني، فركبه، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾، وقال علي رضي الله عنه: " لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولكن بنوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهبٍ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة "⁽²⁾، هكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وزاد عليها وأزمتها من الزبرجد، وقد روى ابن أبي حاتم، حديثاً مبسوطاً في غاية الغرابة مرفوعاً عن علي، وبالوقف أشبهه، فهذا لم نذكره ههنا⁽³⁾، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدَاً﴾ ؛ أي: عطاشاً ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾؛ أي: ليس لهم من يشفع لهم، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض، كما قال تعالى مخبراً: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، هذا استثناء منقطع بمعنى: لكن ﴿مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، وهو شهادة أن - لا إله إلا الله - والقيام بحقها، ورؤي أن عبد الله بن مسعود⁽⁵⁾ قرأ هذه الآية، ثم قال: اتَّخَذُوا عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا، فإن الله يقول يوم القيامة: من كان له عهد، فليقم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن فَعَلِمْنَا، قال: قولوا اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب، والشهادة، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، بأنني أشهد أنك أنت الله - لا إله إلا أنت - وحدك لا شريك لك - وأن محمداً عبدك ورسولك، وإنك إن تكلمت لي عندك تُقَرِّبُنِي إِلَى الشَّرِّ، وَتُبَاعِدُنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَتَّقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فاجعله لي عندك عهداً تُؤَدِّيهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ "⁽⁵⁾ رواه ابن أبي حاتم.

رضي الله عنهما، والحسن: عطاشاً، وقال قتادة: ظمأ في النار، ينظر تفسير الرازي 215/21، وتفسير الطبري 255/18. وتفسير القرطبي 152/11.

1 - ﴿وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا لَدِينًا ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الآية: (73) من سورة مريم

2 - أخرجه أحمد في مسنده 447/2 مسند علي بن أبي طالب برقم: 1333 نحوه ، والحاكم في مستدرکه 409/2 برقم: 3425 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، بلفظ " عليها رحل من الذهب وأزمتها الزبرجد ". وأورده الهيثمي في زوائده 151/7 تفسير سورة مريم عليها السلام برقم: 11161، وعزاه إلى أحمد، وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف.

3 - والحديث ورد عن أبي معاذ البصري أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون، أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة، عليها رجال الذهب، شرك نعالهم نورٌ تلالاً كل خطوة منها مد البصر، فينتهون إلى شجرة ينبغ من أصلها عيان، فيشربون من إحدهما، فيغسل ما في بطونهم في دنس، ويغتسلون من الأخرى"، والحديث ورد مطولاً. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 8487/1480.

4 - ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ (101)﴾ من سورة الشعراء.

5 - أخرجه أحمد في مسنده 32/7 مسند عبدالله بن مسعود برقم: 3916، والحاكم في مستدرکه 409/2 تفسير سورة مريم برقم: 3462، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 274/10 باب الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: 17368، وعزاه إلى أحمد ، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا عون بن عبدالله لم يسمع من ابن مسعود ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٨٩﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ
وَلَدًا ۝٩١﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ
عَدًّا ۝٩٣﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝٩٤﴾ .

لَمَّا قَرَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عِبُودِيَّةَ عَيْسَى، وَذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ مَرْيَمَ بِلَا أَبِي شَرَعَ
فِي الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا - تَعَالَى وَتَنَزَّهَ - عَنِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ﴾، يَعْنِي: أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ فِي قَوْلِكُمْ هَذَا ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾، أَي:
عَظِيمًا، وَيُقَالُ: (إِدًّا) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَفَتْحِهَا وَمَعَ مَدِّهَا أَيْضًا ثَلَاثَ لُغَاتٍ، أَشْهَرُهَا
الْأُولَى⁽¹⁾، وَقَوْلُهُ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾؛ أَي: يَتَشَقَّقْنَ مِنْهُ ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ
وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾؛ أَي: انطباقتا، ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾؛ أَي: يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ
عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ فَجْرَةِ بَنِي آدَمَ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ، وَإِجْلَالًا لِأَنَّهُنَّ
مَخْلُوقَاتٌ، وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَلَا وَلَدٌ
لَهُ - وَلَا كِفْوَالٌ لَهُ - بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ بِلَا نَظِيرٍ، وَلَا شَبِيهِ:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد⁽²⁾

وقال ابن عباس ؓ: " إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال، وجميع
الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان
المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله للموحدين "⁽³⁾، وقال رسول الله - صلى الله عليه

1 - اتخذ الرحمن ولدا ... قرئ ﴿إِدًّا﴾ بالكسر والفتح. قال ابن خالويه: (الإد) و(الأد): العجب. وقيل: العظيم المنكر. و(الإدة): الشدة. وأدنى الأمر، وأدنى: أتقلنى شيئا (إدًا) الجمهور على كسر الهمزة، وهو العظيم، ويقرأ (أذا) بفتحها، على أنه مصدر (أد) يؤد (أذا) جاءك بداهية أي شيئا (ذا أد)، وجعله نفس الداهية على التعظيم. ينظر البحر المحيط 205/6، والتبيين في إعراب القرآن، والكشاف 44/3، والمحرر الوجيز 34/4.

2 - والبيت للشاعر أبي العتاهية، وروي أنه جلس في دكان وراق، فأخذ كتاباً، فكتب على ظهره على البديهة خمس أبيات، ومطلعها:

ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالذ

واختتمها بقوله:

وفي كل شيء له آية... تدل على أنه الواحد

ولما انصرف اجتاز أبو نواس بالموضع، فرأى الأبيات، فقال: لمن هذا، فقيل له: لأبي العتاهية، فقال: لوددتها لي بجميع شعري. ينظر ديوان الشاعر ص/122.

3 - عن ابن عباس، قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ قال: إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين، ينظر تفسير الطبري 258/18.

وسلم - : " لَقَّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ قَالَهَا فِي صِحَّتِهِ؟ قَالَ: تِلْكَ أَوْجِبُ وَأَوْجِبُ، ثُمَّ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جِيءَ بِالسَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَمَا تَحْتَهُنَّ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ " (1)، هكذا رواه ابن جرير، ويشهد له حديث البطاقة، (والله أعلم) ، قال ابن عباس رضي الله عنه: " تَنْشَقُّ الْأَرْضُ غَضَبًا لِلَّهِ - عِزَّ وَجَلَّ - ﴿وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا﴾؛ أَي: هَدْمًا يَكْسِرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مَتَابِعَاتٌ " (2)، قاله ابن جبير، وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ يِعَاقِبُهُمْ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ " (3)، وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وِلْدَانًا﴾؛ أَي: لَا يَصْلَحُ لَهُ، وَلَا يَلِيْقُ بِهِ لَجَلَالُهُ، وَعَظَمَتُهُ لِأَنَّهُ لَا كُفُوًا لَهُ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ عِبِيدٌ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾؛ أَي: إِلَّا آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدًا ذَلِيلًا خَاضِعًا، ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾؛ أَي: قَدْ عَلِمَ عَدْدَهُمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ذَكَرَهُمْ، وَإِنَائَهُمْ، صَغِيرَهُمْ، وَكَبِيرَهُمْ، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾؛ أَي: لَا نَاصِرَ لَهُ، وَلَا مُجِيرَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦١﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَيِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٦٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٦٣﴾﴾

أخبر تعالى أنه يَغْرِسُ لعباده المؤمنين في قلوب عباده المخلصين مَحَبَّةً، وَمَوَدَّةً لِمَتَابِعَتِهِمُ الشَّرِيعَةَ، وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الْمَوْجِبَةَ لِرِضَا الرَّحْمَنِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَدُّ مِنْهُ وَقَدْ وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " إِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ، فَقَالَ يَا

1 - أخرجه الطبراني في الكبير 254/12 عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس برقم : 13024 به ، وأورده الهيثمي في الزوائد 65/3 باب تلقين الميت لا إله إلا الله برقم : 3916 ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال : رجاله ثقات إلا أن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

2 - قال ابن عباس : "هدما أي تسقط بصوت شديد" عن ابن عباس، قوله ﴿وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ يقول : هدمًا. وعنه أيضاً الهد: الانقراض. وقال ابن زيد: غضبا لله. ينظر تفسير الطبري 259/18، وتفسير القرطبي 157/11.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2262/5 باب الصبر على الأذى برقم : 5748 بلفظ : " ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه " ، ومسلم في صحيحه 2160/4 باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل برقم : 2804 نحوه.

جبريل: إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا، فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، قال: فَيُحِبُّهُ أهل السماء، ثم يُوضَع له القبول في الأرض، وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل، فقال: يا جبريل إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا، فَأَبْغِضْهُ، فقال: فَيُبْغِضُهُ جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يُبْغِضُ فَلَانًا، فَأَبْغِضُوهُ، قال: فَيُبْغِضُهُ أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض⁽¹⁾ وعنه أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إذا أَحَبَّ اللهُ عبداً نادى جبريل، إِنِّي قد أَحْبَبْتُ فَلَانًا، فَأَحْبِبْهُ فينادي في السماء، ثم يُنْزِلُ المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁽²⁾، رواه مسلم، قال ابن عباس: ﴿وُدًّا﴾ أي:

محبة في الناس في الدنيا "، وقال سعيد بن جبیر: " أي: يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ إلى خلقه المؤمنين "، وعن ابن عباس: " أيضاً: [الوُدُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ]⁽³⁾، والرِّزْقُ الْحَسَنُ، وَاللِّسَانُ الصَّادِقُ "⁽⁴⁾، وَذَكَرَ أَنَّ هَرَمَ بْنَ حِيَانَ⁽⁵⁾ كان يقول: " ما أقبل عبداً إلى الله بقلبه، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم، ورحمتهم "، وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : " ما من عبدٍ يعمل خيراً، أو شراً، إلا كساه الله رداء عمله "⁽⁶⁾، قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾، يعني: القرآن بلسانك؛ أي: يا محمد، وهو اللسان العربي المبين الفصيح، لتبشّر به المتقين؛ أي: المستجيبين المتصدقين لرسوله ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾؛ أي: عوجاً عن الحق مانولون إلى الباطل، قال مجاهد:

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1175/3 باب ذكر الملائكة برقم: 3037 نحوه ، بلفظ آخره : " ثم يوضع له القبول في الأرض " ومسلم في صحيحه 40/8 كتاب البر والصلة باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده برقم: 6873 نحوه.

² - أخرجه مسلم في صحيحه 40/8 كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده برقم: 6873 بلفظ " إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إنني أحب فلاناً فأحبه فقال: إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيُحِبُّهُ جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جبريلَ فيقول إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُهُ جبريلُ ثُمَّ ينادي في أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ. أما اللفظ الذي ذكره المصنف فلم أقف عليه، وإنما وقفت عليه بلفظه في سنن الترمذي 317/5 سورة مريم برقم: 3161. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة والصحيحة 233/5 برقم: 2208. وقال: أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ .

³ - [الوُدُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا]. ينظر تفسير ابن كثير 269/5، وتفسير الطبري 262/18.

⁴ - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد: يعني يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه، وعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: يحبهم ويحببهم. ينظر تفسير الطبري 262/18، وتفسير مجاهد ص/495. والكشاف 49/3.

⁵ - هرم بن حيان العبدى، الأزدي، البصري، الزاهد من صغار الصحابة، وقد ولي الولايات أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانوا لا يُؤْمَرُونَ فِي الفُتُوحِ أَيامَ عَمْرِو بْنِ الْوَالِدِ الصَّاحِبَةِ، روى عنه الحسن البصري، وأهل البصرة توفي بعد (سنة 26 هـ) . ينظر أسد الغابة 406/5 برقم: 5342 ، التاريخ الكبير 243/8 برقم: 2868 ، الثقات 513/5 باب الهاء برقم: 6000 ، والجرح والتعديل 110/9 برقم: 463.

⁶ - أورده أحمد في كتابه فضائل الصحابة 479/1 باب فضائل عثمان رضي الله عنه برقم: 777، والبيهقي في شعب الإيمان 359/5 فصل في تعليم القرآن برقم: 6542، وقال: الصحيح موقوفاً على عثمان، وقد رفعه بعض الضعفاء.

أي لا يستقيمون، وقال القرطبي⁽¹⁾: "الألد: الكذاب"، وقال الحسن: ﴿قَوْمًا لُدًّا﴾
أي: "صُمًّا يعني آذان قلوبهم"⁽²⁾، وقيل: "أي: فُجَّاراً ظلوماً"⁽³⁾، قوله: ﴿وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾؛ أي: أمة كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ
مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾؛ أي: هل ترى منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً، هكذا
قالوه، وقال الحسن وقتادة⁽⁴⁾: "هل ترى عيناً، أو تسمع صوتاً"، والركز في أصل
اللغة: الصوت الخفي، قال الشاعر⁽⁵⁾:

فَتَوَجَّسَتْ رِكْزَ الْأَنْبِيَاءِ فِرَاعَهَا .. عَن ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْبِيَاءِ مَقَامَهَا.

1 - القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبدالله، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان، سمع ابن رواج، والحميري، روى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد، قال الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم له تصانيف عديدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ونور فضله، مات بالصعيد: 671 هـ. ينظر الديباج المذهب 317/1، وطبقات المفسرين للسيوطي 92/1 برقم: 88 والوافي بالوفيات 200/1.
هنا ذُكِرَ المصنف (القرطبي)، وفي تفسير ابن كثير 184/3 آخر سورة مريم، ذُكِرَ (القرطبي). وفي تفسير القرطبي نفسه 148/11 في تفسير الآية (97) من سورة مريم، يقول: "أن الألد هو شديد الخصومة".
2 - قال مجاهد: قوما لدا أي لا يستقيمون، وقال قتادة: جدالاً بالباطل، وقال ابن زيد: الألد الظلوم، وقال الحسن: صمًّا عن الحق. ينظر تفسير ابن كثير 270/5، وتفسير الطبري 264/18، وتفسير مجاهد ص/459.
3 - لعلها [ظلاماً] وهي الأنسب في الوزن، ولم أفق عليها في تفسير ابن كثير.
4 - ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي صوتاً عن ابن عباس والضحاك، وعن ابن عباس أيضاً حسناً، وقال البيهقي
الركز: ما لا يفهم من صوت أو حركة، وقال ابن عباس وابن زيد: حسناً، وقال مجاهد: هل تسمع من صوت أو ترى من عين. ينظر تفسير الطبري 265/18 وتفسير القرطبي 162/11، وتفسير الماوردي 390/3.
5 - هذا البيت للشاعر ليبيد بن ربيعة وقد وجدتها في ديوانه بلفظ:
وتوجست رزَّ الأنبياء فراعها... عن ظهر غيب والأنبياء سقامها. ينظر ديوان الشاعر ص/102.

ثالثاً :

﴿ تفسير سورة طه ﴾

وهي مكية وعدد آياتها (135) آية

سورة طه وهي مكيّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض، بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن، قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا" ⁽¹⁾، رواه الدارمي.

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾

﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ ﴿ ٢ ﴾ إِلَّا تَذَكِّرًا لِّمَن يَخْشَى ۝ ﴿ ٣ ﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ
الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ ﴿ ٤ ﴾ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ ﴿ ٥ ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ ﴿ ٦ ﴾ وَإِن تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ﴿ ٧ ﴾ اللّٰهُ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ۝ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ ﴿ ٨ ﴾

سبق ذكر حروف أوائل السور في أول سورة البقرة، قال ابن عباس رضي الله عنه: والأكثر أن طه: يعني: (يا رجل بالنبطية) ⁽²⁾ وفي الشفاء للقاضي عياض ⁽³⁾ عن الربيع بن

(1). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 477/2 رقم : 2225 بلفظ: "... قبل أن يخلق آدم بألف عام " ، والهيثمي في الزوائد 151/6 باب سورة طه رقم : 11163 ، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط ، وقال : وفيه إبراهيم بن المهاجر ضعفه البخاري بهذا الحديث ، ووثقه ابن معين ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات 109/1 ، وقال : هذا حديث موضوع.

² - أخرجه البخاري في صحيحه 1762/4 باب تفسير سورة طه برقم: 227 عن ابن جبير، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن ، باب ما فُسر بالنبطية، عن سعيد بن جبير برقم: 30596، وعن الضحاك برقم: 30597، وعن عكرمة برقم: 30598

(3). عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل ، عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم ، عالماً بالتفسير وجميع علومه ، فقيحاً أصولياً ، حافظاً لمذهب الإمام مالك ، أخذ عن القاضي ابن حمدين ، والقاضي أبي علي الصدفي ، وأبي عبدالله المازري ، وأجاز له أبو علي الغساني ، ومن شيوخه : أبو الوليد بن رشد ، اجتمع له بين من سمع منه ، وبين من أجاز له مائة شيخ ، وكتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى أبداع فيه كل الإبداع ، وسلم له أكفاؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أحد من الانفراد به، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقاً وغرباً، (ت : 544 هـ) . ينظر تاريخ الإسلام 37 / 198 ، والديباج 100/1 القاضي عياض ، والصلة 145/1 عياض بن موسى ، والعبر في خبر من عبر 467/2 ، سنة 544 هـ .

أنس⁽¹⁾ قال: " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى قام على رجل، ورفع الأخرى "، فأنزل الله طه : يعني طأ الأرض ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، ثم قال، ولا خفاء بما في هذا من الإكرام، وحُسن المعاملة، أي: لتتغنى وتتعب⁽²⁾. وأصل الشقاء في اللغة: العناء، ورُوي أن المشركين من قريش، قالوا: ما أنزلَ هذا القرآن على محمد، إلا ليشقى، فأنزل الله هذه الآية، أي: ليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم، فقد أراد به خيراً كثيراً، ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ أي: لكن أنزلناه عِظَةً لمن يخشى، وقد ثبت في الصحيحين " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين "⁽³⁾، وعن ثعلبة بن الحكم⁽⁴⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة، إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادته، إنِّي لم أجعل علمي، وحكمتي فيكم إلا، وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان، ولا أبالي "⁽⁵⁾ رواه أبو القاسم الطبراني⁽⁶⁾،

(1). الربيع بن أنس بن زياد البكري ، يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وله أحاديث عن أم سلمة رضي الله عنها، ولم يدركها، وروى عن سليمان التميمي، والأعمش وهما من أقرانه، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وروى عنه: عبدالله بن المبارك ، وأبو جعفر الرازي ، وكان هرب من الحجاج فأتى مرو وسكن فيها ثلاثين سنة، وسمع منه عبدالله بن المبارك أربعين حديثاً وهو مُخْتَفٍ ، قال أبو حاتم الرازي: سمعت أبي يقول: هو صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، (ت : 139 هـ) . ينظر تهذيب التهذيب 207/3 من اسمه الربيع، والجرح والتعديل 228/3 رقم : 2054 ، والطبقات الكبرى 369/7 ، .
(2). أورده الفضيل بن عياض في كتابه الشفاء 42/1 فصل فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والإكرام ، ولم أجده في كتب الأحاديث لا بهذا اللفظ ، ولا بنحوه .
(3). أخرجه البخاري في صحيحه 37/1 باب العلم قبل القول والعمل رقم : 71 عن معاوية ، ومسلم في صحيحه 718/2 باب النهي عن المسألة رقم : 1037 عن معاوية .
(4). ثعلبة بن الحكم الليثي: نزل البصرة، ثم انتقل إلى الكوفة، وقال: كنت غلاماً على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال البخاري: له صحبة، شهد حنيناً، وشهد خيبر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، وروى عنه سماك بن حرب ، ويزيد بن أبي زياد وغيرهما، (ت: 70 هـ - 80 هـ). ينظر الإصابة 401/1 الثاء بعدها العين رقم: 932، والتاريخ الكبير 173/2 رقم: 2099، والثقات 46/3 باب الثاء رقم: 157 .

(5). أخرجه الطبراني في الكبير 84/2 باب ثعلبة بن الحكم رقم : 1381 بلفظ : " علمي وحكمي " ، وأورده الهيثمي في الزوائد 336/1 باب في فضل العلماء ومجالستهم رقم : 527 ، وقال : رجاله موثقون ، وأورده الألباني في الأحاديث الضعيفة والموضوعة 257/2 رقم : 867 وقال في الخلاصة : " إن هذا الحديث موضوع بهذا السياق ، وفيه لفظة منكورة جداً وهي قعود الله تبارك وتعالى على الكرسي، ولا أعرف هذه اللفظة في حديث صحيح ، وخاصة أحاديث النزول ، وهي كثيرة جداً ، بل هي متواترة " .
(6). الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، ولخم قبيلة من العرب قدموا من اليمن إلى بيت المقدس، والطبراني: بفتح الطاء المهملة، والباء الموحدة، والراء بعدها الألف والنون، هذه النسبة إلى طبرية، والطبري: نسبة إلى طبرستان، كان ثقة صدوقاً، واسع الحفظ، بصيراً بالعلل، والرجال، والأبواب، كثير التصانيف، وأشهرها المعاجم، الكبير، والأوسط والصغير، وصنف المعجم الكبير، وهو المسند سوى مسند أبي هريرة فكانه أفرد في مصنف، والمعجم الأوسط في ست مجلدات كبار على معجم شيوخه يأتي فيه عن كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب، وصنف المعجم الصغير وهو عن كل شيخ له حديث واحد، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون، روى عن: أبي زرعة الدمشقي، وإسحاق الدبري. ت: 360 هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 85/3 رقم: 587، والعبير 50/2 باب سنة 360هـ، والنجوم الزاهرة 59/4، ووفيات الأعيان 215/1.

قال قتادة: " لا والله ما جعله شقاءً، ولكن جعله نوراً، ورحمة، ودليلاً إلى الجنة"⁽¹⁾، ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾، إن الله أنزل كتابه، وبعث رسوله رحمةً يرحم بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما يستمع من كتاب الله، وهو ذكرٌ أنزل الله فيه حلاله، وحرامه، وقوله: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾؛ أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد، أنزلناه تنزيلاً، وهو منزل من ربك الذي خلق الأرض بانخفاضها، وكثافتها، وخلق السموات العلى في ارتفاعها، ولطافتها، وقد جاء في الترمذي، وغيره: " أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبعد ما بينها، والتي تليها مسيرة خمسمائة عام"⁽²⁾، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، سبق الكلام عليه في سورة الأعراف⁽³⁾، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، وهو إمراره على ما أراد الله في علمه من غير (تكليف، ولا تشبيه، ولا تمثيل)⁽⁴⁾ وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾؛ أي: الجميع ملكه، وفي قبضته، وتحت قدرته، وتصرفه وإرادته، وهو خالق السموات والأرض، وما بينهما، ومالكهما، وإلههما، لا إله إلا هو، وقوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾؛ أي: ما تحت الأرض السابعة من عجائب

(1). قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، لا والله ما جعله الله شقياً، ولكن جعله الله رحمة ونورا إن الله أنزل كتابه، وبعث رسوله رحمةً يرحم بها ليذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزله الله فيه حلاله، وحرامه، وعن مجاهد أيضاً: كانوا يعلقون الحبال بصدوره في الصلاة.. وقال ابن جرير: ما أنزلناه عليك فنكلك ما لا طاقة لك به من العمل، وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر في قيام الليل. ينظر تفسير ابن حاتم 13382/2416. وتفسير الطبري 269/18، وتفسير مجاهد 393/1.

(2). أخرجه الترمذي في سننه 403/5 باب من سورة الحديد رقم: 3298 نحوه، عن أبي هريرة، وأحمد في مسنده 370/2 مسند أبي هريرة رقم: 8814 نحوه، وأرده الهيثمي في مجمع الزوائد 157/7 باب سورة الحديد عن أبي هريرة، وعزاه إلى الترمذي، وأحمد، وقال: رواه الترمذي غير أنه ذكر أن بين كل أرض والأرض الأخرى خمسمائة عام، وهنا سبعمائة، وعزاه إلى أحمد وقال: وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(3). ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية: 54 من سورة الأعراف.

⁴ - المشبهة: قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات، ومثله بالمحدثات، وهم صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة، ومنهم المشبهة المنسوبة الى داود الجوارى الذى وصف معبوده بجميع أعضاء الانسان الا الفرج واللحية. أما المعطلة: فهم من يقولون بتعطيل الأسماء عن معانيها، وجدد حقائقها، كقول الجهمية ومن تبعهم: إن أسماء - تعالى - ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم، والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا ولغة وشرعا وفطرة، وهو مقابل لإلحاد المشركين، وسئل الإمام مالك: كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب. ينظر الذخيرة 242/13، والرد على الزنادقة 20/1، والفرق بين الفرق 214/1، ولوامع الأنوار البهية 128/1.

مخلوقاته، وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، فأقبلنا راجعين، إذ جاء رجل فأخذ بحطام راحلته، فقال: يا محمد أينام النبي؟، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : تنام عيناه، ولا ينام قلبه، قال: صدقت، ثم قال: يا محمد من أين يشبه الولد أباه وأمه؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر، فأبي الماين غلب على الآخر غلبه على الولد، قال: صدقت، فقال: ما للرجل من الولد؟ وما للمرأة منه؟ فقال: للرجل العظام والعروق والعصب، وللمرأة اللحم والدم والشعر، قال: صدقت، ثم قال: يا محمد، ما تحت الثرى هذه؟ يعني الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خَلْقٌ، قال: فما تحتهم؟، قال: أرض، قال: فما تحت الأرض؟ قال: الماء، قال: فما تحت الماء؟ قال: ظلمة، قال: فما تحت الظلمة؟ قال: الهواء، قال: فما تحت الهواء؟ قال: الثرى، قال: فما تحت الثرى؟ ففاضت عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالبكاء، وقال: انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق، أيها السائل ما (المسئول)⁽¹⁾ عنها بأعلم من السائل قال: فقال: صدقت أشهد أنك رسول الله، فقال رسول - الله صلى الله عليه وسلم - : أيها الناس هل تدرون من هذا؟، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل (2) " . هذا (حديث غريب جداً)، وفيه خلط ودخل، وقد رُوِيَ عن كعب نحوه مختصراً⁽³⁾، وقوله ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾؛ أي: أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض، والسموات العُلَى الذي يعلم السر، وأخفى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ﴿السِّرِّ﴾ ما أسره ابن آدم في نفسه، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله، قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، فإن علمه، فيما مضى من ذلك، وما بقي علم واحد، وجميع

1 - ينظر اللوحة رقم: 294/أ. وعند ابن كثير: [المسئول]. وهو الصواب. ينظر تفسيره 207/6.

(2). أورده ابن كثير في تفسيره 274/5 تفسير سورة طه، وقال: هذا حديث غريب جداً، وسياق عجيب تفرّد به القاسم بن عبد الرحمن، وقد قال فيه يحيى بن معين، ليس يساوي شيئاً، وضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: لا يُعرَف، وأورده السيوطي في الدر المنثور 552/5 تفسير الآية (3) من سورة طه، وعزاه إلى أبي يعلى، ولم أفق عليه في مسنده.

(3). أخرج الطبراني في الأوسط 360/7 باب من اسمه محمد برقم: 7731 حديثاً مطولاً، وطرّفه: " عن جابر بن عبد الله أن خزيمَةَ بن ثابت، وليس بالأنصاري، كان في غير لخديجة، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معه في تلك العير، فقال له يا محمد: إني أرى فيك خصالاً، وأشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة، وقد أمنت بك... " وختامه: " وأما ما للرجل من الولد؟ وما للمرأة؟ فإن للرجل العظام والعروق والعصب، وللمرأة اللحم والدم والشعر، وأما البلد الأمين فمكة ". وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 242/8 باب عجائب المخلوقات برقم: 13368 وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، ولم ينقل تضعيفه عن أحد. وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة 460/1 برقم: 292.

الخالق في ذلك عنده، كنفس واحدة⁽¹⁾، كما قال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾⁽²⁾، وقال الضحاك: " السر ما تحدث به نفسك، وأخفى، ما لم تحدث به نفسك بعد "، وقال ابن جبير: " أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غداً، والله يعلم كل ذلك " ⁽³⁾، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ؛ أي: الذي أنزل عليك القرآن، هو الله الذي لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وسبق بعض الأحاديث في الأسماء الحسنى في أواخر سورة الأعراف⁽⁴⁾.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ﴾

شرع تبارك وتعالى في كيفية ابتداء الوحي إلى موسى، وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم، وسار بأهله قاصداً بلاد مصر بعد ما طال الغيبة [منها]⁽⁵⁾ أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، [فأقبل على الطريق]⁽⁶⁾ وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلاً بين شعاب، وجبال، وبرد، وسحاب، وظلام وضباب، ويقدح بزندٍ معه ليوري ناراً، كما جرت له العادة، فجعل لا يقدح شيئاً، ولا يخرج منه شرراً، فبينما هو كذلك إذ أنس من جانب الطور ناراً؛ أي: ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشروهم، ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾ ؛ أي: أبصرتها ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ ؛ أي: بشهاب من نار، [وفي

(1). قال ابن عباس: (السرُّ) ما حدث به الإنسان غيره في خفاء، و(أخفى منه) ما أضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره وعنه أيضاً: السر حديث نفسك وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن أنت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسر به غداً، يقول الماوردي: فيه ستة تأويلات : أحدها : أن ﴿السرُّ﴾: ما حدث به العبد غيره في السر، ﴿وَأَخْفَى﴾: ما أضمره في نفسه ، ولم يحدث به غيره، قاله ابن عباس. والثاني : أن السر ما أضمره العبد في نفسه. وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه، قاله قتادة وسعيد بن جبيرة. والثالث: يعلم أسرار عباده، وأخفى سر نفسه عن خلقه، قاله ابن زيد. والرابع: أن السر ما أسره الناس وأخفى: الوسوسة ، قاله مجاهد. والخامس: أن السر ما أسره من علمه وعمله السالف، وأخفى: وما يعلمه من عمله المستأنف، قاله الكلبي. والسادس: السر: العزيمة، وما هو أخفى: هو الهم الذي دون العزيمة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13387/2416، والقرطبي 170/11 وتفسير الماوردي 394/3.

(2). ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الآية(28) من سورة لقمان .

(3). عن الضحاك أن يقول في قوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أما السر: فما أسررت في نفسك، وأما أخفى من السر: فما لم تعلمه وأنت عاملة، يعلم الله ذلك كله. تفسير الطبري 278/18.

(4). ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية (180) من سورة الأعراف.

⁵ - ينظر اللوحة رقم: 294/ب، وعند ابن كثير: [عنها]، وهو الصواب. ينظر تفسيره 275/5.

⁶ - هكذا في المتن اللوحة رقم: 294/ب، والصواب: [فأصل الطريق]. ينظر تفسير ابن كثير 275/5.

رواية أخرى⁽¹⁾، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، وهي الجمرة التي معها لهب ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ دال على وجود البرد، وقوله: ﴿بَقْبَسٍ﴾: دال على وجود الظلام، وقوله: ﴿أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾؛ أي: " من يهديني الطريق، دال على أنه تاه عن الطريق، كما قال ابن عباس⁽²⁾: نحوه، فلما رأى النار، قال: إن لم أجد أحداً يهديني أتيتكم بنار توقدون.

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

أي: فلما أتى إلى النار واقترب منها، ﴿ نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽³⁾، وقال ههنا: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾؛ أي: الذي يكلمك ويخاطبك، ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾، قال علي، وأبو ذر، وأبو أيوب⁽⁴⁾ وغير واحد من السلف رضي الله عنهم: " كانتا من جلد حمار غير مُدَكِّي "⁽⁵⁾، وقيل: إنما أمره

(1). لعل المقصود [في آية أخرى] وهي قوله تعالى في الآية 29 من سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيَكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ .

(2). قال ابن عباس وغيره : هذا حين قضى الأجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر ، وكان قد أخطأ الطريق ، وكان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً ، يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه ، لنلا يروا امرأته فأخطأ الرفقة ، قتادة في قوله: ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾، أي: أحسست نارا أو أجد على النار هدى قال : من يهديني، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: أو أجد على النار هدى قال: من يهديني إلى الطريق، وعن ابن عباس في قوله: أو أجد على النار هدى يقول: من يدل على الطريق. وعن مجاهد في قوله : أو أجد على النار هدى قال : يهديه الطريق ، وعن عكرمة في قوله: أو أجد على النار هدى قال: هاد يهديني إلى الماء. ينظر تفسير القرطبي 171/11 ، والدر المنثور 554/5.

(3). ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية: (30) من سورة القصص.

(4). أبو أيوب الأنصاري : هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، من بني النجار ، شهد العقبة ، وبدر ، وسائر المشاهد ، كان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد ، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً نزل عنده، وأقام حتى بنى حجره، ومسجده له 155 حديثاً، روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وأنس، وغيرهم. ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، وأبو سلمة، وغيرهم، توفي ودفن في حصن القسطنطينية (عام: 52هـ) . ينظر أسد الغابة 116/2 رقم: 1354، وأسماء من يُعرف بكنيته 6/1 والإصابة 234/2 رقم: 2165.

(5). وفي أمره بخلعهما قولان : أحدهما: بإشتر بقدميه بركة الوادي المقدس ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وابن جريج. والثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت ، قاله كعب ، وعكرمة ، وقتادة، وقول

بلخ نعليه تعظيماً للبقعة، كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه عند دخول الكعبة، قيل: ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافياً غير مُنتعلٍ، وقوله: ﴿طَوَى﴾، قال ابن عباس: " هو اسم للوادي" (1)، فعلى هذا يكون (عطف بيان) (2)، وقيل: عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه، وقيل: لأنه قُدِّسَ مرتين، وَطَوَى له البركة، وَكُرِّرَتْ، والأولُ أصح. وقوله: ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ﴾، كقوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (3)؛ أي: على جميع الناس من الموجودين في زمانه، وقوله: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾؛ أي: استمع الآن ما أقول لك، وأوحيه إليك ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾، هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾؛ أي: وحدني، وقم بعبادتي من غير شريك، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، قيل: أي: لتذكرني، وقيل: أي: عند ذكرك لي ويشهد لهذا ما رواه أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ " (4) رواه أحمد، وفي الصحيحين عن أنس: أيضاً قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من نام

عن علي رضي الله عنه أيضاً، وكان مالك لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13390/2412 - 13393، وتفسير الطبري 278/18. وتفسير القرطبي 173/11، وتفسير الماوردي 396/3..

(1) يقول الماوردي: وفي طَوَى خمسة تأويلات: أحدها: أنه اسم من طوى، لأنه مر بواديه ليلاً فطواه، قاله ابن عباس. والثاني: سمي طوى لأن الله تعالى ناداه مرتين. وطوى في كلامهم بمعنى مرتين، لأن الثانية إذا أعقبها الأولى صارت كالمطوية عليها. والثالث: بل سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين، قاله الحسن. والرابع: أن معنى طوى: طأ الوادي بقدمك، قاله مجاهد. والخامس: أنه الاسم للوادي قديماً، قاله ابن زيد، ﴿طَوَى﴾ اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وقال الضحاك هو واد عميق مستدير مثل الطوي. وقرأ عكرمة {طَوَى}. الباقون {طَوَى}. قال الجوهرى: {طوى} اسم موضع بالشام، تكسر طاؤه وتضم، ويصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة. ينظر البحر المحيط 216/6، وتفسير القرطبي 175/11. وتفسير الماوردي 396/3، والمحزر الوجيز 49/4.

(2) - قوله تعالى (طوى)، يقرأ بالتثنية، وضم الطاء، قراءة ابن عامر، والكسائي، وقراءة أهل المدينة وأبي عمرو بغير تنوين، وبضم الطاء، وقراءة الحسن (طوى) بكسر الطاء، والتثنية ومعناه عنده بالوادي الذي قُدِّسَ مرتين، ونودي فيه، وهو اسم علم للوادي، وهو بدل منه، والقراءة بضم الطاء، والتثنية على أنه اسم للوادي وليس بمعدول، إنما هو مثل قولك (حطم)، فلذلك صرف، ومن لم يصرفه جعله كـ (عمر) معدولاً، إلا أن الفراء ينكر ذلك فقال: ويجوز أن يكون رفعا أي: هو (طوى)، ويُقرأ بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث اسم للبقعة، وقيل: هو معدول، وإن لم يعرف لفظ المعدول عنه، فكان أصله (طاوي)، فهو في ذلك، كـ (جمع)، و(كتع)، ويُقرأ بالكسر على أنه مثل (عنب) في الأسماء و(عدا) و(سوى) في الصفات. و(طوى) عطف بيان- أو بدل من الوادي- مجرور، وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف. ينظر إعراب القرآن للنحاس 143/5، والتبيان في إعراب القرآن 886/2. والجدول في إعراب القرآن 352/16.

(3) ﴿قَالَ يُمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الآية (144) من سورة الأعراف

(4) أخرجه مسلم في سننه 477/1 باب قضاء الصلاة الفائتة رقم: 684 عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأحمد في مسنده 255/20 مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم: 12909 به.

عن صلاة أو نسيها، فكفارتها أن يُصلَّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك" (1) وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ ؛ أي: قائمة لا محالة كائنة لا بد منها، وقوله: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾، قال ابن عباسؓ وغير واحد: " أي من نفسي، لا أُطْلِعُ عليها أحداً غيري "، قال السدي: " ليس أحد من أهل السموات والأرض، إلا قد أخفى الله عنه علم الساعة" (2). وقراءة ابن عباس وابن مسعودؓ أكاد أخفيها من نفسي، يعني كتمتها عن الخلائق، حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسي لعلت، وقراءة ابن جبير: (أخفيها): أي: أظهرها" (3)، كما قال كعب بن زهير (4):

داب شهرين ثم شهراً دميكاً ... بأريكين مُخْفِيَاتٍ عُمير.

قال الأسدي (5): الغمير: نبت رطب ينبت في خلال بيس، والأريكين موضع، والدميك الشهر التام" (6)، وقوله سبحانه: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾؛ أي: أقيمها لا محالة لأجزي كلَّ عامل بعمله، وقوله: ﴿فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾،

(1). أخرجه البخاري في صحيحه 215/1 باب من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها رقم: 572 عن أنس بن مالك رضي الله عنه نحوه، ومسلم في صحيحه 477/1 باب قضاء الصلاة الفائتة رقم: 684 عن أنس رضي الله عنه نحوه .

(2). قرأ ابن كثير، وعاصم، وسعيد بن جبیر، ورويت عن الحسن، ومجاهد: أكاد (أخفيها) بفتح الهمزة، بمعنى أظهرها، أي: أنها من صحة وقوعها، وتيقن كونه تكاد تظهر، لكن تتحجب إلى الأجل المعلوم، والعرب تقول: خفيت الشيء، بمعنى أظهرته، وقيل: (فأخفيته): سَلَبْتُ عنه خفاه، وإذا زال عنه ساتره، ظهر لا محالة، وقيل: (أكاد أخفيها): أريد أخفيها، وعن ابن عباس رضي الله عنه (أكاد أخفيها من نفسي)، وكذلك قراءة أبي رضي الله عنه، وهو قول مجاهد، وأورد الماوردي في ذلك أربعة تأويلات: أحدها: أي لا أظهر عليها أحداً، قاله الحسن، ويكون (أكاد) بمعنى أريد. والثاني: (أكاد) أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويكون المقصود من ذلك تباعد الوصول إلى علمها، وتقديره: إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك. والثالث: معناه أن الساعة آتية (أكاد). ثم استأنف ﴿أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى﴾، الرابع: أن معنى أخفيها: أظهرها. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13304/2419، وتفسير القرطبي 563/5، وتفسير الماوردي 397/3، والمحاسب في تبيين وجوه شواذ القراءات 47/2، والمحزر الوجيز 49/4.

(3). عن سعيد بن جبیر أنه قرأ: ﴿أكاد أخفيها﴾ بضم الهمزة قال أبو جعفر يقال خفى الشيء يخفيه إذا أظهره. وقرأها بفتح الألف أي أظهرها، يقال: أخفيت الشيء إذا سترته وإذا أظهرته، وقراءة الضم تحتمل الامرين وقراءة الفتح لا تحتمل غير الاظهار، . ينظر إعراب القرآن للنحاس 35/3. والبرهان في علوم القرآن 138/4.

(4). كعب بن زهير بن أبي سلمى، أبو المضرّب، له صحبة، وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه بعدما أنكر علي أخيه بجيراً إسلامه، وتعرّض للإسلام، ثم عفا عنه بعدما تاب، وأعطاه بردة له وهي التي عند الخلفاء من بعده، وقال قصيدته الشهيرة التي مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي مطلعها:

بانئت سعاد وقلبي اليوم متبول .. مَتَيْمٌ إثرها لم يُفَدَّ مَكْبُولٌ

وكانت القصيدة بأسرها فيها ثناء على المهاجرين، ولم يُذكر فيها الأنصار، فكلمته الأنصار، فصنع لها حينئذ شعراً، وهو شاعر عالي الطبقة، (ت: 26هـ). ينظر الاستيعاب 1313/3 باب كعب رقم: 2191، وأسد الغابة 501/4 الكاف مع العين رقم: 4450، وتهذيب الأسماء 77/2 رقم: 525 .

(5). محمد بن سهل الأسدي، روى عن عاصم بن بهدلة، وورقاء بن عمر، روى عنه: علي بن حمزة الكسائي صاحب القراءات، ومنجاب بن الحارث، ولم تُذكر المصادر تاريخ وفاته، ينظر تاريخ الإسلام 366/12، والتقات 51/9 برقم: 15132، والجرح والتعديل 277/7 رقم: 1502.

(6). الغمير: بفتح الغين وكسر الميم: هو نبت البقل عن المطر بعد اليبس، وقيل هو نبات أخضر قد غمر ما قبله من اليبس، والأريك: الجبل الصغير، وإنما سمي أريكاً لأنه كثير الأراك، وهما أريك الأسود، وأريك الأبيض. والدميك: الشهر التام. يقال أقمت عنده شهراً دميكاً. ينظر تاج العروس: 6698/1، وخزانة الأدب 399/2 ومعجم ما استعجم 144/1.

المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين؛ أي: لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة، وأقبل على ملاذ في الدنيا، وعصى مولا، وأتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر، ﴿فَتَرَدَى﴾؛ أي: هلك وعطب من بايعهم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأُشُّهُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

هذا برهان من الله لموسى، ومعجزة عظيمة على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل فقله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾، قال بعضهم: إنما قال ذلك على سبيل الإيناس له "(1)، وقيل: على وجه التقرير، استفهام تقرير؛ أي: أما هذه التي في يمينك عصاك تعرفها، فسترى ما يُصنع بها الآن، ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: اعتمد عليها في حال المشي، ﴿وَأُشُّهُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾، أي: أهر بها الشجرة ليسقط ورقها وترعاه غنمي، وقال مالك (2): "الهش: أن يضع الرجل المحجن على الغصن، ثم يُحرّكه حتى يسقط ورقه وثمره، ولا يكسر العود" (3)، وقوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى﴾؛ أي: مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك، وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المَازِب التي أُبهِمَت، قيل: كانت تضيء بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام وتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، وإلا لما استنكر موسى صيرورتها ثعباناً، ولم يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الإسرائيليات، وكذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم، وقول الآخر: "إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة"، وعن ابن

(1). يقول الزركشي: وقال ابن فارس: المراد به الإفهام فإن الله تعالى قد علم أن لها أمرا قد خفي على موسى عليه السلام فأعلم من حالها ما لم يعلم، وقيل: هو للتقرير فيعرف ما في يده حتى لا يفر إذا انقلبت حية. ينظر البرهان في علوم القرآن 343/2.

(2). مالك بن أنس بن أبي عامر أبو عبدالله المدني إمام دار الهجرة، الفقيه، رأس المتقين، وكبير المثبتين، قال عنه البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، روى عن: سُمِّي مولى أبي بكر بن عبدالرحمن، وسهيل بن أبي صالح، وغيرهم، حدث عنه: أمم لا يكادون يحصون، منهم: ابن المبارك، وابن وهب، قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي من أثبت أصحاب الزهري، قال: مالك أثبت في كل شيء، مات بالمدينة عام: 179هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 207/1 رقم: 199، وتقريب التهذيب 516/1 رقم: 6425. وتهذيب الكمال 380/17 رقم: 6318،

(3). وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس قال: الهش: أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط. وعن السُّدِّي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: (وَلِي مَنَازِبُ أُخْرَى)، يَقُولُ: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء". وعن قَتَادَةَ، قَالَ: كانت تضيء له بالليل". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13413/2420. والدر المنثور 564/5.

عباس: " إنه كان اسمها (ماشا)⁽¹⁾، (والله أعلم). وقوله: ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى ﴾؛ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾؛ أي: صارت في الحال حية عظيمة ثعباناً طويلاً يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز، كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، في غاية سرعة الحركة ﴿ تَسْعَى ﴾ تمشي، وتضطرب، قال ابن عباس: ولم تكن قبل ذلك حية، فمرت بشجرة، فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعنها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولّى مُدْبِرًا، فنودي الثانية أن: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾، فقيل له في الثالثة: إنك من الأمنين فأخذها، قال وهب: فقال " خذها بيمينك ولا تخف "⁽²⁾، ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾، وعلى موسى حينئذٍ مِدْرَعَةٌ من صوف قد خلّها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها أدلى طرف المِدرعة على يده، فقال له ملك: أو رأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر، أكانت المِدرعة تغني عنك شيئاً، قال: لا، ولكنني ضعيف، فكشف عن يده، ثم وضعها على فم الحية حتى سمع مس الأضراس، والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهداها، وإذا يده في موضعه الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين، ولهذا قال ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾، أي: حالتها التي تعرف قبل ذلك.

﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾^(٣٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى^(٣٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى^(٣٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي^(٣٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي^(٣٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي^(٣٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي^(٣٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي^(٣٩) هَارُونَ أَخِي^(٤٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي^(٤١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي^(٤٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا^(٤٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا^(٤٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا^(٤٥).

هذا برهان ثانٍ لموسى وهو أن الله أمره أن يُدْخِلَ يده في جيبه كما صرَّح به في الآية الأخرى، وأراد ههنا ذلك بقوله: ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾، قال مجاهد: أي:

(1). ﴿ وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾؛ أي: حاجات أخرى، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه كان يطرد بها السباع، قاله مقاتل والثاني: أنه كان يَفْدُحُ بها النار، ويستخرج الماء بها. والثالث: أنها كانت تضيء له بالليل، قاله الضحاك. عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان اسم عصا موسى ماشا، وعن ابن جبير قال: كانت عصا موسى عليه السلام من عوسج. ينظر تفسير الماوردي 383/3.

(2). عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾، قَالَ: حَالَتِهَا الْأُولَى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: " هَيْئَتِهَا الْأُولَى "، وَقَالَ وَهْبٌ: أَي سَنَرَدُّهَا عَصَا كَمَا كَانَتْ. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13419/2421 - وتفسير الطبري 296/18، وتفسير مجاهد 396/1.

كفه تحت [عَضُدِكَ] (1)، وذلك أن موسى كان إذا أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها يتلألاً، كأنه فلقه قمر، وقوله: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: من غير برص ولا أذى، ولا شين، قاله ابن عباس، وكثيرون (2)، وقال الحسن: " أخرجها والله كأنها، مصباح، فعلم موسى أنه قد لقي ربه " (3)، ولهذا قال: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس: " كانت يد موسى أكبر آياته "، وقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾، ملك مصر الذي خرجت فاراً منه، وهارباً فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومُرُهُ فليُحْسِنِ إلى بني اسرائيل، ولا يعذبهم، فإنه قد طغى، وبغى، وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، هذا سؤال من موسى لربه عز وجل أن يشرح له صدره، فيما بعثه، فإنه قد أمره أن يحتج بأمر عظيم، وخطب جسيم بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدّهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأطغاهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادّعى أنه لا يعرف ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره، هذا وقد مكث موسى في داره وليداً مدة عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً، فخافهم أن يقتلوه، فهرب منه هذه المدة بكمالها، ثم بعد هذا بعثه ربه تعالى إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، ولهذا قال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، إن لم يكن أنت عوني ونصيري، وعضدي، وظهيري، لا يكون لي طاقة بذلك، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي؛ أي: لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة، والجمرة، فوضعها على لسانه، كما سيأتي بيانه، وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل: بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه، وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال، قال الحسن: " أي حلَّ عُقْدَةً واحدةً "، وقال ابن عباس: " شكّا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل، وعقدة لسانه، فإنه كان يمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يُعِينَهُ بأخيه هارون يكون له رداءً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به

(1). في تفسير ابن كثير [عضده]. ينظر تفسير ابن كثير 280/5.

(2). عن مجاهد في قوله تعالى: وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ، قَالَ: أدخل كفك تحت عضدك، ويقول البيضاوي: جنبك تحت العضد، يقال لكل ناحيتين جناحين، استعارة من جناحي الطائر، سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران، وقال السيوطي: أي أدخل كفك تحت عضدك، ويقول الزمخشري: وجناحا الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر. سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران. ينظر أنوار التنزيل 46/4، وتفسير القرطبي 565/5، والكشاف 59/3، وتفسير مجاهد 395/1.

(3). عن ابن عباس رضي الله عنه، والحسن، والسدي، والضحاك، وقتادة، ومجاهد في قوله تعالى: ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، يعني من غير برص، يقول الزمخشري: والبرص أبغض شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرة عظيمة، وأسماهم لاسمه مجاجة، فكان جديراً بأن يكنى عنه، ولا نرى أحسن ولا أطف ولا أحر للمفاصل من كنايات القرآن وأدابه. ينظر تفسير الطبري 298/18، وتفسير الكشاف 59/3، وتفسير مجاهد 395/1.

لسانه فاتاه سُؤْلُهُ فَحَلَّ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِهِ " (1) وقوله ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٦﴾، وهذا أيضاً سؤال من موسى في أمرٍ خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له وقوله: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾، قال مجاهد: " أي: ظهري " (2) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾؛ أي: في مشاورتي ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾، قال مجاهد: " لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً، حتى يذكر الله قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً " (3) وقوله: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾؛ أي: في اصطفائك لنا، وإعطائك إيانا النبوءة، وبعثتك بنا إلى عدوك فرعون، فلك الحمد على ذلك.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ بِالسَّاحِلِ يَاأَخْدَهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴿٤٠﴾

هذه إجابة من الله لرسوله موسى - عليه السلام - ، فيما سأل ربه، وتذكير له بنعمه السالفة عليه، مما كان ألهم أمه حين كانت تُرضعه، وتحذر عليه من فرعون، وملائه أن يقتلوه، لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذت له تابوتاً، فكانت تُرضعه، ثم تضعه فيه، وترسله في البحر، وهو النيل، وتمسكه إلى [منزله] (4) بحبل، فذهبت مرةً لتربط الحبل، فانفلت منها، وذهب به البحر، فحصل

(1). يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِخْلُفْ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾، يعني العجمة التي كانت فيه من جمره النار التي أطفأها في فيه وهو طفل، ويقول الماوردي: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنها عقدة كانت بلسانه من الجمره التي ألقاها بفيه في صغر عند فرعون، الثاني: عقدة كانت بلسانه عند مناجاته لربه، حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه. والثالث: استحبابه من الله من كلام غيره بعد مناجاته. ينظر تفسير القرطبي 192/11، وتفسير الطبري 299/18، وتفسير الماوردي 400/3.

(2). قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ أي: أشدد به ظهري، ويقول الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: أن الأزر: الظهر، ومعناه فقو به نفسي. والثاني: أن يكون عوناً يستقيم به أمرى، وعن ابن زيد: أشدد به أمرى وقوتي به، فإن لي به قوه" ، وعن عبد الله بن أبي إسحاق أنه كان يقرأ ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾، بفتح الألف من أشدد ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء. تفسير ابن أبي حاتم 13429/2421، وتفسير الطبري 301/18، وتفسير الماوردي 401/3.

(3). قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني: واذكر ربك كثيراً قال: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً ومضطجعاً. تفسير ابن أبي حاتم 3483/646.

4 - هكذا في المخطوط اللوحة 295/ب، والصواب: [منزله]. ينظر تفسير ابن كثير 235/5.

لها من الغم، والهَمَّ ما ذكر الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (1)، فذهب به البحر إلى دار فرعون، ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (2) وكان من قضاء الله وقدره، وحكمته البالغة أن يرَبِّي موسى على فراش فرعون، وتغذّي، بطعامه، وشرا به مع محبته، وزوجته له، ولهذا قال: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ ؛ أي: في قلب عدو له، فأحبك، وحَبَبْتُكَ إلى عبادي، قال ابن عباس: "ما رآه أحد إلا أحبه"، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾؛ أي: لِثُرْبِي بمرأى مني، وتغذّي بغذاء الملك ونعمه محفوظاً بعيني، وقوله: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾، فرددناك إلى أمك كي تقرّ عينها، وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأباها، كما قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِحُونَ﴾ (3) تعني: هل أدلكم على من ترضعه بالأجرة، فذهبت به، وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله ففرحوا بذلك، فرحاً شديداً، واستأجروها على إرضاعه، فنالها بسببه سعادة، ورفعته في الدنيا، والآخرة أعظم، وأجزل، ولهذا جاء في الحديث: "مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثّل أم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أجرها" (4) قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، أي: عليك وقتلت نفساً يعني القبط ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾، وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون (بقتله) ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (5)، وقوله: ﴿وَقَتْنَاكَ فُتُونًا﴾ قال ابن [؟] (6)؛ أي: اختبرناك اختباراً"،

(1). ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية

(10) من سورة القصص.

2 - ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فِرْعَوْنَ وَهُمَّنَّ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ الآية (8) من سورة القصص.

(3). ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِحُونَ﴾ (4)

الآية (12) من سورة القصص.

(4). أخرجه أبو داود في مراسيله 366/1 برقم : 310 عن جبير بن نفير عن أبيه بلفظ : " مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل، يعني يتقون على عدوهم ، مثل أم موسى ترضع ولدها ، وتأخذ أجرها " ، والبيهقي في سننه 27/9 باب ما جاء في كراهية أخذ الجعائل ، ومما جاء في الرخصة فيه من السلطان برقم : 18296 عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 481/9 برقم : 4500 ، وقال : ضعيف .

5 - ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ

الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الآية (25) من سورة القصص.

(6). [ابن عباس رضي الله عنهما] ، لعلها سقطت من الناسخ ووجدتها في تفسير الطبري 306/18. ولم أعر عليها عند ابن كثير.

وقيل: "ابتليناك ابتلاءً" وقال مجاهد: "وقد أخلصناك إخلاصاً"، وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: "أن الفتون وقوعه في مَحَن خَلَّصه الله منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيه الأطفال، ثم القاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الذرة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفاً، وغير ذلك من الوقائع، والمشاق التي كانت في بني اسرائيل، كما تبين كل يغض عنها في موضعه من هذا الكتاب فعلى هذا معناه أخلصناك من تلك المَحَن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه" (1) والفتون: مصدر، وفي النسائي، وتفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، قصة طويلة في حديث الفتون، برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه وهي المذكورة كما هي في الأصل، فمن أرادها فعليه بمطالعتها (2).

﴿فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى ﴿٤٦﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤٧﴾﴾
 ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٨﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٩﴾ فَقَوْلَا لَهُ
 قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿٥٠﴾﴾

أي: لبثت مقيماً في أهل مدين حين فررت من فرعون و[ملائه] (3)، ثم جئت بحسب قدرتي وإرادتي من غير ميعاد، كما قال: ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي موعد، وقال بعضهم: على قدر الرسالة والنبوءة، وقوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، أي: اصطفتك واجتبيتك رسولاً لنفسي؛ أي: كما أريد وأشاء، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "التقى آدم وموسى فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة، قال: نعم، فوجدته قد كُتِب عليّ قبل أن

(1). قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَوَقَّعْتُكَ فُتُونًا﴾، ابتليناك ابتلاءً "وعنه أيضاً: ابتليناك ببلاء النعمة، و قال قتادة: بلونك بلاء. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2423/ رقم: 13434- 13435- 13436، وتفسير ابن جرير 106/18. وتفسير القرطبي 198/11.

(2). قال ابن عباس: اختبرناك بأشياء قبل الرسالة، أولها حملته أمه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في اليم، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جره بلحية فرعون، ثم تناوله الجمرة بدل الذرة، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون، ثم قتله القبطي وخروجه خائفاً يترقب، ثم رعايته الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق، ينظر تفسير القرطبي 198/11. وأخرجه النسائي في سننه 396/6 تفسير سورة طه رق: 11326، عن سعيد بن جبير، قال: سألت عبدالله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام "وقتناك فتوناً" فسألته عن الفتون ما هو، قال: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً"، وأورده الهيثمي في الزوائد بطوله 152/7 باب سورة طه رقم: 11166، وعزاه إلى أبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد، والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان.

3 - وردت بهذا الرسم [ملائه]. اللوحة: 296/أ، وعند ابن كثير [ملئه] 293/5، وتصح أيضاً: [ملاه].

يخلفتني، قال: نعم فَحَجَّ آدم موسى ⁽¹⁾ وقوله: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي﴾؛ أي: بِحُجَّجِي وبراهيني ومعجزاتي ﴿وَلَا تَتَّبِعُنِي فِي ذِكْرِي﴾، قال ابن عباس: أي: لا تُبْطِنَا وَلَا تَضْعُفْنَا، والمراد: أن لا يفترأ في ذكر الله، بل يذكر الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذِكْرُ الله عوناً لهما، وقوة وسلطاناً كاسراً له، كما جاء في الحديث " إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه " ⁽²⁾، ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، أي: تمرّد وعتا وتجبرّ وتجهرم على الله وعصى، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، في هذه الآية عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي ⁽³⁾: عند هذه الآية " يا من يتحجب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه "، وقال وهب: " هذا إلى العفو والمغفرة أقرب منه إلى الغضب والعقوبة " ⁽⁴⁾، وقال الحسن البصري: " أي: اعذرا إليه وقولا أن لك رباً ولك معاداً وأن بين يديك جنة وناراً "، وقال علي رضي الله عنه: " أي: كنهه " وقال سفيان الثوري: " كنهه بأبي مرة " ⁽⁵⁾، والحاصل أن دعوتها له يكون بكلام رقيق لين قريب سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال: ﴿أُدْعُ إِلَى

- (1). أخرجه البخاري في صحيحه 1764/4 تفسير سورة طه رقم: 4459 به ، ومسلم في صحيحه 2042/4 باب حجاج آدم وموسى رقم: 2281 نحوه بلفظ: " تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى " .
- (2). أخرجه الترمذي في سننه 570/5 رقم: 3580 بلفظ: " إن الله عز وجل يقول إن عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه " وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والبيهقي في شعب الإيمان 408/1 باب فيما يجاوز الله عن عباده برقم: 553 بلفظ: " وإن كان ملاقياً قرنه " .أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 131/7 برقم: 3135 وقال: ضعيف .
- (3). يزيد بن أبان الرقاشي بتخفيف القاف ، أبو عمرو البصري ، يروي عن أنس بن مالك ، وعن أبيه أبان الرقاشي ، والحسن البصري ، وروى عنه أهل البصرة ، والعراقيون ، والأعمش ، وحمام بن سلمة ، وقال أبو حاتم: كان من خيار عباد الله من البكائين بالليل في الخلوات ، وكان ممن غفل عن صناعة الحديث ، وحفظها ، واشتغل بالعبادة ، وأسبابها حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعل عن أنس ، وقال النسائي والحاكم : متروك الحديث ، وقال يحيى بن معين هو ضعيف ، وقال البخاري : كان شعبة يتكلم فيه ، ت : قبل 20 هـ . ينظر الأنساب 81/3 باب الرء والقاف ، والتاريخ الكبير 320/8 باب الألف برقم: 3166 ، وتهذيب الكمال 64/32 من اسمه يزيد برقم: 6958 .
- (4). عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِيِّ، أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾، فَقَالَ: يَا مَنْ يُتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُتَوَلَّى وَيُنَادِيهِ. وقال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: لطيفاً رقيقاً. والثاني: كنياه، قاله السدي، وقيل: إن كنية فرعون أبو مرة وقيل أبو الوليد. ويحتمل ثالثاً: أن يبدأ بالرغبة قبل الرهبة، وقال بعض المتصوفة: يا رب هذا رفقك لمن عاداك، فكيف رفقك بمن والاك، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13445/2424، وينظر تفسير الماوردي 405/3.
- (5). عَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾، قَالَ: كَنَّهُ، وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: كَنِيَاهُ يَا أَبَا مَرَّةٍ، " وَعَنِ الْحَسَنِ، " أَعْذَرَ إِلَيْهِ، وَقَوْلَا لَهُ إِنَّ لَكَ رَبًّا وَلَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا " . قال ابن جرير: ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولا له، هو أن يكنياه. وقال السدي: كنياه، قال يحيى بن معاذ: " إلهي وسيدي هذا رفقك بمن يزعم أنه إله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله "، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13442/2424 -13443 -13444، وتفسير الطبري 313/18، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان 121/4 باب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رقم: 4193.

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿١﴾ الآية، وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، ﴿أَوْ يَخْشَى﴾؛ أي: يوجد طاعة من خشية ربه، فالتذكير: الرجوع من المحذور، والخشية: تحصيل الطاعة، ونقل عن زيد بن عمرو بن نفيل ههنا شعراً⁽²⁾، وقيل: هو لأمية بن أبي الصلت⁽³⁾:

وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له: اذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذي كان باغيا
وقولا له: أنت سويت هذه ... بلا عمدٍ أرفق إذا بك بانيا
وقولا له: أنت رفعت هذه ... بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له: أنت سويت وسطها ... منيراً إذا ما جنَّه الليل هاديا
وقولا له: من يخرج الشمس بكرةً ... فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له: من ينبت الحب في الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا،
ويخرج منه حبةٌ في رويةٍ ... ففي ذاك آيات لمن كان واعيا.

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ
وَأَرَى ﴿١٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ

(1). ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الآية (125) من سورة النحل.

(2). زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية، ولا النصرانية، وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان، وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول يا معشر قريش: أُرْسِلَ اللهُ قَطْرَ السَّمَاءِ، وَيَنْبِتُ بِقَلِّ الْأَرْضِ، وَيَخْلُقُ السَّائِمَةَ فَتَرَعَى فِيهِ، وَتَذْبَحُوهَا لغيره، والله ما أعلم على ظهر الأرض، أحداً على دين إبراهيم غيري. ينظر الأعلام 60/3 والأغاني 117/3، وهذه القصيدة وجدتها في ديوان أمية بن أبي الصلت في باب مستقل بعنوان: صلة الديوان أو ما يُنسب إليه وإلى غيره، في قصيدة تتألف من 23 بيتاً، وقد نسبت إلى زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً والشواهد المذكورة (من البيت 9 إلى البيت 17) وسقط منها البيت العاشر وهو قوله:

فقال أعني يا ابن أمي فإنني .. كثير به يا رب صل لي جناحيا

ينظر ديوان أمية بن أبي الصلت ص: 194.

(3). أمية بن عبدالله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة، كان من شعراء الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقيل: إنه كان مستقيماً، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ثم زاع عنه، وكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب، وكان يسمى الله - عز و جل - في شعره السلطيط فقال: (والسلطيط فوق الأرض مُقْتَدِرٌ) وسماه في موضع آخر التغرور، فقال (وأيدته التغرور)، وكان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها، وكان ممن ذكر إبراهيم وحرم الخمر، وشك في الأوثان، والتمس الدين، وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه، فلما بعث النبي قيل له: " هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه، فحسده عدو الله وقال إنما كنت أرجو أن أكونه، . ويقال إن أمية قدم على أهل مكة باسمك اللهم فجعلوها في أول كتبهم، ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول: (لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا ... هأنذا لديكما)، ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم. ت: 5 هـ. ينظر الأعلام 23/2، والأغاني 127/4. والبداية والنهاية 274/3.

بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٨﴾ .

أخبر تعالى عن موسى وهارون أنهما قالوا مُستجبرين بالله شاكيين إليه ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة، أو يعتدي عليهما فيعاقبهما، وهما لا يستحقان منه ذلك، قيل: معنى يفرط يُعَجِّلُ، وقيل: أي يبسط علينا ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾، قال ابن عباس: "أي: يعتدي" (1) ﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾؛ أي: قال لا تخافا منه ﴿أَسْمَعُ﴾ كلامكما، وكلامه، ﴿وَأَرَىٰ﴾ مكانكما، ومكانه لا يخفى عليّ من أمركم شيء، فأنا معكما بحفظي، ونصري، وتأبيدي، قيل: لما بعث الله موسى إلى فرعون، قال: ربّ أيّ شيء أقول، قال: قل: (هيا شراهما)، قال الأعمش (2): فسّر ذلك الحيّ قبل كل شيء، والحي بعد كل شيء، قال ابن عباس: مكثا في بابه حيناً لا يؤذن لهما، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد، وذكر محمد بن إسحاق: "أن موسى وهارون خرجا، فوقفا بباب فرعون يلتماسان الإذن، وهما يقولان إنّنا رسول رب العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل، فمكثنا سنتين يغدوان، ويروحان لا يعلم بهما، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما، حتى دخل عليه بطّال له يُلاعبه ويُضحكه، فقال له: أيها الملك إن على بابك رجلا [يقول] (3) قولاً عجيباً يزعم أن له إلهاً غيرك أرسله إليك، قال: ببابي قال: نعم قال: أدخلوه، فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه، فلما وقف على فرعون، قال: إنّني رسول الله رب العالمين فعرفه فرعون" (4)، وذكر السدي: "أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه، وأخاه، وهما لا

(1). عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ قال: يعجل ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ قال: يعتدي، وعن مجاهد قال: عقوبة منه، وابن أبي حاتم بسند جيد عن ابن مسعود قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال: رب أي شيء أقول؟ قال: قل أهيا شرا هيا قال الأعمش: تفسير ذلك الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء وروى ابن أبي حاتم بسند جيد عن ابن مسعود قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون، قال: رب أي شيء أقول؟ قال: قل أهيا شرا هيا، وقال الأعمش: تفسير ذلك الحي قبل كل شيء، والحي بعد كل شيء، قال ابن عباس: يعتدي، وقال مجاهد: عقوبة منه، يقول ابن جرير: وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدي. وأما التفريط: فإنه التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2424/ رقم: 13447-13448، وتفسير الطبري 314/18، والدر المنثور 580/5.

(2). الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي كنيته أبو محمد تابعي مشهور، أحد الأئمة في الحديث، والقراءات ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، ولكنه يبدلس، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولم يثبت له منه سماع، وما يرويه عن أنس، فهو إرسال، أخذه عن أصحاب أنس، ويروي عن عبدالله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وعامر الشعبي، وغيرهم كثير، وروى عنه: الحكم بن عتبة، وأبو اسحاق السبيعي، وهو من شيوخه وسهيل بن أبي صالح وهو من أقرانه، وشعبة، والسفيانان، وغيرهم كثير، ت: 148 هـ. ينظر تقريب التهذيب 254/1 رقم: 2615، وتهذيب التهذيب 195/4 رقم: 386، والثقات 302/4.

(3) [يقول] إضافة اقتضتها الضرورة لعلها سقطت من الناسخ.
(4). أورد ابن أبي حاتم قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: كابره بالسحر لعلك تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه موسى من سلطان الله ما أراه وبعث فرعون

يعرفانه، وكان طعامهم ليلتئذٍ الطفلس، وهو اللفت، ثم عرفاه وسَلْمًا، عليه فقال له: موسى: يا هارون إنَّ ربي قد أمرني أن آتي فرعون، فأدعوه إلى الله، وأمرك أن تعاونني، قال: افعل ما أمرك ربك، فذهبا، وكان ذلك ليلاً، فضرب موسى باب القصر بعصاه، فسمع فرعون فغضب، فقال: من يجترئ على هذا الصنيع، فأخبره السدنة، والبوابون: أن ههنا رجلاً مجنوناً، يقول: إنه رسول الله، فقال: عليّ به، فلما وقفا بين يديه، قالوا: وقال لهما ما ذكر الله في كتابه " (1)، "وقوله: ﴿فَدَّ جِنَّتَكَ بَيَّاتَةً﴾؛ أي: بدلالة ومعجزة من ربك، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾؛ أي: والسلام عليك إن اتبعت الهدى، ولهذا، " لما كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل عظيم الروم كتابه كتب في مطلعته: " سلام على من اتبع الهدى " (2)، وقوله " إنا قد أوحى إلينا أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله، وتولى عن طاعته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَا كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ (3)؛ أي: كذب بقلبه وتولى بفعله.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٤٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٤٣﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

أخبر تعالى عن فرعون أنه قال لموسى منكرًا وجود الصانع الخالق إله كل شيء ومليكه، ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾؟؛ أي: إن لم أكن أنا ربكما، فمن ربكما الذي بعثك، وأرسلك، فأني لا أعرفه؟، وما علمت لكم من إله غيري ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، قال ابن عباس: أي خلق لكل شيء زوجة، وجعل الإنسان إنساناً، والحمار حماراً، والشاة شاة، وقال مجاهد: " أعطى كل شيء صورته "، وقال ابن مسعود: " أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه " (4) وقال بعضهم:

في مملكته مكانه، فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا اتى به. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 15614/2762. سورة الشعراء.

(1). روى ابن أبي حاتم في تفسيره قوله: قال: فلما وقف على فرعون قال اني رسول رب العالمين فعرفه فرعون قال: الم نريك فينا وليدا وليثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين اي لإحساني اليك وفضلي عليك، ولم تشكر نعمتي ولا صنيعي، ثم قتلت رجلا من شيعتي. وروى عن عبد الرحمن بن زيد في قول الله: وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال: ربيناك فينا وليدا فهذا الذي كافاتنا ان قتلنا منا نفسا، وكفرت بنعمتنا، قال: فعلتها إذا وانا من الضالين " تفسير ابن أبي حاتم 15562/2762.

(2). أخرجه البخاري في صحيحه 7/1 باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: 7 ومسلم في صحيحه 163/5 كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعو للإسلام برقم: 4707.

³ - الآيات: (31) - (32) من سورة القيامة.

(4). ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أعطى كل شيء زوجة من جنسه، ثم هداه لنكاحه، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أعطى كل شيء صورته، ثم هداه إلى معيشتة ومطعمه ومشربه، قاله مجاهد، والثالث: أعطى كلاً ما يصلحه، ثم هداه له، قاله قتادة. ثم أضاف الماوردي قوله: ويحتمل رابعاً: أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة وهداه إلى معرفته. عن مجاهد {أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} قال: أتقنه.

هو كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾⁽¹⁾؛ أي: قَدَّرَ قَدراً وهدى الخلائق إليه أي: كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يميلون عنه ولا يقدر أحدٌ على الخروج منه يقول " ربنا الذي خلق الخلق وقَدَّرَ القدر وجَبَلَ الخليقة على ما أراد، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، أصح الأقوال في معناه: إن فرعون لما أخبره موسى أن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق، وقَدَّرَ فهدى شرع يَحْتَجُّ بالقرون الأولى من الذين لم يعبدوا الله؛ أي: فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوه، بل عبدوا غيره، فقال له موسى مجيباً عنه: وإن لم يعبدوه " فإن (علمهم) عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعملهم في كتابه، وهو اللوح المحفوظ، وكتاب الأعمال ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾: أي: لا يشذ (عليه) شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئاً يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتقدس فإن علم المخلوقين يعتريه (نقصان) أحدهما عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد فنزّه تعالى نفسه عن ذلك.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٦٠﴾﴾.

هذا من تمام كلام موسى حين سأله فرعون عنه أي الذي جعل لكم الأرض قراراً تستقرون عليها ، وتقومون ، وتنامون بها ، وتسافرون على ظهرها، ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾؛ أي: جعل لكم طرقاً تمشون في مناكبها، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾؛ أي: من ألوان النبات من زروع، وثمار من حامض وحلو ومرّ، وسائر الأنواع، ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾؛ أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لأنعامكم لأقواتها أخضر ويابس ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: لدلالات (وحجج) وبراهين لأولي النهى؛ أي: لذوي العقول السليمة المستقيمة على

يَقُولُ: مثله أعطى الإنسان إنسانته، والحصار حمارة، والشاة شاته، (ثُمَّ هَدَى) إِلَى الْجَمَاعِ " ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خلق لكل شيء زوجه، (ثُمَّ هَدَى) ، قَالَ: هذاه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه " وقال مجاهد: " أُعْطِيَ كُلُّ ذِي خَلْقٍ مَا يَصْلُحُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلِ الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِ الدَّابَّةِ وَلَا الدَّابَّةُ فِي خَلْقِ الْكَلْبِ ، وَلَا الْكَلْبُ فِي خَلْقِ الشَّاهِ ، وَأُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ النِّكَاحِ وَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى ذَلِكَ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يَمْلِكُ شَيْئاً فِي فِعَالِهِ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالنِّكَاحِ ، يَنْظُرُ تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ 13451/2425 - 13452 - 13453 وتفسير الماوردي 406/3.

(1). ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الآية 3 من سورة الأعلى .

أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ؛ أي: من الأرض مبدؤكم فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ ؛ أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (1)، وهذه الآية كقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (2) وفي السنن " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة، فلما دُفِن الميت أخذ قبضةً من التراب فألقاها في القبر، وقال: منها خلقناكم، ثم أخرى، وقال: وفيها نعيدكم، ثم أخرى، وقال: منها تارة أخرى " (3) وقوله: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ ءآيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾، يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والبراهين، وعاین ذلك وأبصره، فكذب بها، وأباها عناداً وكفراً وبغياً.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴿٥٩﴾ .

أخبر تعالى عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي أنه ألقى عصاه، فصارت ثعباناً عظيماً، ونزع يده من تحت جناحه، [فخرج مضاء] (4) من غير سوء، فقال: " هذا سحر جئت لتسحرنا وتستولي به على الناس، فیتبعونك وتكاترنا بهم ولا يتم هذا معك فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ ؛ أي: يوماً نجتمع نحن، وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في زمان ومكان معين، فعند ذلك قال لهم موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، وهو يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾، يعني: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين " وهذا شأن الأنبياء كل أمرهم كان واضحاً بيئاً ليس فيه خفاء، ولهذا لم يقل ليلاً ولكن نهاراً واضحاً، قال ابن عباس: " وكان

(1). ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية (52) من سورة الإسراء.

(2). ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الآية (25) من سورة الأعراف.

3 - هذا الحديث لم أعثر عليه في كتب السنة بلفظه، أما بمعناه فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده 524/36 حديث أبي أمامة رقم: 22187، بلفظ " لما وضعت أم كلثوم رضي الله عنها، ابنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في القبر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نعيدكم تارة أخرى " والحاكم في المستدرک 231/3 تفسير سورة طه رقم: 3433، وأورده الهيثمي في الزوائد 160/3 باب ما يقال عند إدخال الميت القبر رقم: 4239، وعزاه إلى أحمد، وقال: إسناده ضعيف.

4 - هكذا في المتن: اللوحة رقم: 297/أ، وعند ابن كثير: [فخرجت بيضاء]. وهو الصواب تفسير ابن كثير 299/5.

يوم عاشوراء " ، قال مجاهد: وغير واحد ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ ؛ أي: " منصفاً عدلاً مستويّاً يتبين الناس وما فيه " (1)، قال وهب بن منبه: " قال فرعون يا موسى اجعل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ : أجلاً ينظر فيه، قال موسى: لم أؤمر بهذا إنما أُمِرْتُ بمناجرتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك، فأوحى الله إلى موسى، اجعل بينك وبينه أجلاً تريده، فقال فرعون: إلى أربعين يوماً، ففعل.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٥ ﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ٦٦ ﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ٦٧ ﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ٦٨ ﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعَلَىٰ ٦٩ ﴾ .

أخبر تعالى عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى إلى وقتٍ ومكان معلومين تولى أي: شرع في جمع السحرة من مدائن ملكه، وكان السحر فيهم كثيراً نافقاً جداً، ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾، [أي] (2) اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير ملكه واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يميناً ويسرة، وأقبل موسى عليه السلام متوكئاً على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون ، ويعددهم ويمنيهم ، فقال لهم موسى : ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ؛ أي: لا تخيلوا للناس بأعمالكم اتحاد أشياء لا حقائق لها، فتكونون قد كذبتهم على الله ﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾ ؛ أي: يهلكهم بعقوبة هلاكاً لا بقية له ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ ؛ أي: خسر ﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾ (٦٦) ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ ، قيل: معناه تشاجروا فيما بينهم، فقائل يقول ليس هذا ساحر، إنما هذا كلام نبي، وقائل يقول بل هو ساحر، وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ؛ أي: فتناجوا فيما بينهم ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ ، هذه لغة بعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها، ومنهم من قرأ: ﴿إِنْ هَٰذَيْنِ﴾

(1) (مَكَانًا سُوءًا)، قَالَ مجاهد: منصفاً بيئهم، وقال ابن زيد: مكاناً مستويّاً يتبين الناس سواء فيه لا يكون صوت ولا شيء، وفي قوله تعالى: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ)، قَالَ سعيد بن جبیر: " يَوْمُ السُّوقِ ". وقال ابن زيد: " يَوْمُ العِيدِ يَتَفَرَّغُ النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيَشْهَدُونَ، وَيَحْضُرُونَ، وَيُرُونَ " وفي تفسير الطبري عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ) قال: يوم العيد، يوم يتفرغ الناس من الأعمال، ويشهدون ويحضرون ويرون. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13466/2427 - 13467 - 13469. وتفسير الطبري 323/18.
(2). [أي] يتطلبها السياق لعلها سقطت من الناسخ.

لساحران ﴿ وهذه اللغة المشهورة⁽¹⁾، والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون إن هذا وأخاه ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم، و[يستوليان]⁽²⁾ على الناس، ويتبعهما العامة، ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم، وقوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى ﴾؛ أي: ويستبدًا بهذه الطريقة، وهي السحر معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها، وقيل: أي: يصرفا وجوه الناس إليهما، قال قتادة: " وطريقتهما المتلى يومئذ بنو اسرائيل كانوا أكثر عدداً وأموالاً "، فقال: عدو الله يريد أن يذهدبا لأنفسهما، وقوله: ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا ﴾؛ أي: [أجمعوا]⁽³⁾ كلكم صفاً وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة ليبهروا الأبصار ويغلبوا هذا [وأخاكم]⁽⁴⁾ ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾، أي: منا ومنه أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هذا فينال الرياسة العظيمة.

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۗ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَلْجِدٌ وَلَا يُلْقِي السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۖ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَتْنَا رَبِّ هَٰزُونَ وَمُوسَىٰ ۗ ﴾⁽⁵⁾

أخبر تعالى عن السحرة حين تعارضوا مع موسى أنهم قالوا لموسى: ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ﴾؛ أي: أنت أولاً، ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾، فقال: ﴿ بَلْ أَلْقُوا ﴾؛ أي: أنتم أولاً، ليرى ماذا تصنعون من السحر، وليظهر للناس جليلة أمرهم، ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾، وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب، وتميد، بحيث يُخَيَّلُ إلى الناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمعاً كثيراً، فألقى كل واحد منهم عصاً وحبالاً حتى صار الوادي ملآن حيات تركب بعضها بعضاً، وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ

(1). وقرأ أبي رضي الله عنه: إن ذان إلا ساحران. وقرأ ابن مسعود: أن هذان ساحران: بفتح أن وبغير لام، أجمع القراء على تشديد نون إن إلا ابن كثير وحفصا عن عاصم فإنهما خفهاها وأجمعوا على لفظ الألف في قوله هذان إلا أبا عمرو فإنه قرأها بالياء وأجمعوا على تخفيف النون في التثنية إلا ابن كثير فإنه شدها فالحجة لمن شدد النون في إن واتي بالألف في هذان أنه احتج بخبر ابن عباس رضي الله عنه، أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب وهذه اللفظة بلغة بلحارث بن كعب خاصة، لأنهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه لا يقبلونها لنصب. والحجة لمن خفف النون أنه جعلها خفيفة من الشديدة فأزال عملها ورد ما كان بعدها منصوباً إلى أصله وهو المبتدأ وخبره. ينظر الحجة في القراءات السبعة 242/1، والكشاف 72/3.

² - هكذا وردت في المتن. ينظر اللوحة: 297/ب، والصواب: [يستوليا]. ينظر تفسير ابن كثير 301/5.

³ - اللوحة رقم: 297/ب، وعند ابن كثير [اجتمعوا]. تفسير ابن كثير 302/5.

⁴ - اللوحة رقم: 297/ب، وعند ابن كثير: [أخاه]. تفسير ابن كثير 303/5.

خَيْفَةً مُوسَى ﴿١﴾، أي: خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم، ويغترُّوا بهم، قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله إليه تلك الساعة ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾، يعني: عصاه فألقاها فإذا هي ﴿تَلْفَفَتْ مَا صَنَعُوا﴾، وذلك أنها صارت تَنِيناً عظيماً ذا قوائم وعين ورأس وأضراس، فجعلت تبتلع تلك الحبال، والعصي حتى لم يبق منها شيئاً إلا ابتلعته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جهرةً نهاراً ضحوةً، فقامت المعجزة، واتضح البرهان، ووقع الحق وبطل السحر، فلماذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ﴾؛ أي: الذي صنعوا حيلة ساحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، قال ابن عباس: " لا يسعد حيث كان " (1)، وعن جندب بن عبد الله البجلي (2)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أخذتم يعني الساحر فاقتلوه " (3)، ثم قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، قال: [لأومن حيث وجد] (4)، رواه ابن أبي حاتم، وقد رواه الترمذي، وأرسله موقوفاً ومرفوعاً، فلما عاين السحرة، وشاهدوه، علموا علم يقين، أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر، والحيل، وأنه حق لا مريية فيه، ولا يقدر على ذلك، إلا الله فعند ذلك، وقعوا سُجداً لله ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (5) ولهذا قال ابن عباس (6) وغيره: " كانوا أول النهار سحرة، وآخر

(1). ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى﴾ وفي هذه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه قول السحرة. والثاني: أنه قول قوم فرعون. والثالث: قول فرعون من بين قومه، وعن مجاهد رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى﴾ قالوا: أولو العقل والشرف " وقال ابن زيد: يذهب بالذي انتم عليه". وقال سفيان الثوري: أي سراة الناس، وعن علي رضي الله عنه: يصرفا وجوه الناس إليهما " ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13473/2427 - 13475 - 13476، وتفسير الثوري 194/1، وتفسير الماوردي 411/3.

(2). جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، أبو عبدالله، ويُنسب أحياناً إلى جده، ويقال جندب بن خالد بن سفيان بضم أوله، والدال نُفْتَحُ وتُضَمُّ، العلقى بفتح الحين ثم قاف، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن خديفة بن اليمان، وروى عنه: الحسن البصري، وأبو عمران الجوني وابن سيرين، وغيرهم ت: 64 هـ. ينظر الاستيعاب 258/1 باب جندب، تهذيب التهذيب 101/2، وتهذيب الكمال 137/5 برقم: 973.

(3). أخرجه الترمذي في سننه 60/4 باب حد الساحر برقم: 1460 نحوه، بلفظ: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربة بالسيف"، وقال الألباني: ضعيف، والصحيح عن جندب موقوف، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهم، وهو قول الإمام مالك بن أنس وقال الشافعي: " إنما يُقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً"، والطبراني في الكبير 161/2 باب ما روى الحسن البصري عن جندب بن عبدالله برقم: 1666، والحاكم في مستدركه 401/4 كتاب الحدود برقم: 8073 عن جندب الخير، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا مرفوعاً من هذا الوجه، وأورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي 168/1 باب ما جاء في حد الساحر برقم: 244.

⁴ - وعند ابن كثير: [لا يؤمن به حيث وجد]. ينظر تفسير ابن كثير 303/5. وهو الصواب.

(5). ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) ﴿من سورة الأعراف. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨) من سورة الشعراء.

النهار شهداء بررة⁽¹⁾، قيل: " كانوا ثمانين ألفاً" وقيل: سبعين ألفاً، وقال السدي: ستة وثلاثين ألفاً ، وقيل ثمانية عشر ألفاً، وقيل خمسة عشر ألفاً ، وقيل اثني عشر ألفاً ، وعن ابن عباس⁽²⁾: سبعين رجلاً أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء، قال الأوزاعي⁽²⁾: لما خرَّ السحرة سُجداً رُفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها.

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ ^ط أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٦﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٨﴾﴾

أخبر تعالى عن كفر فرعون، وبغيه، ومكابرته الحق بالباطل، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة، ورأى الذين استنصرهم قد آمنوا بحضرة الناس، وغلب كل الغلب شرع في المكابرة، والنهت، وعدل إلى (استكمال) سلطانه في السحرة، وهددهم وتوعدهم، وقال: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، أي: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾، في ذلك ووافقتموه ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾، أي أنتم إنما أخذتم السحر من موسى واتفقتم وإياه على لتغلبوا وتسلبوا ملكي ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ ؛ أي: لأجعلنكم مثلثة و[لأشهرتكم]⁽³⁾، قال ابن عباس: " فكان أول من فعل ذلك "⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾، أي: أنهم يقولون إنني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى، فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه، فلما (طال) عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله،

(1). أورد ابن أبي حاتم في تفسيره قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: حين قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال : فكانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء. وبه قال قتادة، ومجاهد، وعن ابن عباس رضي الله عنه: "أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً ، منهم اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل "، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 8818/1538. وتفسير الطبري 36/13، وتفسير الماوردي 413/3.

(2). الأوزاعي: هو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع ، إمام الديار الشامية في الفقه وأحد الكُتَّاب المترسلين العلم المنشور، والحكم المشهور، الإمام المجلد، والمقدام المفضل، كان واحد زمانه وإمام عصره وأوانه، وكان مما لا يخاف في الله لومة لائم، وكان رأساً في الفقه والعبادة، روى عن : عطاء بن ابي رباح، ومكحول، ونافع مولى ابن عمر، وروى عنه: مالك، والثوري، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد بن القطان، (ت: 157 هـ). ينظر حلية الأولياء 135/6 الكاشف 638/1 رقم : 3278، وميزان الاعتدال 580/2 رقم: 4929.

³ - وجدت في تفسير ابن كثير أيضاً بهذا الرسم، ولعله يقصد [لأشهرتكم بكم]. ينظر تفسير ابن كثير 304/5.
(4). أورد ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفاً بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يميني اليمين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليمين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعاً من خلاف، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون، ينظر تفسير الطبري 339/8.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ؛ أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، يحتمل أن يكون قسماً، وأن يكون معطوفاً على البيئات؛ أي: لا نختارك على خالقنا الذي أنشأنا من العدم المبتدئ خلقاً من الطين فهو المستحق للعبادة لا أنت ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، فافعل ما شئت ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾؛ أي: إنما لك تسلط في هذه الدار الفاني، وإنما نحن رغبنا في الدار الباقي ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾، أي: ما كان بنا من الآثام، وخصوصاً ما أكرهتنا، ﴿عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ﴾، لتعارض به آية الله ومعجزة نبيه، قال ابن عباس: "أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل، فأمرهم أن يتعلموا السحر إكراهاً كيلا يذهب أصله، ولا يعلمهم أحد من الناس، فهم الذين قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر" (1) وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أي: خير لنا منك وأجزل، ثواباً مما كنت وعدتنا ومنيتنا، وقال ابن عباس: ﴿خَيْرٌ﴾ منك ثواباً إن أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً منك إن عصي (2)، وهذا جواب لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ .

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٦﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ .

الظاهر أن هذا من تمام كلام السحرة لفرعون تحذيراً له من عذاب الله الدائم، راغبين في ثوابه الأبدي، فقالوا: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾؛ أي: يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم، ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ، كقوله تعالى:

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾ (3)،

وعن أبي سعيد: قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار

(1). أورد ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ﴾ قال: أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل، فأمر إن يعلموا السحر بالفرما، وقال: علموهم تعليماً لا يعلمه أحد في الأرض، قال ابن عباس: فهم من الذين آمنوا بموسى، وهم الذين قالوا: ﴿أَمَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ﴾، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13482/2428.

(2). يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فيه وجهان: أحدهما: والله خير منك وأبقى ثواباً إن أطيع، وعقاباً إن عصي. والثاني: خير منك ثواباً إن أطيع وأبقى منك عقاباً إن عصي. وعن محمد بن كعب: " خيراً منك إن أطيع، وأبقى منك عذاباً إن عصي ". وعن ابن إسحاق: خير منك ثواباً، وأبقى عذاباً. ينظر تفسير الطبري 41/18، وتفسير الماوردي 415/3.

(3). الآيات: ﴿11 - 12 - 13﴾ من سورة الأعلى

بذنوبهم، فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة، فجئ بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: " كأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بالبادية"⁽¹⁾ رواه مسلم، وقوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾، أي: ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله، وعمله، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾؛ أي: الجنة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمات، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين، كما بين السماء، والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتهم فاسألوا الفردوس"⁽²⁾، رواه أحمد، والترمذي، وقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾؛ أي: إقامة وهو (بدل)⁽³⁾ من الدرجات العلى، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكتين أبداً، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾؛ أي: طهر نفسه من الدنس والخبث، والشرك، ووحد الله، واتبع الحق .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾﴾.

أخبر تعالى أنه أمر موسى حين أبى فرعون أن يرسل معه بني اسرائيل أن يسري بهم بالليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون، وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة، وذلك أن موسى لما خرج ببني اسرائيل أصبحوا، وليس منهم بمصر لا داع، ولا مجيب، فغضب فرعون غضباً شديداً، ﴿وَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدَائِنِ

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه 172/1 باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار رقم: 306 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ضبائر : جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرهما، أشهرها الكسر، ويقال أيضاً: إضبارة، قال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة، وابن ماجه في سننه 1441/2 باب ذكر الشفاعة رقم: 4309.

² - أخرجه البخاري في صحيحه 1028/3 باب درجات المجاهدين في سبيل الله رقم : 2638 عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، والترمذي في سننه 675/4 باب صفة درجات الجنة رقم : 2530 عن معاذ بن جبل رضي الله عنه نحوه، وأحمد في مسنده 369/37 مسند عبادة بن الصامت رضي الله عنه رقم : 22965، بلفظ: " ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام " وقال الترمذي: هكذا روى الحديث عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت، وعطاء لم يُدرك معاذ بن جبل ، ومعاذ قديم الموت ، مات في خلافة عمر.

³ - قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾، هي بدل من الدرجات، ولا يجوز أن يكون التقدير (هي جنات)، لأن خالدين فيها حال. وعلى هذا التقدير لا يكون في الكلام ما يعمل في الحال، وعلى الأول يكون العامل في الحال الاستقرار. ينظر إعراب القرآن للدعاس، 266/2، والتبيان في إعراب القرآن 898/2، والجدول في إعراب القرآن 396/16.

حَثِيرِينَ ﴿١﴾، أي: من يجمعون له الجند من بلدانه، يقول: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَعَائِطُونَ﴾ (2)، ثم لما جمع جنده ساق في طلبهم، ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (3)، أي: عند طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَأَا الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ (4)، ووقف موسى ببني إسرائيل البحر أمامهم، وفرعون وراءهم، فعند ذلك أوحى الله إليه أن اضرب لهم ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾، وضرب البحر بعصاه، وقال: انفلق عليّ بإذن الله، فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، وأرسل الله الريح على أرض البحر فلحقته، حتى صار يابساً كوجه الأرض، ولهذا قال: ﴿يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: لا تخف أن يدركك فرعون، ولا تخشى يعني من البحر أن يغرق قومك، ثم قال: ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾؛ أي: فأصابهم من البحر ما غشيهم؛ أي: الذي هو معروف ومشهور كما قال: ﴿فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى﴾ (5)، وقال الشاعر (6):

أنا أبو النجم وشعري شعري ...

أي: الذي يعرف، وهو مشهور، وكما تقدمهم، فسلك بهم في اليم، فأضلهم، وما هداهم إلى سبيل الرشاد" كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار.

﴿يَبَّتْ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٢﴾ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨٣﴾ وَإِنِّي لَعَقَارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٤﴾﴾.

(1). ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حُثِيرِينَ﴾ الآية: (111) من سورة الأعراف.

(2). ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَعَائِطُونَ (55)﴾ من سورة الشعراء.

(3). ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ الآية: (60) من سورة الشعراء.

(4). ﴿فَلَمَّا تَرَأَا الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ من سورة الشعراء.

(5). ﴿فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى﴾ (54) فَيَأِيءُ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55)﴾ الآيات من سورة النجم.

(6). الشاعر هو الفضل بن قدامة العجلي، وهو أبو النجم العجلي الراجز من طبقة العجاج في الرجز، وربما قدمه بعضهم على العجاج، له مدائح في هشام بن عبد الملك وغيره، نبغ في العصر الأموي، (ت: 130 هـ)، والبيت كاملاً:

أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله دري ما أجز صدري

ينظر الأغاني 341/22، وتاريخ الإسلام 447/7، وديوان الشاعر 198، والوافي بالوفيات 178/7.

يذكر الله نِعْمَهُ الْعِظَامِ وَمِنَّةَ الْجِسَامِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ نَجَاهُمْ مِنْ عَدُوهِمْ فِرْعَوْنَ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بِنَظَرِهِمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، بِحَيْثُ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ - رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ، وَالْيَهُودُ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَهُمْ: فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى فَصُومُوهُ " (1)، ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى وَاعَدَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ إِلَى جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَسَأَلَ فِيهِ الرُّؤْيَا، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ هُنَاكَ، وَفِي [غِبُور] (2) ذَلِكَ عَبْدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَجَلُ كَمَا يَجِيءُ قَرِيبًا، وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ (3) وَغَيْرِهَا، فَالْمَنُّ حَلْوَى كَانَتْ تَنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالسَّلْوَى طَائِرٌ يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ مِنْ كُلِّ قَدْرٍ الْحَاجَةَ إِلَى الْغَدِّ لَطْفًا مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً بِهِمْ ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ؛ أَي: كُلُوا مِنْ هَذَا الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِي رِزْقِي، فَتَأْخُذُوهُ مِنْ غَيْرِ حِلَّةٍ، وَتَخَالَفُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ ؛ أَي: أَغْضَبُ عَلَيْكُمْ، ﴿وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: " أَي: فَقَدْ شَقِيَ " (4)، وَقَالَ ابْنُ مَاتِعٍ (5): فِي جَهَنَّمَ قَصْرٌ يَرْمِي الْكَافِرَ مِنْ أَعْلَاهُ فَيَهْوِي فِي جَهَنَّمَ أَرْبَعِينَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ هَوَى﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ ، أَي: كُلُّ مَنْ تَابَ إِلَيَّ تَبُّتُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ كَانَ حَتَّى الشَّرِكِ، وَمَعْنَى تَابَ: رَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ، مِنْ كُفْرٍ، أَوْ شُرْكَ، أَوْ نِفَاقٍ، أَوْ مَعْصِيَةٍ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّنْ﴾ ؛ أَي: قَلْبُهُ، ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا﴾ ؛ أَي: بِجَوَارِحِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ

(1). أخرجه البخاري في صحيحه 1434/3 باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة رقم: 3727 عن ابن عباس نحوه، ومسلم في صحيحه 211/7 باب صوم يوم عاشوراء رقم: 2712 عن ابن عباس نحوه بلفظ: " فأمر بصومه " .

2 - [غِبُور] هكذا في المتن، اللوحة: 299/أ، وعند ابن كثير [غضون] ينظر تفسير ابن كثير 308/5. (3). إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَوَدَّعَيْنَا لَوْلَا أَلَمْنَا لَفُتْنَا بِقُرْبِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِئُونَ﴾ الآية: (57) وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ عَشْرَةَ آسَافٍ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. (160) من سورة الأعراف.

(4). ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ قال الزجاج: فقد هلك، أي صار إلى الهاوية، وهي قعر النار، من هوى يهوي هويًا أي سقط من علو إلى سفلى، وهوى فلان أي مات. ويقول الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: فقد هوى في النار والثاني: فقد هلك في الدنيا. عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: شقى. ينظر تفسير القرطبي 231/11 وتفسير الماوردي 416/3.

(5). ابن مَاتِعٍ: شَقِيَ بِنِ مَاتِعِ بَضْمِ الشَّيْنِ، وَفَتْحِ الْفَاءِ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ، أَبُو سَهْلٍ الْأَصْبَحِيُّ، وَيُقَالُ أَبُو عَيْبِدٍ، رَوَى عَنْ: ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى عَنْهُ: ابْنُهُ حُسَيْنٌ، وَيَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو، مَشْهُورٌ فِي التَّابِعِينَ، قَالَ النَّسَائِيُّ: ثَقَّةٌ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: تَابِعِي ثَقَّةٌ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ: مُخْتَلَفٌ فِي صَحْبَتِهِ، تُوْفِيَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَامَ: 105 هـ. ينظر الإصابة 399/3 الشين بعدها الفاء رقم: 4021، وتاريخ الإسلام 107/7 وتهذيب التهذيب 315/4 رقم: 616. والجرح والتعديل 389/4 رقم: 1704 .

اهْتَدَى ﴿٨٤﴾؛ أي: استقام على السنة والجماعة، ولزم الإسلام حتى يموت من غير شك، هكذا قالوه.

﴿٨٥﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٦﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٧﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٩﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩٠﴾ فَأَخْرَجَ لَهُم عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٩١﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٢﴾.

لما أهلك الله فرعون بالغرق، وسار موسى ببني إسرائيل، وواعده ربه ثلاثين ليلة، ثم أتمها له بعشر فتمت له أربعين ليلة، أي: يصومها ليلاً ونهاراً، فسارع موسى مبادراً إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾؛ أي: قادمون ينزلون قريباً من الطور، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾؛ أي: لتزداد عني رضاً، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾، أخبر تعالى نبيه موسى، بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل، وعبادتهم العجل الذي عمله السامري، وكان اسمه هارون أيضاً، وكتب تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة، كما قال: ﴿وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (1) الآية، وقوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾؛ أي: بعد ما أخبر الله تعالى بذلك في غاية الغضب، والجزع عليهم مع ما كان فيه من الاعتناء بأمرهم، وقوله: ﴿أَسِفًا﴾؛ أي: حزينا على ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل، والأسف: شدة الغضب، قال: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾؛ أي: أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة، وحسن العاقبة، كما قد شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم، وإهلاكه إياه، وغير ذلك من أياديه عندكم، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾؛ أي: في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، (أم) ههنا بمعنى: بل،

1 - ﴿وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِدَةً وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية: (145) من سورة الأعراف.

وهي للإضراب عن الكلام الأول، والعدول إلى الثاني، كأنه يقول: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾، قالوا: أي: بنو إسرائيل في جواب ما ثرَّبَهُمْ به موسى، وَقَرَّعَهُمْ، ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ أي: بقدرتنا واختيارنا، ثم شرعوا يعتذرون إليه بالعدو الواهي يخبرون عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر ﴿فَقَدَّطْنَاهَا﴾؛ أي: ألقيناها عنا، وذلك أن هارون عليه السلام هو الذي أمرهم بإلقاء الحلي في حُفرة، فيها نار، ثم جاء السامري⁽¹⁾ إليها، فألقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول، وسأل هارون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوة فدعا له هارون وهو لا يعلم ما يريد، فأجيب له، فقال السامري: عند ذلك أسأل الله أن يكون عاجلاً له خوار؛ أي: صوت استدراجاً ومحنةً واختباراً لهم، ولهذا قال: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾، قال ابن عباس⁽²⁾: ثم إن هارون مرَّ بالسامري، وهو ينحت العجل، فقال له: ما تصنع؟ قال: [أصنع ما يضر ولا ينفع]⁽²⁾، فقال هارون: اللهم اعطه ما سأل على ما في نفسه ومضى هارون، وقال السامري: " اللهم إني أسألك أن يخور فخار، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رؤوسهم "⁽³⁾، رواه ابن حاتم، فقالوا: أي: الضُّلَّالُ الذين افتتنوا بالعجل، وعبدوه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي﴾، أي: ونسيه، ههنا، وذهب يطلبه، وقيل: أي: فنسي أن يذكر لكم أن هذا إلهكم، فعكفوا إليه، وأحبوه حباً لم يحبوا ساقطاً مثله، قال الله: ﴿فَنَسِي﴾؛ أي: ترك ما كان عليه من الإسلام، يعني السامري، قال تعالى رداً عليهم وتقريباً لهم وبياناً لفضيحتهم وضلاتهم فيما ذهبوا إليه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: أفلا يرون العجل أنه لا يجيبهم إذا سألوه، ولا إذا خاطبوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ أي: لا في دنياهم، ولا في آخرتهم، قال ابن عباس: " لا والله ما كان خواره، إلا أن يدخل الريح في دبره، فيخرج من فمه، فيسمع له صوت "، والمراد بالأوزار: حُلِّي آل فرعون، سُمُّوا أوزاراً، لأنهم أخذوها على وجه العارية، فلم يرتوها، وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير، وفعلوا الأمر الكبير.

1 - السامري: كان اسمه موسى بن ظفر، وقال قتادة: " كان من قرية اسمها سامراء "، وقيل: أنه منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة، وكان منافقاً، وكان من قوم يعبدون البقر، فوقع بأرض مصر، فدخل في دين بني إسرائيل بظاهره، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر. ينظر أنوار التنزيل 64/1، وتفسير الطبري 67/2 تفسير سورة البقرة، والجامع لأحكام القرآن 233/11.

2 - لعلها: [ما لا يضر ولا ينفع].

3 - أخرجه الحاكم في مستدركه 351/2 تفسير سورة الأعراف رقم: 3251 عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: " و كان إذا سجد خار، و إذا رفع رأسه خار " وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره لسورة طه الآية: 2429/7، برقم: 14385.

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوْمِ إِيْمَا فَيُنْتَم بِهٖ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١٢﴾ .

أخبر تعالى عن نهي هارون لهم عن عبادة العجل وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمٰنُ﴾، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فيما أمرتكم به وأطيعوا أمري، واتركوا ما أنهاكم، ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾؛ أي: لا يترك عبادته حتى يسمع كلام موسى منه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه حتى كادوا أن يقتلوه.

﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٥﴾ .

أخبر تعالى عن موسى حين رجع إلى قومه، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم، فامتلاً عند ذلك غضباً، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وقد سبق بسط ذلك في سورة الأعراف⁽¹⁾، وطفق يلوم أخاه هارون فقال: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع فعصيت أمري، أي فيما كنت تقدمت إليك، وهو قوله: ﴿أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽²⁾ قال: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ﴾، ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه، لأن ذكر الأم (ههنا) أرق وأبلغ في الحنو، والعطف، ثم اعتذر بقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾، إلى آخره في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه، فيخبره بما كان من هذا الخطب العظيم، إنني خشيت أن أتبعك، فأخبرك بهذا، فنقول لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؛ أي: وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم، قال ابن عباس: " وكان هائلاً له مطيعاً "⁽³⁾.

(1) في الآية (150) من سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْلَيْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

2 - ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَّمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية (142) من سورة الأعراف.

(3) ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: لم تعمل بوصيتي، قاله مقاتل. والثاني: لم تنتظر عهدي، قاله أبو عبيدة. وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قال القوم ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾، أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يفتنن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل،

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ۗ ﴾ ١٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۗ ﴾ ١٦ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ نُخْلَفَهُ ۗ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۗ ﴾ ١٧ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ ﴿١٨﴾

أي: قال موسى للسامري: ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟⁽¹⁾ قال ابن عباس^{رضي الله عنه}: " كان السامري رجلاً من أهل (باجرما)⁽²⁾ وكان من قوم يعبدون البقر، ويحبوه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني اسرائيل، وكان في نفسه من عبادة العجل، وقيل: إنه من (كرمان)⁽³⁾، وقال قتادة: كان من قرية اسمها (سامرة)⁽⁴⁾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾؛ أي: رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون، فقبضت قبضة من أثر فرسه من تحت حافره، هذا هو المشهور عند الأكثرين والقبضة ملاً الكف، وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أي: ألقيت ما كان في يدي من تلك القبضة على حلية بني اسرائيل فأنسبك عجلاً جسداً له خوار وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾؛ أي: حسنته وأعجبته، إذ ذاك قال: ﴿فَأَذْهَبَ﴾؛ أي: كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، فعقوبتك في الدنيا ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: لا تماس الناس ولا يمسونك، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿لَنْ نُخْلَفَهُ﴾؛ أي: لا تجاوزه ولن تغيب عنه، وقوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ﴾، أي: معبودك الذي ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾؛ أي: أقمت على عبادته يعني العجل، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾، قال قتادة: " استحال العجل من الذهب لحماً فحرقه بالنار ثم

وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وكان له هائبا مطيعا. ينظر تفسير الطبري 359/18، وتفسير الماوردي 421/3.

(1). لما مرت بنو اسرائيل بالعمالقة، وهم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ فاعتنمها السامري وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل فاتخذ العجل. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي﴾ قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه. وعن السدي في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي﴾ قال: ما لك يا سامري؟ والخطب ما يحدث من الأمور الجليلة التي يخاطب عليها، ينظر تفسير الطبري 361/18. وتفسير القرطبي 239/11 وتفسير الماوردي 421/3.

(2). باجرما: بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة ينظر معجم البلدان 313/1 باب الباء والألف.

(3). كرمان: والفتح أشهر بالصحة، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وهي، ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. فتحت في السنة الرابعة من ولاية عمرو الأولى على مصر وهي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة - فيها فتح كرمان وكان أميرها سهل بن عدي. ينظر معجم البلدان 477/3، والنجوم الزاهرة 77/1.

4 - السامرة: وهي المدينة القديمة التي أقامت على أنقاضها مدينة نابلس، وكانت عاصمة مملكة اسرائيل المنشقة عن عرش سليمان بعد وفاته، وكانت تسمى قبل أن تطرق أقدام اليهود أرض فلسطين، مدينة: (شكيم)، ويشرف عليها جبل مقدس يسمى: (جرزيم). ينظر الفكر الديني الإسرائيلي ص/247.

ألقى رماده في البحر" (1)، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: لنذرينه في البحر، وقال علي رضي الله عنه: " إن موسى عمد إلى العجل، فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر، فلم يشرب أحد من ذلك ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب، فقالوا لموسى: ما توبتنا قال: يقتل بعضكم بعضاً " كما سبق في سورة البقرة (2)، وقوله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قال لهم موسى: ليس هذا إلهكم، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا ينبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه وعبد لديه، وقوله: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ نصب على التمييز (3)؛ أي: هو عالم لكل شيء ومحيط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً.

﴿ذَلِكَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۗ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۗ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۗ﴾

قال تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - كما قصصنا عليك خبر موسى، وما جرى له مع فرعون، وجنوده على الجليّة، والأمر الواقع، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقصان هذا ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا﴾؛ أي: عندنا ﴿ذِكْرًا﴾، وهو القرآن العظيم الذي، لم يُعط نبي من الأنبياء كتاباً مثله، ولا أكمل منه، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾، أي: كذب به، وأعرض عن أتباعه أمراً وطلباً، وابتغى الهدى في غيره، فإن الله يضلّه، ويهديه إلى سواء الجحيم، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾؛ أي: إثماً، وهذا عام في كل من

(1). عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: " (لنحرقنه)، خفيفة، يَقُولُ: إِنَّ الذَّهَبَ، وَالْفِضَّةَ لَا يَحْرِقَانِ بِالنَّارِ، يَسْحَلُ بِالْمِبْرَدِ، ثُمَّ يَلْقَى عَلَى النَّارِ، فَيَصِيرُ رَمَادًا" - حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، قَالَ: " فِي بَعْضِ الْقِرَاءَةِ: لِنَذْبَحَنَّهُ ثُمَّ لِنَحْرِقَنَّهُ، خَفِيفَةً، قَالَ قَتَادَةَ: وَكَانَ لَهُ لَحْمٌ وَدَمٌ". يَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِنَحْرِقَنَّهُ﴾ اِخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءَةِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ ﴿لِنَحْرِقَنَّهُ﴾ بِضَمِّ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، بِمَعْنَى لِنَحْرِقَنَّهُ بِالنَّارِ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَرُويَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ ﴿لِنَحْرِقَنَّهُ﴾ بِضَمِّ النُّونِ، وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ، بِمَعْنَى: لِنَحْرِقَنَّهُ بِالنَّارِ إِحْرَاقَةً وَاحِدَةً، وَقَرَأَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَارِي: (لِنَحْرِقَنَّهُ) بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الرَّاءِ بِمَعْنَى: لِنَبْرِدَنَّهُ بِالْمِبْرَادِ مِنْ حَرِّقَتَهُ، يَنْظُرُ تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ 2433/7 رِقْمًا: 13512 - 13513. وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ 365/18. وَالنَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ 322/2.

(2). فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ (54) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ - يَوْمَ أَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرِّكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

3 - {علماً} تمييز، أي: وسع علمه كل شيء، ويُقرأ بالتشديد، والفتح، وهو يتعدى إلى مفعولين، والمعنى أعطى كل شيء علماً، وفيه وجه آخر، وهو أن يكون بمعنى عظم خلق كل شيء عظيم، كالأرض، والسماء، أو هو بمعنى بسط، فيكون علماً تمييزاً. يَنْظُرُ التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ 903/2.

بلغه القرآن من الأسود، والأحمر، كما قال: ﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾⁽¹⁾ ، ومن بلغ، وكل من بلغه القرآن، فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدى، ومن خالفه وأعرض عنه ضل، وسعى في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَيٌّ: وبئس الحمل حملهم خلودهم، ودوامهم في ذلك.

﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(١٣) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٥﴾.

قد ثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم سئل - عن الصور، فقال: " قرن ينفخ فيه "⁽²⁾، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه " أنه قرن عظيم، الدارة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل "⁽³⁾، وفي الحديث: " كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر بالنفخ، قالوا يا رسول الله : وما تأمرنا ، قال: قولوا حسبنا، ونعم الوكيل "⁽⁴⁾ رواه الترمذي ، وقوله ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، قيل: معناه، زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال، ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: " يتسارون بينهم؛ أي: يقول: بعضهم لبعض سرا "⁽⁵⁾ ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: في الدار الدنيا، لقد كان لبيتكم فيها قليلاً عشرة أيام، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: في حال تناجيهم بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾، أي العاقل الكامل فيهم، ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾؛ أي: لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها، وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت

1 - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الآية: (19) من سورة الأنعام

(2). أخرجه أبو داود في سننه 378/4 باب ذكر البعث برقم: 4744، والنسائي في سننه 392/6 باب سورة الكهف برقم: 11312 به، والترمذي في سننه 620/4 باب ما جاء في الصور برقم: 2430 به ، وأحمد في مسنده، 162/2 مسند عبدالله بن عمر برقم: 6507 وقال الترمذي: هذا حديث حسن وقد روى غير واحد عن سليمان التيمي ولا نعرفه إلا من حديثه.

(3). أخرج الطبراني نحوه في الطوال 266/1 حديث الصور ، رقم : 36 ، بلفظ : " قلت يا رسول الله وما الصور قال : القرن قلت : كيف هو ، قال : عظيم ، والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه ، كعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات ، النفخة الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين " والحديث طويل ، وابن راهويه في مسنده 84/1 رقم : 10 ، والحديث ذكر بطوله أيضاً .

(4). أخرجه النسائي في سننه 316/6 باب تفسير سورة آل عمران برقم : 11082 ، والترمذي في سننه 620/4 ما جاء في باب الصور برقم : 2431 نحوه ، بلفظ " وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ " ، وأحمد في مسنده 326/1 مسند ابن عباس برقم : 3010 نحوه ، وكذلك 73/3 مسند أبي سعيد برقم : 11714 به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن

(5). أصل الخفت في اللغة السكون ، ثم قيل لمن خفض صوته خفته، قال مجاهد : يتسارون، أي يقول بعضهم لبعض في الموقف سرا ، وأورد ابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله : يتخافتون أي يتسارون، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13523/2423، وتفسير القرطبي 244/11.

لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد، ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة، وغرضهم في ذلك دفع قيام الحجة، عنهم لقصر المدة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (1) الآية.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾﴾.

أي: ويسألونك عن حال الجبال: هل تبقى يوم القيامة؟، أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾؛ أي: بسطاً واحداً، والقاع (2): هو المستوي من الأرض والصفصف، تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه، ولهذا قال: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾؛ أي: لا ترى في الأرض، يومئذٍ وادياً، ولا رابية، ولا مكاناً منخفضاً، ولا مرتفعاً، والأمت: ما نُشِرَ من الروابي، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾؛ أي: يوم يرون هذه الأهوال يستجيبون مسرعين إلى الداعي، حيث ما أمروا بادروا إليه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع، ولكن حيث لا ينفعم، قال ابن كعب القرظي: "يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة، ويطوي السماء، وتتناثر النجوم، ويذهب الشمس والقمر وينادي منادٍ فيتبع الناس الصوت يأتونه، فذلك قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾؛ أي: لا يميلون عنه" (3)، وقوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾؛ أي: سكنت فلا تسمع إلا وطء الأقدام، وقيل: الصوت الخفي، والمراد: يسعى الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٢٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٢﴾﴾

(1). ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ الآية (55) من سورة الروم.
(2). يقول الماوردي: في القاع ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه الموضع المستوي الذي لا نبات فيه، قاله ابن عباس ومجاهد، وابن زيد. والثاني: الأرض الملساء. والثالث: مستنقع الماء، قاله الفراء. وفي الصفصف وجهان: أحدهما: أنه ما لا نبات فيه، قاله الكلبي. والثاني: أنه المكان المستوي، قاله مجاهد. ينظر تفسير الماوردي 426/3. ولسان العرب 149/9.
(3). أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13530/2435، عن مُحَمَّد بن كَعْبِ القرظي، قال: "يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة تطوى السماء، وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر، وينادي منادٍ فيسمع الناس الصوت يأتونه، فذلك قول الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ قال: لا عوج عنه".

أي: يوم القيامة، ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ لأحد، ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽¹⁾، وغيره من الآيات البيّنات وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلائق على الله أنه قال: " أتى تحت العرش فأخّر ساجداً ويفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود " ⁽²⁾، فذكر أربع مرات، وفي الحديث أيضاً: " يقول الله: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال ذرة من إيمان، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من إيمان من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان " ⁽³⁾ الحديث ، وقوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي: يحيط علماً بالخلائق، كلهم ولا يحيطون به علماً، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وغير واحد: " خضعت وذلت، واستسلمت الخلائق للحَيِّ الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام، وهو قَيِّم على كل شيء يدبره ويحفظه، وهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام إلا به " ⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ أي: يوم القيامة، فإن الله سيؤدّي كل حقّ إلى صاحبه، حتى يقتص للشاء (الجلحاء)⁽⁶⁾ من الشاة القرناء، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

(1). ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ آية الكرسي وهي الآية 255 من سورة البقرة .

(2). أخرجه البخاري في صحيحه 2727/6 باب كلام الرب عزّ وجل يوم القيامة برقم : 7072 ، بلفظ " فيأتونني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمّتي أمّتي " ، ومسلم في صحيحه 97/2 باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم : 500 ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه نحوه .

(3). أخرجه البخاري في صحيحه 2706/6 باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة برقم: 7001. والحديث ورد مطولاً " ، ومسلم في صحيحه 180/1 باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، برقم : 326 ، 327 نحوه.

(4). ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الآية: (255) من سورة البقرة.

(5). ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾، وفيه خمسة أوجه: أحدها: أي ذلت، قاله ابن عباس . والثاني: خشعت، قاله مجاهد والفرق بينهما: هو أنّ الذل أن يكون دليل النفس ، والخشوع : أن يتذل لذي طاعة . والثالث: عملت، قاله الكلبي . والرابع : استسلمت، قاله عطية العوفي . والخامس: أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود قاله طلق بن حبيب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: (وعنت الوجوه)، قال: الركوع والسجود" ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13537/2436. وتفسير الماوردي 427/3.

⁶ - الجلحاء: كالجماء، من جلع الرأس، والجماء: التي لا قرّن لها . والأجلح من الناس : الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه. ينظر الفائق في غريب الحديث 231/1، والنهاية في غريب الأثر 787/1.

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا، لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم، وهو أنهم، لا يُظلمون ولا يُهضمون؛ أي: لا يزداد في سيئاته، ولا ينقص من حسناته، قال ابن عباس وغير واحد: " والظلم: الزيادة، بأن يحمل عليه ذنب غيره، والهضم: النقص(1) .

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۗ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۗ﴾

أي: ولما كان يوم المعاد، والجزاء واقعاً لا محالة، أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عيٍ ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾؛ أي: وصرفنا القول فيه بذكر الوعيد لعلهم يتقون؛ أي: لكي يتركوا المآثم، والمحارم والفواحش، ويستغلوا بالطاعة، والعبادة ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: يحدث لهم القرآن عبرة، وعظة، فيعتبروا، ويتعظوا، فتعالى الملك الحق؛ أي: تنزهه وتقدس الملك الحق الذي هو وعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق وعدل، تعالى أن يعذب أحد قبل الإنذار، وبعثه الرسل والأعدار إلى خلقه لنلأ يبقى لأحد حجة، ولا شبهة وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، هو كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) ﴿(2) الآية، وثبت في الصحيح عن ابن عباس: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعالج من التنزيل شدة، فكان مما يحرك به لسانه" (3) فأنزل الله هذه الآية، يعني: أنه - عليه الصلاة والسلام - كان، إذا جاء جبريل بالقرآن يبادر، ليقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل منه مخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك، وأرشده إلى ما هو الأسهل والاخف في حقه، لنلأ يشق عليه، فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (4)، وقال ههنا: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾؛ أي: انصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك، فاقرأه بعده ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾؛ أي: زدني منك علماً بالقرآن ومعانيه،

(1). أورد ابن أبي حاتم في تفسيره 13539/2436، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قال: لا يخاف إن يظلم فيزداد في سيئاته، ولا يهضم من حسناته. وعنه أيضاً، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾: قال: غصبا".

(2). ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) ﴿الآيات من سورة القيامة.

(3). أخرجه البخاري في صحيحه 6/1 باب بدء الوحي برقم: 5 عن ابن عباس رضي الله عنه نحوه، وقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما"، ومسلم في صحيحه 330/1 باب الاستماع للقراءة برقم: 147 عن ابن عباس نحوه.

(4). ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الآية(16) من سورة القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول " اللهم انفعني بما علمتني وعلمني بما ينفعني وزدني علماً، والحمد لله على كل حال" (1) رواه الترمذي.

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: " إنما سمي الإنسان إنساناً، لأنه عهد إليه فنسي وترك " (2) وقوله: ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، قال العوفي: (3) " أي: حفظاً لما أمر به " (4)، والعزم: توطين النفس على الفعل، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، فذكر الله تعالى

(1). أخرجه الترمذي في سننه 578/5 باب العفو والعافية برقم: 3599، وابن ماجه في سننه 92/1 باب الانتفاع بالعلم والعمل به برقم: 251، والحاكم في مستدرکه 690/1 كتاب الدعاء والتكبير والتهليل برقم: 1879 بلفظ: " وارزقني علماً تتفنعني به " وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه

(2). (فَنَسِيَ) بإسكان الياء، له معنيان أحدهما : ترك، أي ترك الأمر والعهد ؛ وهذا قول مجاهد، وأكثر المفسرين، وثانيهما: قال ابن عباس " نسي" هنا من السهو والنسيان ، وإنما أخذ الإنسان منه لأنه عهد إليه فنسي. قال ابن زيد : نسي ما عهد الله إليه في ذلك. وعن ابن عباس، قال: " إنما سمي الإنسان، لأنه عهد إليه، فنسي". ينظر تفسير ابن أبي حاتم في تفسيره 13546/2437، وتفسير القرطبي 251/11.

(3). العوفي: عطية بن سعد بن جنادة ، أبو الحسن روى عن: أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وروى عنه: الفضيل بن مرزوق، والأعمش، وقال عبدالله بن أحمد: سمعت أبي: وذكر عطية العوفي، فقال: ضعيف، وقال يحيى بن معين، عندما سئل عن عطية العوفي فقال: هو ضعيف الحديث، وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به ، وسمع من أبي سعيد الخدري أحاديث، فلما مات أبو سعيد، جعل يجالس الكلبي، ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكذا، فيحفظه، وكانه أبا سعيد، ويروي عنه، فإذا قيل له من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد به الكلبي، فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه، يقول السيوطي في الإتيان: " وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا، والعوفي ضعيف، ليس بواه، وربما حسن له الترمذي، وقد ضربه الحجاج 400 سوط على أن يشتم علي فلم يفعل، ت: 111 هـ . ينظر الإتيان في علوم القرآن 239/4، والتاريخ الكبير 8/7 برقم : 35، والجرح والتعديل 382/6 برقم: 2125، والضعفاء 359/3 برقم: 1392، والطبقات الكبرى 304/6، والمجروحين 176/2 برقم: 807..

(4). يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، فيه أربعة تأويلات : أحدها : صبراً ، قاله قتادة. والثاني : حفظاً، قاله عطية. والثالث : ثباتاً. قال ابن أمية : لو قرنت أعمال بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه علي حلمهم، والرابع : عزمًا في العودة إلى الذنب ثانياً . وعن قتادة وشعبة قالا: صبراً، وقال عطية العوفي: حفظاً لما أمر به، وقال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء. ينظر تفسير الطبري 383/18، وتفسير الماوردي 430/3، ومعالم التنزيل 297/5.

تشریف آدم، وتكريمه، وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً، وقد سبق ذكُر هذه القصة في سورة البقرة والأعراف والحجر والكهف وسيأتي في آخر ص (1) وَذَكَرَ آدَمَ وَأَمْرَهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ تَشْرِيفاً وَتَكْرِيماً، وَبَيَّنَّ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ لِآدَمَ وَلِأَوْلَادِهِ قَدِيماً، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾؛ أي: امتنع واستكبر. ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾، يعني: حواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾؛ أي: إياك أن تسعى في إخراجك منها، فتتعب وتفتنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك (ههنا) في عيش هنيء بلا كلفة، ولا مشقة، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾، إنما قرن بين الجوع والعري، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾، وهذان أيضاً متقابلان، فالظمأ حر الباطن، وهو العطش، والضحى حر الظاهر، وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ قد تقدم أنه ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (2)، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ (3)، وأن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجته أن يأكلا من كل الثمار، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة، فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها، ﴿شَجَرَةَ الْخُلْدِ﴾ يعني: من أكل منها خلد، ودام مكثه، وقوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾، أي: فسقط عنهما لباسهما، فظهر عورتها، وقوله: ﴿وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ﴾؛ أي: يرفعان عليهما الهيئة: الثوب، وقيل: يحملان ورق التين على سواتهما، وقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؛ أي: يأكل الشجرة فغوى، أي: أخطأ طريق الحق، وضل حيث طلب الخلد بالمعصية فمات، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "احتج آدم موسى عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرَّبك نجياً، فبِكَمَّ وَجَدْتَ اللهُ كَتَبَ التَّوْرَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قال موسى: بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ قال: نعم، قال: أتولموني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل

(1). في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾. وفي سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾، وفي سورة الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)﴾ وفي سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾، وفي سورة ص: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣)﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾.

(2). ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الآية (22) من سورة الأعراف.

(3). ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ (21) من سورة الأعراف

أن يخلقتني بأربعين سنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحجَّ آدم موسى " (1) وقوله: ﴿ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾؛ أي: ثم اختاره واصطفاه وعفى عنه وهده إلى التوبة، فتاب عليه.

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٣٦﴾ ﴾

قال تعالى لآدم وحواء ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا ﴾ ، أي: من الجنة جميعاً، أي: مع إبليس، وقد سبق بسط ذلك في سورة البقرة " (2) ، ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، أي: آدم وذريته، وإبليس وذريته، وقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ ، وهم الأنبياء، وأتباعهم والهدى الكتاب والسنة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ؛ أي: الكتاب، والرسول ﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَلَا يَشْقَى ﴾ : في الآخرة ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ ؛ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، وتناساه، وأخذ هذا من غيره ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ؛ أي: ضيقاً في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيق حرج ل ضلاله، وإن تنعم ظاهره، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين، والهدى، فهو في حيرة، وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة، وقال ابن عباس: "يعني كل ما أعطيته عبداً من عبادي، قلّ أو كثر لا يتقيني فيه، فلا خير فيه" (3) وهو الضنك في المعيشة، ويقال أيضاً: إن قوماً ضللاً أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا متجبرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف عليهم، فاشتدت عليهم معاشتهم من سوء ظنهم بالله، وقال الضحاك:

(1). أخرجه البخاري في صحيحه 1251/3 باب وفاة موسى وذكره بعد برقم : 3228 عن أبي هريرة نحوه ،

ومسلم في صحيحه 2042/4 باب حجاج آدم وموسى برقم : 2652 عن أبي هريرة به .

(2). ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ الآية (123) من سورة البقرة.

(3). أورد ابن أبي حاتم في تفسيره 13562/2439، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله: " فإن له معيشة ضنكاً، قال: المعيشة الضنك التي قال الله: إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه حتى تقوم الساعة". ويقول القرطبي معيشة ضنكاً: أي عيشاً ضيقاً ؛ يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه الواحد والاثنتان والمؤنث والجمع ، ويقول الماوردي: فيه أربعة تأويلات : أحدها : كسبا حراما ، قاله عكرمة . والثاني : أن يكون عيشه منغصا بأن ينفق من لا يوقن بالخلف ، قاله ابن عباس . والثالث: أنه عذاب القبر ، والرابع : أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم، قاله الحسن، وقتادة وابن زيد. ينظر تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير القرطبي 285/11. وتفسير الماوردي 431/3.

"هو العمل السيئ، والرزق الخبيث" (1)، وقيل: "يضيق عليه قبره، حتى تختلف عليه أضلاعه فيه" (2)، قاله أبو سعيد الخدري وفي الحديث المرفوع " أنه عذاب القبر" (3)، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، قال مجاهد وغيره: " أي: لا حجة له ". وقال عكرمة: " عمي عليه كل شيء إلا جهنم" (4) يعني يحشر إلى النار أعمى البصيرة والبصر، ولهذا يقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾؛ أي: في الدنيا ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا﴾؛ أي: لما عرضت عن آيات الله، وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك فتناسيتها، وأعرضت عنها، كذلك تعاملك اليوم معاملة من نسيك، فإن الجزء من جنس العمل، وأما نسيان لفظ القرآن مع فهمه معناه، والعمل بمقتضاه، فليس داخلاً في هذا الوعيد الخاص، وإن كان يتوعد عليه من جهة أخرى، فإنه قد وردت السنة بالنهي، والوعيد في ذلك، عن سعد بن عبادَةَ (5)، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ما من رجل يقرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم القيامة، وهو أجزم" (6) رواه أحمد.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (١٧)

- (1). ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، قيل: الكسب الخبيث، وعنه أيضاً العمل الخبيث، والرزق السيئ. وعن ابن عباس قوله: كل مال أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر، لا يتقيني فيه، لا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، ينظر تفسير الطبري 392/18.
- (2) - أخرجه أحمد في مسنده 290/19 حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم: 12270، والحاكم في مستدركه 535/1 كتاب الجنائز برقم: 1403، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.
- (3). أخرجه ابن حبان في صحيحه 388/7 باب المريض وما يتعلق به برقم: 3119، والحاكم في مستدركه 537/1 برقم: 1405، عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين في التعمد من عذاب القبر، ولم يخرجاه.
- (4). أورد ابن أبي حاتم في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، عن مجاهد قوله: عن الحجة وعن عكرمة: عمي عليه كل شيء إلا جهنم، وقال الماوردي: فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أعمى في حال، وبصير في حال. والثاني: أعمى عن الحجة، قاله مجاهد. والثالث: أعمى عن وجهات الخير لا يهتدي لشيء منها. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13575/2440-13576-23577، وتفسير الماوردي 431/3.
- (5). سعد بن عبادَةَ بن دليم بن حارثة الخزرجي، أبو ثابت، من أهل الأشراف في الجاهلية والإسلام، كان يلقب في الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة، والرمي، والسباحة، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد أحداً والخندق، وما بعدهما، وكان أحد النقباء الأثني عشر، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه: أولاده قيس، وإسحاق، وسعيد، وابن ابنه شريحيل بن سعيد، وابن المسيب، والحسن البصري، وروى عنه ابن عباس حديث: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله وهو أجزم "، ت: (14 هـ أو 15 هـ). ينظر أسد الغابة 422/2 باب السنين والعين رقم: 2003، والإصابة 65/3 السنين بعدها العين رقم: 3175، وتقريب التهذيب 231/1 برقم: 2243، وتهذيب التهذيب 412/3 من اسمه سعد رقم: 883.
- (6). أخرجه أحمد في مسنده 129/37 مسند سعد بن عبادَةَ برقم: 22463 به، والطبراني في الكبير 23/6 ما أسند إلى سعيد بن عبادَةَ برقم: 5391 نحوه، بلفظ: " ما من أحد يقرأ القرآن "، وأورده الهيثمي في الزوائد 346/7 باب فيمن تعلم القرآن وعلمه رقم: 11682 نحوه، وعزاه إلى عبدالله بن أحمد، ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

أي: هكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا، والآخرة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ آلَهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (1)، ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾، أي: أشد ألماً من عذاب الدنيا، وأدوم فهم مخلدون فيه، ولهذا قال عليه - الصلاة والسلام - للمتلاعنين: " إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة" (2)

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (١٣٨) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٣٩) ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (١٤٠)

أي: أفلم يهد لهؤلاء المكذبين بما جنتهم به يا محمد: " كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسول قبلهم، فبادوا، فليس لهم باقية، ولا عين، ولا أثر، كما تشهدون ذلك من ديارهم الخالية الذي هم فيها يمشون، ويترددون في مساكنهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾؛ أي: ذوي العقول الصحيحة، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (3) الآية، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله، وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه تعالى لهؤلاء المشركين المكذبين إلى مدة معينة لجاهم العذاب بغتة، وكان لازماً لهم في الدنيا، كما لزم القرون الماضية، ولهذا قال لنبيه مسلماً له: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: من تكذيبهم لك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني: صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: صلاة العصر كما في الصحيحين عن جرير بن عبد الله (4) قال: " كنا جلوساً عند رسول الله - صلى

(1). ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ آلَهِ مِنْ وَاقٍ﴾ الآية (34) من سورة الرعد.
(2). أخرجه مسلم في صحيحه 1130/2 كتاب اللعان رقم: 1493 عن ابن عمر نحوه، وأبوداود في سننه 685/1 باب في اللعان برقم: 2256 عن ابن عباس نحوه، والنسائي في سننه 175/6 باب عظة الإمام الرجل والمرأة عند اللعان رقم: 3473 عن ابن عمر نحوه، والترمذي في سننه 329/5 تفسير سورة النور رقم: 3178، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(3). ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الآية: (46) من سورة الحج .

(4). جرير بن عبد الله بن جابر الجلي، أبو عمر، وقيل أبو عبدالله، روى عن: النبي صلى الله عليه وسلم، وعمر، ومعاوية، وروى عنه: أولاده المنذر، وعبيد الله، وأيوب، وقيل أن بجيلة أهمهم نسبوا إليها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: جرير بن عبدالله يوسف هذه الأمة، يعني في حسنه، وكان إسلامه في

الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا" (1)، ثم قرأ هذه الآية، وقال عليه - الصلاة والسلام - : " لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها " (2) رواه مسلم، وقوله: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾؛ أي: ومن ساعاتها فسبحه، أي: فتهجد به، وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ في مقابله آناء الليل ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾؛ أي: تعطي ثوابه، أو بالشفاعة، وقرئ (بالفتح) (3)؛ أي: ترضى ثوابه في العادة، كما قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (4)، وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول هل رضيتم، فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلفك، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً." (5)

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِۗ وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣٦﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٧﴾ ﴾

العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ت : (51 هـ أو 54 هـ) . ينظر الاستيعاب 237/1 وتهذيب التهذيب 63/2 حرف الجيم رقم : 115 . والكاشف 291/1 رقم : 770 .
(1) أخرجه البخاري في صحيحه 203/1 باب فضل صلاة العصر برقم: 529، بلفظ" كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم..."، ومسلم في صحيحه 439/1 باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم: 633.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه 440/1 باب فضل صلاتي الصبح والعصر رقم : 634 به ، وأبو داود في سننه 169/2 باب المحافظة على وقت الصلوات رقم : 427 نحوه ، بلفظ : " وقيل ان تغرب " ، والنسائي في سننه 235/1 باب فضل صلاة العصر رقم : 471 به ، وأحمد في مسنده 465/28 رقم : 17220 به ، وابن حبان في صحيحه 30/5 باب فضل الصلوات الخمس رقم : 1738، والطبراني في الأوسط 230/2 رقم: 1830، وأورده الهيثمي في الزوائد 69/2 باب في وقت صلاة الصبح رقم : 1789 ، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال : رجاله موثقون .

3 - قرأ الجمهور لعلك (تَرْضَى) بفتح التاء، أي: لعلك (تُتَاب) على هذه الأعمال، بما ترضى به، وقرأ طلحة والكسائي وأبو بكر وغيرهم عن حفص لعلك (تَرْضَى) بضم التاء، أي يرضيك ربك، ولعلك (تُعْطَى) ما يرضيك . فالحجة لمن فتحها، أنه قصد (يكون الفعل له)، ففتح لأنه من فعل ثلاثي، والحجة لمن ضم أنه دل بذلك على بناء الفعل (لما لم يسم فاعله)، والأمر فيهما قريب، لأن من أرضى فقد رضي، ودليله قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ سورة الفجر الآية (28). ينظر التيسير في القراءات السبع 153/1، والبحر المحيط 269/6، والحجة في القراءات السبعة 248/1، والمحرم الوجيز 87/4.
(4) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الآية (5) من سورة الضحى.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه 2398/5 باب صفة أهل الجنة والنار برقم : عن أبي سعيد رضي الله عنه به ومسلم في صحيحه 2176/4 باب إحلال الرضوان على أهل الجنة رقم : 2829 .

أي: لا تنظر يا محمد إلى هؤلاء [المترفون]⁽¹⁾، وأشباههم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك، وقال مجاهد: " أزواجاً منهم يعني الأغنياء، فقد أتيناك خيراً مما أتيناهم "⁽²⁾، كما قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾⁽³⁾ الآية والزهرة: الزينة والبهجة ﴿وَرَزَقْنَا رَبِّكَ﴾؛ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، كان - عليه الصلاة والسلام - " أزهّد الناس في الدنيا "⁽⁴⁾ مع القدرة عليها إذا حصلت ينفقها في عباد الله من غير أن يدخر لنفسه شيئاً لغد، وقوله: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾؛ أي: أنقذهم من عذاب الله، بإقامة الصلاة، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾⁽⁵⁾ الآية، وقوله: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾؛ أي: لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، أي: إذا أقيمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، " وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أصابه خصاصة، نادى أهله: يا أهلاه صلوا صلوا "⁽⁶⁾ رواه ابن أبي حاتم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لم تفعل، ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك "⁽⁷⁾، رواه الترمذي وابن ماجه، وقوله: ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾؛ أي: حسن العاقبة في الدنيا والآخرة: وهي الجنة لمن اتقى.

1 - السياق الصحيح [المترفين] .

(2). ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ يقول القرطبي: أي أمثالا في النعم أي الأغنياء بعضهم أمثال بعض في الغنى، وقال الماوردي: وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم الأشباه، قاله مجاهد. والثاني: أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد. والثالث: أنهم الأغنياء قاله ابن أبي نجيب. وعن مجاهد: " يعني الأغنياء، الأمثال، الأشباه " ينظر تفسير القرطبي 56/10، وتفسير الماوردي 171/3. وتفسير مجاهد 275/2.

(3). ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْفَرَءَانَ الْعَظِيمِ﴾ الآية (87) من سورة الحجر .

(4). أخرجه أحمد في مسنده 307/29 حديث عمرو بن العاص برقم: 17773 " أن عمرو بن العاص يخطبُ النَّاسَ بِمِصْرَ يَقُولُ مَا أَبْعَدَ هَدْيِكُمْ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَا هُوَ، فَكَانَ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَرْغَبَ النَّاسِ فِيهَا، والحاكم في مستدرکه 362/4 كتاب الرقاق برقم: 7927، و أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 568/10 باب في عيش النبي - صلى اله عليه وسلم - والسلف، وعزاه إلى أحمد والطبراني، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(5). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ الآية (6) من سورة التحريم.

(6). أخرجه أحمد في كتاب الزهد ص: 42 عن ثابت رضي الله عنه به، والبيهقي في شعب الإيمان 155/3 باب تحسين الصلاة والإكثار منها ليلاً ونهاراً برقم: 2915، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره رقم: 14462 عن ثابت.

(7). أخرجه الترمذي في سننه 642/4 كتاب صفة القيامة رقم: 2466 به، وابن ماجه في سننه 1376/2 باب الهم بالدنيا رقم: 4107 به، وأحمد في مسنده 321/14 مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم: 8696 به، وابن حبان في صحيحه 119/2 باب الإخلاص وأعمال السر رقم: 393، بلفظ: " ملأت يدك شغلاً "، والحاكم في مستدرکه 444/2 رقم: 3657، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْ لَمَّا تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ .

أخبر تعالى عن الكفار في قولهم: ﴿لَوْلَا﴾ ؛ أي: هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ ؛ أي: بعلامة دالة على صدق دعواه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، يعني: القرآن العظيم الذي أنزله الله عليه، وهو أمي لا يحسن الكتابة، ولم يُدارس أهل الكتاب، وجاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيح منها، فإن القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح، ويبيِّن خطأ المكذوبين فيها وعليها، وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ما من نبي إلا وقد أُوتي من الآيات، ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " (1)، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ ؛ أي: لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن يرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وينزل عليهم هذا الكتاب العظيم، لكانوا قالوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به، ونتبعه، كما قال: ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَى﴾، بين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون " ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم"، كما قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ (2) الآية، وغيرها من الآيات، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾، أي: يا محمد لمن كذبك، وخالفك، واستمر على كفره، وعناده ﴿كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ ؛ أي: منا ومنكم ﴿فَتَرَبِّصُوا﴾ ؛ أي: فانظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ ؛ أي: الطريق المستقيم، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ إلى الحق وسبيل الرشاد.

(1). أخرجه البخاري في صحيحه 1905/4 باب كيف نزول الوحي برقم : 4696 نحوه، بلفظ: " ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي ما مثله آمن عليه البشر"، ومسلم في صحيحه 134/1 باب وجوب الإيمان برسالة نبينا - صلى الله عليه وسلم - برقم: 239 نحوه .

(2). ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِّنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ الآية (42) من سورة فاطر .

رابعاً

﴿ تفسير سورة الأنبياء ﴾

وهي مكية وعدد آياتها (112) آية

﴿سورة الأنبياء﴾

تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام، وهي مكية، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " بنو اسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول، وهن من تلادي"⁽¹⁾، رواه البخاري أي: من السور التي أنزلت أولاً بمكة، وهن أول ما أخذته وتعلمته بها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ السَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

قد نبه الله تعالى الناس على اقتراب الساعة، ودنوها، وأنهم في غفلة منها؛ أي: لا ينتبهون لها، ولا يستعدون لأجلها ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: في الدنيا، وقد أجاد أبو العتاهية حيث قال :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية يطحن (2)

وقد أخذ هذا من هذه الآية، ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي المنزل والخطاب مع قريش، ومن شابههم من الكفار، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1741/4 سورة بني اسرائيل والاسراء برقم: 4431 به، والتلاد: ما كان قديماً من المال، يريد أنها من أوائل السور، المنزلة في أول الإسلام، لأنها مكية، والتلاد: ما أخذ من قديم، شبههن بتلاد المال، ينظر الفائق في غريب الحديث 154/1 حرف التاء.

2 - الشاعر أبو العتاهية: هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، وكان يبيع الجرار، لقبوه بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه. وقيل بل كان يحب الخلاعة فكني بأبي العتاهية لعتوه. وهو أحد من سار قوله وانتشر شعره. ولم يجتمع لأحد ديوان شعر لكثرتة. وقد نسك بأخره. وقال في الزهد والمواعظ، فأحسن وأبلغ. وكان أبو نواس يعظمه ويخضع له، وكان شعره غزير البحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف وأكثر شعره في الزهد والأمثال (ت: 211هـ). ينظر الأغاني 3/4، وتاريخ الإسلام 458/15، وهذه الأبيات في قصيدة من 14 بيتاً، ومطلعها :

يا أَيُّهَا الْمُتَسَمِّنُ .. قُلْ لِي لِمَنْ تَسَمَّنُ ؟

والشاهد المذكور هو البيت: 13، ينظر ديوان الشاعر ص/429

مُحَدَّثٌ ﴿١﴾ ؛ أي: جديد إنزاله، ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾، يعني: ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم، ويعظمهم به إلا استمعوه لآعين لا يعتبرون، ولا يتعظون ﴿لا هية﴾ ؛ أي: ساهية، وغافلة قلوبهم معرضة عن ذكر الله، وهذا في الإعراب كقوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ (1)، وقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ؛ أي: قائلين، فيما بينهم خفية، ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعنون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستبعدون كونه نبياً، لأنه بشر مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم، ولهذا قال: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ﴾ ؛ أي: أفنتبعونه، فتكونون كمن يأتي السحر، وهو يعلم أنه سحر، فقال تعالى مجيباً لهم: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل القرآن الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السموات، والأرض، وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمَ بَلْ أَفْتَرْنَاهُ﴾، هذا إخبار عن تعنت الكفار، وإلحادهم، واختلافهم، فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه، وضلالهم عنه، فتارة يجعلونه سحراً، وتارة يجعلونه شعراً وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفترى، وقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾، يعنون: كناقاة صالح، وآيات موسى، وعيسى (عليهم السلام)، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ (2)، والآية. ولهذا قال تعالى: ﴿مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما أتينا قرية من القرى التي بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها، فآمنوا بها، بل كذبوا فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟، كلا بل ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (3)، هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والدلائل البينات على يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما هو أظهر، وأجلى وأقطع مما شوهد مع غيره من الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

هذا رد على من أنكر بعثة الرسل من البشر؛ أي: جميع الرسل الذين تقدموا، كانوا رجالاً من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَا

1 - ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (7) من سورة القمر.
2 - ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (59) من سورة الإسراء.
3 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (96) من سورة يونس.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَرَى^١ ﴿١﴾، ولهذا قال: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾؛ أي: أهل العلم من الأمم، كاليهود، والنصارى، وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين يأتونهم بشرًا، أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام نعمة الله على خلقه، إذ بعث فيهم رسلاً منهم، يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم وقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾؛ أي: قد كانوا بشرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، وليس بضائر لهم، ولا ناقص منهم، كما توسمه المشركون في قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا خُلْدِينَ﴾؛ أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون، ثم يموتون ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾⁽³⁾ وخاصتهم أنهم يوحى إليهم بنزول الملائكة من عند الله عليهم بما يحكمون به في خلقه، وقوله: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾؛ أي: الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده، ففعل ذلك، ولهذا قال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ من أتباعهم المؤمنين، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: المكذبين بما جاءت به الرسل.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٥) ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١٦) ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾^(١٧) ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾^(١٨) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(١٩) ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلِيدِينَ﴾^(٢٠)

قال تعالى على شرف القرآن، ومحرضاً على معرفة قدره: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ أي: دينكم، وشرفكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هذه النعمة، وتلقونها بالقبول، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾⁽⁴⁾ الآية، وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: أهلنا أهلها، والقسم: الكسر، وهذه صيغة تكثير، كما قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾⁽⁵⁾، وغيره من الآيات، وقوله: ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: وأنشأنا أمة أخرى بعدهم، ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا﴾؛ أي: يتيقنوا أن العذاب واقع بهم، كما

1 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَرَى^١ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآية (109) من سورة يوسف.

2 - ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا لُكْتُوبًا مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (7) من سورة الفرقان.

3 - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فُهُمُ الْخُلْدُونَ﴾ الآية: (34) من سورة الأنبياء.

4 - ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، الآية (44) من سورة الزخرف.

5 - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ الآية (17) من سورة

وعدهم نبيهم، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، أي: يفرون هاربين ﴿لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَكُمْ﴾، هذا تهكم بهم قدرأ، أي: قيل لهم قدرأ لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وأرجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والعيشة، والمسكن الطيبة، قال قتادة استهزاء بهم " (1) : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾؛ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعم، ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خُمِيدِينَ﴾؛ أي: فما زالت تلك المقالة، وهي الاعتراف بالظلم هجيراً لهم (2)، حتى حصدناهم، كما يحصد الزرع، وخمدت حركاتهم، وأصواتهم خموداً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخُذَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْأُولَىٰ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

أخبر تعالى أنه خلق السموات، والأرض بالحق أي: بالعدل، والقسط ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (3) وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً وقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخُذَةً مِنْ لَدُنَّا﴾؛ أي: من عندنا، قال مجاهد: أي: وما خلقنا جنة، ولا ناراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا حساباً (4)، واللهم: المرأة بلسان أهل اليمن، قاله الحسن وغيره، وقال النخعي (5): " أي: " لاتخذناه من الحور العين

1 - ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ قال قتادة: أي لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم، استهزاء بهم، قال الماوردي: وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: لعلكم تسألون عن دنياكم شيئاً ، استهزاء بهم ، قاله قتادة. والثاني: لعلكم تفنعون بالمسألة ، قاله مجاهد والثالث : لتسألوا عما كنتم تعملون ، قاله ابن بحر. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13612/2446، وتفسير الطبري 418/18، وتفسير القرطبي 275/11، وتفسير الماوردي 439/3.

2 - الهجيرُ مثالُ الفسيق: الدأبُ والعادة ، ويقال: ماله هجيرى غيرها "، هي الدأبُ والعادةُ والدِين. ينظر تاج العروس 3625/1، والصحاح 852/2، والنهاية في غريب الحديث والأثر 577/5،

3 - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الآية: (31) من سورة النجم

4 - عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لو اردنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا يعني من عندنا يقول وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا حياة ولا حساباً، وعن عقبه بن أبي حمزة، قال: شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاووس وعطاء ومجاهد، فسأله عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخُذَةً﴾ قال الحسن: اللهم: المرأة. ينظر تفسير الطبري 420/18. وتفسير مجاهد ص/470.

5 - النخعي: هو إبراهيم بن قيس بن الأسود أبو عمران، وهو من كبار التابعين صلاحاً وصدقاً وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة، روى عن علقمة، ومسروق، والأسود، وطانفة، ودخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي، وأخذ عنه سماك بن حرب، والحكم بن عيينة، والأعمش، قال مغيرة بن شعبة : كنا نهاب إبراهيم كما يُهاب

"، وقال السدي وغيره: " المراد باللغو ههنا الولد " (1)، وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (2) الآية، وقوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾، قالوا: أي: ما كنا فاعلين، قال مجاهد: " كل شيء في القرآن بعد (إِنْ) فهو إنكار " (3)، وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾؛ أي: نبين الحق، فيدحض الباطل قيل: أي: يُسَلِّطُ الإِيمانَ على الكفر، ولهذا قال: ﴿فَيَذْمُغُهُ﴾؛ أي: فيهلكه وأصل الذمغ: شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾؛ أي: ذاهب مضمحل ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ﴾ أي: أيها القائلون لله ولد، ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾؛ أي: تقولون، وتفترون، ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودوامهم على طاعته ليلاً، ونهاراً سرّاً، وجهاراً، كما قال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (4) وعن حكيم بن حزام (5) قال: " بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه، إذ قال لهم: هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا ما نسمع من شيء، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إني لأسمع أطيب السماء، وما تلام أن تأط، وما فيها موضع شبر إلا، وعليه ملك ساجد، أو قائم " (6) رواه ابن أبي حاتم، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم، كالنفس لبني آدم .

الأمير، وكان يتوقى الشهرة، وقال الشعبي لما بلغه موت إبراهيم: ما خلف بعده مثله (ت: 96 هـ). ينظر تذكرة الحفاظ 59/1 رقم: 70 ، وتقريب التهذيب 95/1 رقم: 270 ، وتهذيب التهذيب 155/1 رقم: 325 .

1 - عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قال: نساء، وفي قوله لأتخذناه من لدنا، قال: من الحور العين، وعن السدي في قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قال: لو أردت إن أتخذ ولدا لأتخذت من الملائكة".

ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13616/2448 - 13620، وتفسير السدي ص/350.

2 - ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (4) من سورة الزمر.

3 - أورد ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال: من عندنا ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾؛ أي: ما كنا فاعلين، ويقول: وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا بعثاً ولا حساباً وكل شيء في القرآن إن فهو إنكار، ينظر

تفسير ابن أبي حاتم 13622/2448، والدر المنثور 620/5.

4 - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ الآية (6) من سورة التحريم.

5 - حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، صحابي قرشي ، يقال أنه ولد في الكعبة ، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين ، وابن عم الزبير بن العوام ، رضي الله عنهما ، شهد حرب الفجار ، وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، له في كتب الحديث 40 حديثاً ، وكان من أشرف قريش، ووجهها في الجاهلية والإسلام ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، روى عنه ابنه حزام، وعبدالله بن الحارث ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم ، عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة ، ت : 54 هـ . ينظر الآسامي والكنى 234/4 رقم : 1912 ، وأسد الغابة 58/2 باب الحاء والكاف رقم : 1227 ، والإصابة 112/2 ذكر من اسمه حكيم رقم :

1802 ، والثقات 70/3 باب الحاء رقم: 224.

6 - أورد ابن أبي حاتم في تفسيره 1072/202 حديث حكيم بن حزام، والطبراني في الكبير 201/3، حديث صفوان بن محرز المازني عن حكيم بن حزام برقم: 3122، وأبو نعيم في الحلية 217/2 باب صفوان بن محرز، وقال : هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز، تفرد به عن قتادة سعيد بن أبي عروبة، ومن غريب الحديث: أطيط صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت. ينظر النهاية في غريب الحديث 129/1 باب الهمزة مع الطاء.

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

أنكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة، فقال: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾، أي: أهيهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض؟؛ أي: لا يقدر على شيء من ذلك، فكيف جعلوها لله نداءً، وعبدها معه، ثم أخبر أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت الأرض والسموات، فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ﴾، أي: في السماء والأرض ﴿ آلِهَةٌ ﴾ غير الله ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾، كقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ (1) الآية، وقوله: ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾، أي: عما يقولون، إن له ولداً أو شريكاً، تنزهه وتقدس عن الذين يفترون، و يافكون علواً كبيراً، وقوله: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾؛ أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض أحد عليه لعظمته وجلاله ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾؛ أي: وهو سائل عما يعملون كقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (2).

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾ ﴾

أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة ﴿ قُلْ ﴾: يا محمد ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾؛ أي: حجتكم ودليلكم على ما تقولون، وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بالحق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون، فأنتم معرضون عنه، ولهذا قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾، وكل نبي بعثه الله دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفترة شاهدة بذلك أيضاً والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب من الله، ولهم عذاب شديد.

1 - ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ الآية ﴿ 91 ﴾ من سورة المؤمنون.

2 - ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية ﴿ 88 ﴾ من سورة المؤمنون.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

رَدَّ اللهُ تعالى على من زعم أن له ولداً من الملائكة، بقوله: ﴿ سُبْحَانَ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾؛ أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية، وهم له في غاية الطاعة قولاً، وفعلاً ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾، لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمرهم به، بل مبادرون لفعله، وعلمه تعالى محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، أي: ما عملوا، وما هم عاملون، وقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾؛ أي: لمن وَّحَدَ اللهُ، ورضي اللهُ عنه، ﴿ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ ﴾؛ أي: من خوفه، ورهبته، ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾؛ أي: خائفون لا يأمنون ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾؛ أي: ومن ادعى منهم أنه إله من دون الله؛ أي: مع الله ذلك يجزيه جهنم؛ أي: كل من قال ذلك، وهذا شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، فإنه لم يقل أحد من الملائكة إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللهِ، بل المراد إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه، قاله قتادة⁽¹⁾، ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾؛ أي: الذين وضعوا الآلهة غير موضعها.

﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

نبه الله تعالى على قدرته التامة في خلقه الأشياء وقهره لجميع مخلوقاته بقوله: ﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾؛ أي: الجاحدين لألوهيته العابدين معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يُعبد أن يُعبد غيره، أو يُشرك به ما سواه، ألم يروا ﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾، أي: كان الجميع

1 - ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾ قال قتادة والضحاك وغيرهما : عني بهذه الآية إبليس حيث ادعى الشرك، ودعا إلى عبادة نفسه وكان من الملائكة، ولم يقل أحد من الملائكة إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ أَبِي حاتم 13636/2450، وتفسير الطبري 430/18، وتفسير القرطبي 282/11.

متصلاً بعضه ببعض، متراكماً بعضه فوق بعض، في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السموات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمرت السماء، وأنبتت الأرض، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: " الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرايتم أن السموات والأرض كانتا رتقاً، هل كان بينهما إلا ظلمة ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار، قال: وكانت السموات رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق الأرض رتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات"⁽¹⁾، وقال سعيد بن جبير: " كانت السماء، والأرض ملتزقتين، فلما رفع السماء، وأبرز الأرض كل ذلك ففتقهما الذي ذكر الله في كتابه"⁽²⁾، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي: أصل كل الأحياء منه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قلت يا رسول الله: إنني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني فأنبئتني عن كل شيء قال: كل شيء خلق من ماء"⁽³⁾ رواه أحمد. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾؛ أي: جبلاً أرسى الأرض بها وقررها، وثقلها لئلا [يضطرب] بالناس، و[يتحرك]⁽⁴⁾، فلا يحصل لهم قرارٌ عليها، لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه بادي الهواء، والشمس لي شاهد أهلها السماء، وما فيها من الآيات والحكم، ولهذا قال: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾؛ أي: لئلا تميد بهم، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾، أي: (ثغراً) في الجبال يسلكون فيها طرقاً من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلاً بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة [ثغراً]⁽⁵⁾، ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ والفتح: الطريق الواسع بين الجبلين، أي: جعلنا بين الجبال طرقاً لكي يهتدوا إلى مقاصدهم، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾؛ أي: على الأرض، وهي كالقبة عليها، كما قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ

¹ - عن عكرمة قال: سئل ابن عباس، عن الليل كان قبل أو النهار، قال: أرايتم السموات حيث كانتا رتقا هل كان بينهما الا ظلمة. ذلك لتعلموا ان الليل كان قبل النهار، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 15136/2717، وتفسير الثوري ص/200.

² - عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: كانت السموات والأرضون ملتزقتين فلما رفع الله السماء وابتزها من الأرض فكان فتقها الذي ذكر الله. وقال الضحاك كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: كانتا ملتزقتين ففتقهما الله، ينظر تفسير الطبري 431/18. والدر المنثور 626/5،

³ - أخرجه أحمد في مسنده 314/13 مسند أبي هريرة برقم: 7932 به، والحاكم في مستدرکه 176/4 برقم: 7278 به، وأورده الهيثمي في الزوائد 7/5 باب إطعام الطعام برقم: 7865، وعزاه إلى أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة، وهو ثقة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

⁴ - هكذا في المتن [بالياء]. ينظر اللوحة رقم: 304/أ، والصواب: تضطرب، وتتحرك، [بالتاء]. ينظر تفسير ابن كثير 340/5.

⁵ - هكذا في المتن. ينظر اللوحة رقم: 304/أ. وعند ابن كثير: [ثغرة]. ينظر تفسير ابن كثير 340/5.

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١﴾ والبناء: هو نصب القبة، كما في الحديث الصحيح: " بُني الإسلام على خمسٍ " (2)؛ أي: [خمسة] (3) دعائم، وقوله: ﴿مَحْفُوظًا﴾؛ أي: عاليًا محروسًا أن تنال، وقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، وما زينت به من الكواكب السيارات، والثوابت في ليلها، وفي النهار من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم، وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها، وسيّرهما، ثم قال منبهاً على آياته: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، أي: هذا في ظلامه، وسكونه، وهذا بضياءه، وأنسه يطول هذا تارة، ثم يقصر أخرى، وعكسه الآخر ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هذه لها نور يخصصها وفلك بذاته، وزمان على حدة، وسير خاص، وهذا بنور آخر، وفلك آخر، وسير آخر وتقدير آخر ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، أي: يدورون، كما يدور المغزل في الفلكة قاله ابن عباس (4) وغير واحد.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخَلَّةَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أي: ما جعلنا لآدمي من قبلك الخلود في الدنيا بل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (5)، وقوله: ﴿أَفَإِن مِتَّ﴾؛ أي: يا محمد ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ أي لا يأملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى فناء، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾؛ أي: نختبركم بالمصائب تارة وبالنعيم أخرى لينظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: " يختبركم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال " (6) وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: فيجازيكم بأعمالكم.

1 - ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (47) من سورة الذاريات.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 12/1 باب الإيمان ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس برقم : 8 به ، ومسلم في صحيحه 45/1 باب أركان الإسلام ودعائمه برقم : 21 به.

3 - هكذا في المتن. ينظر اللوحة 304/أ. وعند ابن كثير: [خمس]. ينظر تفسير ابن كثير 340/5. وأشار إلى أن بعض النسخ وردت [خمسة].

4 - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿كل في فلك﴾ قال: فلكة كفلكة المغزل ﴿يسبحون﴾، قال: يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل". تفسير ابن أبي حاتم 13694/2452.

5 - الآيات: (26) - (27) من سور الرحمن.

6 - ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ فيها أربعة أوجه: أحدها: بالشدة والرخاء، قاله ابن عباس. والثاني: أن الشر: الفقر والمرض ، والخير الغنى والصحة ، قاله الضحاك. والثالث: أن الشر: غلبة الهوى على النفس، والخير: العصمة من المعاصي، قاله التستري. والرابع: ما تحبون وما تكرهون. لنعلم شكركم لما تحبون، وصبركم على ما تكرهون، قاله ابن زيد. وفتنة فيه وجهان: أحدهما: اختبارا. والثاني: ابتلاء. وقال ابن عباس: نبتليكم بالشدة، والرخاء، والصحة، والسقم، والغنى، والفقر، والحلال، والحرام والطاعة، والمعصية، والهدى والضلالة، وعنه

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾﴾
 أي: وإذا رأوك يا محمد يعني كفار قريش كأبي جهل وأشباهه، ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: يستهزئون بك وينتقصونك قائلين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾، يسبها ويسفه أحلامكم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾؛ أي: وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١﴾﴾ الآية، وقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، كما قال في آية أخرى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿٢﴾﴾؛ أي: في الأمور، قال مجاهد: خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه، لم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل لخلي قبل غروب الشمس" (3) والحكمة في ذكر عجلة الإنسان (ههنا)، أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم، واستعجلت ذلك، فقال الله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، لأنه تعالى "يُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته" (4)، يُوجل ثم يُعجل يُنظر ثم لا يؤخر، ولهذا قال: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾؛ أي: نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني".

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

أخبر تعالى عن المشركين المستعجلين أيضاً، بوقوع العذاب بهم تكديباً، وجحوداً وعناداً، واستعباداً بقوله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: لو

أيضاً: بالرءاء والشدّة، وكلاهما بلاء، وقال قتادة: نبلوكم بالشر بلاء، والخير فتنة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13654/2452، وتفسير الطبري 439/18، وتفسير الماوردي 446/3.

1 - ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ من سورة الفرقان.

2 - ﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ من سورة الإسراء.

3 - ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾. وقيل خلق آدم يوم الجمعة. في آخر النهار، فلما أحيا الله رأسه استعجل، وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس؛ قاله الكلبي ومجاهد، ينظر تفسير الطبري 442/18، وتفسير القرطبي 289/11، وتفسير مجاهد ص/471. والدر المنثور 630/5.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1726/4 سورة هود برقم: 4409، عن أبي موسى رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه 1997/4 باب تحريم الظلم برقم: 2583، عن أبي موسى رضي الله عنه.

يتيقنوا أنها واقع بهم لا محالة، لما استعجلوا به، لو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، فالعذاب يحيط بهم من جميع جهاتهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي لا ناصر بهم كما قال: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾⁽¹⁾، وقوله ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾؛ أي: تأتيهم النار بغتة، أي: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾، أي: تدعهم ويستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾، أي: ليس لهم حيلة في ذلك ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أي: ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤١)
 ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٤٢) ﴿أَمْ لَهُمْ
 ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾^(٤٣).

هذه تسلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أذى المشركين له من الاستهزاء والتكذيب فقوله: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾، أي: نزل لهؤلاء بالعذاب جزاء استهزائهم الذي كانوا يستبعدون وقوعه، ثم ذكر تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام وكنفه الذي لا يرام، فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، بدلاً عنه، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾، أي: لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلائه، ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا﴾، استفهام إنكار، وتقريع وتوبيخ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلوهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا، ولا زعموا. ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾، قال ابن عباس^(٤٤): "أي يحارون ويمنعون"، وقال قتادة: "لا يصحبون من الله بخير"⁽²⁾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا
 مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٤٤) ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا

1 - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْأٰخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (34) من سورة الرعد.
 2 - ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قال ابن عباس: يمتنعون. وعنه: يجارون، وهو اختيار الطبري. تقول العرب: أنا لك جار وصاحب. وقال قتادة: أي لا يصحبهم الله بخير، ولا يجعل رحمته صاحباً لهم. قال الماوردي: وفيه أربعة تأويلات: أحدها: يجارون، قاله ابن عباس، من قولهم: إن لك من فلان صاحباً، أي مجيراً، والثاني: يحفظون، قاله مجاهد، والثالث: ينصرون، وهو مأثور، والرابع: ولا يصحبون من الله بخير، قاله قتادة. ينظر تفسير الطبري 447/18، وتفسير القرطبي 291/11. وتفسير الماوردي 448/3.

يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا
بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ .

أخبر تعالى عن المشركين إنما غرَّهم، وحملهم على ما هم فيه من الضلالة أنهم
متعوا في الحياة الدنيا، ونعموا، وطال عليهم العمر فيها، فاعتقدوا أنهم على شيء،
ثم وعظهم بقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ وقد سبق بيانه
في سورة الرعد⁽¹⁾، وأحسن ما فُسر به، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنْ
الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽²⁾ قال الحسن البصري⁽³⁾: " يعني بذلك
ظهور الإسلام على الكفر يعني، أفلا يعتبرون بنصرة أوليائه على أعدائه، وإهلاكه
الأمم المكذبة، والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين "⁽⁴⁾ ولهذا قال: ﴿أَفَهُمْ
الْعَالِيُونَ﴾، يعني: بل هم المغلوبون الأرذلون الأخسرون وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ
بِالْوَحْيِ﴾؛ أي: إنما أنا مُبلِّغٌ عن الله ما أنذركم به من العذاب، والنكال ليس ذلك إلا
ما أوحاه الله إليّ، ولكن لا مُجِدِي لِهَذَا عَمَّنْ أَعَمَى اللَّهُ بِصِيرَتِهِ، وختم على سمعه،
وبصره، وقلبه، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَئِن
مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾، أي: ولئن مسَّ هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفن
بذنوبهم، وأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدنيا، وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ﴾، أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة، الأكثر على أنه: إنما هو ميزان
واحد، وإنما باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ الآية، كما
قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽⁵⁾، وغيرها من الآيات ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾؛ أي:
عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً فقد علمه وحفظه، ومعنى الحسب العد، وعن
عبد الله بن عمرو⁽⁶⁾ قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله تعالى
يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة

1 - ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَكْفِي مَا كُفِّرُوا وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الآية

(41) من سورة الرعد

2 - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية: (27) من سورة الأحقاف.

3 - سبقت ترجمته ينظر ص/106 من هذا البحث.

4 - فيه أربعة أوجه: أحدها: نقصها من أطرافها عند الظهور عليها أرضا بعد أرض وفتحها بلدا بعد بلد، قاله
الحسن. والثاني: بنقصان أهلها وقلة بركتها، قاله ابن أبي طلحة. والثالث: بالقتل والسبي، حكاه الكلبي. والرابع:
بموت فقهاءها وعلمائها، قاله عطاء، والضحاك. وكان الحسن يقول: هو ظهور المسلمين على المشركين. ينظر
تفسير الدر المنثور 666/4، وتفسير الطبري 494/16 برقم: 20517، وتفسير الماوردي 449/3.

5 - ﴿وَوَضِعَ الْكُتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفُوقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الآية: (49) من سورة الكهف.

وتسعين سجلاً كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول أتتكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: عليّ إن لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يتقل مع اسم الله شيء ⁽¹⁾ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

المراد بالفرقان: التوراة المفرقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، وقيل: تعني النصر، وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية: تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغيّ والرشاد، وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية، وخوفاً، وإنابةً، وخشيةً، ولهذا قال: ﴿الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي تذكيراً، وعظةً، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ كقوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ ⁽²⁾، وقوله ﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون وجلون، ثم قال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾، يعني: القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، أفتنكرونه، وهو في غاية الجلاء والظهور!!

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ السَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

1 - أخرجه الترمذي في سننه 24/5 باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله برقم: 2639، وابن ماجه في سننه 1437/2 باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة برقم: 4300 نحوه ، بلفظ: " يُصاح برجل من أمتي.."، وأحمد في مسنده 570/11 مسند عبدالله بن عمرو برقم: 6994 به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
2 - الآية: (33) من سورة ق.

أخبر تعالى عن خليله عليه السلام أنه أتاه برشده من قبل، أي: من صغره ألهم الحق والحجة على قومه، كما قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (1) وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عُلَمِينَ﴾؛ أي: أنه أهلٌ للهداية، والنبوءة، ثم قال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾؛ أي: صور الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عُكُفُونَ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله، أي: معتكفون مقيمون على عبادتها، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ﴾ لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال، ولهذا قال: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: الكلام مع آبائكم الذين احتجتم بصنيعهم، كالكلام معكم، فأنتم وهم على الضلالة فلم سفة أحلامهم؟ وضلل آباءهم؟ وحقر آلهتهم؟ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾؛ أي: هذا الكلام الذي يقوله لآعباء، أو مُحَقِّقاً فيه، فإننا لم نسمع به قبلك ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾؛ أي: ربكم الذي لا إله غيره، وهو الذي خلق السموات والأرض، وما حوت من المخلوقات الذي ابتداء خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ أي: وأنا أشهد أنه لا إله غيره، ولا رب سواه

﴿وَتَأْتِيهِمُ الرِّجَالُ خُجَّانًا﴾ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُنَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾

ثم أقسم الخليل قسماً أسمع به بعض قومه لأكيدن أصنامهم، أي: لِيَحْرِصَنَّ عَلَىٰ آذَاهُمْ وكسرهم بعد أن يولوا مدبرين؛ أي: بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه، قال السدي: " لما اقترب وقت عيدهم، قال أبوه: يا بني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، ألقى نفسه إلى الأرض، وقال إني سقيم، فجعلوا يمرُّون عليه، وهو صريع، فيقولون: (مه)، فيقول: إني سقيم" (2)، فلما جاز عامتهم، وبقي ضعفاؤهم، قال: ﴿وَتَأْتِيهِمُ الرِّجَالُ خُجَّانًا﴾ (83) من سورة الأنعام.

1 - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (83) من سورة الأنعام.

2 - ينظر تفسير السدي الكبير الآية 57 من سورة الأنبياء ص/352. وتفسير الطبري 458/18.

أَصْنَمَكُمْ، فسمعته أولئك، وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذُذًا﴾؛ أي: كسراً وقطعاً جمع جذيد: وهو الهشيم ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾، إلا الصنم الكبير عندهم وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، ذكروا أنه وضع القدم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار نفسه وأنف أن تُعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها، ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لما رجعوا، وشاهدوا ما فعل بأصنامهم من الإهانة والإذلال ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في صنيعه هذا ﴿قَالُوا سَمِعْنَا قَتَى يَذُكُرُهُمْ﴾؛ أي: قال الذي سمعه يحلف إنه ليكيدهم سمعنا شاباً يذكرهم، يقال له: إبراهيم، قال ابن عباس: " ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أُوتِيَ العلم عالم، إلا وهو شاب" (1)، وتلا هذه الآية، وقوله: ﴿فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾؛ أي: على رؤوس الأشهاد يحضره الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يبين في هذا المجمع العظيم كثرة جهلهم، وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرراً، ولا تستطيع لها نصراً، فكيف يطلب منهم شيء من ذلك ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ يعني: الذي تركه، ولم يكسره ﴿فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، وإنما أراد هذا أن يُبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، وإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (2). وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾، وقال: بينا هو ذات يوم، وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، فقال: إن هذا الجبار إن يعلم أنك إمراة يغلبني عليك، فإن سألك، فأخبريه أنك أختي في الإسلام ليس على وجه الأرض مؤمن غيري، وغيرك فأرسل إليها فأتى بها فقَامَ إِبْرَاهِيمُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] يصلي، فلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذهب يتناولها بيده، فأخذ، ويروى: [فَعَطَّ حَتَّى رَكُضَ بِرَجْلِهِ] (3)، فقال: أدعى الله لي ولا أضرك، فدعت الله، فانطلق، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها، أو أشد، فقال: أدعى الله لي، ولا أضرك، فدعت الله، فانطلق، فدعا ببعض حجبته، فقال: إنك لم تأتيني بإنسان، إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخَذَمَهَا هَاجِرًا، فأتته، وهو قائم يصلي، فأوماً بيده

1 - قال ابن عباس: ما أرسل الله نبياً إلا شاباً. ثم قرأ: ﴿سَمِعْنَا قَتَى يَذُكُرُهُمْ﴾. وعنه: ما بعث الله نبياً إلا شاباً

ولا أُوتِيَ العلم عالم إلا وهو شاب. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13671/2455، وتفسير القرطبي 299/11.

2 - ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90)﴾ من سورة الصافات.

3 - هذه العبارة وردت عند القرطبي، ولم أقف عليها عند ابن كثير. ينظر اللوحة 305/ب، وتفسير القرطبي

(مَهَيْمٌ)⁽¹⁾، قال: ردّ الله كيد الكافر في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة رضي الله عنه: " فتلك أمكم يا بني ماء السماء"⁽²⁾.

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٨﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

أخبر تعالى عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، بالملامة في عدم حراستهم لآلهتهم، ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها، ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، أي: أطرقوا في الأرض حيرةً وعجزاً، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، أي: كيف نسألهم؟ وأنت تعلم أنها لا تنطق، فعند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، أي: إذا كان لا ينطق ولا يضر ولا ينفع فلم تعبدونها من دون الله؟ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا تدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروح إلا على جاهل ظالم ناجز، فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢١﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

لما ظهر الحق وعجزوا، عدلوا إلى استعمال تغلب ملكهم، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾، فجمعوا حطباً كثيراً، قال السدي: " حتى إن كانت المرأة تمرض فتندري إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم، ثم جعلوه في جوبة من الأرض، وأضرموها ناراً، أو كان لها شررٌ عظيمٌ، ولهبٌ مرتفع لم تُوقد نارٌ قط مثلها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أكراد فارس اسمه (هيزن)⁽³⁾، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل بها فيها إلى يوم القيامة، فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل"⁽⁴⁾، ورؤي أنه لما جعلوا يوثقونه، قال: لا إله إلا

¹ - (مَهَيْمٌ): كلمة يستفهم بها، معناها: ما حالك وما شأنك؟. قال الأزهري ولا أعلم على وزن (مَهَيْمٌ) كلمة غير مريم. ينظر الصحاح 316/6، ولسان العرب 564/12.

² - أخرجه البخاري في صحيحه 1226/3 باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً برقم: 3179 عن أبي هريرة، ومسلم في صحيحه 1840/4 باب من فضائل إبراهيم الخليل برقم: 2371 عن أبي هريرة.

³ - (هيزن): وكان أول من صنع المجانيق. ينظر البداية والنهاية 337/1.

⁴ - قال السدي: وأمر الله كل عود من شجرة أن يرجع إلى شجره ويطرح ثمرته. ينظر تفسير السدي الكبير 353، وتفسير القرطبي 304/11.

أنت سبحانك، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك، وذكر أنه عرض له جبريل، وهو في الهواء، فقال ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال الله: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ﴾ ، قيل: لم تبق نار في الأرض إلا طفنت، قال كعب: " لم ينتفع أحد يومئذ بنار، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه "(1)، قال أبو العالية(2): "لولا أن الله قال: ﴿وَسَلَامًا﴾، لأكل إبراهيم بردها "(3)، وروى أن جبريل كان معه يمسح وجهه عن العرق، فلم يُصبه منها شيء غير ذلك، وكان (إبراهيم)(4) فيها إما خمسين وإما أربعين يوماً، قال: ما كُنْتُ أياماً وليالي قط أطيّب علينا إذ كُنْتُ فيها وَدِدْتُ أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كُنْتُ فيها، قال قتادة: " لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأ عنه النار، إلا الوزغ "(5)، ولهذا " أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - بقتله، وسماه فويسقاً "(6)، وقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ؛ أي: المغلوبين الأخسرين، لأنهم أرادوا بخليل الرحمن كيداً، فكادهم الله، ونجاه من النار، فغلبوا هنالك، وقال العوفي: " لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه، فطارت شررة، فوقعت على إبهامه، فأحرقته مثل الصوفة "(7).

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

1 - قال كعب و قتادة : لم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه، فأقام في النار سبعة أيام، لم يقدر أحد أن يقرب من النار، ثم جاؤوا، فإذا هو قائم يصلي، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 17237/3048، وتفسير القرطبي 304/11. والدر المنثور 639/5.

2 - أبو العالية: واسمه رُفيع، بضم الراء، بن مهران، بكسر الميم، الرِّيَاحي، بكسر الراء، وتخفيف الياء الأولى البصري التميمي المقرئ المفسر ، مشهور في التابعين ، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ، وغيرهم ، وروى عنه : خالد الحذاء ، وداد بن أبي هند ، ومحمد بن سيرين ، قرأ القرآن على أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال ابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : ثقة ، وقال أبو داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية ت: 93 هـ. ينظر الإصابة 514/2 باب الراء بعدها الشين، رقم: 2742 ، وتاريخ الإسلام 529 /6 ، وتهذيب التهذيب 246/3 رقم: 539. والعبر 81/1 باب سنة ثلاث وتسعين.

3 - قال أبو العالية : ولو لم يقل ﴿ بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ لكان بردها أشد عليه من حرها ، ولو لم يقل ﴿ عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ﴾ لكان بردها باقيا على الأبد. ينظر تفسير القرطبي 304/11. وتفسير الماوردي 454/3.

4 - يقول الشيخ الرضي: " ونقص كثير الواو من داود، والألف من إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وبعضهم: الألف من عثمان، وسليمان، ومعاوية " . ينظر شرح شافية ابن الحاجب 329/3.

5 - وقال كعب : لم يبق في الأرض يومئذ إلا من يطفئ عن إبراهيم النار ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه. ينظر تفسير الماوردي 453/3.

6 - أخرجه البخاري في صحيحه 1226/3 باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً برقم: 3180، ومسلم في صحيحه 1753/4 باب استحباب قتل الوزغ برقم: 2238. أما تسميته فويسقاً فنظير الفواسق التي تقتل في الحل والحرم ، وأصل الفسق الخروج.

7 - أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: لما ألقى إبراهيم في النار قعد فيها فأرسلوا إلى ملكهم فجاء ينظر متعجباً، فطارت منه شرارة فوقعت على إبهام رجله فاشتعل كما تشتعل الصوفة، وقال ابن جرير: فقال: ابن لوط ، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُقًا من النار فأحرقته. ينظر تفسير الطبري 71/21. والدر المنثور 640/5.

وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ .

أخبر تعالى عن إبراهيم أنه سلمه من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها، قالوا: ما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة بها، وهي أرض المحشر والمنشر، وبها نزل عيسى، وبها يهلك الدجال، قال السدي: " انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام، فلقى سارة، وهي ابنة ملك حران (1). وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها " (2) رواه ابن جرير وهو غريب، والمشهور أنها ابنة عمه، وأنها خرج بها مهاجراً من بلاده، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: أي: عطية، والنافلة: ولد الولد، قال ابن زيد: " سأل واحداً فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (3)، فأعطاه الله إسحاق، وزاده يعقوب نافلة " (4) ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾؛ أي: الجميع أهل خير وصلاح ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾، أي: يُقْتَدَى بهم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾، وهو من باب (عطف الخاص على العام) (5) ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾؛ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به، ثم عطف بذكر لوط بن هاران بن أزر كان آمن بإبراهيم، واتبعه وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (6)، فأتاه الله حُكْمًا، وَعِلْمًا، وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ، وجعله نبياً، وبعثه إلى (سدوم) وأعمالها، فكذبوه، وخالفوه، فأهلكهم الله كما سبق في موضعه، ولهذا قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ﴾؛ أي: من إتيان

1 - حران: مدينة من ديار مضر، قديمة عتيقة، لا يُدْرَى متى بُنِيَتْ، يقال: بناها هاران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام، ويقال هارن، وإليه تنسب حران، وهي مدينة الصابئين ولهم بها تل عليه مصلاهم، وهم يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام، وهي قليلة الماء والشجر. ينظر الروض المعطار 1/191.

2 - أورده ابن جرير في تفسيره 469/18، ولم أقف عليه في غيره من المصادر.

3 - الآية: (100) من سورة الصافات.

4 - وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: سأل واحداً فقال: فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده. ينظر تفسير ابن كثير 354/5، وتفسير الطبري 457/18.

5 - أي: أن يفعلوا الطاعات، ويأمروا الناس بفعلها، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة من جملة الخيرات، فهو من عطف الخاص على العام، وأصله: أن تفعل الخيرات، ثم فعل الخيرات، ثم فعل الخيرات، وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وقوله تعالى: {وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة} من عطف الخاص على العام تعظيماً لشأنهما؛ لأن الصلاة تقرب العبد إلى الحق تعالى، والزكاة إحسان إلى الخلق. ينظر أضواء البيان 167/4، والسراج المنير

2531/1

6 - ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (26) من سورة العنكبوت.

الذکران في أديارهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾، أي: خارجين عن الهدى، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾؛ أي: لوط ﴿فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الفائزين.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

أخبر تعالى على استجابته لنوح - عليه السلام - حين دعا على قومه لما كذبوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾⁽¹⁾، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾⁽²⁾، ولهذا قال ههنا: ﴿إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾؛ أي: الذين آمنوا به ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: من الشدة، والتكذيب، والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾؛ أي: نجيناه وخلصناه منتصراً من القوم، ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: أهلكهم الله بعذاب عام ولم يبق على وجه الأرض منهم أحداً.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قال ابن مسعود وغيره: " كان ذلك الحرث كرماً قد تدلت عناقيدته " ⁽³⁾، وقال ابن عباس: " النفس الرعي بالليل، والهمل بالنهار وكلاهما بلا راع " ⁽⁴⁾، فمعنى

1 - ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ الآية (10) من سورة القمر.
2 - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ الآية (26) من سورة نوح.
3 - ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً، قاله قتادة والثاني: كان كرماً نبتت عناقيدته، قاله ابن مسعود، وشريح. ينظر تفسير الماوردي 456/3.
4 - عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: نفست قال: النفس الرعي بالليل، وعن ابن إسحاق قال: النفس: الرعية تحت الليل. وقال الزهري: النفس لا يكون إلا بالليل، والهمل بالنهار، ينظر تفسير الطبري 478/18. والدر المنثور 647/5.

نفشت رعيته ليلاً، قيل: فلم يدع الغنم فيه ورقة ولا عنقود من عنب، إلا أكلت فترافعوا إلى داود، قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ففضى داود الغنم لصاحب الكرم، فقال [سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة]⁽¹⁾: أو غير هذا يا نبي الله؟ قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم، فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان، دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَهَمَّ نَهَا سُلَيْمَنَ﴾ " (2) رواه ابن جرير، وهكذا عن ابن عباس، وقريب من ذلك ما رواه ابن مَحِيصَةَ⁽³⁾ " أن ناقة للبراء بن عازب رضي الله عنه دخلت حائطاً، فأفسدت فيه، ففضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها " (4) رواه أحمد وأبو داود، وقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ، أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه، وفيه دليل على أن [أقل الجمع اثنان]⁽⁵⁾، لأن المراد حكم داود وسليمان، وقوله: ﴿فَهَمَّ نَهَا سُلَيْمَنَ وَكَلَّأْنَا حُكْمًا﴾، في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا حكم الحاكم فأجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فأجتهد فأخطأ، فله أجر واحد " (6). ولهذا أنثى الله على سليمان ولم يذم داود، قاله الحسن، مع أن الأنبياء عليهم السلام

1 - [سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة] هذه العبارة غير موجود في المتن إنما وجدتها بالحاشية بين الأسطر يبدو أنها إضافة من الشارح. اللوحة: 306/ب.

2 - أخرجه الحاكم في مستدركه 643/2 باب ذكر نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وآتاه الله الملك برقم: 4238، وقال: سكت عنه الذهبي في التلخيص، والبيهقي في سننه 118/10 باب اجتهاد الحاكم فيما يسوغ فيه الاجتهاد، وهو من أهل الاجتهاد برقم: 20152، وأورده ابن جرير في تفسيره 475/18 تفسير سورة الأنبياء.

3 - ابن مَحِيصَةَ: هو حرام بن سعد بن مَحِيصَةَ، بفتح الميم المهملة، وتشديد التحتانية، وقد تُسَكَّن، الأنصاري الحارثي، ويقال: حرام بن ساعدة، وأمه هند بنت عمرو بن الجموح، يروي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن البراء بن عازب، وروى عنه: الزهري، وقال محمد بن سعد: كان ثقة، قليل الحديث توفي بالمدينة (عام: 113 هـ). ينظر أسد الغابة 438/2 باب السين والعين، والثقات 184/4 باب الحاء والجرح والتعديل 281/3 رقم: 1258.

4 - أخرجه أبو داود في سننه 321/2 باب المواشي تفسد زرع قوم برقم: 3570، ومالك في الموطأ 747/2 باب القضاء في الضواري والحريسة برقم: 1435 عن حرام بن مَحِيصَةَ به، وأحمد في مسنده 97/39 مسند مَحِيصَةَ بن مسعود برقم: 23691 به.

5 - المذهب الأول: إن أقله اثنان، وهو مذهب عمر، وزيد بن ثابت، ومالك، وداود، والقاضي أبي بكر، والأستاذ أبي إسحاق رضي الله عنه، وجماعة من أصحاب الشافعي رضي الله عنه كالغزالي وغيره. والمذهب الثاني: إن أقل الجمع ثلاثة، وبه قال الجمهور، وحكاه ابن الدهان النحوي عن جمهور النحاة، وهو مذهب سيبويه، يقول الشوكاني: وهذا هو القول الحق الذي عليه أهل اللغة والشرع، وهو السابق إلى الفهم عند إطلاق الجمع. والمذهب الثالث: إن أقل الجمع واحد، هذا حكاه بعض أهل الأصول، وذهب إمام الحرمين إلى أنه لا يمتنع رد لفظ الجمع إلى الواحد. والمذهب الرابع: الوقف فعلى الناظر الاجتهاد في الترجيح، وإلا فالوقف لازم. ينظر أحكام الأمدي 242/2، وإحكام ابن حزم 413/4، وإرشاد الفحول 214/1،

6 - أخرجه البخاري في صحيحه 2676/6 باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم: 6919 عن عمرو بن العاص به، ومسلم في صحيحه 1342/3 عن عمرو بن العاص به.

(كلهم معصومون مؤيدون من عند الله بالاتفاق)⁽¹⁾، وأما غيرهم فقد ورد في السنن: "القضاة ثلاثة : قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار، رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق وقضى بخلافه فهو في النار"⁽²⁾، وقريب مما سبق في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما امرأتان معهما ابنان لهما جاء الذئب، فأخذ أحد الابنين، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، ففضى به للكبرى، فخرجتا، فدعاهما سليمان فأخبرتا، فقال: هاتوا السكين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، ففضى به للصغرى"⁽³⁾، وقوله: ﴿وَسَحَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ولطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور كان إذا ترنم به يقف الطير في الهواء، فيجاوبه وترد عليه الجبال، قيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشطه فيه، ولهذا سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قراءة القرآن من أبي موسى رضي الله عنه ليلاً، وكان له صوت جيد، قال: "لقد أوتي هذا زمراً من مزامير آل داود"⁽⁴⁾ وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾، يعني: صنعة الدروع، قال قتادة: "إنما كانت الدرع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقاً"⁽⁵⁾، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ

1 - الأنبياء معصومون من الكبائر باتفاق أهل السنة، وعن الصغائر باختلاف، واختلفوا في عصمتهم قبل النبوة، فقال الأمدى: الحق وهو ما ذهب إليه أكثر أصحابنا أنه لا يمتنع عليهم ذنب سواء كان كفراً أو غيره، وأما بعد النبوة: فقد أجمعوا على عصمتهم من تعدد الكذب في الأحكام. فإن كان غلطاً، فالأشبه الجواز، وأجمعوا أيضاً إلا بعض المبتدعة على عصمتهم من تعدد الكبائر، وتعد الصغائر الدالة على الخسة، وما عدا ذلك فقد اختلفوا فيه. على أقوال أحدها: أنهم معصومون من الكبائر عمداً وسهواً، ومن الصغائر عمداً لا سهواً. والثاني: أنهم معصومون عن تعدد الذنب مطلقاً دون سهوه، سواء كان صغيرة أو كبيرة، لكن بشرط أن يتذكروه، وينبهوا غيرهم عليه، والثالث: أنهم معصومون عن تعدد الكبائر فقط، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ. ولا شك أنهم - صلوات الله عليهم وسلامه - إن وقع منهم بعض الشيء، فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله، حتى يبلغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك. ينظر إرشاد الفحول 98/1، وإحكام الأمدى 224/1، وأضواء البيان 176/4، والشفا 144/2، والموافقات 13/4، ونهاية السؤل 10/2.

2 - أخرجه أبو داود في سننه 234/3 باب القاضي يخطئ برقم: 3575، وطرفه: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار"، والترمذي في سننه 612/3 باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي برقم: 1322 نحوه، والحاكم في مستدركه 101/4 كتب الأحكام برقم: 7012 نحوه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1360/3 باب قول الله تعالى ووهبنا لداود برقم: 3244 عن أبي هريرة به ومسلم في صحيحه 1344/3 باب بيان اختلاف المجتهدين برقم: 1720 عن أبي هريرة به.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1925/4 باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن برقم: 4761 نحوه، بلفظ: "يا أبا موسى لقد أوتيت زمراً من مزامير آل داود"، ومسلم في صحيحه 546/1 باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: 793 نحوه، بلفظ: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت زمراً من مزامير آل داود".

5 - قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ يعني اتخاذ الدروع بالإناء الحديد له، واللبوس: كل ما يُلبس من ثياب ودرع، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو سيفاً أو رمحاً. وقال قتادة: كانت

الْحَدِيدِ ﴿١﴾ الآية. فلا توسع الحلقة فَتَقْلُقُ المسمار، ولا تغلظ فيقد الحلقة، ولهذا قال: ﴿لَتُحْصِنَكُمْ﴾؛ أي: لتحرسكم، وتمنعكم من حرب عدوكم من وقع السلاح فيكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾؛ أي: نعم الله عليكم لما أهداهم به عبده داود فعله ذلك من أجلكم، وقوله: ﴿وَلَسَلِيمُنَّ الرِّيحِ عَاصِفَةٌ﴾؛ أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عٰلَمِينَ﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل، والجمال، والخيام، والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله، فتدخل تحته ثم تحمله، وترفعه، وتسير به، وتظله الطير من الحر إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل آلاته، وحشمه، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (2) الآية، قال ابن جبير: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي، فيجلس مما يليه مؤمنو الأنس، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير، فتظلمهم، ثم يأمر الريح فتحمله " (3)، وقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ﴾؛ أي: في البحر يستخرجون الجواهر، واللائى، وغير ذلك، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي: غيره وكما قال: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ (4) الآية، وقوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حٰفِظِينَ﴾؛ أي: حارسين لهم يعني يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه، والقرب منه يحكم فيهم بما يشاء.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعٰبِدِينَ﴾ (٥٤)

ذكر الله تعالى ما أصاب أيوب عليه السلام من البلاء في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية، فأبْتُلِيَ في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي بجسده بالجذام في سائر جسده، ولم يبق منه سليم إلا قلبه ولسانه، يذكر الله بهما، حتى عافه الجليس، وأفرد ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه إلا زوجته، كانت تقوم بمصالحه، ويقال: إنها احتاجت، فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه

صفايح فأول من مدها وحلقها، ومن صنع هذا الحلق وسرد داود عليه السلام. ينظر الدر المنثور 650/5، وتفسير ابن أبي حاتم 13688/2458، وتفسير الطبري 480/18، وتفسير القرطبي 320/11،

1 - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ ءَٔوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ الآية (10) من سورة سبأ.

2 - ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ الآية: (36) من سورة ص.

3 - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 336/6 باب ما أعطى الله سليمان بن داود عليهما السلام برقم: 31851 وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13689/2458.

4 - ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ الآية (37) من سورة ص .

وسلم - : " أشد الناس بلاء، الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل "(1)، وفي حديث آخر: " يُبْتَلَى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة، زِيدَ في بلائه"(2)، وكان أيوب - عليه السلام - غاية في الصبر، وبه يُضرب المثل في ذلك، قال يزيد بن ميسرة(3): " لما ابتلى الله أيوب، وفات الأهل والمال والولد، ولم يبق له شيء، أحسن الذكر، ثم قال: أحمدك رب الأرباب، فإنك أحسنت إليّ أعطيتني المال والولد، فلم يبق في قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني، وفرغت قلبي ليس يحول بيني وبينك شيء، لم يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت بي حسدني يا رب، إنك أعطيتني المال والولد، فلم يبق علي بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك، وأنه كان يوطأ لي الفراش، فأتركها، وأقول يا نفس أنك لم تخلقي لوطء الفراش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك "(4) رواه ابن أبي حاتم، ورُوِيَ أنه مكث في البلاء مدة طويلة، قال الحسن وغيره: " ابتلي سبع سنين وأشهر ملقى على كناسة بني اسرائيل تختلف الدواب في جسده، ففرّج الله عنه وعظم الأجر له، وأحسن عليه الثناء "(5) قال وهب : مكث في البلاء ثلاث سنين ، وقال السدي : " تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه، وتأتيه بالزاد يكون فيه، فقالت له امرأته لما طال وجعه: يا أيوب لو دعوت ربك يفرج عنك؟ فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً، فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة، فجزعت لذلك، فخرجت، وكانت تعمل للناس بالأجر، وتأتيه بما تصيب، فتطعمه، ثم أن إبليس أتاها في صورة طبيب، فقال لها: إن زوجك قد طال سقمه، فإن أراد أن يبرأ، فليأخذ سحلة، فليذبها باسم صنم بني فلان، فإنه يبرأ ويتوب بعد

1 - أخرجه النسائي في سننه 352/4 باب أي الناس أشد بلاء برقم : 7481 نحوه، والترمذي في سننه 601/4 باب الصبر على البلاء برقم: 2395 نحوه، بلفظ : " قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء، ثم الأمثل ، فالأمثل "، والحاكم في مستدركه 99/1 كتاب الإيمان برقم: 120 نحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

2 - أخرجه الترمذي في سننه 601/4 باب الصبر على البلاء برقم : 2398 نحوه ، بلفظ : " يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فيه صلابةً أشد بلاءه "، وأحمد في مسنده 78/3 مسند سعد بن أبي وقاص برقم : 1481 به، والحاكم في مستدركه 55/1 كتاب الإيمان برقم : 121 نحوه ، بلفظ : " إن كان صلب الدين أشد بلاءه "، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين

3 - يزيد بن ميسرة: أبو حليس الدمشقي، وأبو يوسف، كان واعظاً زاهداً عارفاً، سمع أم الدرداء ويروي عن أبي إدريس الخولاني روى عنه: معاوية بن صالح ، وصفوان بن عمرو، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر تاريخ الإسلام 505/7 رقم: 4. والتاريخ الكبير 355/8 باب الميم رقم: 3315 والثقات 627/7 رقم: 11801.

4 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره عند تفسيره لسورة الأنبياء برقم : 13694/2459.

5 - قال الفراء كان لأيوب سبع بنين وسبع بنات فماتوا في بلائه ، فلما كشف الله ضره رد عليه بنيه وبناته وولد له بعد ذلك مثلهم ، قال الحسن : وكانوا ماتوا قبل آجالهم فأحياهم الله فوفاهم آجالهم ، وأن الله أبقاه حتى أعطاهم من نسلهم مثلهم. وأخرج أحمد في الزهد عن الحسن قال : ما كان بقي من أيوب عليه السلام إلا عيناه وقلبه ولسانه فكانت الدواب تختلف في جسده ومكث في الكناسة سبع سنين وأياما . واختلف كم بقي أيوب في البلاء ؛ فقال ابن عباس : سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات. وقال وهب بن منبه : أصاب أيوب البلاء سبع سنين. وقال الحسن : مكث بذلك تسع سنين وستة أشهر. ينظر وتفسير القرطبي 323/11، 211/15. وتفسير الماوردي 464/3 . والدر المنثور 654/5، ، والزهد للإمام أحمد 42/1.

ذلك، فقالت ذلك لأيوب، فقال: قد أتاك الخبيث لله عليّ إن برأت، أن أجلك مائة جلد، فخرجت تسعى عليه، فَحُظِرَ عنها، فجعلت لا تأتي أهل بيت إلا ردها، فلما اشتد عليها ذلك، وخافت على أيوب الجوع، حلقت من شعرها قرناً، فباعته من صبية من بني الأشراف، فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً، فأنتت به أيوب، فلما رآه أنكره، وقال: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قالت: عملت لأناس فأطعموني، فأكل منه، فلما كان الغد، خرجت فطلبت أن تعمل، فلم تجد، فعَلَّقَتْ قرناً آخر، فباعته من ذلك الجارية، فأعطوها ذلك الطعام، فأنتت به أيوب، فقال: والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو؟ فوضعت خمراها، فلما رأى رأسها مخلوقاً، جزع جزعاً شديداً، فعند ذلك [حين⁽¹⁾] دعا الله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ، ورُوي أنه كان لأيوب أخوان فجاءه يوماً، فلم يستطيعا أن يدنو منه من نَتْنِهِ، فقاما من بعيد، فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا ، فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط فقال: " اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة قط شبعا، وأنا أعلم مكان جاع، فصدقتني فصدّق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم يكن لي قميصان قط، وأنا أعلم مكان عار، فَصَدَّقْنِي فَصَدَّقْ من السماء، وهما يسمعان، ثم خرّ ساجداً، فقال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كُثِفَ عنه، فأوحى الله إليه في مكانه، ﴿أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾⁽²⁾، فاغتسل من ذلك الماء وشرب، قال ابن عباس⁽³⁾: " وألبسه الله حلة من الجنة، ففتح أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه"⁽³⁾، فقالت: يا عبدالله أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا؟ لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئب، فجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب، فقالت: أتسخر مني يا عبد الله؟ فقال: ويحك أنا أيوب، قد ردّ الله عليّ جسدي، قال ابن عباس⁽⁴⁾: " وردّ عليه ماله، وولده عياناً، ومثلهم معهم "⁽⁴⁾، وقال وهب: " أوحى الله إلى أيوب أن قد رددت عليك أهلك، ومالك ومثلهم معهم، فأغْتَسِلَ بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن

1 - [حين] لعلها زائدة، ولم أفهم عليها في تفسير ابن كثير.

2 - ﴿أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ الآية (42) من سورة ص.

3 - ابن عباس، قال: "ألبسه الله حلة من الجنة ففتح أيوب فجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئب، فقال: ويحك قد ردّ الله عليّ جسدي". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13699/2461.

4 - نقل عن ابن عباس. وعن عبد الله بن مسعود قال: كان أهل أيوب قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل في أقل من طرف البصر، وأتاه مثلهم معهم. يقول الماوردي: وفيه خمسة أقاويل: أحدها: أن الله تعالى رد عليه أهله وولده ومواشيه بأعيانهم، لأنه تعالى أماتهم قبل أجالهم ابتلاء، ووهب له من أولادهم مثلهم، قاله الحسن. والثاني: أن الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم قاله ابن عباس. والثالث: أنه رد عليه ثوابهم في الجنة ووهب له مثلهم في الدنيا، قاله السدي. والرابع: أنه رد عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا. والخامس: أنه لم يرد عليه منهم بعد موتهم أحداً، وكانوا ثلاثة عشر ابناً فوهب الله، تعالى له من زوجته التي هي أم من مات مثلهم، فولدت ستة وعشرين ابناً، قاله الضحاك. ينظر تفسير القرطبي

326/11. وتفسير الماوردي 102/5

صحابتك قرباناً، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك "، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَهُمْ أَهْلُهُ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ﴾، قال مجاهد: " قيل له: يا أيوب إن أهلك في الجنة، فإن شئت أتيناك بهم، وإن شئت تركناهم لك في الجنة، وعوضناك مثله؟ قال: بل أتركهم في الجنة، قال: فَتَرَكُوا فِي الْجَنَّةِ، وَعَوَّضَ مِثْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا " (1)، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾؛ أي: فقلنا ذلك رحمة من عندنا به، ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِينَ﴾؛ أي: فجعلناه ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعل ذلك بهم لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر والبلاء، وله الحكمة في ذلك.

﴿وَاسْمَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

أما إسماعيلُ فهو ابن خليل الله - عليهما السلام -، وقد سبق ذكره، وذكر إدريس في سورة مريم، وأما ذو الكفل، فالظاهر أنه قرن مع الأنبياء لا أنه نبي بل كان رجلاً صالحاً، وملكاً عادلاً، وحكماً مقسطاً، وتوقف ابن جرير في ذلك (2)، وقال مجاهد: " هو رجل صالح تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمهم له، ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي ذا الكفل "، قال ابن عباس: " كان قاضٍ في بني إسرائيل فحضره الموت فقال: من يقوم مقامي على أن لا يغضب، فقال رجل: أنا، فسمي ذا الكفل، قال: وكان ليلة يُصَلِّي، ثم يُصبح صائماً، فيقضي بين الناس، قال: فله ساعة يُقْتَلُ فيها، فكان بذلك، فأتاه الشيطان عند نومه، فقال له أصحابه: مَا لَكَ؟ قال: إنسان مسكين له على رجل حق، وقد غلبني عليه، قالوا: كما أنت حتى تستيقظ، قال: وهو فوق نائم، قال: فجعل يصيح عمداً حتى يُغِيضَهُ، قال: فسمع، فقال: مالك، قال: إنسان مسكين له على رجل حق، قال: اذهب فقل له يعطيك، قال: ويأتي، قال: اذهب أنت إليه، قال: فذهب ثم جاء من بعد قال: مالك قال: ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسه، قال: اذهب إليه فقل له يعطيك حقك، قال: فذهب، ثم جاء من الغد حين قال، فقال: فقال له أصحابه: أخرج فعل الله بك يجيء كل يوم حين ينام لا يدعه ينام، قال: فجعل يصيح من أجل أنني إنسان مسكين لو كنت غنياً،

1 - عن ابن جريج، عن مجاهد قيل له: إن شئت أحييناك لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة. ينظر تفسير الطبري 506/18.

2 - أورد ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: " ما كان ذو الكفل بنبي ولكن كان في بني إسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة، فسمي ذا الكفل ". وعن مجاهد قال: " كان ذو الكفل رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً وكان تكفل لنبي أن يكفيه قومه ويقضي بينهم بالعدل، فذلك سمي ذا الكفل ". قال أبو موسى الأشعري: " لم يكن ذو الكفل نبياً ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة، فكفل بصلاته، فذلك سمي ذا الكفل ". ينظر تفسير الطبري 510/18. وتفسير مجاهد 552/2، والدر الثور 664/5.

قال: فسمع أيضاً، فقال: مَا لَكَ؟ قال: ذهبت إليه فضربني، قال: إِمْسِ حَتَّى أَجِيءَ مَعَكَ، قال: هو ممسك بيده، فلما رآه ذهب معه نزع يده منه وفرَّ (1). وقوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: ما أنعم عليه من النبوة، والولاية، وما ادّخر لهم في الجنة من التواب.

﴿وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

هذه القصة كما هي مذكورة هنا، فهي مذكورة في سورة الصافات، وفي سورة نون (2)، وذلك أن يونس بن متى بعثه الله إلى أهل قرية نينوى، من أرض الموصل فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه، وتمادوا على أمرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم، ووعدهم العذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم، وأنعامهم، ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات، والأولاد [ثم] (3) تضرعوا إلى الله، وجاروا ورغت الإبل وفضلناها وغارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، ورفع الله عنهم العذاب، وأما يونس فإنه ذهب، فركب مع قوم بسفينة فلججت بهم، وخافوا أن يغرق بهم، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتحفظون منه، فوقع القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا، فوقع عليه، قال الله: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (4)، أي: وقعت عليه القرعة، فقام يونس وتجرّد عن ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله سبحانه من [البحر الأخضر] (5) حوتاً حتى جاء، فالتقم يونس حين ألقى في البحر، فأوحى إلى

1 - أورد ابن أبي حاتم قول الأعمش عن مسلم قول ابن عباس: "كان قاض في بني إسرائيل، فحضره الموت، فقال: من يقوم مقامي على أن لا يغضب قال: فقال: رجل أنا فسمى ذا الكفل. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13703/2462.

2 - ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَامْتَنُوا فَمَنْعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾ الآيات من سورة الصافات، وقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ نَدْرَكَهُ بَعْمَةً مِّنْ رَبِّهِ لَئِيدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)﴾ الآيات من سورة القلم.

3 - [ثم] زيادة يقتضيهما السياق.

4 - ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ الآية (141) من سورة القلم. وفي الحاشية: (فقارع فكان من المقروعين.) اللوحة: 308/أ.

5 - بحر فارس: وما فيه من الجزائر والعجائب، ويسمى: (البحر الأخضر)، وهو شعبة من بحر الهند الأعظم وهو بحر مبارك كثير الخير، دائم السلام، وطىء الظهر، قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره. ينظر خريدة العجائب 53/1.

ذلك الحوت أن لا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً، فإن يونس ليس لك رزقاً، وإنما يكون بطنك له سجنًا، فقله: ﴿وَذَا النُّونِ﴾، أي: ذا الحوت، وصحت الإضافة إليه بهذه النسبة ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾، أي: لقومه ﴿فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لن يقضي عليه بالعقوبة، أو لن نضيق عليه الحبس؛ أي: في بطن الحوت، وهو اختيار كثيرين، وعلي الأول قول الشاعر⁽¹⁾:-

فلا عائدُ ذاك الزمان الذي مضى ... تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر

فإن عند العرب قَدْرٌ، وقدر بمعنى واحد، وقوله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، إلى آخره قال ابن مسعود⁽²⁾: "ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل"⁽²⁾، وعن ابن عباس⁽³⁾ وغير واحد مثله، وقيل عنهم: ظلمة بطن الحوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر، وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر، فسمع يونس يُسَبِّحُ الحصى هناك فعند ذلك قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قال الحسن: " مكث في بطنه أربعين يوماً "⁽³⁾، قال أبو هريرة⁽⁴⁾ مرفوعاً: " فلما سمعت الملائكة تسبيحه قالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرضٍ غريبةٍ ، قال : ذلك عبيد يونس عساني فحبسته في بطن الحوت في البحر، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ، قال: نعم، قال: فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت، ففذفه في الساحل "⁽⁴⁾. كما قال تعالى: ﴿فَنَبِّذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾⁽⁵⁾ رواه ابن جرير وروى هذا المعنى

1 - نُسِبَ هذا البيت في تفسير الطبري إلى الشاعر ثعلب، وهو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وكان راوية للشعر ، ومات ببغداد عام : 291 هـ. ونُسِبَ في تفسير زاد المسير إلى الشاعر أبي صخر الهذلي واسمه عبدالله بن مسلم من شعراء الدولة الأموية ومتعصباً لهم ت: 80 هـ ولم أقف لهما على ديوان. ينظر الأعلام 267/1، والأغاني 98/24، وتفسير الطبري 3688/1، وتفسير زاد المسير 382/5.

2 - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه 338/6 باب ما ذكر فيما فضل به يونس بن متى عليه السلام برقم: 3186، والحاكم في مستدرکه 415/2 باب تفسير سورة الأنبياء برقم: 3445 ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، ويقول الماوردي: فيه قولان: أحدهما: أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة جوف الحوت ، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، وابن اسحاق، وابن جبير. والثاني: أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت، قاله سالم بن أبي الجعد بأن أوحى الله إلى الحوت أن لا تضر له لحماً، ولا عظماً، ثم ابتلع الحوت حوتاً آخر. ويحتمل ثالثاً : أنها ظلمة الخطيئة ، وظلمة الشدة، ". ينظر تفسير الطبري 516/18 - 517 وتفسير الماوردي 466/3.

3 - عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: لبث يونس في بطن الحوت سبعة أيام، فطاف به البحار كلها، ثم نبذه على شاطئ دجلة، وعن قتادة رضي الله عنه قال: فالتقمه الحوت يقال له : نجم ، وانه لبث ثلاثاً في جوفه ، و في قوله : فلولا انه كان من المسيحين قال : كان كثير الصلاة في الرخاء، لصار له بطن الحوت إلى يوم القيامة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 3229/ أرقام: 18285 - 18288.

4 - أخرجه البزار في مسنده 419/2 مسند أبي هريرة برقم : 8227 عن أبي هريرة نحوه ، وأورده الهيثمي في الزوائد 219/7 باب سورة الصافات برقم : 11302 نحوه ، وعزاه إلى البزار عن بعض أصحابه ، ولم

يسمه ، وفيه ابن إسحاق ، وهو مد

5 - ﴿فَنَبِّذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ الآية (145) من سورة الصافات.

مرفوعاً أيضاً، وقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، أي: أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: إذا كانوا في الشدائد، ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء وحال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها، عن سعد بن أبي وقاص: ﴿أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " دعوة ذي النون إذا دعاه، وهو في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، فإنه لم يدعُ بها رجل مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له " (1) رواه أحمد والترمذي والنسائي في عمل اليوم والليلة، وعن كثير بن معبد (2) قال: "سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب؟ وإذا سُئِلَ به أعطى؟ قال ابن أخي: أما تقرأ القرآن قول الله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ابن أخي: هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أُعْطِيَ " (3) رواه ابن أبي حاتم.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُهُمُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٨٢﴾﴾

أخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه ولداً يكون من بعده نبياً، كما سبق في سورة مريم وآل عمران (4)، وههنا أخصر (منها)، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ ؛ أي: خفية من قومه، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ ، أي: لا ولد لي، ولا وارث يقوم بعدي في الناس ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ دعاءً، وثناءً مناسباً للمسألة، قال الله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجَهُهُ﴾ ؛ أي: امرأته، وكانت عاقراً لا تلد، فولدت، قاله: ابن

1 - أخرجه النسائي في سننه 168/6 برقم: 10491 نحوه، والترمذي في سننه 529/5 باب دعوة ذي النون في بطن الحوت برقم: 3505، وأحمد في مسنده 66/3 مسند سعد بن أبي وقاص برقم: 1462 نحوه، وقال الترمذي: قد روى هذا الحديث غير واحد عن يونس بن أبي اسحاق عن إبراهيم، ولم يذكر فيه عن أبيه.
2 - كثير بن معبد القيسي، لا يكاد يُعرف، وضعفه الأزدي، ولا يُعلم له حديثاً مسنداً، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر الضعفاء والمتروكين 410/3 رقم: 6951، ولسان الميزان 484/4 من اسمه كثير، وميزان الاعتدال 410/3 رقم: 6951 .

3 - أورده ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأنبياء، برقم: 14579، والحاكم في مستدركه 685/1 باب الدعاء والتكبير والتهليل برقم: 1865، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة 292/6 برقم: 2775، وقال: سكت عنه الحاكم والذهبي مع أنه أورد عمرو بن بكر السكسكي في الميزان، وقال: وإه، وأحاديثه شبه موضوعة، وقال في الضعفاء، اتهمه ابن حبان.

4 - ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية (39) من سورة آل عمران، وقوله تعالى في سورة مريم: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، الآية (7) من سورة مريم .

عباس رضي الله عنه وغير واحد⁽¹⁾، وقيل: كان في لسانها طول، أو في [خُلُقِهَا]⁽²⁾ شيء، فأصلحه الله، والأول أظهر، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أي: في عمل القربات، وفعل الطاعات، ﴿وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾؛ أي: رغبا فيما عندنا من الجنة، ورهبا مما عندنا من النار، ﴿وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾؛ أي: مصدقين بما أنزل الله، وقيل: مؤمنين حقاً خائفين متواضعين، والخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾.

قرن تعالى قصة مريم وابنها بقصة زكريا عليهم السلام لمناسبة بينهما، وذلك أنها إيجاد ولد من شيخ كبير، وعجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، وأعجب منها قصة مريم وقوله ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا﴾، يعني: مريم، وقوله: ﴿فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽³⁾، كما قال: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾⁽⁴⁾، قال ابن عباس رضي الله عنه: أي: للعالمين من الجن والإنس.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا

رَاجِعُونَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

قالوا: أي: دينكم دين واحد وسنتكم سنة واحدة؛ أي: هذه شريعتكم التي (وضعت وفتحت) لكم، وقوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ نصب على الحال، ولهذا قال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وقال - صلى الله عليه وسلم - : " نحن معاشر الأنبياء أولاد علاتٍ وديننا

1 - بقول القرطبي في قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ} قال قتادة، وسعيد بن جبير، وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقرا فجعلت ولودا، وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله فجعلها حسنة الخلق. قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا، قال أبو جعفر الطبري: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة." ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2465/أرقام 13715 - 13717، وتفسير الطبري 520/18، وتفسير القرطبي 336/11. وتفسير الماوردي 468/3.

2 - هكذا في المتن بالضم، ينظر اللوحة رقم: 308/ب. وأورد ابن أبي حاتم قوله: عن عطاء: " كان في خلقها سوء، وفي لسانها طول، وهو البذاء، فأصلح الله ذلك منها. ينظر تفسير ابن أبي حاتم رقم: 13715. وعند ابن كثير: بالفتح. ينظر تفسير ابن كثير 370/5.

3 - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية (82) من سورة يس

4 - ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هِينٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ الآية (21) من سورة مريم.

واحد⁽¹⁾، يعني أن المقصود عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع مشروعة لرسله كما قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾؛ أي: اختلفوا الأمم على رسلها، فمن بين مُصَدِّقٍ لهم ومُكذِّبٍ، ولهذا قال: ﴿ كُلُّ إِلَيْنَا رُجْعُونَ ﴾؛ أي: يوم القيامة، فيجازى (كلاً) بحسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾؛ أي: قلبه مصدق وعمل عملاً صالحاً ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾؛ أي: لا يكفر سعيه: وهو عمله، بل يشكر، ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾؛ أي: يكتب جميع عمله، فلا نضيع عليه منه شيء.

﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾⁽³⁾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٦٧﴾.

قال ابن عباس⁽⁴⁾: " أي: حرام على أهل قرية أهلكتناها أن يرجعوا بعد الهلاك "⁽³⁾. وحينئذ تكون (لا) صلة، وقال آخرون: " الحرام بمعنى الواجب وحينئذ يكون (لا) ثابتاً، معناه: واجب على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن تتقبل أعمالهم لأنهم: ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾؛ أي: لا يتوبون بدليل ما سبق أن عمل المؤمن لا يُقْبَلُ لا كفران لسعيه وبين عقبيه أن عمل الكافر لا يُقْبَلُ، وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾، قد سبق أنهم من سلالة آدم بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث أبي الترك. والترك: شِرْذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين، وقوله: ﴿ يَنْسِلُونَ ﴾؛ أي: يسرعون في المشي إلى الفساد، والحدب: هو المرتفع من الأرض، قال ابن عباس⁽⁴⁾ وغير واحد: " هذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك "⁽⁴⁾

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1270/3 باب قول الله تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ برقم: 3258، ومسلم في صحيحه 1837/4 باب فضائل عيسى عليه السلام برقم: 2365 بلفظ: " الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي ". أولاد علات: هم الأخوة لأب واحد ومن أمهات مختلفة "

2 - ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَشِيرُوا الْقُرْبَانَ إِلَى اللَّهِ فَجُوعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية (48) من سورة المائدة.

3 - أخرجه البخاري 2438/6 باب وحرام على قرية أهلكتناها أنهم لا يرجعون برقم: 8 عن ابن عباس: " أن حرم بالحشية وجب ". وأورد السيوطي في الدر المنثور 672/5، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾، قال: وجب إهلاكها، وإنهم لا يرجعون إلى الدنيا. وعن قتادة: " أي وجب عليها أنها إذا هلكت لا ترجع إلى دنياها وقال عكرمة: حرم، وجب بالحشية "

4 - يقول الماوردي: في قوله: ﴿ يَنْسِلُونَ ﴾ وجهان: أحدهما: معناه يخرجون، والثاني: معناه يسرعون ينظر تفسير

﴿وَلَا يُبْنِكُ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾⁽¹⁾، روى ابن جرير: " أن ابن عباس رضي الله عنه رأى صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون، فقال: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج "⁽²⁾ وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة، منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾، فيغشون، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمنون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم يمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسا، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر، فيقول: قد كان ههنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن، أو مدينة، قال قائلهم: هذا أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مخصبة دماً للبلاء، والفتنة، فبينما هم على ذلك حتى بعث الله تعالى دوداً في أعناقهم، (كنغف الجراد)⁽³⁾ الذي يخرج من أعناقه، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو، قال: فتجرد رجل منهم محتسباً لنفسه قد أوطنها على أنه مقتول، فينزل فيخدم بعضهم على بعض، فينادى يا معشر المسلمين: ألا أبشروا إن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم، وحصونهم ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط "⁽⁴⁾ رواه أحمد وابن ماجه، وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه⁽⁵⁾ قال: " ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في ناحية النخل غير الدجال أخوفني عليكم،

1 - ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الآية (14) من سورة فاطر.

2 - أورده ابن جرير في تفسيره 528/18 سورة الأنبياء الآية 96. وابن الجعد في مسنده 250/1 حديث عبيد الله بن أبي يزيد برقم: 1658، وقال: لم يرو شعبة عن عبيد الله بن يزيد غير هذا الحديث، ولا حدث به عن عبيد الله غير شعبة. وابن أبي شيبه في مصنفه 501/7 باب ما ذكر في فتنة الدجال برقم: 37544.

3 - نغف الجراد: دودة تاكل تكون في أنوف الإبل والغنم، واحدها: نغفة، تشكر عليها: تسمن وتمتلئ شحماً، يقال: شكرت الناقة إذا سمتت وفرس شكور: إذا أعلف فسمن، ينظر الفائق في غريب الحديث 7/4 باب النون مع الغين، وجامع غريب الحديث 409/2 باب: نغف.

4 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1363/2 باب فتنة المسيح الدجال، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام برقم: 4079 نحوه، وأحمد في مسنده 257/18 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11730 بلفظ: " يفتح يأجوج ومأجوج "، وابن حبان في صحيحه 244/15 باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون، (ذكر الإخبار عن وصف الفتنة)، برقم: 6830، والحاكم في مستدركه 246/2 برقم: 2966، وكذلك 488/4 برقم: 8504، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

5 - النواس بن سمعان الكلابي، له صحبة، وسكن الشام، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه: أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وأهل الشام، يقال أن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له، وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم نعلين فقبلهما، وزوج أخته من النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم تعوذت منه، فتركها صلى الله عليه وسلم، ولم تذكر التراجم تاريخ وفاته. ينظر أسد الغابة 384/5 رقم: 5299 باب نواس، وتهذيب الكمال 30/37 رقم: 6486، من اسمه نواس، والثقات 411/3 رقم: 1355.

فإن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيُّه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فأمروُ حجيُّ نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب جعد قطط، عينه طافية، وإنه يخرج [خلة]⁽¹⁾ بين الشام، والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً يا عباد الله: فاثبتوا، قلنا يا رسول الله: ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي هو كسنة أكيفنا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، أقدروا له قدره، قلنا يا رسول الله: فما إسرعه في الأرض؟ قال: : كالغيث استدبرته الريح، قال: فيمر بالحي، فيدعوهم، فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم، وهي أطول ما كانت ذرياً، وأمدّه خواصراً، وأسبغه ضروعاً، ويمر بالحي، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فنتبعه أموالهم، فيصبحون محللين ليس لهم من أموالهم شيء، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فنتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، قال: ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل إليه، فبيناهم على ذلك إذ بعث الله - عز وجل - المسيح ابن مريم (عليه السلام)، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين (مَهْرودتين)⁽²⁾ واضعاً يديه على أجنحة ملكين، فيتبعه، فيدركه، فيقتله عند باب لدّ الشرقي، قال: فبيناهم كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى بن مريم: أني قد أخرجت عباداً من عبادي، لا يدان لك بقتالهم، فحوز عبادي إلى الطور فبيعت الله يأجوج ومأجوج، وهم كما قال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، فيرغب عيسى، وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم نغفاً في رقابهم فيصبحون (فَرَسِي)⁽³⁾ كموت نفس واحدة، فيهبط عيسى وأصحابه، فلا يجدون في الأرض بيتاً، إلا قد ملأه (زُهُمُهُم)⁽⁴⁾ وننننهم، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق [البخت]⁽⁵⁾، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، وفي

1 - أي: في طريق بينهما. وقيل: للطريق والسبيل: (خلة) لأنه خل ما بين البلدين. (خلة بين الشام والعراق) الخلة: واحدة الخل، والخل: الطريق من الرمل، والمعنى: أنه خارج في خلة؛ أي: في طريق من هاتين الجهتين والتخل: الدخول في الشيء ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين 1135/1. والنهية في غريب الأثر 145/2.

2 - يقال: ينزل بين (مَهْرودتين): أي: في شقنين أو خلنين، وقيل: الثوب المَهْرود: الذي يُصَبَّغ بِالْوَرَسِ، ثم بالزَعْفَرَانِ، فيجىء لونه مثل لون زهرة الحودانة، ويقول ابن قتيبة: (مَهْرودتين): هذا عندي غلط من بعض نقلة الحديث، ولا أراه إلا (مَهْرودتين): يريد ملاءتين صفراوين، يقال: هربت العمامة إذا لبستها صفراء. ينظر غريب الحديث (ابن قتيبة) 389/1، والنهية في غريب الأثر 588/5.

3 - (فَرَسِي): أي: قتل الواحد: (فَرَس) من فرس الدنْب السَّاء، وأفرسها إذا قتلها. ينظر لسان العرب 159/6، والنهية في غريب الأثر 822/3.

4 - الزُّهُم بالتحريك . مصدر (زَهُمْتُ) يذُه (ترهُم) من رائحة اللحم، و(الزُّهُمَة) بالضم: الریح المُنْتَنَة أراد أن الأرض تننن من جيفهم. ينظر النهية في غريب الأثر 808/2.

5 - البُخت: وهي جمال طوال الأعناق، وتُجمع على بُختٍ وبخاتي، واللفظة (معربة)، والبُخْتِيَة : الأنثى من الجمال، والذكر بُخْتِي. ينظر النهية في غريب الأثر 251/1.

رواية⁽¹⁾، فتنطرحهم [بالنهيل]⁽²⁾، قال: ويرسل الله مطراً إلا يكن له منه بيت ومدر ولا وبر أربعين يوماً، فيغسل الأرض حتى يتركها كالمزقة، ويقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك، قال: فيومئذ يأكل نفر من الرمان، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي (الفئام)⁽³⁾، من الناس، واللقحة من البقر لتكفي الفخذ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت، قال: فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله ريحاً طيبة تأخذ تحت آباطهم، فتقبض روح كل مسلم أو - قال مؤمن -، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير، وعليهم تقوم الساعة⁽⁴⁾ تفرّد به مسلم دون البخاري مع بقية أهل السنن، وقد ثبت في الحديث: أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق، كما روى أبو سعيد⁽⁵⁾، قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج"⁽⁵⁾ تفرّد به البخاري. وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، يعني: يوم القيامة إذا أوجدت هذه الأحوال، والزلازل، والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت، قال الكافرون: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾⁽⁶⁾، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام ﴿يَا وَيْلَنَا﴾؛ أي: يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾، أي: في الدنيا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعترفون بظلمهم على أنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا

1 - أخرجه الترمذي في سننه 468/8 باب مَا جَاءَ فِي فِتْنَةِ الدَّجَالِ برقم: 2406، وأحمد في مسنده 174/29 حديث النّاس بن سمعان برقم: 17629. وقد وردت بلفظ: (بالمهبل) وليس (بالنهيل).

2 - هكذا في المتن: اللوحة: 209/، وعند ابن كثير: [بالمهبل]: بكسر الباء: موضع الولد من الرّحم، وقيل: أفصاه، وفي حديث الدجال: (فَتَحْمَلُهُمْ فَتَنْطَرِحُهُم بِالْمَهْبِلِ): هو الهوة الذاهبة في الأرض. ينظر تفسير ابن كثير 544/5، والنهاية في غريب الأثر 544/5.

3 - الفئام: الجماعة من الناس، وغيرهم. ينظر العين 405/8، والفائق في غريب الحديث 28/1، والنهاية في غريب الأثر 767/3.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 197/8 باب ذكر الدجال برقم: 7560 عن النّاس، والنسائي في سننه 235/6 بلب ما يجبر من الدجال وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك برقم: 10783، والترمذي في سننه 510/4 باب فتنة الدجال برقم: 2240، وابن ماجه في سننه 192/5 كتاب الفتن برقم: 4075 عن النّاس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 578/2 باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس برقم: 1516 بلفظ: " ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج " ..

6 - ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ الآية: (8) من سورة القمر.

أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٣٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣٣﴾.

خاطب تعالى المشركين من قريش ومن [دان دينهم]⁽¹⁾ من عبدة الأصنام بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: حطب جهنم ووقودها، وما يُرْمَى به فيها، وقوله: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾؛ أي: داخلون ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾؛ أي: لو كانت هؤلاء الأصنام، والأنداد الذي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار، ولما دخلوها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، أي: العابدون والمعبودات كلهم فيها خالدون، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ وهو خروج النفس عن الحسرة، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، قال ابن مسعود: " إذا بقي من مُخَلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى في النار أحد منهم يعذب في النار غيره ولا يسمعون شيئاً"⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾، أي الرحمة والسعادة ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، لما ذكر الله تعالى الأشقياء، وعذابهم، ذكر السعداء من المؤمنين وثوابهم وهم الذين سبقت لهم من [الله ﷻ]⁽³⁾ السعادة، وأسلموا الأعمال الصالحة في الدنيا، وكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ثوابهم، وجزأؤهم في العقبى، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا﴾؛ أي: عن النار ﴿مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾؛ أي: حريقها في الأجساد، وصوتها، والحسيس: الصوت الخفي، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، فسلمهم من المحذور والمرهوب فازت بالمطلوب والمحبوب، قال ابن عباس: " أولئك أولياء الله يمرّون على الصراط مرّاً هو أسرع من البرق " وعنه أيضاً " إنهم الملائكة وعزير وعيسى، ونحو ذلك مما تعبدون من دون الله، كالشمس والقمر "⁽⁴⁾ وعنه أيضاً قال: جاء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " تزعم أن الله أنزل عليك

1 - اللوحة رقم: 309/ب، والصواب: [من دان بدينهم] لعلها سقطت من الناسخ. ينظر تفسير ابن كثير 377/5.

2 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 6156/1098، وأخرجه الطبراني في الكبير 224/9 حديث عبدالله بن مسعود برقم: 9087، والبيهقي في شعب الإيمان 289/6 فصل في التواضع وترك الزهو والصلف والخلاء والفخر والمدح برقم: 8287، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 169/7 باب سورة الأنبياء عليهم السلام برقم: 11179، وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

3 - [زيادة يقتضيها السياق]، لعلها سقطت من الناسخ، رقم اللوحة: 309/ب.

4 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13735/2469. تفسير سورة الأنبياء الآية: 102.

5 - عبدالله بن الزبير بكسر الزاي، والموحدة، وسكون المهملة، بعدها راء، وألف مقصورة، ابن قيس بن عدي ابن سعد، وأمه عاتكة بنت عمير بن أهيب، وكان أشد الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية، وعلى أصحابه بلسانه، ونفسه، وكان يناضل عن قريش، ويهاجي المسلمين، وكان من أشعر قريش، قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، واعتذر إلى رسول الله - صلى الله

هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ﴾ (57) وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (58)⁽¹⁾، ثم نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾⁽²⁾، رواه ابن مردويه⁽³⁾، وهذا الذي قاله ابن الزبير ﴿خطأ عظيم، لأن الآية، إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا يعقل، ليكون ذلك تقريباً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده، وعول ابن جرير في الجواب: على أن (مَا) لِمَا لَا يُعْقَل عند العرب، وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك، وكان يعتذر وقوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾، قيل: المراد به الموت، وقيل: النفخة في الصور، قاله ابن عباس واختاره ابن جرير⁽⁴⁾، وقيل: حين يؤمر بالعبد إلى النار، وقيل: حين يذبح الموت، وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، يعني: تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم، ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، أي: فأقبلوا ما يسركم.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا بِئَاتًا كَغَتًّا فَعَالِينَ﴾^(١٠٤).

عليه وسلم - فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد، (ت : 15 هـ). ينظر أسد الغابة 242/3 باب العين والباء رقم: 2933، والإصابة 87/4 باب العين المهملة رقم: 4682، وتهذيب الأسماء 374/1 العين المهملة رقم: 296، والوافي بالوفيات 90/17.

¹ - الآيات: (57) - (58) من سورة الزخرف

² - أخرجه الطبراني في الكبير 153/12 باب أبو رزين عن ابن عباس نحوه، والحاكم في مستدرکه 416/2 تفسير سورة الأنبياء برقم: 3449 بلفظ: " فقال المشركون: الملائكة، وعيسى، وعزير يُعبدون من دون الله "، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه، وأورده الهيثمي في الزوائد 169/7 باب سورة الأنبياء برقم: 11178، وعزاه إلى الطبراني، وقال: وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثق، وضعفه جماعة.

³ - ابن مردويه: أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير، صنّف التفسير والتاريخ والشيوخ وخرّج حديث الأئمة، عمل المستخرج على صحيح البخاري، وكان قيماً بمعرفة هذا الشأن، بصيراً بالرجال، طويل البال، مليح التصانيف، حدّث عن: أبي سهل بن زياد، وميمون بن اسحاق، وعبدالله بن اسحاق الخراساني، وغيرهم، روى عنه: أبو الخير محمد بن أحمد، وعبدالرحمن بن منده، وأخوه، وآخرون كثيرون، ت: 410 هـ. ينظر تاريخ الإسلام 200/28، وتذكرة الحفاظ 168/3 رقم: 965، وسير أعلام النبلاء 309/17 رقم: 188.

⁴ - قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعده أخرى أن لا يفرّج، وأن من أفرّعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده. وعن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ يعني: النفخة الآخرة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13749/2469، وتفسير الطبري 542/18.

هذا كائن يوم القيامة، عن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السموات بيمينه ⁽¹⁾ تفرد به البخاري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك في يده بمنزلة خردلة، وقوله: ﴿كَطَى السَّجِّلَ لِلْكَتُبِ﴾، قيل: " السجل ههنا ملك يكتب أعمال العباد، فإذا صعد بالاستغفار، قال الله: أكتبها نوراً، وقال السدي: " هو ملك موكل بالصحف، فإذا مات الإنسان دفع كتابه إلى السجل فطواه، ورفعته إلى يوم القيامة ⁽²⁾، وقيل: " هو اسم صحابي كان يكتب للنبي الوحي ⁽³⁾، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، رواه أبو داود والنسائي، أي: كما يطوي السجل الكتاب، كذلك تطوي السماء، وهذا غير محفوظ عن ابن عباس رضي الله عنهما، بل قيل: بوضعه وإن كان في بعض السنن، هكذا قال [شيخنا] ⁽⁴⁾ أبو الحجاج المزني ⁽⁵⁾ - رحمه الله - وقال: لا يُعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، والصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السجل هو الصحيفة، نصَّ على ذلك مجاهد وغير واحد، واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة ⁽⁶⁾ فعلى هذا يكون معناه كطي الصحيفة على مكتوبها كقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ⁽⁷⁾؛ أي: على الجبين،

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 123/9 كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي برقم : 7412 بلفظ : " إن الله يقبض يوم القيامة الأرض

2 - أورد ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عمر في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكَتُبِ﴾، قال: السجل ملك، فإذا صعد بالاستغفار، قال: اكتبها نوراً". وأورد القرطبي: قول ابن عباس وابن عمر والسدي: أن السجل ملك ، وهو الذي يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، ويقول الماوردي: في ذلك ثلاثة أقاويل: أحدها: أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة. والثاني: أنه الملك. والثالث: أنه كاتب يكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا قول ابن عباس. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13753/2470، وتفسير القرطبي 347/11، وتفسير الماوردي 474/3.

3 - أخرجه أبو داود في سننه 93/3 باب في اتخاذ الكاتب برقم : 2937 عن ابن عباس نحوه ، والنسائي في سننه 408/6 سورة طه باب قول الله تعالى يوم تطوي السماء كطي السجل برقم : 11335 نحوه ، والطبراني في الكبير 12 / 170 عن ابن عباس برقم : 12790 بلفظ : " كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يدعى السجل

4 - [شيخنا]: وهذا تأكيد أن (الإمام المزني) هو من شيوخ (الإمام الكازروني) أيضاً، لأن هذه (اللفظة) لم يحذفها الإمام في ملخصه.

5 - أبو الحجاج المزني : هو أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن ، أبو الحجاج ، محدث الديار الشامية في عصره ، صاحب كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، في 250 جزء وكتاب ، حفظ القرآن الكريم ، وقرأ العربية ، وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها ، وبرع فيها ، وأتقن النحو والتصريف ، تمذهب للشافعي ، وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها ، وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله ، وكان فيه حياء ، وسكينة ، وحلم ، وقناعة ، وقلة الكلام ، إلا أنه يُسأل فيجيب ويجيد ، وكان لا يتكثر بفضائله ، كثير السكوت ، لا يُغتاب عنده أحد، (ت: 742 هـ) . ينظر الدرر الكامنة 178/2 ، والعبر 126/4 سنة : 742 هـ وفوات الفوات 353/4.

6 - ونقل عن ابن عباس ، قوله: ﴿كَطَى السَّجِّلَ لِلْكَتُبِ﴾ يقول: كطي الصحيفة على الكتاب. وعنه أيضاً قوله: كطي الصحف. وأضاف الطبري: فإن قال قائل: وكيف تطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه: يوم تطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل تطوي مصدرًا ، فقيل: ﴿كَطَى السَّجِّلَ لِلْكَتُبِ﴾ واللام في قوله للكتاب بمعنى على. ينظر تفسير الطبري 543/18.

7 - ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ الآية (103) من سورة الصافات.

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ ، يعني: هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلاق خلقاً جديداً كما بدأهم، وهو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يُخْلَفُ، ولا يُبَدَّلُ وهو القادر على ذلك ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ عن ابن عباس ؓ قال: قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموعظة، فقال: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾، وذكر تمام الحديث هكذا في الصحيحين⁽¹⁾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٧٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

أخبر تعالى عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدارين ووراثه الأرض فيهما كقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، وغيره من الآيات، وأخبر أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية، فهو كائن لا محالة ، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي: الكتب المنزلة على الأنبياء، قال مجاهد: "الزبور: الكتاب"⁽³⁾، وقيل: الزبور: كتاب عيسى، والذكر: التوراة، وقيل: الذكر: القرآن، وقيل: الذكر: أم الكتاب عند الله وهو الكتاب الأول، وقيل: هو اللوح المحفوظ ، قال ابن عباس ؓ: "أخبر تعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - الأرض"⁽⁴⁾، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون، قالوا هم المؤمنون، والمراد: أرض الجنة، وقوله: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾؛ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لمنفعة، وكفاية

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1691/4 سورة المائدة برقم: 4349 ، نحوه بلفظ: " إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً". ومسلم في صحيحه 2194/4 باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم: 2859 ، بلفظ " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً".

2 - ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية (128) من سورة الأعراف.

3 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أن الزبور: الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، والذكر: أم الكتاب الذي عنده في السماء، وهذا قول مجاهد. والثاني: أن الزبور من الكتب التي أنزلها الله تعالى على من بعد موسى من أنبيائه، وهذا قول الشعبي. وعن ابن زيد: قال: الزبور: الكتب التي أنزلت على الأنبياء ، والذكر: أم الكتاب الذي تكتب فيه الأشياء قبل ذلك. وعن ابن عباس: الذكر: التوراة والزبور: الكتب. ينظر تفسير الطبري 547/18. وتفسير الماوردي: 474/3.

4 - ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ، فيها ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة وهذا قول سعيد بن جبیر، وابن زيد. والثاني: أنها الأرض المقدسة يرثها بنو إسرائيل ، وهذا قول الكلبي. والثالث: أنها أرض الدنيا، والذي يرثها أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا قول ابن عباس. وعنه أيضاً قال: أرض الجنة. " وعن مجاهد: الذكر أم الكتاب عند الله، والأرض أرض الجنة يرثها عبادي الصالحون. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13759/2470، وتفسير الماوردي 475/3، وتفسير مجاهد 476.

لقوم عبدوا الله بما شرعه، وأوجبوه ورضيه، وأثروا طاعة الله على طاعة الشيطان. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، أخبر تعالى أن الله جعل محمداً رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ (1) الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله أدع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة (2) تفرّد به مسلم. وعنه أيضاً مرفوعاً " إنما أنا رحمة مهداة" (3)، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم، وخفض آخرين (4) قيل: فأبي رحمة حصلت لمن كفر به، فالجواب ما رواه ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية، قال: من آمن بالله واليوم الآخر، كُتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عُوفي مما أصابه الأمم من الخسف والقذف (5) هكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنِ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٨١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ .

أمر تعالى رسوله - عليه الصلاة والسلام - على أن يقول للمشركين ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾، أي: مشغوفون على ذلك مستسلمون منقادون له، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: فإن أعرضوا، وتركوا ما دعوتهم إليه، ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾؛ أي: أعلمتكم أنني حربٌ لكم، كما أنكم حربٌ لي، بريء منكم كما أنكم

1 - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ الآية (28) من سورة إبراهيم.
2 - أخرجه البخاري في الأدب 119/1 باب لعن الكافر برقم : 321 عن أبي هريرة به ، ومسلم في صحيحه 17/5 باب النهي عن لعن الدواب ، وغيرها برقم : 2599 نحوه.
3 - أخرجه الطبراني في الصغير 168/1 باب من اسمه اسماعيل برقم : 264 ، وقال : لم يروه عن الأعمش إلا مالك بن سعير ، وفي الأوسط 223/3 باب من اسمه اسماعيل برقم : 2981 عن أبي صالح عن أبي هريرة به والحاكم في مستدرکه 35/1 برقم : 100 عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما.
4 - أورده السيوطي في الجامع الصغير 141/1 باب حرف الألف برقم: 1707، وعزاه إلى ابن عساکر، وقال: ضعيف

5 - أخرجه الطبراني في الكبير 23/12 حديث سعد بن جبير عن ابن عباس برقم : 12358 ، بلفظ : " من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة " ، وفي آخره " من المسخ ، والخسف ، والقذف " ، وأورده الهيثمي في الزوائد 169/7 باب سورة الأنبياء برقم : 11189 ، وعزاه إلى الطبراني ، وقال : وفيه أيوب بن سويد ، وهو ضعيف جداً ، وقد وثقه ابن حبان بشروط ، فيمن يروي عنه ، وقال : إنه كثير الخطأ .

برآء مني، كقوله: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾⁽¹⁾، الآية، يعني أعلمتكم ببراءتي منكم، وبراءتكم مني، لعلمي بذلك، وقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه، ولا ببعده، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: أن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يُظهرُ العباد، وما يسرون، ويعلم الظواهر، والضمائر، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في إسرارهم، وإجهارهم، وسيجزئهم على ذلك على القليل والجليل، وقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، أي: وما أدري لعل هذا ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، قال ابن جرير: عن ابن عباس: لعل تأخير ذلك عنكم، فتنة لكم⁽²⁾، ومتاع إلى حين أجل مسمى، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أفصل بيننا، وبين قومنا المكذبين بالحق، قال قتادة: كان الأنبياء عليهم السلام يقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾⁽³⁾، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾، وكان إذا شهد غزاة، يقول ذلك⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾؛ أي: على ما يقولون ويفترون من الكذب، ويتنوعون من الإفك، والتكذيب، والله المستعان عليكم في ذلك.

1 - ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية (41) من سورة يونس.

2 - عن ابن عباس: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يقول: لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم، ومتاع إلى حين، فيصير قولي ذلك لكم فتنة. ينظر تفسير الطبري 554/18.

3 - ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّبْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الآية (89) من سورة الأعراف.

4 - أورده ابن ابي حاتم في تفسيره 13766/2471، تفسير سورة الأنبياء. وأورد ابن جرير قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ قال: لا يحكم بالحق إلا الله، وعن قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا شهد قتالا قال: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾. تفسير الطبري 554/18.

خامساً

﴿تفسير سورة الحج﴾

وهي مكية غير ست آيات من قوله تعالى: ﴿هَذَا خِطَابُ لِقَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ﴾ الآية: (19)
إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ الآية (24) وعدد آياتها: (78) آية

سورة الحج بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست آيات من قوله: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ إلى قوله: ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ (1).

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ .

أمر تعالى عباده بتقواه، وأخبرهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة، وزلازلها فاختلّفوا في زلزلة الساعة، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة؟ أو ذاك عبارة عن زلزلة الأرض، قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (2)، وغيره من الآيات، فقال بعضهم هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال القيامة، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن الله لما فرغ من خلق السموات، والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال عليه الصلاة والسلام: فهو قرن عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: أنفخ نفخة الفزع، ففزع أهل السموات، وأهل الأرض، إلا من شاء الله، ويأمره، فيمدها، ويطولها، ولا يفتر، وهي التي يقول الله ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ (3)، فتسير الجبال، فتكون سراباً، وترج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (4)

1 - ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حديدٍ ﴿٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ . إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٥﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ سورة الحج

2 - ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الآية (1) من سورة الزلزلة.
3 - ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ الآية (15) من سورة ص .

تَتَّبِعُهَا الرِّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾⁽¹⁾، فتكون الأرض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الأمواج، تكفيها بأهلها، وكالفتدليل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، أي: (الرياح)، فيمتد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، أي: (جنينها)، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار تتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، فترجع ويولّي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مَن عَاصِمٌ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)﴾⁽²⁾ فبينما هم على ذلك إذ صدعت الأرض من قطر إلى قطر، ورأوا أمراً عظيماً، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل، ثم كُسِفَ شمسها، وخُسِفَ قمرها، وانتثرت نجومها، ثم كُشِطت عنهم، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك "، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "فمن استثنى الله حين يقول"، ﴿فَقَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾⁽³⁾، قال أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم، وهو عذاب الله، يُبعث إلى شرار خلقه، وهو الذي يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾⁽⁴⁾، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني مطوّلاً جداً، والغرض: أنه دل على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم القيامة، لقربها منها، كما يقال أشراط الساعة، ونحو ذلك، والله أعلم، وقال آخرون: " بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور " ⁽⁵⁾ وهو اختيار ابن جرير، محتجين بأحاديث منها في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " يقول الله تعالى: يا آدم يقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ،قال: أخرج بعث النار؟ قال: وما بعث النار؟، قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ، قالوا

¹ - الآيات (6)، (7)، (8) من سورة النازعات .

² - ﴿وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مَن عَاصِمٌ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)﴾ لآيات من سورة غافر .

³ - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دُخْرِينَ﴾ الآية (87) من سورة النمل.

⁴ - أخرجه الطبراني في الطوال 266/1 حديث الصور برقم : 36 وقد أورده بطوله ، وابن راهويه في مسنده 85/1 باب ما يروى عن أم الفضل برقم : 10 والحديث طويل.

⁵ - أورد ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علقمة في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ قال: الزلزلة قبل الساعة، وقال الماوردي: في زلزلتها قولان: أحدهما : أنها في الدنيا ، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها . والثاني : أنها في القيامة . وفيها قولان : أحدهما : أنها نفخ الصور للبعث والثاني : أنها عند القضاء بين الخلق . ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13771/2473 وتفسير الطبري 557/18، وتفسير الماوردي

يا رسول الله: أينما ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج، ومأجوج ألف، ثم قال: "والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا، ثلث أهل الجنة، فكبرنا، قال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا قال: ما أنتم في الناس إلا كشعرة سوداء، في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء، في جلد ثور أسود" (1)، و(فيهما أيضاً) (2) عن عائشة [رضي الله عنها] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إنكم تحشرون يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً، قالت عائشة رضي الله عنها" (3): "يا رسول الله الرجال، والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، قال: يا عائشة إن الأمر أشد مما يهمهم ذاك" (4) وعنها أيضاً "قالت: قلت يا رسول الله: هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة، قال: يا عائشة أما عند ثلاث فلا" (5)، وفي رواية أبي داود (6): "أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يتقل؟ وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ (7) حتى تعلم أين يقع كتابه أفي يمينه؟ أم في شماله من وراء ظهره؟ وعند الصراط، إذا وضع بين ظهرائي جهنم" (8)، والأحاديث في أهوال القيامة كثيرة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1221/3 باب قصة يأجوج ومأجوج برقم: 3170 . ومسلم في صحيحه 201/1 باب يقول الله لأدم أخرج بعث النار برقم: 379 .

2 - إشارة إلى الصحيحين.

3 - أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، كنيته أم عبدالله، زوج النبي وأشهر نسائه. وبنى بها وهي بنتُ تسع سنين بالمدينة، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. قال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقهِ ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلوً مجد، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة، وروت عن النبي كثيراً، روى عنها عمر ابن الخطاب وكثير من الصحابة، ومن التابعين ما لا يحصى، ت: 57 هـ. ينظر الاستيعاب 1881/4 رقم: 2029، وأسد الغابة 43/7 رقم: 7079، والإصابة 16/8 رقم: 11457.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 2391/5 برقم: باب كيف الحشر برقم: 6162، ومسلم في صحيحه 2194/4 باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم: 2859 بلفظ "يحشر الناس يوم القيامة غرلاً".

5 - أخرجه أحمد في مسنده 302/41 مسند السيدة عائشة رضي الله عنها برقم: 24793، وابن أبي شيبة في مصنفه 88/7 باب ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم برقم: 34406، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 650/10 باب ما جاء في الميزان والصراف برقم: 18440، وعزاه إلى أحمد، وقال: وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

6 - أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني أبو داود، وكان أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً ممن جمع وصف، روى عن عبد الله بن مسلمة القعني، وأبي داود الطيالسي وأحمد بن حنبل، وروى عنه محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم الأشناني وأبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري، وكان رأساً في الحديث، رأساً في الفقه. ذا جلاله وحرمة وصلح وورع، حتى إنه كان يشبه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل. ت: 275 هـ. ينظر تهذيب التهذيب 149/4 رقم: 298 والتقات 282/8 رقم: 13458، والجرح والتعديل 101/4 رقم: 456، والعبر 396/1 سنة 275 هـ.

7 - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ الآية (19) من سورة الحاقة.

8 - أخرجه أبوداود في سننه 385/4 باب في ذكر الميزان برقم: 4757، وابن راهويه في مسنده 740/3 ما يروى عن عائشة رضي الله عنها برقم: 1349، بلفظ: "هل يذكر الرجل حميمه يوم القيامة فقال: أما في ثلاث مواطن فلا"، والحاكم في مستدركه 622/4 كتاب الأهوال برقم: 7822، وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ؛ أي: أمر عظيم، وخطب جسيم والزلازل: هوما يحصل للنفوس من الفرع، والرعب، ثم قال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ هذا من باب ضمير الشأن، والقصة، ولهذا قال مُفسِراً له: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾؛ أي: تشغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعها له، ولهذا قال: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾، ولم يقل مُرضع، ثم قال: ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾؛ أي: [تضيّعها]⁽¹⁾ قبل فطامه، وقوله: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾؛ أي: قبل تمامه لشدة الهول، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾، وقرئ: ﴿سُكَرَى﴾⁽²⁾؛ أي: من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه، قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سُكاري، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

لقد ذم الله من كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى مُعرضاً عما أنزله على أنبيائه متبعاً في كفره كل شيطان مرید من الجن والأنس، وهم أهل الضلال، والبدع المعرضون عن الحق المتبعون عن للباطل، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون إخوان رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء، والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: علم صحيح ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: كتب على الشيطان كتابه القدري ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: اتبعه، وقلده فإنه يضلّه أي في الدنيا، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير؛ أي: الحار المؤلم المزعج المقلق، قالوا: نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث [الذي]⁽³⁾ كان كثير الجدل، ينكر البعث، وإحياء من صار تراباً، ويقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين.

1 - جاءت بهذا الرسم في المتن ينظر اللوحة رقم: 311/ب. وعند ابن كثير [رضيعها] وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 394/5.

2 - وقرأ حمزة والكسائي ﴿سُكَرَى﴾ بغير ألف. الباقون ﴿سُكاري﴾ وهما لغتان لجمع سكران، يقرآن بضم السين وإثبات الألف وبفتحها وطرح الألف وهما جمعان لسكران وسكرانة فالحجة لمن ضم السين وأثبت الألف أنه لما كان السكر يضعف حركة الإنسان شبه بكسلان وكسالي، والحجة لمن فتح وحذف الألف أنه لما كان السكر آفة داخلية على الإنسان شبه بمرضى وهلكي. قرأ حمزة الكسائي: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ وحجتهما: أن فعلى جمع كل ذي ضرر مثل: (مريض ومرضى)، (وجريح وجرحى)، وقرأ الباقون سُكاري بالألف فيهما وهو: (جمع سكران): وحجتهم: أن باب (فعلان يجمع على فعالي). ينظر الحجة في القراءات السبع 252/1. وحجة القراءات 472/1.

3 - [الذي] إضافة يقتضيها السياق لعلها سقطت من الناسخ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَثْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾

لما ذكر الله تعالى المنكر للبعث، والنشور ذكر الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق، فقال: ﴿إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، أي: في شك من البعث وهو المعاد، وإحياء الأجساد يوم القيامة، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ﴾؛ أي: أصل بدئه لكم من تراب، وهو الذي خلق منه آدم، ﴿ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِّن سُلَّةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾⁽¹⁾، ﴿ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ﴾، وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكث أربعين يوماً، كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله تعالى، فتمكث كذلك أربعين يوماً، ثم يستحيل فيصير مضغة قطعة من لحم، لا شكل فيها، ولا تخطيط، ثم يشرع في التشكيل، والتخطيط، فيصور منها رأس، ويدان، وصدر، وبطن، وفخذان، ورجلان، وسائر الأعضاء، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل، والتخطيط، وتارة تلقاها، وقد صارت ذات شكل وتخطيط، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؛ أي: كما يشاهدونها، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: وتارة تستقر في الرحم لا تلقاها المرأة، ولا تسقطها، كما قال مجاهد: في هذه الآية " هو السقط مخلوق، وغير مخلوق، فإذا مضى عليه أربعون يوماً، وهي مضغة أرسل الله إليها ملكاً، فنفخ فيها الروح، وسواها كما يشاء الله من حسن وقبيح، وذكر وأنثى، وكتب رزقها، وأجلها، وشقي، أو سعيد "⁽²⁾، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدق: " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم

1 - ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِّن سُلَّةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ الآية: (8) من سورة السجدة.

2 - قال ابن عباس: المخلقة: ما كان حياً، وغير مخلقة: ما كان من سقط. وقال مجاهد: السقط مخلوق وغير مخلوق، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، قال: التمام، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2475/12782-13782، وتفسير مجاهد ص/477.

يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله ورزقه، وشقي، أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح" (1)، وعن حذيفة بن أسيد⁽²⁾ يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " يدخل الملائكة على النطفة بعدما تستقر في الرحم أربعين، أو خمساً وأربعين يوماً فيقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ فيقول الله: ويكتبان، فيقول أذكر أم أنثى؟ فيقول الله: ويكتبان، ويكتب عمله، وأثره، ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يُزاد فيها، ولا ينقص" (3) رواه ابن أبي حاتم، وروى مسلم نحوه⁽⁴⁾، وقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾؛ أي: [ضعيفاً]⁽⁵⁾ في سمعه، وبصره، وحواسه وبطشه، ثم يعطيه الله القوة شيئاً، فشيئاً، ويلطف به، ويحنن عليه والديه في آناء الليل، وأطراف النهار، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾؛ أي: يتكامل القوي ويتزايد، ويصل إلى عنفوان الشباب، وحسن النظر ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى﴾؛ أي: في حال شبابه، وقواه، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾، وهو الشيخوخة، والهزم وضعف القوة، والعقل، والفهم، والفكر، ولهذا قال: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله شيئاً، كما في آية أخرى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾⁽⁶⁾، وفي مسند أحمد عن أنس⁽⁷⁾ قال: " إذا بلغ الرجل أربعين عاماً آمن من أنواع البلايا من الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ الخمسين لئن الله حسابته، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها، وإذا بلغ السبعين أحبه الله، وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته، ومحى عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وسمي أسير الله في الأرض، وشُفِعَ له في أهله" (7)، وروى عمر بن الخطاب⁽⁸⁾ مثله مرفوعاً، وقد رواه أنس أيضاً مرفوعاً،

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 2713/6 باب ذكر الملائكة برقم: 7016، ومسلم في صحيحه 2036/4 باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه برقم: 2643.

2 - حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوز، وقيل: أغوس بالسين بن واقفة، أبو سريحة: بمهملتين وزن عجيبة بايع تحت الشجرة، وشهد الحديبية، ونزل الكوفة، وتوفي بها، وصلى عليه زيد بن أرقم، وكبر عليه أربعاً، روى عن: أبي بكر، وعلي، وأبي ذر رضي الله عنهما، يروى عنه: الطفيل عامر بن وائلة، والشعبي، والربيع بن عميلة، (ت: 42 هـ) بأرمينية. ينظر أسد الغابة 570/1 رقم: 1102، وأسماء من يعرف بكنيته 47/1 باب السين رقم: 78، والإصابة 43/2 رقم: 1646.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 64/26 حديث حذيفة بن أسيد برقم: 16142، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره 17958/3176 والطبراني في الكبير 176/3 حديث أبي الطفيل عامر بن وائلة برقم: 3039، والبيهقي في سننه 421/7 باب المرأة تضع سقطاً برقم: 15200.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 2037/4 باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه برقم: 2644 بلفظ: " يدخل الملك على النطفة ".

5 - [ضعيفاً]: زيادة بنطلبها السياق، ينظر اللوحة رقم: 311/ب، وهي مثبتة عند ابن كثير 396/5.

6 - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ الآية (54) من سورة الروم .

7 - أخرجه أحمد في مسنده 12/21 حديث أنس بن مالك برقم: 13279 بلفظ: " ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة "، وأبو يعلى في مسنده 243/7 حديث أبي عمران عن أنس برقم: 4249، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 342/10 باب فيمن طال عمره من المسلمين برقم: 17564 عن أنس رضي الله عنه وعزاه إلى

وقوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾، هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى، كما يحيى الأرض الميتة الهامدة، وهي القحلة التي لا ينبت فيها شيء ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾؛ أي: فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت، أي: تحركت بالنبات، وحييت بعد موتها، ﴿وَرَبَّتْ﴾؛ أي: ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم انبتت لما فيها من الألوان، والفنون من ثمار، وزروع، وأشجار النباتات باختلاف ألوانها، وطعومها، وروائحها، وأشكالها، ومنافعها، ولهذا قال: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أي: حسن المنظر طيب الريح، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الخالق المدبر الفعال لما يشاء، ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾؛ أي: كما أحيا الأرض الميتة، وأنبت منها هذه الأنواع، إن الذي أحياها لمحي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: [كائن] (1) لا شك فيها، ولا مرية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾؛ أي: يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمماً، ويوجدتهم بعد العدم، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (2) الآيات. وعن أبي رزين العقيلي (3)، أنه قال: "يا رسول الله [أكلنا يرى ربه عز وجل؟ وما آية ذلك؟] (4) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟ قلنا: بلى، قال: فإله أعظم، قال: قلت يا رسول الله: كيف يحيى الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي أهلك ممحلاً؟ قال: بلى، قال: ثم مررت به يهتز خضراً؟ قال: بلى، وكذلك يحيى الله الموتى، وذلك آيته في خلقه" (5) رواه أحمد و أبو داود.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٨) ثَانِي عِظْفِهِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) .

الطبراني في الكبير، وقال من رواية عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن أبي بكر، ولم يدركه، ولكن رجاله ثقات، وعزاه إلى البزار باختصار شديد، وقال: وفي إسناداه مجاهيل.

1 - ينظر اللوحة 312/أ، وعند ابن كثير: [كائنة]، وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 398/5.

2 - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ الآية (78) من سورة يس .

3 - أبو رزين العقيلي: هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر، وهو صحابي معروف، له صحبة ووفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ممن غلبت عليه كنيته، وهناك من ينسبه إلى جده، وهو لقيط بن عامر بن صبرة، وقيل أن لقيط بن عامر، غير لقيط بن صبرة، كما قال مسلم، وابن عبد البر، وقال ابن حبان والمزي أنهما واحد، ومن قال لقيط بن صبرة، فقد نسبه إلى جده، روى عنه ابنه عاصم بن لقيط، وعمرو بن أوس، ووكيع بن عدس، وعبد الله بن حاجب، لم تذكر التراجم تاريخ وفاته. ينظر أسد الغابة 548/4 رقم: 4527، والإصابة 686/5 رقم: 7561، وتهذيب الكمال 248/24 رقم: 5012. والثقات 359/3 رقم: 1187.

4 - اللوحة: 312/أ، وعند ابن كثير: [أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟]. 398/5.

5 - أخرجه أبو داود في سننه 375/4 باب في الرؤية برقم: 4733، وابن ماجه في سننه 64/1 فيما أنكرت الجهمية برقم: 180، وأحمد في مسنده 117/26 حديث أبي رزين العقيلي برقم: 16198،

ثم ذكر تعالى حال الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر، والبدع، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بلا عقل صريح، ولا نقل صحيح، بل: بمجرد الرأي، والهوى ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾، قال ابن عباس: أي: مستكبر عن الحق إذا دعي إليه، وقال غيره: لاوي عنقه، يعني يعرض عما يعرض إليه من الحق ويثني رقبته استكباراً " (1)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ (2) الآية، وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: هذه (لام العاقبة)، لأنه قد لا يقصد ذلك، ويحتمل أن تكون (لام التعليل) (3)، ثم قال: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو الإهانة، والذل، كما أنه استكبر عن آيات الله في الدنيا، فعوقب فيها بالقتل ببدر، ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ؛ أي: يقال لهم هذا تقيعاً، وتوبيخاً، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، قال الحسن: "بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة" (4).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

قال مجاهد وقتادة: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾؛ أي: على شك " (5)، وقيل: على طرف؛ أي: دخل في الدين على طرف، وأصله من حرف الشيء وهو طرفه، فقيل للشاك في

1 - عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ثاني عطفه)، يقول: يعرض عن ذكرني" وعنه أيضاً قال: " متكبراً في نفسه ". وعن ابن زيد رضي الله عنه ، قال: " لاوى رأسه معرضاً مولياً لا يريد إن يسمع ما قيل له "، وعن قتادة رضي الله عنه قال: لاوي عنقه "، وقال ابن جرير: وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخترا من الكبر. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13791 / 2476 - 13795، وتفسير الطبري 573/18.

2 - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ الآية (5) من سورة المنافقون.

3 - (لِيُضِلَّ) اللام للتعليل، و(يضل) مضارع منصوب بأن المضمرة، بعد لام التعليل، وفاعله: (هو)، والجملة في تأويل مصدر في محل جر ومتعلقان ب(يجادل)، وأورد ابن كثير: قال بعضهم: هذه (لام العاقبة)؛ لأنه قد لا يقصد ذلك، ويحتمل أن تكون (لام التعليل)، إما أن يكون المراد بها المعاندين، أو يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا، إنما جبلناه على هذا الخلق الذي يجعله ممن يضل عن سبيل الله. ينظر إعراب القرآن للدعاس 303/2، وتفسير ابن كثير 399/5، والجدول في إعراب القرآن 91/17،

4 - أورد ابن أبي حاتم عن الحسن قوله: بلغني أنه يحرق أحدهم في اليوم سبعين ألف مرة كلما نضجت وأكلت لحومهم قيل لهم عودوا فعادوا ، ينظر تفسير ابن أبي حاتم 5496/983، وتفسير الطبري 485/5.

5 - أورد ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: على شك، وبه قال مجاهد. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13800/2477 وتفسير الطبري 576/18، وتفسير مجاهد ص/477.

الدين: إنه يعبد الله على حرف، فإن وجد ما يحب استقر، وإلا انشمر، قال ابن عباس رضي الله عنه: " كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونُتِجَتْ خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً، ولم يُنْتَجْ خيله، قال: هذا دين سوء " (1) رواه البخاري، وقال ابن زيد: " ذلك المنافق إن صلحت دنياه أدام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه، وتغيّرت انقلب، فلا يقيم على العبادة، إلا لما يصلح من دنياه، فإذا أصابته فتنة، أو شدة، أو اختبار، أو ضيق ترك دينه، ورجع إلى الكفر " (2)، ولهذا قال: ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾؛ أي: ارتد كافراً، وقوله: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ بالخلود في النار، وهو في غاية الشقاء، والإهانة، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، أي: هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة، وقوله: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ﴾، أي: من الأصنام، والأنداد يستغيث بها، ويسترزقها وهي لا تنفعه، ولا تضره ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12)﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ رضي الله عنه؛ أي: ضره في الدنيا قبل الآخرة، أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة، فضرره مُحَقَّقٌ مُتَبَيَّنٌ، وقوله: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾؛ أي: لبئس الذي دعاه من دون الله، يعني الوثن، قاله مجاهد، مولى؛ أي: ولياً، وناصراً ﴿وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ وهو المخالط والمعاشر رضي الله عنه (3)، واختار ابن جرير: أن المراد لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف رضي الله عنه (4)، والأول أقرب، (والله أعلم).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات، [وترك المنكرات] (5)، فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات، ولما بيّن أنه أضل أولئك، وهدى هؤلاء، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1768/4 تفسير سورة الحج برقم : 4465 . وقد تفرد به .

2 - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المنافق: إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لِمَا صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر. ينظر تفسير ابن كثير 401/5، وتفسير الطبري 577/18.

3 - وقال مجاهد: العشير يعني الوثن، وعنه أيضاً العشير: هو الصاحب. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13802/2477، وتفسير مجاهد ص/478.

4 - يقول ابن جرير في قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف، ﴿وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ يقول: ولبيس الخليط المعاشر والصاحب. ينظر تفسير الطبري 578/18.

5 - هكذا وردت في المتن اللوحة 312/ب، أما عند ابن كثير [تركوا]. ينظر تفسير ابن كثير 401/5.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٧﴾﴾.

قال ابن عباس وموافقوه: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا - عليه الصلاة والسلام - في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل إلى سماء بيته ليختنق به " (1)، وقال ابن زيد: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: ليتوصل إلى بلوغ السماء، فإنما النصر يأتي محمداً من السماء، ثم ليقطع ذلك عنه إن قدر على ذلك " (2)، والأول أظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم، فإن المعنى من ظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه، ودينه، فليذهب، فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (3) الآية، ولهذا قال: ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾؛ أي: فلينظر هل يُشْفِي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: واضحات لفظاً ومعنى حجة من الله على الناس ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾؛ أي: يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة، والحجة القاطعة في ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

أخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين، وقد سبق تفسيره في سورة البقرة (4)، وتعريفهم، واختلاف الناس فيهم، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا، فعبدوا غير الله معه، فإنه تعالى، يفصل بينهم يوم القيامة، ويحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به إلى

1 - قال ابن عباس: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب قال: فليربط حبلاً إلى السماء قال: إلى سماء بيته السقف ثم ليقطع قال: ثم يختنق به حتى يموت. ينظر الدر المنثور 15/6. تفسير ابن أبي حاتم 13803/2478.

2 - ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي بحبل. والسبب ما يتوصل به إلى الشيء. ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي سقف البيت. قال ابن زيد من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكابذ هذا الأمر ليقطعه عنه، فليقطع ذلك من أصله حتى يأتيه، فإن أصله في السماء "، هي السماء المعروفة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13805/2478، وتفسير القرطبي 22/12.

3 - ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ الآية (51) من سورة غافر

4 - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (62) من سورة البقرة.

النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأفعالهم، عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٧)

أخبر تعالى أنه المستحق للعبادة، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً، وكرهاً، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: من الملائكة، وأقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات من الإنس، والجن، والدواب، والطيور، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (1)، وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾، إنما ذكر على التنصيص، لأنها قد عبدت من دون الله، فيبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (2)، وفي الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أتدري أين تذهب هذه الشمس، قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب، وتسجد تحت العرش، ثم تستأمر، فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت " (3)، قال أبو العالية: " ما في السماء نجم، ولا شمس، ولا قمر، إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف، حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته، وأما الجبال، والشجر فسجودهما بفيئ ظلالهما عن اليمين والشمال " (4)، وقال ابن عباس: " جاء رجل فقال يا رسول الله: إنني رأيتني الليلة وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدْتُ الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم أكتب لي بها عندك أجراً، وضَع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني، كما تقبلتها من عبدك داود، قال ابن عباس: فقراً النبي - صلى الله عليه وسلم - سَجْدَةً، فسجد، فسمعتة، وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول

1 - ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الآية (44) من سورة الإسراء

2 - ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ الآية (37) من سورة فصلت.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1806/4 تفسير سورة يس برقم: 4524 نحوه، بلفظ: " فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش " ومسلم في صحيحه 138/1 باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم: 159.

4 - أورد ابن جرير عن أبي العالية الرياحي قوله: " ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين "، وزاد محمد بن جعفر: حتى يرجع إلى مطلعته. ينظر تفسير الطبري 586/18، وتفسير القرطبي 24/12.

الشجرة" (1) رواه الترمذي، وابن ماجه، وقوله: ﴿وَالدَّوَابُّ﴾ ؛ أي: الحيوانات كلها فقد " نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن اتخاذ ظهور الدواب منابر ، فرب مركوبة أجزل خيراً، وأكثر ذكراً لله من ركبها" (2) رواه أحمد، وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ ، أي: يسجد لله طوعاً مختاراً متعبداً بذلك، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ ؛ أي: من امتنع، وأبى، واستكبر ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ؛ أي: من يذله الله، فلا يكرمه أحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يكرم ويهين، فالسعادة والشقاوة بمشيئته، وإرادته، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود، فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود، فأبيت، فلي النار" (3) رواه مسلم. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه (4) قال : قلت يا رسول الله : فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين قال: نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما" (5) رواه أبو داود والترمذي، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه (6) قال " أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل ، في سورة الحج سجدتان" (7) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

1 - أخرجه الترمذي في سننه 489/5 باب ما يقول في سجود القرآن برقم : 3424، وابن ماجه في سننه 334/1 باب سجود التلاوة برقم : 1053 ، وابن حبان في صحيحه 473/6 باب سجود التلاوة برقم : 2768 ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

2 - أخرجه أحمد في مسنده 392/24 حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه برقم: 15629، والطبراني في الكبير 193/20 حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه برقم: 432، وأورده الهيثمي في الزوائد 199/8 باب النهي في اتخاذ الدواب كراسي برقم: 13325 وعزاه إلى أحمد والطبراني وقال: أحد أسانيد أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سهل بن معاذ بن أنس وثقه ابن حبان وفيه ضعف.

3 - أخرجه مسلم في صحيحه 87/1 باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم : 81 عن أبي هريرة ، وابن ماجه في سننه 334/1 باب سجود القرآن برقم : 1052.

4 - عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو، كنيته أبو عامر، وقيل أبو حماد، وأبو عمرو، شهد صفين مع معاوية، وأمره بعد ذلك على مصر، وكان من الرماة، وكان يصبغ بالسواد، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وأيوب، وأبو أمامة، ومن التابعين: أبو إدريس الخولاني، وسعيد بن المسيب ، وخلق من أهل مصر ، ت : 58 هـ وقيل : قُتِلَ شهيداً يوم النهروان سنة 88 هـ . ينظر أسد الغابة 59/4 رقم: 3697 ، والتاريخ الكبير 430/6 رقم : 2885 ، والثقات 280/3 رقم : 909.

5 - أخرجه أبو داود في سننه 530/1 باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن برقم : 1404 ، والترمذي في سننه 470/2 باب ما جاء في السجدة في الحج برقم : 578. وقال: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي واختلف أهل العلم في هذا.

6 - عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير يكنى أبا عبدالله ، وأبا محمد ، أسلم قبل الفتح مع عثمان بن طلحة ، وخالد بن الوليد رضي الله عنهم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات السلاسل ، وعمل لعمر وعثمان ، شهد صفين مع معاوية ثم ولاء مصر إلى أن توفي بها أميراً ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه : ولده عبدالله ومحمد بن قيس بن أبي حازم وأبو سلمة بن عبدالرحمن وغيرهم ن ت : سنة 43 هـ . ينظر الاستيعاب 1184/3 رقم : 1931، وأسد الغابة 259/4 رقم : 3957، والإصابة 650/4 رقم: 5886، والثقات 265/3 رقم: 868.

7 - أخرجه أبو داود في سننه 445/1 باب تفريع أبواب السجود برقم : 1401 عن عمرو بن العاص ، وابن ماجه في سننه 335/1 باب عدد سجود القرآن برقم : 1057 ، وقد عزاه المؤلف إلى الترمذي . والذي وقفت عليه عند الترمذي 457/2 باب سجود التلاوة برقم: 568 بلفظ : عن أبي الدرداء قال : " سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة سجدة منها التي في النجم " .

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْق رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّن حديدٍ
﴿١٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾ ۝ .

ثبت في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه (1): " أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية
﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في حمزة، وصاحبيه، وعتبة،
وصاحبيه يوم برزوا في بدر" (2)، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:
"أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة" (3). قال قيس
بن عباد (4): وفيهم نزلت: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾، قال: هم
الذين بارزوا يوم بدر: علي رضي الله عنه (5)، وحمزة رضي الله عنه (6)، وعبيدة رضي الله عنه (7)

1 - أبو ذر رضي الله عنه: هو جندب بن جنادة بن سفيان من غفار، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام، وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبي بثلاث سنين، ويابع النبي على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق، وإن كان مرا. روى عنه: ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن الصامت بن أخي أبي ذر، أحد السابقين الأولين. أسلم في أول المبعث خامس خمسة ثم رجع إلى بلاد قومه ثم بعد حين هاجر إلى المدينة، وكان رأساً في العلم والزهد والجهاد وصدق للهجة والإخلاص لم يشهد بدرًا ولكن عمر ألقاه مع القراء وكان يوازي ابن مسعود في العلم، (ت: 32 هـ). ينظر أسد الغابة 440/1 رقم: 797، وتذكرة الحفاظ 18/1 رقم: 7، والثقات 55/3 رقم: 182، والجرح والتعديل 510/2 رقم: 2101.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1768/4 باب هذان خصمان اختصموا في ربهم برقم: 4466 به، ومسلم في صحيحه 2323/4 باب في قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم برقم: 3033 بلفظ: " أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 458/4 باب قتل أبي جهل برقم: 3747، ومسلم في صحيحه 2323/4 باب قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم برقم: 3133.

4 - قيس بن عباد المنقري بضم أوله وتخفيف الموحدة القيسي، أبو عبدالله الضبي نزيل البصرة، قال ابن أبي حاتم: قدم المدينة في خلافة عمر، روى عن: عمر وأبي ذر وعلي وعمار رضي الله عنهم، وغيرهم، وروى عنه: ابنه عبدالله، وابن سيرين، وأبو مجلز، قال ابن سعد: كان ثقة، قليل الحديث، ووثقه النسائي، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، قتله الحجاج مع، وكان كثير العبادة والغزو، ولكنه شيعياً، (ت: 85 هـ). ينظر الإصابة 535/5 رقم: 7307، وتاريخ الإسلام 173/6، وتقريب التهذيب 457/1 رقم: 5582، والثقات 317/5 رقم: 5023.

5 - علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سبقت ترجمته ينظر ص/89 من هذا البحث.

6 - حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو عمارة، وأبو يعلى كني بابنيه، وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، وهو سيد الشهداء أسلم في السنة الثانية من المبعث، وكان أعز قريشاً، وأشدّها شكيمه، فلما أسلم عرفت قريش أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع، قتل شيبه بن ربيعة مبارزة في غزوة بدر، وشهد أهدأ واستشهد فيها، وقتل من المشركين قبل أن يقتل 31 نفساً، ينظر الاستيعاب 1020/3 رقم: 1748، وأسد الغابة 573/3 رقم: 3520، والإصابة 434/4 رقم: 5379.

7 - عبيدة بن الحارث بن المطلب، بضم العين وفتح الباء، يكنى أبا الحارث، وقيل: أبو معاوية، كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، أسلم هو وأبو سلمة الأسدي، وعبد الله بن الأرقم، وعثمان بن مظعون في يوم واحد، وكان له قدر ومنزلة كبيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر: قم يا عبيدة فبارز فقطعت رجله، وعاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وشيبة بن ربيعة⁽¹⁾، وعتبة بن ربيعة⁽²⁾، والوليد بن عتبة⁽³⁾ انفرد به البخاري⁽⁴⁾. وقال قتادة: " اختص المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبينا، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء، فنحن أولى بالله منكم، فأفلح الله الإسلام على من ناواه وأنزل: ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾"⁽⁵⁾، وقال مجاهد: " المراد الكافر والمؤمن اختصموا في البعث"⁽⁶⁾، وقيل: " هم المؤمنون، والكافرون، وهذا يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر، وغيرهم، فإن المؤمنين يريدون نصرته دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان"⁽⁷⁾، وهذا اختيار ابن جرير. وهو حسن، ولهذا قال: ﴿ فَأَلْذِينَ كَفَرُوا فَطَعَتْ لَهُمْ نَارٌ مِنْ نَارٍ ﴾؛ أي: فصلت لهم مقطعات من نار، قال ابن جبير: " من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة، إذا حمى

من بدر فتوفي بالصفراء، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وقيل أنه كان من أسن المسلمين يوم بدر، ينظر الاستيعاب 369/1 رقم 541. وأسد الغابة 66/2 رقم: 1244، والإصابة 121/2 رقم: 1828،

1 - شيبه بن ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش، وكان شيبه يقف بعرفة إذا حج، بخلاف سائر قريش، وكان أحد الذين مشوا إلى أبي طالب ليفاوضوه في أمر الدعوة، وكان أحد المطعمين لقريش وهم يتجهزون ليوم بدر عندما مالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوماً فنحر لهم شيبه بن ربيعة تسعاً، وقتل يوم بدر كافراً. ينظر البدء والتاريخ 147/4، والبداية والنهاية 417/3.

2 - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهو الذي قاد قريش يوم بدر، وسأل أمية ابن أبي الصلت: يا أبا سفيان حدثني عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المظالم والمجارب قلت: إي والله قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها. قلت إي والله، قال وكريم الطرفين وسط في العشيرة، قلت: نعم، قال فهل تعلم قرشياً أشرف منه، قلت: لا والله، لا أعلم، قال: أمحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير، وعندما اجتمع قريش ليحاوروا الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. وكان أحد الأربعة الذين امسكوا أطراف الثوب ووضع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الحجر فرفعه حتى أدنوه من مكانه ووضع عليه السلام بيده وكان أحد أشرف قريش الذين ذهبوا إلى أبي طالب ليفاوضوه على أمر ابن أخيه رسولنا صلى الله عليه وسلم في أمر الدعوة وقتل يوم بدر كافراً. ينظر البدء والتاريخ 189/4، والبداية والنهاية 28/2، 80/3، والسيرة النبوية 48/1، وتاريخ ابن خلدون 409/2.

3 - الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو أحد الذين خرجوا للمبارزة في معركة بدر مع أبيه عتبة وعمه شيبه وقد قابلهم من المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، فقتلوا المشركون الثلاثة في المبارزة، ثم رمى المشركون مهجع بن عبد الله بسهم فقتلوه وهو أول من قتل في الحرب من المسلمين. وكان الوليد بن عتبة بن ربيعة نديماً للعاص بن منبه بن الحجاج السهمي فقتلها علي رضي الله عنه يوم بدر. ينظر المُنَمَّق في أخبار قريش 366/1.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1458/4 باب قتل أبي جهل برقم: 3747 به، وانفرد به بهذا اللفظ.

5 - قال الماوردي: الخصمان ها هنا فريقان، وفيهما أربعة أقاويل: أحدها: أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر، وهذا قول أبي ذر، ومحمد بن سيرين. والثاني: أنهم أهل الكتاب قالوا: نبينا قبل نبينا، وكتابنا قبل كتابكم. ونحن خير منكم، وهذا قول قتادة. والثالث: أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء وهذا قول مجاهد، والحسن، وعطاء. والرابع: هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقتني الله لنقمته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، وهذا قول عكرمة. ينظر تفسير الماوردي 13/4.

6 - أخرج ابن جرير عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح والحسن قال: هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم، ينظر تفسير الطبري 589/18. والدر المنثور 20/6.

7 - يقول ابن جرير: والصواب عندي: وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره، ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حَقَّ عليه العذاب. ينظر تفسير الطبري 589/18.

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾⁽¹⁾؛ أي: إذا صُبَّ على رؤوسهم الحميم، وهو الماء الحار في غاية الحرارة، يذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء، قاله ابن عباس وأتباعه، وكذلك يذوب جلودهم، قال ابن جبير: " هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم وجلودهم"⁽²⁾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الحميم ليُصبَّ على رؤوسهم، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يُعاد كما كان"⁽³⁾، رواه الترمذي، وصححه. وقوله: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾؛ أي: سياط: واحدها مقمعة، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال " لو أن مقمعا من حديد وُضع في الأرض، فاجتمع الثقلان، ما أقلوه من الأرض"⁽⁴⁾ رواه أحمد، قال ابن عباس رضي الله عنه: " يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعو بالثبور"⁽⁵⁾، وقوله: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾؛ أي: كلما حاولوا الخروج من النار، لما يلحقهم من الغم، والكرب الذي يأخذهم بأنفاسهم رُدُّوا إليها بالمقامع، قال الفضيل بن عياض:⁽⁶⁾ " والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة، وإن الأيدي لموثقة، ولكن يدفعهم لهبها، وتردهم مقامعها " وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة، ذوقوا عذاب الحريق؛ أي: المحرق يعني: أنهم يهانون بالعذاب قولاً، وفعلاً.

1 - قال سعيد بن جبير: ﴿مِنْ نَارٍ﴾ من نحاس؛ فتلك الثياب من نحاس قد أذيت وهي السراويل المذكورة في ﴿قَطْرَانَ﴾ سورة إبراهيم الآية ﴿50﴾ وليس في الآية شيء إذا حمي يكون أشد حرا منه. ينظر تفسير الطبري 591/18، وتفسير القرطبي 26/12.

2 - أورد ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ قال: النحاس يذاب على رؤوسهم، وفي قوله: ﴿يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾، قال: تسيل أمعاؤهم والجلود، قال: تتناثر جلودهم حتى يقوم كل عضو بحياله " وعن ابن عباس: قال: يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13825، 13820/2481.

3 - أخرجه الترمذي في سننه 705/4 صفة شراب أهل النار 705/4 برقم: 2582، والحاكم في مستدركه 419/2 تفسير سورة الحج برقم: 3458، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

4 - أخرجه أحمد في مسنده 710/17 مسند أبي سعيد الخدري برقم: 11233 به، والحاكم في مستدركه 642/4 كتاب الأهوال برقم: 8773 به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

5 - أورد ابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: " يضربون بها فيقع كل عضو على حياله ". وعن ابن جبير: يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالويل والثبور". تفسير ابن أبي حاتم 13824، 13825/2481.

6 - الفضيل بن عياض الإمام القدوة شيخ الإسلام، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، يقول عبد الله بن المبارك: وأما أروع الناس فالفضيل بن عياض، حدث عن منصور بن المعتمر وبيان بن بشر وأبان بن أبي عياش، وعطاء بن السائب وطبقتهم بالكوفة. روى عنه ابن المبارك ويحيى القطان والشافعي وخلق كثير. انتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. ينظر تذكرة الحفاظ 180/1 رقم: 232، وتهذيب الكمال 288/23. وأما قوله في قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ قال: " والله ما طمعوا في الخروج، لأن الأرجل مقيدة والأيدي موثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها ". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13832/2482.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ .

لما أخبر تعالى عن أهل النار، ذكر أهل الجنة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾؛ أي: من أكنافها، وأرجائها وتحت قصورها، وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ يصرفونها حيث شاءوا، وإن شاءوا ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾؛ أي: في أيديهم، قال كعب الأحبار (1): " إن في الجنة ملكاً يصوغ لأهل الجنة الحلبي منذ خلقه الله إلى يوم القيامة، لو أبرز قلب منها؛ أي: سوار منها - لردَّ شعاع الشمس، كما تردُّ الشمس نور القمر " (2)، وقوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، هذا في مقابلة لباس أهل النار التي فضلت لهم، فإن لباس هؤلاء من الحرير الاستبرق والسندس، كما قال: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ (3) الآية، وفي الصحيح: " لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج في الدنيا، فإنه من لبسه في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة " (4)، قال ابن الزبير (5): " ومن لم يلبسه في الآخرة، لم يدخل الجنة " (6)، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ

1 - كعب بن ماتع، وهو كعب الأحبار، يكنى أبا إسحاق. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة أربع وثلاثين قبل عثمان بن عفان، ينظر أسد الغابة 514/4 رقم: 4469، والإصابة 647/5 رقم: 7501، والثقات ص/333، والجرح والتعديل 161/7 رقم: 906.

2 - أورد السيوطي في تفسيره عن كعب الأحبار قال: " إن لله ملكا "، وفي لفظ: " في الجنة ملك، لو شئت أن أسميه، لسميته، يصوغ حلبي أهل الجنة من يوم خلق، إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حلبي منها، أخرج، لرد شعاع الشمس. ينظر الدر المنثور 387/5.

3 - ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعُ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الآية: (21) من سورة الإنسان .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 2069/5 باب الأكل في إناء مفضض برقم: 5110 نحوه ، ومسلم في صحيحه 1637/3 باب تحريم استعمال إناء الذهب برقم: 2067 نحوه.

5 - عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، وله كنية أخرى أبو خبيب بالخاء المضمومة، وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وهو أول مولود في المدينة بعد الهجرة، وكان صَوَاماً قَوَاماً، طويل الصلاة عظيم الشجاعة، أحضره أبوه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره سبع سنين، فلما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم تبسم وبابعه، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبيه الزبير بن العوام، وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، وروى عنه: أخوه عروة بن الزبير، وابناه عامر وعباد، وعطاء، والشعبي وهو أحد العبادة، وشهد فتح إفريقية زمن عثمان رضي الله عنه، وقتل بمكة، وصلب بها، وحمل رأسه إلى المدينة، وبعث إلى خراسان ودُفن فيها سنة 74 هـ. ينظر الاستيعاب 905/3 باب عبدالله، وأسد الغابة 245/3 عبدالله بن الزبير، والأسامي والكنى 99/2 رقم: 469، والثقات 212/3 رقم: 707.

6 - أخرجه أحمد في مسنده 364/1 مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم: 251، وأصاف: (قال عبد الله بن الزبير من عنده)، والبيهقي في السنن الكبرى 422/2 باب نهى الرجال عن ثياب الحرير برقم: 4003. وأصاف: (قال عبد الله بن الزبير من قبل نفسه).

الْقَوْلِ؛ أي: فهدوا وأرشدوا إلى المكان الذي تسمعون فيه الكلام الطيب، قال ابن عباس رضي الله عنه: " هو التكبير، والتهليل، والتحميد" (1)، وقيل: هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده، ويُلقون فيها تحيةً، وسلاماً، كما يقال لأهل النار توبيخاً: ذوقوا عذاب الحريق، وقوله: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾؛ أي: المكان الذي يُحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم، وأنعم عليهم، كما جاء في الصحيح: " يُلهمون التسبيح، والتهليل كما يُلهمون النفس" (2) وقيل: إلى الطريق المستقيم، في الدنيا، والكل قريب من الآخر.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِيفِ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١٥)

قال تعالى منكرأ على الكفار في صدهم المؤمنين، عن إتيانهم المسجد الحرام، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾؛ أي: ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله، ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين، الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر، وفيه دليل على أن هذه آية مدنية، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام، ﴿سَوَاءً الْعَكِيفِ فِيهِ وَالْبَادِي﴾؛ أي: جعله الله شرعاً سواءً لا فرق بينه، وبين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الديار منه، ومعنى التسوية: هو التسوية في زيارة الكعبة، وفضل الصلاة في المسجد الحرام، وقيل المراد منه جميع الحرم، وأن المقيم والبادي سواء، في النزول به، ليس أحدهما أحق بالنزول فيه من الآخر، أنه لا يزعج من [...] (3) وبه قال ابن عباس رضي الله عنه، وموافقوه ثم اختلف فيه أهل الفقه، فذهب الشافعي: إلى أن رباع مكة يملك، وَيُورَثُ، وَيُوجَرُّ (4) محتجاً بما في الصحيحين،

1 - عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: "يريد لا إله إلا الله والحمد لله". وزاد ابن زيد: " والله أكبر"، وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً قال: " ألهموا " ، ينظر البحر المحيط 335/6، و تفسير الطبري 595/18، وتفسير القرطبي 30/12.

2 - أخرجه مسلم في صحيحه 2180/4 باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم برقم : 2835 بلفظ " يلهمون التسبيح والتحميد " وأحمد في مسنده 87/23 مسند أبي سعيد الخدري برقم : 14768 نحوه ، والدارمي في سننه 431/2 باب في أهل الجنة ونعيمها برقم : 2827 نحوه ن وابن حبان في صحيحه 462/16 باب وصف الجنة برقم : 7435 ، وقال شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم.

3 - [لا يزعج أحد أحداً إذا كان قد سبق إلى منزله] بياض في الفقرة ولم أجد لها أيضاً في تفسير ابن كثير، وإنما وجدت في تفسير الخازن 11/5 تفسير سورة الحج، وتفسير البيهقي 377/5 بنفس اللفظ ، أما في تفسير ابن جرير وحدثها بلفظ: [ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل] 586/18.

4 - أورد محمد بن الحسن: " أنه لا بأس ببيع بناء بيوت مكة ويكره بيع أرضها والله أعلم ". ورؤي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال كُرِهَ إِجَارَةُ بِيُوتِ مَكَّةَ فِي الْمَوْسِمِ مِنَ الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ فَأَمَّا مِنَ الْمُقِيمِ وَالْمُجَاوِرِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ . واختلف العلماء في بيع أرض مكة وكرائها ودورها فكان مالك يكره بيوت مكة وقال كان عمر ينزع أبواب مكة، وكان أبو حنيفة لا يرى بأساً ببيع بناء بيوت مكة وكره بيع أرضها وكره كراء بيوتها في

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه (1) قال: قلت يا رسول الله: " أنزل غداً في دارك بمكة، فقال: وهل ترك لنا عقيل رضي الله عنه (2) منزلاً " (3)، وفي رواية: " من ربيع " (4) ، وبما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه اشترى من صفوان بن أمية رضي الله عنه (5) داراً بمكة بأربعة آلاف درهم، فجعلها سجناً (6). وذهب اسحاق (7)، وطائفة من السلف: " إلى أنها لا تُورث، لأنها لا تُوجَر "، وتمسكوا بحديث رواه ابن ماجه: " إنه توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وما يُدعى ربيع بمكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن " (8)، ولما

الموسم ، قال الشافعي أرض مكة وبيوتها وديارها لأربابها ما بين بيعها وكرائها " وهو قول طاوس وعمل ابن الزبير، وكان أحمد بن حنبل يعجبه أن يتوقى الكراء في الموسم ولا يرى بالشراء بأساً . ينظر الاستذكار 154/5، وبدائع الصنائع 146/5، والجامع الصغير للشيباني 481/1.

1 - أسامة بن زيد بن حارثة يكنى أبا محمد، وقيل: أبو زيد، وأبو خارجة كان يسمى حب رسول الله، واستعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثمان عشرة سنة، وأمه أم أيمن حاضنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لم يبايع علياً، ولا شهد معه شيئاً من حروبه، روى عنه من الصحابة: أبو هريرة، وابن عباس، ومن التابعين: أبو عثمان النهدي، وعبدالله بن عبدالله بن عتبة، توفي في خلافة معاوية (سنة 54 هـ). ينظر أسد الغابة 101/1 رقم: 84، والإصابة 49/1 رقم: 89، وتقريب التهذيب 98/1 رقم: 316.

2 - عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ، وأخو علي وجعفر لأبويهما ، وهو أكبرهما ، وكان أكبر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من علي بعشر سنين، وكان عقيل ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرها ، فأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه عمه العباس . ثم أتى مسلماً قبل الحديبية ، وهاجر إلى النبي سنة ثمان ، وشهد غزوة مؤتة ، ثم رجع فعرض له مرض ، فلم يسمع له بذكر في غزوة الفتح ولا حنين ولا الطائف وكان سريع الجواب المسكت للخصم ، وكان أعلم قريش بالنسب ، وأعلمهم بأيامها ، ولكنه كان مبغضاً إليهم، لأنه كان يعد مساويهم، وتوفي في خلافة معاوية. ينظر الأسامي والكنى 115/1 رقم: 350، وأسد الغابة 70/4 رقم: 3718، والتاريخ الكبير 50/7 رقم: 230.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1113/3 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود: (اسلموا تسلموا) برقم : 2893، ومسلم في صحيحه 984/2 باب النزول بمكة للحاج، وتوريت دورها برقم: 1351 .

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 575/2 باب توريت دور مكة، وبيعها، وشرائها، وأن الناس في مسجد الحرام سواء برقم: 1511، ومسلم في صحيحه 984/2 باب النزول بمكة للحاج وتوريت دورها برقم: 1351.

5 - صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي ، يكنى أبا وهب ، وقيل أبو أمية ، فصيح من أشرف قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، قُتِلَ أبوه يوم بدر كافراً، ولما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة هرب صفوان إلى جدة ، فأتى عمير بن وهب فطلب له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه، روى عنه: ابنه عبدالله، وعبدالله بن الحارث، وعامر بن مالك، وطاوس، (ت: 42 هـ)، وقيل: في أول خلافة معاوية، وقيل يوم مقتل عثمان رضي الله عنه ، ينظر أسد الغابة 25/3 رقم : 2497 ، والإصابة 432/3 رقم : 4077 ، والثقات 191/3 رقم: 646، والجرح والتعديل 421/4 رقم: 1846.

6 - أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً 853/2 كتاب الخصومات باب الربط والحبس في الحرم قبل حديث: 2291 بلفظ: " اشترى نافع بن عبد الحارث دارا للسجن بمكة من صفوان بن أمية على أن عمر إن رضي فالبيع يبيعه وإن لم يرض عمر فلصفوان أربعمائة وسجن ابن الزبير بمكة " .

7 - إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل وعن صالح بن احمد بن حنبل قال: سمعت أبي سئل عن إسحاق بن راهويه فقال: مثل إسحاق يسأل عنه إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، وكان إسحاق من سادات زمانه فقها وعلما وحفظاً ونظراً، ممن صنف الكتب، وفرغ السنن، وذب عنها، وقمع من خلفها، روى عن: ابن المبارك، وابن عيينة، وروى عنه: بقية بن الوليد، ويحيى بن آدم، (ت: 238 هـ) بنيسابور، وقبره مشهور بزار. ينظر تقريب التهذيب 100/1 رقم: 332، وتهذيب التهذيب 191/1 رقم: 408. والثقات 115/8 رقم: 12501، والجرح والتعديل 209/2 رقم: 714.

8 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1037/2 باب فضل مكة برقم : 3107 عن علقمة بن نضلة به ، والطبراني في الكبير 8/18 حديث علقمة بن نضلة برقم : 14715 به، والألباني في ضعيف ابن ماجه 243/1 برقم : 3098 وقال: ضعيف.

روى أن عمر بن الخطاب⁽¹⁾ قال : " يا أهل مكة لا تتخذوا لبيوتكم أبواباً لينزل البادي حيث يشاء "⁽²⁾، وتوسط أحمد⁽³⁾ وقال: تملك، وتورث، ولا تؤجر (جمعاً بين الأدلة)⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، قيل: (الباء) في ﴿بِالْحَادِ﴾ زائدة كقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾⁽⁵⁾ وتقديره: إلحاداً، كما قال الأعشى⁽⁶⁾:

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ... بين المراجل والضريح الأجردا

وقال الآخر⁽⁷⁾:

بوادي يمان يُنبت الثُّ صدره ... وأسفله بالمَرخ والشَبهان.

¹ - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، قيل: إنه أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة، فكمل الرجال به أربعين رجلاً، وسئلت أم المؤمنين عائشة [رضي الله عنها] من سمي عمر الفاروق؟ قالت: النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت حتى أسلم عمر، شهد المشاهد، وكان أشد الناس على الكفار، أمير المؤمنين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه وأبي بن كعب روى عنه أولاده عبد الله وعاصم وحفصة. ينظر أسد الغابة 4/156، والإصابة 4/588، وتهذيب التهذيب 7/385 رقم 725.

² - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه 5/147 باب الكراء في الحرم وهل يُتَوَّب دور مكة والكراء بمنى، برقم: 9211 بلفظ "لا تتخذوا لدوركم أبواباً"، والزيلعي في نصب الراية 4/266 فصل في البيع، الحديث 37 من أجزء أرض مكة فكانما أكل الربا. وقال: غريب بهذا اللفظ.

³ - وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي، وإسحاق بن راهويه بمسجد الخيف، وأحمد بن حنبل حاضر أيضاً، فذهب الشافعي، رحمه الله، إلى أن رباع مكة تملك، وتورث، وتؤجر، والقول بجواز بيع دور مكة وإجارتها، إن بيع دور مكة جائز، لأنها فتحت صلحا، وهو قول طائفة من السلف، ونص عليه مجاهد، وعطاء. "وتوسط الإمام أحمد، فقال: تُورث، ولا تُؤجر، وهو مذهب طائفة من السلف، ونص عليه مجاهد، وعطاء. "وتوسط الإمام أحمد، فقال: تُملك وتورث ولا تُؤجر، جمعاً بين الأدلة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات: إنهما يستويان في سكنى مكة، والنزول بها، فليس أحدهما أحق بالنزول الذي يكون فيه من الآخر، إلا أن يكون أحدهما سبق إلى المنزل، وهو قول قتادة وسعيد بن جبير، ومن مذهب هؤلاء تحريم كراء دور مكة وبيعها، ينظر تفسير ابن عادل 14/61، وتفسير ابن كثير 5/409. والحاوي الكبير 5/385، واللباب في الفقه الشافعي 1/369.

⁴ - مسألة بيع بيوت مكة، وإجارتها طال الخلاف فيها، واختلفت الروايات عن الإمام أحمد في ذلك، فروي عنه عدم جواز ذلك قال المرادوي في الإنصاف: "هذا هو المذهب المنصوص، وهو مبني على أن مكة فتحت عنوة وعليه الأصحاب". وقد جاء في مسائل الإمام أحمد: "سألت أبي عن كراء بيوت مكة، فقال: ما أكثر ما جاء فيه كراهية، وقال: أن تنزه أحب إلي". قد روي أن سفيان سكن في بعض رباع مكة وهرب ولم يعطهم أجرة فأدركوه فأخذوها منه وذكر لأحمد فعل سفيان فتبسم فظاهر هذا أنه أعجبه. (والجمع بين الأدلة): إن الحديث الذي احتج به الإمام الشافعي يثبت أن عقيل كان يملك بالفعل، وهذا (يثبت التملك)، وأقره الرسول - صلى الله عليه وسلم - على ذلك، وكذلك الأثر الذي روي عن الفاروق، أنه قد اشترى بالفعل. فهذا (يثبت الشراء)، وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه، واحتج به إسحاق "من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن"، فهذا (ينفي الأجرة)، ولا ينفي التملك، وكذلك الأثر الذي روي عن الفاروق: "لينزل البادي حيث يشاء". فإنه (ينفي الأجرة). ينظر الإنصاف 4/208، ومسائل الإمام أحمد 1/234. والمعنى 4/330.

⁵ - ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِلأَكْلِيِّنَ﴾ الآية (20) من سورة المؤمنون

⁶ - الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل المعروف بأعشى قيس، ويقال أعشى بكر من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، وكان يُغنى بشعره فسُمي صتاجة العرب ووجدتها في ديوانه: بلفظ: ضمننت لنا إعجازهن قدورنا ... وضروعهن لنا الصريح الأجردا. ينظر ديوان الشاعر 1/56.

⁷ - هذا البيت للأحول البشكري واسمه يعلى، وقد ورد بالألفاظ متعددة: "ينبت الشئ صدره"، وفي أخرى "ينبت السدر صدره" ينظر لسان العرب 13/503، وفي قاموس الصحاح للجوهري نسب هذا البيت إلى رجل من عبد قيس. ينظر 7/86. ولم أقف له على ديوان.

والأجود أنه ضُمَّنَ الفعل ههنا معنى " يَهْمُ " ، ولهذا عدها بالباء فقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ ، أي: يَهْمُ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار، وقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ ، أي: عامداً قاصداً أنه ظلم ، قال ابن عباسؓ: " هو الشرك "(1)، وعنه أيضاً: هو أن يستحل من الحرام ما حرّم الله فيه ، وقيل : هو أن يعمل فيه عملاً سيئاً ، قال ابن مسعودؓ: " لو أن رجلاً أراد فيه بالحادٍ بظلم وهو (بعدن أبين)(2) لأذاقه الله من العذاب الأليم "(3) قال ابن جبیر: " شتم الخادم فما فوقه فيه ظلم "(4) ، وعن يعلى بن أميةؓ(5): أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "احتكار الطعام بمكة" وفي رواية " في الحرم " إلحاد فيه "(6) رواه أبو داود، والحق أن الإلحاد أعم من ذلك، بل في هذه الأشياء تنبيهه على ما هو أغلظ منها وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " يغزو هذا البيت جيش، حتى إذا كانوا ببدياء من الأرض، يُخَسَفُ بأولهم، وآخرهم "(7) وفي مسند أحمد أن عبد الله بن عمرؓ(8)

1 - أورد ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ قال: " بشرك". وعنه أيضاً: الذي يريد استحلاله متعمداً، وعن ابن عمر، قال: "بيع الطعام بمكة إلحاد". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13864/2489 ، 13866 . وتفسير الطبري 601/18.

2 - أبين: باليمن، قيل فيه بكسر الألف وفتحها، وهو اسم رجل في الزمن القديم إليه تنسب عدن أبين من بلاد اليمن وبينها وبين عدن اثنا عشر ميلاً. ينظر الروض المعطار 11/1.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 340/7 مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 4319، والحاكم في مستدركه 420/2 تفسير سورة الحج برقم: 3461، 11184، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

4 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 13868/2484.

5 - يعلى بن أمية بن أبي عبيدة: أبو صفوان، صحابي، ويقال له: يعلى بن مئبة بضم الميم وسكون النون وهي أمه، من الأغنياء الأسخياء من سكان مكة حليفاً لقريش، وكان جواداً معروفاً بالكرم، أسلم بعد الفتح شهد الطائف وحنين وتبوك، واستعمله أبوبكر على حلوان في الردة، ثم استعمله عمر على نجران، واستعمله عثمان على اليمن فأقام بصنعاء، وشهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي، وقتل في صفين، روى عنه ابنه صفوان بن أمية، وعكرمة، ومجاهد وغيرهم ت: بضع وأربعين للهجرة. ينظر أسد الغابة 541/5 رقم: 5632، والأسامي والكنى لابن حنبل 117/1 رقم: 360، والإصابة 685/6 رقم: 9365، والتقات 441/3 رقم: 1445.

6 - أخرجه أبو داود في سننه 617/1 باب تحريم حرم مكة برقم: 2020 عن يعلى بن أمية بلفظ " احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه "، والطبراني في الأوسط 132/2 برقم: 1485 به، وقال: لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا ابن مئيصن، تفرد به عبدالله بن المؤمل، وأوره الهيثمي في الزوائد 181/4 باب الاختبار برقم ك 6479 به، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: وفيه عبدالله بن المؤمل وثقه ابن حبان وغيره ن وضعفه جماعة

7 - أخرجه البخاري في صحيحه 746/2 باب ما ذكر في الأسواق برقم: 2012 وطرفه " يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببدياء من الأرض .."، ومسلم في صحيحه 2209/4 باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت برقم: 2883 بلفظ: "سيعود بهذا البيت قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببدياء في الأرض خسف بهم " .

8 - عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير السن لم يبلغ الحلم، وكانت هجرته قبل هجرة أبيه، لم يشهد بدرأ استصغره النبي - صلى الله عليه وسلم - فرده، وأُخْتُلِفَ في شهوده أحداً ، فقيل رده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع غيره ممن لم يبلغ الحلم ن والصحيح أول مشاهده الخندق والحديبية، كان من أهل الورع والعلم كثير الإتيان لآثار النبي صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه ، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان أعلم الصحابة بمناسك الحج ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، روى عنه من الصحابة: ابن

قال لابن الزبير رضي الله عنه (1): إياك والإلحاد في حرم الله، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " أنه سيلجُد فيه رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه، بذنوب الثقلين، لرجحت، فانظر لا تكون هو" (2)

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾﴾ .

هذا فيه تفرع، وتوبيخ لمشركي قريش، حيث أشركوا في البقعة التي أسست من أول يوم على التوحيد، والطاعة، فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت، أي: أرشده إليه وأذن له في بنائه، واستدل به كثيرون، بأن إبراهيم هو أول من بني البيت العتيق، وأنه لم يُبَنِّ قبله، كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ ، قال: بيت المقدس، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة (3)، وقد سبق ما ورد في بناء البيت من الأحاديث والآثار ما أغنى عن إعادته هنا، وقوله: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾، أي: ابنه على اسمي وحدي ﴿وَطَهَّرْ بَيْتِيَ﴾؛ أي: من الشرك، ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾؛ أي: اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، والقائم في الصلاة، ولهذا قال: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، فقرن الطواف بالصلاة، لأنهما لا يشرعان إلا مختصين، فالطواف به والصلاة إليه في غالب الأحوال إلا ما استثنى من الصلاة: (عند القبلة، والحرب والناقلة بالسفر) (4)، وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾؛ أي: ناد في الناس

عباس، وجابر، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وجبير بن نفير، وأسلم مولى عمر، اعتزل في الفتن الناس، (ت: 73 هـ) . ينظر الاستيعاب 1/289، وأسد الغابة 3/347 رقم : 3069 ، والثقات 3/209 رقم : 704 والإصابة 4/181 رقم : 4837.

1 - عبدالله بن الزبير بن العوام وقد سبقت ترجمته ينظر ص/267 هامش: (5).
2 - أخرجه أحمد في مسنده 10/336 مسند عبدالله بن عمر برقم : 6200 به ، والحاكم في مستدركه 2/389 برقم : 3462 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأورده الهيثمي في الزوائد 3/618 باب في حرمة مكة والنهي عن غزوها برقم : 5702 وعزاه إلى أحمد ، وقال : رجاله ثقات .
3 - أخرجه البخاري في صحيحه 3/1260 باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب برقم : 3243 نحوه ، ومسلم في صحيحه 1/370 كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم : 52 به .

4 - يكون استقبال القبلة من شروط صحة الصلاة، ولا فرق بين الفريضة والناقلة، ويستثنى من ذلك ما يلي:
1.العاجز عن استقبال القبلة: كالمريض الذي لا يستطيع الحركة، إذا كانت الحركة تؤثر عليه، أو لا تؤثر عليه، وليس عنده من يوجهه إلى القبلة، والدليل قول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾. 2- حال اشتداد الحرب، ومثل ذلك إذا كان هارباً من العدو المباح هربه، أو من سبع، أو من نار. 3. المتنفل الراكب السائر في سفره. وَاتَّقُوا عَلَىٰ أَنْ مِنْ تَحُولِ عَنْ الْقِبْلَةِ عَمْدًا لغير قتال أو لغير غسل حدث غالب أو بنسيان الوضوء له أو لغير غسل رُغَافٍ أو لغير مَا افْتَرَضَ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ إِطْفَاءِ نَارٍ أَوْ إِمْسَاكِ شَيْءٍ

داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرك ببنائه، فذكر أنه قال: يا رب، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفدهم؟ قيل: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس⁽¹⁾، وقال: " يأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً، فحجوه " فيقال: إن الجبال تواضعت، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأصلاب، والأرحام، وأجابه كل شيء سمعه من حجر، أو مدر، أو شجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك " (2) هذا مضمون ما رواه ابن عباس رضي الله عنه وأصحابه برواية ابن جرير، وابن أبي حاتم مطولاً، وقوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، قد استدل به من قال: إن الحج ماشياً أفضل من الحج راكباً، لأنه قدمهم في الذكر، قال ابن عباس رضي الله عنه: " ما أساء على شيء إلا أنني وددتُ أنني كنت حججت ماشياً " (3)، والأكثر على أن الحج راكباً أفضل اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه حج راكباً مع كمال قوته، وقوله: ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾؛ أي: طريق بعيد، والعَمِيقُ: البعيد، وإنما جمع ﴿يَأْتِينَ﴾، لمكان كلِّ، والمراد: النوق.

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ
الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ
وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٩﴾ ۞ .

فأنت من ماله أو لغير إكراه فان صلاته فأبديّة. ينظر إعلام الموقعين 169/3. والقول الراجح 32/1، ومراتب الإجماع 28/1، والمغني 490/1.

1 - أبو قبيس بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار وهو اسم الجبل المشرف على مكة، جبل مكة: ويقال إن جبل أبي قبيس أحد الأخشيين. ينظر الروض المعطار 18/1. ومعجم البلدان 80/1.

2 - أورد ابن جرير: عن مجاهد عن ابن عباس: قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. ينظر أضواء البيان 299/4، وتفسير الطبري 606/18.

3 - يقول السرخسي الحنفي: الْحَجَّ مَاشِيًا أَفْضَلُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ الْمَشَاةَ عَلَى الرُّكْبَانِ ، فَقَالَ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ، وَلِهَذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ مَا كُفَّ بَصَرُهُ يَتَأَسَّفُ عَلَى تَرْكِهِ الْحَجَّ مَاشِيًا ويقول الدسوقي المالكي: الحج راكباً على الإبل أو غيرها أفضل من الحج ماشياً لأنه فعله عليه الصلاة والسلام على المعروف ولما فيه من مضاعفة النفقة ولأنه أقرب إلى الشكر. ويقول الشافعي رحمه الله: ما أحب لآحد ترك الحج ماشياً، إذا قدر عليه، ولم يقدر على مركب رجل أو امرأة والرجل فيه أقل عذراً من المرأة، ولا يبين لي أن أوجبه عليه، لأنني لم أحفظ عن أحد من المفتين أنه أوجب على أحد أن يحج ماشياً، وقد روى أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تدل على أن لا يجب المشي على أحد إلى الحج. وجاء في الإنصاف: " وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ الصَّخْرَاتِ ، وَجِبَلِ الرَّحْمَةِ رَاكِبًا هَذَا الْمَذْهَبُ ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ " . ينظر الأم 126/2، والإنصاف 392/6، وحاشية الدسوقي 10/2، والمبسوط 233/4.

قال ابن عباس : " أي: منافع الدنيا والآخرة ، أما منافع الآخرة: فرضوان الله، وأما منافع الدنيا: فما يصيبون من منافع البدن، والذبائح، والتجارات " (1) كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (2)، وقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾، " والأيام المعلومات: الأيام العشر، قاله ابن عباس وغير واحد، وبه قال الشافعي وأحمد (3)، وقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: " ما العمل في أيام أفضل منها في هذه الأيام العشر، قالوا، ولا الجهاد في سبيل الله، قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل يخاطر بنفسه، وماله فلم يرجع من ذلك بشيء" (4) رواه البخاري، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد " (5) رواه أحمد، وفي سنن أبي داود " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم هذا العشر" (6)، وقيل: الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وهو مذهب مالك، ورواية عن أحمد (7)، ويؤيده قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: به ذكر

1 - وقال إسحاق بن راهويه: الحج الماشي أفضل إلا أن يحمل على نفسه ما يشق عليه، قال الله عز وجل: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ بدأ بالرجال. يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، وفيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أنه شهود المواقف وقضاء المناسك. والثاني: أنها المغفرة لذنوبهم، قاله الضحاك. والثالث: أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة، وهذا قول مجاهد، وقال ابن عباس: الأسواق، وعنه أيضاً: تجارة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13889/2488، وتفسير الطبري 609/18، وتفسير الماوردي 19/4. ومسائل الإمام أحمد واسحاق بن راهويه 2147/5.

2 - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾ الآية (198) من سورة البقرة

3 - قال أبو حنيفة والشافعي: " الأيام المعلومات العشر من أول يوم من ذي الحجة، وآخرها يوم النحر" لم يختلف قولهما في ذلك، ورويا ذلك عن ابن عباس، وعنه أيضاً: " أن المعلومات العشر، والمعدودات أيام التشريق"، وهو قول الجمهور، وعنه أيضاً: قال: قيل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة، ويقول الماوردي: فيها ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر، وهذا قول ابن عباس، والحسن وهو مذهب الشافعي، والثاني: أنها أيام التشريق الثلاثة، وهذا قول عطية العوفي. والثالث: أنها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر، وهذا قول الضحاك. وعن ابن عباس أيضاً: إنها أيام التشريق. ينظر تفسير الطبري 610/18، وتفسير القرطبي 2/3، وتفسير الماوردي 19/4. والدر المنثور 38/6.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 329/1 باب فضل العمل في أيام التشريق برقم: 926 وطره " ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ..".

5 - أخرجه أحمد في مسنده 296/10 مسند عبدالله بن عمر برقم: 6154 به، والبيهقي في شعب الإيمان 354/3 برقم: 3475 عن ابن عمر به.

6 - أخرجه أبو داود في سننه 741/1 باب في صوم العشر برقم: 2437، وطره " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس". وأوره الألباني في صحيح سنن أبي داود 78/2 كتاب الصوم باب في صوم العشر، وقال: صحيح.

7 - بعض ما جاء في الأيام المعدودات، والمعلومات: (قال أبو حنيفة): يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْمُحَضَّةِ، وَالْيَوْمُ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلَاثَ عَشَرَ مِنَ الْمَعْدُودَاتِ الْمُحَضَّةِ وَالْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ مُشْتَرِكٌ فِي الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعْدُودَاتِ (وقال مالك): الأيام المعدودات أيام التشريق فذلك إجماع لا خلاف فيه وكذلك لا خلاف أنها ثلاثة أيام بعد يوم النحر أيام الذبح وللايام المعدودات ثلاثة أسماء هي أيام منى وهي الأيام المعدودات وهي أيام التشريق يَوْمُ النَّحْرِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْمُحَضَّةِ دُونَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْعَشْرِ، وَالْيَوْمُ الثَّلَاثَ عَشَرَ وَهُوَ آخِرُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنَ الْمَعْدُودَاتِ الْمُحَضَّةِ وَالْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ، وَالثَّانِي عَشَرَ مُشْتَرِكَانِ فِي الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعْدُودَاتِ. وإنما اختلفوا

الله عند ذبحها، وقيل: هي يوم عرفة، ويوم النحر: ويوم آخر بعده، وهو مذهب أبي حنيفة⁽¹⁾، وقوله: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: الإبل، والبقر، والغنم. كما هو مفصل في (سورة الأنعام)⁽²⁾، وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ استدل بهذه الآية من ذهب إلى: وجوب (الأكل من الأضاحي)⁽³⁾، والأكثر على أنه من باب الرخصة، والاستحباب، كما ثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة، فطبخ، فأكل من لحمها، وحسى من مرقها⁽⁴⁾، وعن بعضهم: أن المشركين لم يكونوا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين، فمن شاء أكل، ومن شاء لم يأكل، وهذا الأمر من قبيل ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ

في المعلومات على قولين: أحدهما أنها أيام العشر آخرها يوم النحر، وهو قول ابن عباس، وبه قال أبو حنيفة والشافعي ومحمد بن الحسن. (وقال الشافعي): أَنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْلُومَاتِ الْعَشْرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ آخِرُهَا يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْأَيَّامَ الْمَعْلُومَاتِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةَ وَهِيَ الْحَادِي عَشْرَ، وَالثَّانِي عَشْرَ، وَالثَّلَاثَ عَشْرَ. (وعند الحنابلة): والأيام المعلومات أيام العشر والمعدودات أيام التشريق. ينظر الاستذكار 237/4 - 245/5. والبدائع 195/1، والحاوي 368/4، والمغني 245/2.

1 - هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة مولى بنى تيم الله بن ثعلبة، فقيه العراق، وكان إماما ورعا عالما عاملا متعبدا كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب. وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه: الثوري أم أبو حنيفة، فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث. وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وقال يزيد: ما رأيت أحدا أروع ولا أعقل من أبي حنيفة. وقال يحيى بن معين: لا بأس به لم يكن يتهم ولقد ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيا. وكان أبو حنيفة لا ينام الليل، رأى أنسا وسمع عطاء ونافعا وعكرمة روى عن عطاء ونافعا وأبي جعفر محمد بن علي، وقتادة، وغيرهم، وروى عنه: أبو يوسف وأبو نعيم والمقرئ عباد بن العوام وابن المبارك ووكيع. (ت: 150 هـ). ينظر تذكرة الحفاظ 126/1 رقم: 163. والجرح والتعديل 449/8 رقم: 2062، والكاشف 322/2 رقم: 5845.

2 - وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ أَلْوَمَاءٌ وَفَرَسَاتٌ كَلْبَاءٌ وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢) تَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الصَّانِعَاتِ الَّتِي مِمَّنِ الْعَمَزَاتِ قُلْ أَلَّذَكَرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأَنْثِيَّاتِ أَمْ أَسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَّاتِ تَبُونِي بَعْلَمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ الَّتِي مِمَّنِ الْبَقَرِ الَّتِي قُلْ أَلَّذَكَرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْأَنْثِيَّاتِ أَمْ أَسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَّاتِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)﴾ الآيات من سورة الأنعام.

3 - يقول الماوردي: " فَأَمَّا الْأَكْلُ وَالصَّدَقَةُ فَقَدْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ (أَحَدُهُمَا): وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ، أَنَّهُمَا مُسْتَحَبَّانِ فَإِنْ أَكَلَ جَمِيعَهَا جَازَ وَإِنْ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِهَا جَازَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الْحَجَّ: 37]. (وَالْوَجْهُ الثَّانِي): وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ بْنِ سَلَمَةَ (*) : أَنَّ الْأَكْلَ وَالصَّدَقَةَ وَاجِبَانِ، فَإِنْ أَكَلَ جَمِيعَهَا لَمْ يُجْزِهِ، وَإِنْ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِهَا لَمْ يُجْزِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَكْلِ وَالصَّدَقَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا، وَأَمَرَ بِهِمَا فَدَلَ عَلَى وَجُوبِهِمَا، (وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ): وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الْأَكْلَ مُسْتَحَبٌّ وَالصَّدَقَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى قَوْلَيْنِ: (فِي الْقَدِيمِ): يَأْكُلُ وَيَذْخِرُ وَيُهْدِي النَّصْفَ وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ بِالنَّصْفِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الْحَجَّ: 28]. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: (فِي الْجَدِيدِ): أَنْ يَأْكُلَ، وَيَذْخِرَ الثَّلْثَ، وَيُهْدِي الثَّلْثَ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ بِالثَّلْثِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾. ينظر الحاوي: 117/15. (*) محمد بن الفضل بن سلمة بن عاصم أبو الطيب بن سلمة الضبي البغدادي، تفقه على ابن سريج، وكان موصوفا بفرط الذكاء، وله وجه في المذهب، وكان من كبار الفقهاء، وكان عالما جليلا (مات وهو شاب عام: 308 هـ). ينظر طبقات الشافعية (ابن شهبه) 102/1.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 39/4 باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 3009، والترمذي في سننه 386/3 باب ما جاء كم حج النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 820، وابن ماجه في سننه 1022/2 باب حجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - برقم: 3074. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث سفيان لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب.

فَأَصْطَادُوا⁽¹⁾ وقوله: ﴿وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾؛ أي: المضطر الذي عليه البؤس، قال مجاهد: " هو الذي لا يبسط يده " (2) وقيل: هو الزمن، وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ﴾، قال ابن عباس: " هو وضع الإحرام من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقلم الأظفار، ونحو ذلك " (3)، وأصل التفت: الوسخ، والقذارة، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد: الخروج من الإحرام، وقوله: ﴿وَلِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ﴾، يعني: ما نذر الإنسان في شأن الحج، والهدي ونحوه، وقال سفيان⁽⁴⁾: هي نذور الحج، يعني: واجباتها من الأعمال، كالسعي والطواف، ووقوف عرفة، والمزدلفة، ورمي الجمار على ما أمروا به، وقوله: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، قال مجاهد: " أي الطواف الواجب يوم النحر " قال ابن عباس⁽⁵⁾: " آخر المناسك الطواف بالبيت " (5)، وهكذا صنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر، بدأ برمي جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه ، وحلق رأسه، ثم أفاض، وطاف بالبيت من وراء الحجر، وأخبر أن الحجر من البيت " (6)، ولهذا لم يستلم الركنين الشاميين، لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم، وقال عكرمة⁽⁷⁾: " إنما سمي البيت

1 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا ءَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية: (2) من سورة المائدة.

2 - عن ابن عباس قال: " البائس الذي لم يجد شيئاً من شدة الحاجة "، يقول الماوردي : وفي البائس الفقير خمسة أوجه : أحدها : أن الفقير الذي به زمانة ، وهو قول مجاهد . والثاني : الفقير الذي به ضر الجوع . والثالث : أن الفقير الذي ظهر عليه أثر البؤس . والرابع : أنه الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف بالطلب . والخامس : أنه الذي يؤنف عن مجالسته ، وعن ابن عباس: يعني: الزمن الفقير . ينظر ، وتفسير الطبري 611/18، وتفسير الماوردي 20/4، والدر المنثور 39/6 .

3 - عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في (التفت) : حلق الرأس، والأخذ من العارضين، وبتف الإبط وحلق العانة، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وقص الأظافر وقص الشارب والذبح". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13899/2489، وتفسير الطبري 612/18.

4 - سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي أبو محمد محدث الحرم المكي ، وهم من الموالي ، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها، يروي عن: الزهري، وعمر بن دينار، والأعمش، ويروي عنه: همام بن يحيى، وابن المبارك، وكيع، والشافعي، وكان من كبار الحفاظ المتقنين، وأهل الورع، والذين ممن علم كتاب الله، وكثر تلاوته، وهم خمسة أخوة: سفيان ومحمد وأدم وعمران وإبراهيم بنو عيينة، وكلهم حمل عنه العلم، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. ينظر التاريخ الكبير 94/4 رقم: 2082 ، وتهذيب التهذيب 104/4 رقم: 205 . والتقات 403/6 باب السين رقم: 8300 .

5 - عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، قال: " فإن آخر المناسك الطواف بالبيت " وعنه أيضاً: " أنها زيارة البيت ". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13909/2490 - 13910، وتفسير الطبري 616/18.

6 - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه 222/4 باب الطواف من وراء الحجر برقم: 2740، والطبراني في الكبير 44/11 حديث عبدالله بن عباس برقم: 10988، والحاكم في مستدركه 630/1 كتاب المناسك برقم: 1688 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه هكذا، والهيتمي في مجمع الزوائد 551/3 باب الحجر من البيت برقم: 5519، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وهذه الأحاديث تؤكد أن الحجر من البيت.

7 - عكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس : أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا ثبتت عنه بدعة، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي رضي الله عنهم، روى عن مولاة وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة وغيرهم كثير، وروى عنه: إبراهيم النخعي ومات قبله، والشعبي وأبو إسحاق السبيعي، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل من البلدان، ومنهم زيادة

العتيق، لأنه أُعْتِقَ يوم الغرق، زمان نوح "، وقيل: لأنه لم يظهر عليه جبار قط، وقيل: لأنه لم يُرِدْهُ أحد بسوء، إلا هلك، وقيل: لأن الله أعتقه من الجبابرة.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٥﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٦﴾ .

أي: هذا الذي أمرنا به من أداء المناسك، وما لفاعلها من الثواب الجزيل، ﴿ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي: ومن يجتنب معاصيه، ومحارمه ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ ، أي: فله على ذلك خير كثير، وثواب جزيل، فكما أن على فعل الطاعات ثواب جزيل ، فكذلك على ترك المحرمات أجر كبير، وقوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ ﴾ أي: وأحللنا لكم جميع الأنعام، ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ (1) وقوله ﴿ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي من تحريم ﴿ الْمَيْتَةِ وَالِدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنِفَةَ ﴾ (2) إلى آخر الآية، وقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ ، (من) هنا لبيان الجنس؛ أي: اجتنبوا الرجس [الذي] (3) هو الأوثان، وقرن الشرك بالله بقول الزور، كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْأَبْغْيَ بَغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (4)، ومنه شهادة الزور، وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه (5) قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال : الإشراف، بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً، فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها ،

على سبعين رجلاً من خيار التابعين . ينظر تقريب التهذيب 396/1 رقم : 4673 ، وتهذيب التهذيب 234/7 رقم : 476.

1 - ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآية: (103) من سورة المائدة.

2 - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنِفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيجَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية: (3) من سورة المائدة .

3 - ينظر اللوحة رقم: 315/أ، إضافة يقتضيها السياق، ينظر تفسير ابن كثير 419/5.

4 - الآية (33) من سورة الأعراف.

5 - أبي بكرة : نفع بن الحارث وقد سبقت ترجمته ينظر ص/115 من هذا البحث.

حتى قلنا: ليته سكت" (1) وفي مُسند أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال : " أيها الناس عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله، ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (2) وقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ ؛ أي: مخلصين له الدين. منحرفين عن الباطل، قصداً إلى الحق، ولهذا قال: غير مشركين به، ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله، وهلاكه، فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ؛ أي: سقط منها، ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ ، أي: تقطعه الطير في الهواء ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ؛ أي: بعيد مُهلك لمن هوى فيه، كما في حديث البراء (3) " أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت، وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرْحاً من هناك" (4) الحديث، وقد سبق مبسوطاً في سورة إبراهيم (5) .

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٤﴾﴾ .

أي: الذي ذكرنا من اجتناب الرجس، وقول الزور، ومن تعظيم أوامر الله ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ، ومنها تعظيم الهدايا، والبدن، كما قال ابن عباس: تعظيماً استسمانها، واستحسانها، وقال أبو أمامة بن سهل (6) : " كنا نسمنُّ الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يُسمنون" (7) رواه البخاري، وفيه عن أنس (8) : " أن

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 939/2 باب ما قيل في شهادة الزور برقم : 2511 به ، ومسلم في صحيحه 91/1 باب بيان الكبائر وأكبرها برقم : 143 ، بلفظ " وعقوق الوالدين وشهادة الزور " .

2 - أخرجه أبوداود في سننه 329/2 باب في شهادة الزور برقم : 3599 ، والترمذي في سننه 547/4 باب شهادة الزور برقم: 2299، ولفظه " عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله " ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب وكذلك 547/4 برقم: 2300 بلفظ " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال: عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثلاث مرات " ، قال أبو عيسى: هذا عندي أصح .

3 - البراء بن عازب وقد سبقت ترجمته، ينظر ص/58 هامش (1) من هذا البحث .

4 - أخرجه أحمد في مسنده 502/30 حديث البراء بن عازب برقم: 18534 نحوه، والحديث ورد مطولاً والبيهقي في شعب الإيمان 610/1 برقم: 390، والحديث ورد مطولاً أيضاً، وأورده السيوطي في الجامع الكبير 6580/1، وعزاه إلى كثير من أهل السنن والمسانيد، وقال: قال أبو عوانة هذا حديث أُخْتَلِفَ أهل العلم في صحته، وقال ابن منده: إسناده متصل مشهور، وهو ثابت على رسم الجماعة .

5 - في قوله تعالى: ﴿ يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ الآية (27) من سورة إبراهيم .

6 - أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، وهو أنصاري أوسي واسمه سعد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم باسم جده لأمه أسعد بن زرارة ، وكناه بكنيته، وبرك عليه ، وكان ثقة كثير الحديث روى عن أبيه سهل وأبي هريرة وعمر وعثمان وابن عباس ، وروى عنه :ولده محمد وسهل والزهري وعثمان بن حكيم، ت: 100 هـ ' ينظر أسد الغابة 21/6 رقم : 5682، و تهذيب التهذيب 231/1 رقم: 497. والثقات 20/3 رقم : 69 .

7 - أخرجه البخاري في صحيحه 2111/5 باب في أضحية النبي صلى الله عليه وسلم برقم : 7 وقد انفرد به .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضحى بكبشين أملحين أقرنين⁽¹⁾ وعن أبي سعيد⁽²⁾ " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضحى بكبش أقرن فحيل، يأكل في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد⁽²⁾ " رواه أهل السنن، وصححه الترمذي، وعن علي - رضي الله عنه - قال: " أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نستشرف العين، والأذن، وأن لا نضحى بمقابلة، ولا مدابرة، ولا شرقاء، ولا خرقاء⁽³⁾ " رواه أهل السنن، وصححه الترمذي، قال بعض اللغويين: " إن كُسِرَ قَرْنُهَا الأَعْلَى، فَهِيَ قَصْمَاءٌ ، فَأَمَّا العَضْبُ: فَهُوَ كَسْرُ الأَسْفَلِ ، وَعَضَبُ الأُذُنِ قَطْعُ بَعْضِهَا⁽⁴⁾، وعند الشافعي⁽⁵⁾: تجوز الضحية بذلك مع كُرهِ⁽⁶⁾، والقابلة: هي التي قُطِعَ مُعْظَمُ أُذُنِهَا، والمدابرة: من مؤخرة أذنها، والشرقاء: التي قطعت أذنها طولاً، والخرقاء: التي خرقت أذنها خرقاً مُدَوَّراً، وأما أحكامها فمبسوطة في كتب الفقه، وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَفَعٌ﴾؛ أي: لكم في البُدن منافع من لبنها، وصوفها، وأوبارها وأشعارها، وركوبها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ قال ابن عباس⁽⁷⁾: " أي: لم يسمها بدنأً أو هدياً " ، وقال آخرون: " بل له أن ينتفع بها، وإن كانت هدياً، إذا احتاج إلى ذلك كما روى جابر⁽⁷⁾ " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً يسوق بدنة،

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 2113/5 باب في أضحية النبي صلى الله عليه وسلم برقم : 5238 ، ومسلم في صحيحه 1556/3 باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة برقم : 1966 عن أنس رضي الله عنه.

² - أخرجه الترمذي في سننه 85/4 باب ما يستحب من الأضاحي برقم: 1496 عن أبي سعيد رضي الله عنه وابن ماجه في سننه 1046/2 باب ما يستحب من الأضاحي برقم : 3128، وابن حبان في صحيحه 223/13 كتاب الأضحية برقم: 5902، بلفظ " يأكل في سواد وينظر في سواد ويشرب في سواد "، والطبراني في أوسطه 232/5 من اسمه محمد برقم: 5175، وقال: لم يرد هذا الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه بهذا اللفظ إلا محمد بن علي ، وتفرد به حفص بن غياث، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حفص بن غياث.

³ - أخرجه أبوداود في سننه 55/3 باب ما يكره من الضحايا برقم : 2806 ، و الترمذي في سننه 86/4 باب ما يكره من الأضاحي برقم : 1498، وأحمد في مسنده 419/2 مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم : 1275 ، والحاكم في مستدرکه 249/4 برقم : 7532 ، وقال : هذا حديث صحيح أسانيد كلها ولم يخرجاه وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

⁴ - نقل القرافي في الذخيرة : أن المكسورة الخارج تسمى: قصماء، والذكر أقصم، والمكسورة الداخل تسمى: عضباء، والذكر أعضب "وقد يكون العضب في الأذن إلا أنه في القرن أكثر. ينظر الذخيرة 148/4، والزاهر في معاني كلمات الناس 10/2.

⁵ - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع، وكان مولده بمكة سنة خمسين ومائة في السنة التي مات فيها أبو حنيفة ببغداد، ونشأ بمكة وترعرع بها وجالس أهل العلم، وكان من أحق قريش بالرمي، وكان يصيب من العشرة عشرة، وكان أولاً قد برع في ذلك، وفي الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وجود القرآن على إسماعيل بن قسطنطين مقررئ مكة، وكان يختم في رمضان ستين مرة، ثم حفظ الموطأ وعرضه على مالك، وأذن له مسلم بن خالد بالفنوى وهو ابن عشرين سنة أو دونها روى عن مالك بن انس و ابراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة، وغيرهم، روى عنه احمد بن حنبل والحميدي وحرمله بن يحيى وغيرهم. (ت: 204هـ). ينظر تذكرة الحفاظ 256/1، والثقات 30/9 رقم: 15016، وطبقات الفقهاء 71/1.

⁶ - رأي الشافعية: " نَقَصُ الأُذُنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرِبٍ : أَحَدُهَا: مَا مَنَعَ مِنْ جَوَازِ الأُضْحِيَّةِ، وَهُوَ مَا أَذْهَبَ بَعْضَهَا. وَالثَّانِي: مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهَا، وَهُوَ مَا لَمْ يُذْهَبَ شَيْئًا مِنْهَا. وَالثَّلَاثُ: مَا اخْتَلَفَ فِيهِ، وَهُوَ مَا قَطَعَ فَاتَّصَلَ ، وَلَمْ يَنْفَصِلْ . وَقِيلَ : لَا يَمْنَعُ مِنَ الأُضْحِيَّةِ ، وَإِنْ قُطِعَ جَمِيعُهَا : لِأَنَّ الأُذُنَ غَيْرُ مَأْكُولٍ. ينظر الحاوي 80/15.

⁷ - جابر بن عبدالله سبقت ترجمته ينظر ص/86 من هذا البحث.

فقال له: اركبها بالمعروف، إذا ألجئت لها "(1) رواه مسلم، وقوله: ﴿ ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾؛ أي: محل الهدى، وانتهأؤه إلى البيت العتيق، وهو الكعبة كما قال تعالى: ﴿ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (2) .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

أخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك، وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل، قال ابن عباس: ﴿ مَنْسَكًا ﴾؛ أي: عيداً، أو مذبحاً، وهي مكة، ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾، كما ثبت في الصحيحين عن أنس: قال: "أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، بكبشين أملحين أقرنين، فسَمِّي، وكَبَّر، ووضع رجله، على صفاحهما "(3)، وقوله: ﴿ فَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾؛ أي: معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضاً، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقوله: ﴿ أَسْلِمُوا ﴾؛ أي: أخلصوا، واستسلموا لحكمته، وطاعته ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾، أي: المطمئنين المتواضعين الوجلين، قال عمرو بن أوس(4): المخبتون الذين يُظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا وقال الثوري: " هم الراضون بقضاء الله المستسلمون له "(5)، والأحسن أن يُفسر بما بعده، وهو

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 606/2 باب ركوب البدن برقم : 1604 عن أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم في صحيحه 364/8 باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها برقم : 3273 عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

2 - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُنَعَمًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفْرَةً طَعَامٌ مِّسْكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَتْ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ الآية (95) من سورة المائدة.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2113/5 باب من ذبح الأضاحي بيده برقم : 5238 نحوه، ومسلم في صحيحه 148/13 باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة برقم : 5199 نحوه.

4 - عمرو بن أويس بن حذيفة الثقفي: من الثانية، روى عن أبيه، والمغيرة بن شعبة، وعبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وغيرهم وروى عنه: أبو إسحاق السبيعي، وعمرو بن دينار، ومحمد بن سيرين، ويروي عنه ابنه عثمان، ويقال: عن عثمان بن عبدالله بن أوس، والصحيح عمرو بن أوس، توفي قبل سعيد بن جبير، وقيل سعيد سنة 95 هـ. ينظر أسد الغابة 207/4 رقم: 3851، والتاريخ الكبير 314/6 رقم: 2500، وتقريب التهذيب 418/1 رقم: 4991، وتهذيب التهذيب 9/8 رقم: 4847.

5 - عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال: المطمئنين، وعن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس، قال: المخبتون: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقال الماوردي: فيه تسعة تأويلات: أحدها: المطمئنين إلى ذكر إلههم، وهو قول مجاهد. والثاني: معناه المتواضعين، وهو قول قتادة. والثالث: الخاشعين، وهو قول الحسن. والفرق بين التواضع والخشوع في الأخلاق والخشوع في الأبدان. والرابع: الخائفين، وهو قول يحيى بن سلام. والخامس: المخلصين، وهو قول إبراهيم النخعي. والسادس: الرقيقة قلوبهم، وهو قول الكلبي. والسابع: أنهم المجتهدون في العبادة، وهو قول الكلبي ومجاهد

قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ؛ أي: خافت منه قلوبهم ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ ؛ أي: من المصائب ﴿وَالْمُؤِمِّي الصَّلَاةِ﴾ ، بالنصب، وأصله المقيمين ، وإنما حُذِفَ النون ههنا، تخفيفاً ، ولو كان الحذف للإضافة، لَوَجِبَ خَفْضُ الصَّلَاةِ، ولكن على سبيل القرب فُنصِبَتْ؛ أي: المؤدِّين حق الله، فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ، أي: وينفقون مما أتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم، وأرقاتهم، وقراباتهم، ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله، مع محافظتهم على حدود الله تعالى.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

لقد منَّ الله على عبده، فيما خلق لهم من البُدن، وجعل لهم من شعائره هدياً إلى بيته الحرام، وهو الإبل، والبقر على الصحيح، " ويجوز كل واحد منهما عن سبعة" (1) رواه مسلم ، وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي ثواب في الدنيا والآخرة ، وعن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً، أحب إلى الله من هراقه دم ، وأنه ليأتي يوم القيامة بقرونها ، وأظلافها ، وأشعارها ، وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً" (2) رواه الترمذي وحسنه ، وقوله: ﴿فَأذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ ؛ أي: قياماً على ثلاثة قوائم معقولة يدها اليسرى ". وعن جابر (3) قال: " صليتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأضحى، فلما انصرف أتني بكبش، فذبحه، فقال: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني، وعن لم يُضَحَّ من أمتي (4) " رواه أحمد، وأبوداود، والترمذي، وفي

والثامن: أنهم الصالحون المطمئنون، وهو مروى عن مجاهد أيضاً. والتاسع: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلّموا لم ينتصروا، وهو قول الخليل بن أحمد. ينظر تفسير الثوري 683/213، وتفسير الطبري 629/18، وتفسير الماوردي 25/4.

1 - أخرجه مسلم في صحيحه 955/2 باب الاشتراك في الهدي وأجزاء البقرة والبينة كل منهما على سبعة برقم: 1318، والترمذي في سننه 248/3 باب الاشتراك في البينة والبقرة برقم: 904، وقال: حديث جابر حديث حسن صحيح.

2 - أخرجه النسائي في سننه 261/9 برقم: 19488، والترمذي في سننه 83/4 باب فضل الأضحى برقم: 1493، وقال: هذا حديث حسن غريب. والحاكم في مستدرکه 222/4 برقم: 7523 ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

3 - جابر بن عبدالله بن عمرو وقد سبقت ترجمته. ينظر ص/86 من هذا البحث

4 - أخرجه أبوداود في سننه 108/2 باب الشاة يُضَحِّي بها عن الجماعة برقم: 2810، والترمذي في سننه 100/4 باب الذبح بالمصلي برقم: 1521، وأحمد في مسنده 134/23 حديث جابر بن عبدالله برقم: 14837. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

الصحيحين: " عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه : " أتى على رجل قد أناخ بدنته، وهو ينحرها، فقال: ابعتها قياماً مقيدة سنة أبي القاسم - صلى الله صلى الله عليه وسلم - " (1) ، وعن جابر رضي الله عنه : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى، قائمة على ما بقي من قوائمها " (2) رواه أبو داود. وفي حرف عبد الله رضي الله عنه (3) " صوافن "؛ أي: مُعَقَّلة قياماً، قال مجاهد: ومن قرأها ﴿صَوَافً﴾ ؛ أي: تصف بين يديها، وعن الحسن وغيره صوافي، يعني: خالصة لله عز وجل، وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا﴾؛ أي: سقطت على الأرض، وماتت بعد النحر، فإنه (لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت، وتسكن حركتها) (4)، وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾، هذا أمر بإياحة واستحاب، عند الأكثر، وعند بعضهم: واجب، قال ابن عباس: ﴿الْقَانِعَ﴾: الْمُسْتَعْنِي بِمَا أُعْطِيَتْ، وهو في بيته، ﴿الْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرض لك، وَيَلْمُ بك أن تعطيه من اللحم، ولا يسأل "، وعنه أيضاً: ﴿الْقَانِعَ﴾: المتعفف، ﴿الْمُعْتَرَّ﴾: السائل، وبه قال قتادة وجماعة، وقال الحسن وغير واحد: ﴿القانع﴾: هو الذي يقنع إليك ويسألك، ﴿الْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك "، وقيل: ﴿الْقَانِعَ﴾: المسكين الذي يطوف، و ﴿الْمُعْتَرَّ﴾: الصدوق، والضعيف الذي يزور " ، وقيل: غير ذلك، (والله أعلم). واختار ابن جرير: " أن ﴿الْقَانِعَ﴾: هو السائل، لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، ﴿الْمُعْتَرَّ﴾ من الإعتراء، وهو الذي يتعرض لأكل اللحم " (5)، وقد احتج بهذه الآية

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 612/2 باب نحر الإبل مقيدة برقم: 1627 بفظ.. سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم " ومسلم في صحيحه 956/2 كتاب الحج باب نحر البدن قياماً مقيدة برقم: 1320.

2 - أخرجه أبو داود في سننه 83/2 باب كيف تنحر البدن برقم: 1769 به، والبيهقي في سننه 237/5 باب نحر الإبل قياماً غير معقولة أو معقولة اليسرى برقم: 9999 نحوه.

3 - (وفي حرف عبد الله) ويقصد به قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وفيها ثلاثة أقوال: 1 - صوافٍ بفاء مطلقة ، قراءة الجمهور. 2 - صوافن بنون، قراءة عبدالله بن مسعود. 3 - صوافي بياء معجمة باثنتين من تحتها، قراءة أبي بن كعب. ينظر أحكام القرآن الكريم (ابن العربي) 426/5 تفسير سورة الحج الآية 36 .

4 جاء في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجِدْ أَعْدَاكُمْ شَفْرَتَهُ فليُرِحْ ذَبِيحَتَهُ " أخرجه مسلم في صحيحه 1548/3، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ما قطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة " . أخرجه أبو داود في سننه 123/2 برقم: 2858، والترمذي في سننه 74/4 برقم: 1480، والحاكم في مستدركه 137/4 برقم: 7150. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

5 - بعض ما قيل في (القانع والمعتر): أحدها : أن (القانع) السائل ، و(المعتر) الذي يتعرض ولا يسأل ، وهذا قول الحسن ، وسعيد بن جببر. والثاني : أن (القانع) الذي يقنع ولا يسأل، و(المعتر) الذي يسأل، وهذا قول قتادة. والثالث : أن (القانع) المسكين الطواف، و(المعتر): الصديق الزائر، وهذا قول زيد بن أسلم . والرابع : أن (القانع) الطامع ، و(المعتر) الذي يعترى البدن ويتعرض للحم لأنه ليس عنده لحم ، وهذا قول عكرمة. وعن ابن عباس، قال: (القانع) المتعفف، و(المعتر) السائل، وعنه أيضاً، (القانع) الذي يجلس في بيته، وعنه أيضاً، (القانع) الذي يقنع بما أوتي، و(المعتر) الذي يعترض". وأورد ابن جرير قول قتادة: قال: (القانع): الذي يقعد في بيته، و(المعتر): الذي يسأل. (القانع): الذي يقنع بما في يديه؛ و(المعتر): الذي يعتريك، يقول ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني (بالقانع): السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع ، المكتفي بما عنده والمستغني به لقل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتر. وفي إتباع ذلك

من ذهب إلى أن (الأضحية تُجَزَى ثلاثة أجزاء)⁽¹⁾: " فثلث لصاحبها يأكلها، وثلث يهديه لأصحابه، وثلث يتصدق به على الفقراء "، وفي الصحيح: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال للناس: " إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فكلوا، وادخروا، ما بدا لكم "⁽²⁾ وفي رواية: " فكلوا، وادخروا، وصدقوا "⁽³⁾، وفي رواية: " فكلوا، وأطعموا، وصدقوا "⁽⁴⁾ وقوله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: من أجل هذا ﴿سَخَّرْنَا لَكُمْ﴾؛ أي: ذللناها لكم، فجعلناها منقادة لكم خاضعة إن شئتم ركبتهم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتهم، كما قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَونَ﴾، إلى قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.⁽⁵⁾

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكْتَبُوا بِهَا﴾

قوله: و(المعتر)، الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13951/2495 - 13953، وتفسير الثوري ص/214 وتفسير الطبري 636/18، وتفسير الماوردي 27/2.

¹ - (الأحناف): (وندد أن لا ينقص الصدقة من الثلث) لأن الجهات ثلاثة الإطعام والأكل والادخار لقوله تعالى { وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ } (الشافعية): (قوله في القديم): يَأْكُلُ وَيَذْخُرُ الثَّلَثُ وَيُهْدِي إِلَى الْمُتَحَمِّلِينَ الثَّلَثُ وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْمَسَاكِينِ بِالثَّلَثِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾، فَاقْتَضَى فَجَعَلَهُ مُسْتَرْكَأً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ أَثَلَاثًا. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ (قوله في الجديد): إِنَّ الْمُسْتَحَبَّ أَنْ يَأْكُلَ وَيَذْخُرَ النِّصْفَ وَيَتَصَدَّقَ عَلَى الْمَسَاكِينِ بِالنِّصْفِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، (المالكية): وكان مالك - رحمه الله - لا يجد في ذلك شيئا ويقول: يأكل ويتصدق. وكره مالك إطعام الكافر منها وأن كان جارا أو مرضعة لأنه ليس من أهل القرب. (الحنابلة): يستحب أن يأكل الثلث من الأضحية ويهدي الثلث ويتصدق بالثلث لقول الله تعالى ﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ والأمر يقتضي الوجوب. ينظر الاستذكار 234/5، وبدائع الصنائع 80/5، والبحر الرائق 203/8، والحاوي 380/4. والخيرة 367/3. الكافي في فقه أحمد بن حنبل 474/1،

² - أخرجه مسلم في صحيحه 672/2 باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه برقم: 977 نحوه، والنسائي في سننه 89/4 باب زيارة القبور برقم: 2032 نحوه، والترمذي في سننه 94/4 باب الرخصة في أكلها بعد ثلاث برقم: 1510 عن سليمان بن بريدة عن أبيه، وأورده الهيثمي في الزوائد 85/3 برقم: 4304، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال: في إسناده من لم أعرفه. وقال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهم.

³ - أخرجه مسلم في صحيحه 1561/3 بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث برقم: 1971 عن عائشة رضي الله عنها، وأبوداود في سننه 58/3 باب في حبس لحوم الأضاحي برقم: 2814، والنسائي في سننه 170/7 باب تفسير العتيرة برقم: 4230 عن رجل من هذيل نحوه، ومالك في الموطأ 484/2 باب ادخار لحوم الأضاحي برقم: 1029 بلفظ "كلوا وصدقوا وتزودوا وادخروا" عن جابر.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه 2115/5 باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي برقم: 5249 عن سلمة بن الأكواع بلفظ "كلوا واطعموا وادخروا"، ومسلم في صحيحه 1561/3 بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث برقم: 1973 بلفظ "كلوا وأطعموا واحبسوا أو ادخروا".

⁵ - ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَونَ﴾ ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ من سورة يس.

أي: إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا، والضحايا لتذكروه عند ذبحها، فإنه الخالق الرازق، لا أنه يناله شيء من لحومها، ولا دماؤها، فإنه تعالى هو الغني عما سواه، وقد كانوا في جاهليتهم، إذا ذبحوها لآلهتهم، وضعوا عليها من لحوم قرابينهم، ونضحوا عليها من دماؤها، فقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّفْسُ مِنْكُمْ﴾، أي: يقبل ذلك ويجزي عليه، كما جاء في الصحيح " أن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى ألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم "(1)، وقوله: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾؛ أي: من أجل ذلك سخر لكم البذن، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾؛ أي: لِنُعْظِمُوهُ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لِدِينِهِ، وَشَرَعِهِ، وما يحبه ويرضاه، ونهاكم عن فعل ما يكرهه، ويأباه، وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: بشر يا محمد المحسنين في أعمالهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما بلغهم، وقد ذهب أبو حنيفة، ومالك إلى القول: بوجوب الضحية على من ملك نصاباً من المال، وقال الشافعي، وأحمد: " لا تجب الأضحية بل هي مستحبة "(2)، لما جاء في الحديث " ليس في المال حق، سوى الزكاة "(3)، وقد تقدم أنه عليه - الصلاة والسلام - ضحى عن أمته، فأسقط ذلك وجوبها عنهم، وقال بعضهم: " الأضحية سنة كفاية، إذا قام واحد من أهل دار، أو محلة، أو بيت، سقط عن الباقيين "، لأن المقصود: إظهار الشعار.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨).

أخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه شر الأشرار، ويحفظهم وينصرهم كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (4)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾؛ أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الجناية في العهود، والمواثيق، والكفر الجحد للنعم، فلا يعترف بها.

1 - أخرجه مسلم في صحيحه 1986/4 باب تحريم ظلم المسلم وخذله برقم: 2564، وفي آخر الحديث " وأشار بأصابعه إلى صدره "، وابن ماجه في سننه 1388/2 باب القناعة برقم: 4143، وأحمد في مسنده 227/13 برقم: 7827 نحوه، وابن حبان في صحيحه 119/2 باب الإخلاص وأعمال السر برقم: 394.

2 - القول في حكم الأضحية فإذا ثبت أن الضحايا مأمور بها، فقد اختلف الفقهاء في وجوبها على ثلاثة مذاهب: أحدها: وهو مذهب الشافعي، أنها سنة مؤكدة، وليست بواجبة على مقيم ولا مسافر، وهو قول أكثر الصحابة والتابعين. وبه قال أحمد بن حنبل والأضحية سنة لا يستحب تركها لمن يقدر عليها، أكثر أهل العلم يرون الأضحية سنة مؤكدة غير واجبة، وأبو يوسف ومحمد. والمذهب الثاني: وهو قول مالك: أنها واجبة على المقيم والمسافر، وبه قال ربيعة والأوزاعي، والليث بن سعد. والمذهب الثالث: - وهو قول أبي حنيفة - أنها واجبة على المقيم دون المسافر احتجاجاً في الوجوب. ينظر بداية المجتهد 429/1، والبيان والتحصيل 394/3، والحاوي الكبير 71/15. والمبسوط 12/12، والمغني 95/11.

3 - أخرجه الترمذي في سننه 48/3 باب ما جاء أن المال حقاً سوى الزكاة برقم: 660، وابن ماجه في سننه 570/1 باب ما أدى زكاته ليس بكنز برقم: 1789، والطبراني في الكبير 403/24 حديث عامر الشعبي عن فاطمة بنت قيس برقم: 979، وقال الترمذي: هذا حديث اسناده ليس بذلك، وأبو حمزة ميمون الأور يضعف.

4 - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36)﴾ من سورة الزمر.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " نزلت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حين أُخْرِجُوا مِنْ مَكَّةَ " (1)، وهذه أول آية في الجهاد، واستدل بهذه الآية من قال: إن (السورة مدنية) (2) ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ ؛ أي: بسبب ما ظلموا، واعتدوا عليهم بالإيذاء ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ؛ أي: هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال. ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته، كما قال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (3) الآية، وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿أُخْرِجُوا﴾، من مكة إلى المدينة (4) ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ؛ أي: ما كان لهم إلى قومهم إساءة، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله، وعبده لا شريك له، وهذا استثناء منقطع، بالنسبة إلى ما في نفس الأمر وأما عند المشركين، فهو أكبر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ (5). ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق، ويقولون:

اللهم لولا أنت [لما] اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

1 - في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾، وأخرج النسائي في سننه 2/6 باب وجوب الجهاد برقم: 3085، قول ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال، وأحمد في مسنده 359/3 مسند عبدالله بن عباس برقم: 1866، والطبراني في كتاب الأوائل 58/1 باب أول آية نزلت في القتال برقم: 30، والحاكم في مستدركه 76/2 برقم: 2376، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

2 - ينظر لباب النقول في أسباب النزول 148/1. وإيجاز البيان عن معاني القرآن 579/2، البرهان في علوم القرآن 208/1. وكذلك الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه: قال: " لما أُخْرِجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ - إنا لله وإنا إليه راجعون - ليهلكن، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، فعرفت أنه سيكون قتال" قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال. أخرجه النسائي في سننه 2/6. باب وجوب الجهاد 3085. والترمذي في سننه: 325/5 سورة الحج 3172، والحاكم في مستدركه 76/2 باب الجهاد برقم: 2376.

3 - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَسُدُّوا أَلْوِاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ الآية (4) من سورة محمد.

4 - عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ؛ أي: من مكة إلى المدينة، وقال سعيد بن جبيرة: يعني ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم من ديارهم". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13965/2496 - 13966.

5 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَاتَّبَعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الآية: (1) من سورة الممتحنة.

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن [الأولى] (1) قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

يقول أبينا يمدُّ بها صوته، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾، أي: لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكفُّ شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه، ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف ﴿لَهَدَمْتُ صَوْمِعُ﴾، وهي المعابد الصغار للرهبان، قاله ابن عباسؓ، وقال قتادة: "معابد الصابئين والمجوس" ﴿وَبِيعُ﴾، وهي أوسع منها، وأكثر عابدين فيها، جمع بيعة، وهي للنصارى أيضاً وقيل: "هي كنائس اليهود"، وقوله: ﴿وَصَلَوْتُ﴾، قال ابن عباسؓ وأصحابه: "إنها كنائس اليهود، وهم يسمونها صلواتاً"، وقيل: "معابد الصابئين" (2) وأما المساجد فهي للمسلمين، وقوله ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، فقد قيل: الضمير في قوله ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا﴾ عائد إلى المساجد لأنه أقرب المذكورات، وقال الضحاك: "الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً". وقال ابن جرير: "الصواب لهُدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب" (3) قال بعض العلماء: "هذا العطف ترقُّ، من الأقل إلى الأكبر، إلى أن انتهى إلى المساجد، وهي أكثر عماراً، وأكثر عبادة، وهم ذوو القصد الصحيح" (4). وقوله: ﴿وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَصَرَّوْا اللَّهُ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (5) الآية، وقوله "إن الله لقوي عزيز" وصف نفسه بالقوة، والعزة فبقوته خلق كل شيء، فقدَّره تقديراً، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء

1 - في جميع المصادر وجدتها: [ما هتدينا]، و [الألى]، وهو الصواب. ينظر البداية والنهاية 111/4، وتفسير ابن كثير 439/5.

2 - عن ابن عباس في قوله ﴿لَهَدَمْتُ صَوْمِعُ﴾ قال: الصوامع التي تكون فيها الرهبان، والبيع مساجد اليهود، وصلوات: كنائس النصارى، والمساجد مساجد المسلمين، وعنه قال: البيع بيع النصارى، وصلوات: كنائس اليهود.. ﴿لَهَدَمْتُ﴾ قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير، فالتخفيف يكون للقليل والتكثير، والتشديد يختص بالتكثير، ﴿صَوْمِعُ﴾ قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿وَبِيعُ﴾، بيع النصارى جمع "بيعة" وهي كنيسة النصارى، ﴿لَهَدَمْتُ صَوْمِعُ وَبِيعُ﴾ فيه قولان: أحدها: أنها صوامع الرهبان، وهذا قول مجاهد. والثاني: أنها مصلى الصابئين. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13970/2497، 13974. وتفسير البغوي 389/5، وفتح القدير 458/3.

3 - يقول ابن جرير: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهُدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً. ينظر تفسير الطبري 650/18.

4 - ينظر تفسير ابن كثير 436/5. وتفسير المراعي 119/17.

5 - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَصَرَّوْا اللَّهُ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ الآية (7) من سورة محمد.

ذليل لديه فقير إليه، ومن كان القوي العزيز ناصره، فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽¹⁾.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽²⁾.

قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : " نزلت هذه الآية، فينا، فإننا أخرجنا من ديارنا بغير حق، ولم يكن لنا ذنب، إلا أن قلنا ربنا الله، فهاجرنا، وأقمنا الصلاة، وأتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر"⁽²⁾، ومعنى ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ نصرناهم على عدوهم، حتى يتمكنوا من البلاد، قال قتادة: " هم الصحابة"، وقوله ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾؛ أي آخر أمور الخلق، ومصيرهم إليه، يعني يُبطل كل مُلكٍ سوى مُلكه، فتصير إليه بلا منازع.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٥١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٥٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٥٣﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَدِلَةٌ قَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٥٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٥٥﴾﴾.

قال تعالى في تسليية نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - في تكذيب من خالفه من قومه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، إلى أن قال: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ وَكُذِّبَ مُوسَى؛ أي: مع ما جاء به من الآيات البينات، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ أي: انظرتهم، وأخرتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم، وذكر بعضهم: (أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى، وبين إهلاك الله له، أربعون سنة)⁽³⁾، وقد سبق الحديث الصحيح أن رسول الله -

1 - ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الآية (21) من سورة المجادلة .
2 - عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "فيما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ والآية بعدها، أخرجنا من ديارنا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة، وأتينا الزكاة، أمرنا بالمعروف ونهينا، عن المنكر، فهي لي ولأصحابي". أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 13967/2497، وكذلك في كنز العمال 471/2 سورة الحج برقم: 4526.
3 - قال ابن عباس: كان بينهما أربعون سنة، وبه قال: عبدالله بن عمر، ومجاهد . ينظر أضواء البيان 421/8، والبحر المحيط 414/8، وتفسير الطبري 204/24، وتفسير القرطبي 288/13، والدر المنثور 410/8.

صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته " (1)، ثم قال: ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، أي: مكذبة لرسولها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾؛ أي: ساقطة على سقوفها، قد خربت منازلها، وتعطلت حواضرها، ﴿وَبُئِرَ مُعَطَّلَةٌ﴾؛ أي: لا يستقي منها، ولا يردّها أحد بعد كثرة وارديها، والازدحام عليها ﴿وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾، يعني: المبيّض بالحصّ، المنيف المرتفع . وقيل: هو الشديد المنيع الحصين، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: بأبدانهم، وتفكيرهم أيضاً ، وذلك كان كما قال مالك بن دينار (2): أوحى الله إلى موسى عليه السلام، أن يا موسى اتخذ نعلين من حديد، وعصاً، ثم سح في الأرض، واطلب الآثار، والعبر، حتى تتخرق النعلان، وتكسر العصا (3)، ونقل ابن أبي الدنيا (4) عن بعض الحكماء أنه قال: " أحبي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموته بالزهد، وقوه باليقين، ودلته بالموت، وقرره بالفناء، وبصره بجامع الدنيا، وحدّر صوله الدهر، وفحش تقلب الأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسيّرهم في ديارهم، وآثارهم، وانظر ما فعلوا، وأين حلوا، وثم انقلبوا، فينظروا ما حل بالأمم المكذبة، من النقم، والنكال " (5)، ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1726/4 سورة هود برقم : 4409 عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومسلم في صحيحه 1997/4 باب تحريم الظلم برقم : 2583 عن أبي موسى الأشعري نحوه .

2 - مالك بن دينار مولى لبني ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب القرشي، كنيته أبو يحيى، من أهل البصرة يروى عن أنس بن مالك ، وسعيد بن جبير، عنه روى عنه أخوه عثمان، وأبان بن يزيد العطار والحارث بن وجيه وبسطام بن مسلم العوزي ، وثقه النسائي ، وكان من زهاد التابعين والأخيار والصالحين، كان يكتب المصاحف بالأجرة، ويتقوت بأجرته ، ولا يأكل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصبر والمتشفة الخشن، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث ، أُخْتُفَ في سنة وفاته ، وقال ابن حبان: والصحيح أنه مات قبل الطاعون وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة. ينظر تهذيب التهذيب 13/10 رقم: 15. والثقات 383/5 رقم: 5311، والكاشف 235/2 رقم: 5248،

3 - روى جعفر بن سليمان الضبعي، عن مالك بن دينار، قال: " أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم اطلب العلم والعبر حتى تخرق نعليك، أو تخلق نعلك وتتكسر عصاك ". ينظر تفسير ابن كثير 438/5. والدر المنثور 61/6، وجامع بيان العلم 189/1.

4 - ابن أبي الدنيا: هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا البغدادي الحافظ ، صاحب التصانيف المشهورة، ومؤدب أولاد الخلفاء، سمع سعيد بن سليمان، وعلي بن الجعد، وسعيد بن محمد الجرمي، وخلف بن هشام وغيرهم، حدث عنه: إبراهيم بن الجنيد وهو من أقرانه ، والحارث بن أبي أسامة وهو من شيوخه ، وأبو بكر النجاد وأحمد بن خزيمة وأبو بكر الشافعي وآخرون. أدب الخليفة المعتضد العباسي، في حدثه، ثم أدب ابنه المكتفي. له (164) مصنفاً منها: القناعة، ذم الملاهي ، الصمت ، الفرج بعد الشدة، قرى الضيف، من عاش بعد الموت ، محاسبة النفس ، اليقين ، التوبة ، أهوال القيامة ، أعلام النبوة، التفكير والاعتبار، ذم الدنيا ، صفة الجنة، صفة النار، المغازي، وغيرها كثير. (ت: 281 هـ) . ينظر تذكرة الحفاظ 181/2 رقم: 699، وتهذيب التهذيب 12/6 رقم: 18، وتهذيب الكمال 72/16 رقم: 3542، وسير أعلام النبلاء 197/13.

5 - ينظر كنز العمال 168/16 برقم: 44215، وجامع الأحاديث 118/30 مسند علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - برقم: 32954، عن علي - رضي الله عنه - أنه كتب إلى ابنه الحسن يعظه في وصية مطولة، ومن ضمن ما ورد فيها: " وإني أوصيك يا بني بتقوى الله ولزوم أمره ، وعماراة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبه ، فهو أوثق السبب بينك وبينه ، يا بني أحي قلبك بالموعظة ، وموته بالزهد ، وقوه باليقين ، ودلته بذكر الموت ، وأكثره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحدره صولة الدهر وفحش تقلب الايام وأعرض عليه أخبار الماضين

يَعْمَلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾؛ أي: فيعتبرون بها ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ؛ أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة، فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١١﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٢﴾﴾ .

أي: هؤلاء المكذبين بالله، ورسوله ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (1)، قوله: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، أي: الذي قد وعد من إقامة الساعة، والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ؛ أي: هو تعالى، لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه، كيوم بالنسبة إلى حلمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجَّل، وأنظر وأملَى، ولهذا قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا﴾، إلى آخره، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " يدخل فقراء المسلمين الجنة، قبل الأغنياء بنصف يوم، خمسمائة عام " (2) رواه الترمذي، والنسائي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، أي: " من الأيام التي خلق الله فيها السموات، والأرض " (3) وعن رجل من أهل الكتاب أسلم، أنه قال: إن الله خلق السموات، والأرض في ستة أيام، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، وجعل أيام الدنيا ستة أيام، وجعل الساعة في اليوم السابع، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، فقد مضت الستة الأيام، وأتم في اليوم السابع، فمثل ذلك، كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ففي أية ولدت كان تماماً.

وذكره ما أصاب من كان قبلك، وسر في ديارهم، واعتبر بآثارهم، وانظر ما فعلوا، وعن انتقلوا، وأين حلوا، فإنك تجدهم انتقلوا عن الاحبة، وحلوا دار الغربية، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك واحرز آخرتك، ودع القول فيما لا تعرف، ولدخول فيما لا تكلف، وأمسك عن السير إذا خفت ضلالة، فان الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الاهوال، وأمر بالمعروف تكن من أهله ..".

1 - الآية: (32) من سورة الأنفال.

2 - أخرجه النسائي في سننه 412/6 تفسير سورة الحج برقم: 11348، والترمذي في سننه 578/4 باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم برقم: 2353 عن أبي هريرة به، وأورده الهيثمي في الزوائد 458/10 باب فضل الفقراء برقم: 1789 بلفظ " بأربعمائة عام "، وعزاه إلى أحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح غير زيد بن أبي الحواري، وقد وثق على ضعفه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3 - قال ابن عباس ومجاهد: يعني من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض. عكرمة: يعني من أيام الآخرة، وعنه أيضاً: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، فقد مضى منها ستة آلاف" عن محمد بن سيرين، عن رجل من أهل الكتاب أسلم، قال: "إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13985/2499 - 13988، وتفسير الطبري 658/18، وتفسير القرطبي 78/12.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٣﴾﴾
 قال تعالى لنبيه - عليه الصلاة والسلام - حين طلب منه الكفار العذاب، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي: إنما أرسلني الله إليكم، نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وليس إليّ من حسابكم من شيء، إنما أمركم إلى الله إن شاء، عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ، وإن شاء أضلّ من كتب عليه الشقاوة ، وهو الفعل لما يشاء، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 أي: آمنت قلوبهم، وصدقوا إيمانهم، بأعمالهم الصالحة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾،
 أي: مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم، قال الفرّطي: " إذا سمعت الله يقول: ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾، فهو الجنة" (1)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾، قال مجاهد: " أي: يبتطون الناس عن متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومراغمين لهم. " (2) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وهي النار الموجعة الشديدة عذابها، ونكالها، أجارنا الله منها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٥﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا، (قصة الغرانيق) (3)، وما كان من رجوع كثير من مهاجري الحبشة إلى مكة، ظناً منهم أن قريشاً قد أسلموا، ولكن روي من طرق لم

1 - قال محمد بن كعب الفرّطي: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فهو الجنة. عن ابن جريج: " كل شيء في القرآن: (أجر كبير، أجر كريم، ورزق كريم) فهو الجنة ". ينظر تفسير الطبري 393/17. والدر المنثور 246/5.

2 - عن مجاهد، قوله: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ قال: مبطنين يبطنون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم . ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13994/2500، وتفسير الطبري 661/18، وتفسير مجاهد 483.

3 - جاء في تفسير اللباب: " وأما أهل التحقيق فقالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة لوجوه من القرآن والسنة والمعقول: (أما القرآن): فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: (44 - 46)]، (وأما السنة): فروي عن محمد بن إسحاق أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتاباً. وقد روى البخاري في صحيحه أنه - عليه السلام - قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس، وليس فيه ذكر الغرانيق، (وأما المعقول): فمن وجوه: أحدها: أن من

تبلغ درجة الصحة، بل كانت مرسله، ومنقطعة منها ما روي عن سعيد بن جبير قال: " قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، فلما بلغ هذا الموضع ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾، قال: فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى، وأن شفاعتهم لثرتجى، قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد، وسجدوا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾" (2) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم مرسلًا (3) قال: " وكان المشركون يقولون: إن اليهود، والنصارى لا يذكرون آلهتنا بمثل الذي نذكر من الشتم والشر، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم، وتكذيبهم، وأحزنه ضلالتهم، فكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله سورة النجم، وقرأ منها ما قرأ، وألقى الشيطان في أسماع المشركين ما ألقى من سجعه، وقتنته، ووقعت تلك الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول، ودين قومه، ولما سجد في آخر النجم سجد معه كل من حضر من مسلم، أو مشرك غير الوليد بن المغيرة (4)، فإنه كان

جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان. ينظر تفسير الباب في علوم الكتاب 117/14.

1 - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ من سورة النجم.

2 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (52) من سورة الحج.

3 - أخرجه البزار في مسنده 296/11 مسند ابن عباس رضي الله عنهما برقم : 5096 ، والطبراني في الكبير 53/12 حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس برقم : 12450 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 248/7 سورة النجم برقم : 11376 ، وعزاه إلى البزار والطبراني ، وقال : رجالهما رجال الصحيح إلا أن الطبراني قال : لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم. (أقول): وقصة الغرائق باطلة كما قرر جمع من الأئمة والحفاظ ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو بكر العربي في تفسيره 444/5، والقاضي عياض في الشفا فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سوالات 124/2 ، والرازي في مفاتيح الغيب 44/23 الآيات من 52 - 57 من سورة الحج ، والألوسي في روح المعاني 176/17 - 177 والقريطي في تفسيره 80/12. وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة 457/10 برقم: 4548.

4 - الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد شمس، وهو العدل لأنه كان عدل قريش كلها، لأن قريشا كانت تكسو البيت جميعها، وكان الوليد يكسوها وحده، وهو الذي جمع قريشا وقال إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد أصلح ما قيل فيه ساحر: لأنه يفرق بين المرء وأخيه وزوجته، (ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر) وهو ابن خمس وتسعين سنة، ودفن بالحجون وكان مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فوطئ على سهم منهما فخدشه، ثم أوما جبريل إلى ذلك الخدش بيده، فانتفض ومات منه فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا دينه من خزاعة، فأعطت خزاعة دينه، ينظر السيرة لابن حبان 140/1، والكامل في التاريخ 592/1.

كبيراً فرجع ملاً كفيه تُراباً، فسجد عليه ، فتعجب الفريقان من اجتماعهم في السجود فأما المسلمون تعجبوا من سجود المشركين معهم من غير إيمان، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين، واطمأنت نفوس المشركين لما أسمعهم الشيطان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة، وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة، فأقبلوا سراعاً، وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه من الفرية، وأنزل الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ الآية، فلما بين الله قضاءه، وبرأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضاللتهم، وعداوتهم مع المسلمين، واشتدوا عليهم، قال الشيخ رحمه الله: ثم قال البغوي⁽¹⁾ في تفسيره (يعني المعالم)، وقال: كيف وقع هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله - عليه الصلاة والسلام -؟ ثم حكى أجوبة، ألطفها أن الشيطان أوقع مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وليس كذلك في نفس الأمر، وإنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا، بتقدير صحته، والله أعلم⁽²⁾، وقوله: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، هذا فيه تسلية له صلوات الله، وسلامه عليه، فلا يهمنك ذلك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين، قال ابن عباس⁽³⁾: " إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه " ⁽³⁾ قالوا: معنى قوله: ﴿تَمَنَّى﴾ تلا، وقرأ كتاب الله، وأمنيته بتلاوته، وقراءته ، قال الشاعر⁽⁴⁾ :
في عثمان رضي الله عنه:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَأَخْرَهَا لَأَقَى حَمَامَ الْمَقَادِرِ

1 - البغوي: (محيي السنّة) ويلقبونه أيضاً (ركن الدين): هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن القراء الشافعيّ المحدث المفسّر صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان. وكان أبوه يصنع الفراء ويبيعه، حدث عن أبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي، وأبي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، وطبقتهما، روى عنه أبو منصور محمد بن أسعد العطارى المعروف بحفدة، وأبو الفتح محمد بن محمد الطائي وأهل مرو، وقد كان من العلماء الربانيين، وكان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير. ومن أشهر تصانيفه: معالم التنزيل في التفسير وهو التفسير المشهور وقد بورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول لحسن نيته، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة (ت: 516 هـ) على الأرجح. ينظر تذكرة الحفاظ 37/4 رقم: 1062، وطبقات المفسرين 158/1 رقم: 197. والعبير 409/2 سنة: 516 هـ. واسم تفسيره (معالم التنزيل).

2 - اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه. والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه. ينظر معالم التنزيل 394/5.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1766/4 باب تفسير سورة الحج. بلفظ: " وقال ابن عباس { في أمنيته } إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته.

4 - هذا البيت نسب للشاعر حسان بن ثابت ، ينظر تفسير القرطبي 6/2 تفسير سورة البقرة ، ولم أقف عليه في ديوانه، وينسب أيضاً للشاعر كعب بن مالك. ينظر الدر المنثور 210/1، ومقاييس اللغة 222/5.

وقوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾ حقيقة النسخ: لغة: (الإزالة والرفع)⁽¹⁾؛ أي: " فيبطل الله ما ألقى الشيطان في تلاوته، ويثبت آياته "، قاله ابن عباس⁽²⁾ وقوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي في تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التامة والحجة البالغة ، ولهذا قال: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي: شك، وشرك، وكفر، ونفاق، ﴿وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: في ضلال، ومخالفة، وعناد بعيد عن الحق، والصواب، وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛ أي: الذين يفرقون به بين الحق، والباطل، المؤمنون بالله ورسوله، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه، وحفظه، وحرسه أن يختلط به غيره، بل هو كتاب حكيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾؛ أي: يصدقوه، وينقادوا له ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تخضع، وتذل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: في الدنيا، والآخرة، أما في الدنيا، فيرشدهم إلى الحق، وأتباعه، ويوقفهم لمخالفة الباطل، واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم، والدركات.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

1 - يطلق النسخ في لغة العرب على معنيين: أحدهما: إزالة الشيء وإعدامه ومنه قول الله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَأَيْتَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ومنه قولهم: " نسخت الشمس الظل، ونسخ الشيب الشباب، والآخر نقل الشيء وتحويله مع بقائه في نفسه، وقيل: أي: يزيله، ويبطله، ويبدل مكانه آيات محكمات روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾، قال: فيبطل الله ما يلقي الشيطان وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأعلاه وأجل، ويأتي بمعنى: التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد، قال النيسابوري: " وأما قوله تعالى: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ)، فالمراد: إزالة تأثير ما يلقي الشيطان، وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. ينظر الإتيان السيوطي 66/3، أحكام القرآن (الجصاص) 72/1، وإعراب القرآن (النحاس) 101/3، والبرهان الزركشي 29/2، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان 1426/1، ومناهل العرفان 137/2.

2 - أورده ابن جرير في تفسيره عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) فيبطل الله ما ألقى الشيطان. ينظر تفسير الطبري 668/18.

3 - ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآية: (42) من سورة فصلت.

أخبر تعالى عن الكفار: " أنهم لا يزالون في مرية أي في شك وريب من هذا القرآن" (1)، وهو اختيار ابن جرير ، وقال ابن جبير، وابن زيد: ﴿ مِنْهُ ﴾، أي: مما ألقى الشيطان" (2)، ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾، قال مجاهد: " فجأة، فإن الله ما أخذ قوماً قط، إلا عند سكرتهم، وغرتهم، ونعمتهم، فلا تغتروا بالله " (3) ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾، قالوا: هو يوم بدر، وقيل: يوم القيامة، لا ليلة له، وهذا هو الصحيح، وأن هذا هو المراد، ولهذا قال: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾، كما قال: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (4)، الآية، ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾؛ أي: آمنت قلوبهم وصدقوا الله، ورسوله، وعملوا بمقتضى ما علموا، وتوافق قلوبهم، وأقوالهم وأعمالهم، ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾، أي: لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول، ولا يزول ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾؛ أي: كفرت قلوبهم بالحق، وجحدوا، وكذبوا وخالفوا الرسل، واستكبروا عن اتباعهم ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾؛ أي: في مقابلة استكبارهم، وإبائهم عن الحق.

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿ لِيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ ﴿

أخبر تعالى عن مهاجرة في سبيل الله، ابتغاء مرضاته، وترك الأوطان والأهلين، وفارق بلاده في الله ، ورسوله، ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾؛ أي: في الجهاد، ﴿ أَوْ مَاتُوا ﴾، بأي حتفٍ كان على فراشهم، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾، (5) وقوله: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾؛ أي: ليجزين عليهم من فضله، ورزقه من الجنة، ما تقر به أعينهم ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ

1 - يقول ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ﴾، لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة ﴿ بَغْتَةً ﴾ وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، بقول: فجأة. تفسير الطبري 670/18.

2 - أورد ابن أبي حاتم: عن ابن زيد ﴿ فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ ﴾، قال: " مما جاء به الخبيث إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة "، وعن سعيد بن جبير: ﴿ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾، قال: يوم بدر". تفسير ابن أبي حاتم 14007/2503 14008 -

3 - قال مجاهد في تفسيره: ﴿ بَغْتَةً ﴾ يعني فجأة أمنين أو جهرة يعني: وهم ينظرون". ينظر تفسيره ص/321.

4 - ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ الآية: (26) من سورة الفرقان .

5 - ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الآية: (100) من سورة النساء.

الرُّزْقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴿٥٩﴾؛ أي: الجنة، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾؛ أي: بمن يهاجر: ويجاهد في سبيل الله، وممن يستحق ذلك، ﴿حَلِيمٌ﴾؛ أي: يصفح، ويغفر لهم الذنوب، ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه، وأما من قتل في سبيل الله من مهاجر، أو غير مهاجر، فإنه حي عند الله يُرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (1) الآية، وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر، أو غير مهاجر، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظيم إحسان الله إليه، وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾، ذكر ابن جرير: " أنها نزلت في سرية من الصحابة، لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلونهم، في الشهر الحرام، فأبى المشركون، إلا قتالهم، وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، فنصرهم الله عليهم " (2) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ﴾، لمساوي المؤمنين ﴿عَفُورٌ﴾ لذنوبهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (3) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٠﴾

نبه تعالى إلى أنه الخالق المتصرف في خلقه، بما يشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ (3) الآية، ومعنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، إدخاله من هذا إلى هذا، ومن هذا إلى هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار في الشتاء، وتارة يطول النهار، ويقصر الليل، كما في الصيف، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ أي: سميع لأقوال عباده، بصيرٌ بهم، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم، ولما بيّن أنه المتصرف في الوجود، قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الإله الحق، لا ينبغي العبادة إلا له، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾؛ أي: من الأصنام، والأنداد، والأوثان، وكل ما عبد من دونه فهو باطل لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾؛ أي: العالي على كل شيء، العظيم الذي دان له كل شيء.

1 - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ الآية (169) من سورة آل عمران
2 - أورد ابن جرير في تفسيره قوله: " وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المشركون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقاتلهم فبغوا عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية ". ينظر تفسير الطبري 675/18.
3 - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (26) من سورة آل عمران.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

هذا أيضاً من دلائل قدرته الباهرة، وإنه ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فتنيرُ سَحَابًا﴾ (1)، فيمطر على الأرض الجرز، التي لا نبات فيها، وهي هامة يابسة، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ (2)، وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾، أي: خضراء بعد يباسها، وطولها، وقد ذكر عن بعض أرض الحجاز، أنها تصبح عقب المطر خضراء، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، أي: عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها، وأجزائها من الحب، وإن صغر لا يخفى عليه خافية، فتوصل إلى كل منهم، قسطاً من الماء، فينبت به، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (3)، ولهذا قال أمية بن أبي الصلت، أو زيد بن عمرو بن نفيل (4):

وقولا له : مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا

وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤُوسِهِ ففِي ذَاكَ آيَاتٍ لِمَنْ كَانَ وَعَايَا

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكه جميع الأشياء، وهو غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، عبدٌ لديه، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي: من حيوان، وجماد، وزروع، وثمار، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

1 - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فتنيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فتنرى الودقَ يخرُجُ مِنْ خَلِّهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الآية (48) من سورة الروم.

2 - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لَنَبِّئَنَّكُمْ وَنُنقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ الآية (5) من سورة الحج.

3 - ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من سورة النمل

4 - وجدته في ديوان أمية بن أبي الصلت موجود في باب مستقل بعنوان: صلة الديوان أو ما نسب إليه وإلى غيره، وهي من الطويل، ورقم القصيدة: 42، وتتكون من 23 بيتاً، والشواهد المذكورة برقم: (16 - 17). ومطلعها: إلى الله أهدي مدحتي وثنائياً ... وقولاً رصيناً لا يني الدهر باقياً.

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ⁽¹⁾؛ أي: من إحسانه وفضله امتنانه ﴿وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بتسخيره وتيسيره أي في البحر العجاج، وتلاطم الأمواج تجري الفلك بأهلها، بريح طيبة، ورفق، وتؤدة، فيحملون فيها، ما شأوا من التجارات، والبضاعات، ومنافع من بلد إلى بلد، ومن قُطر إلى قُطر، ﴿وَيُؤْمِنُكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: مع ظلمهم، وعنادهم، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي أنشأكم، ولم تكونوا شيئاً، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء أجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، يوم البعث للثواب، والعقاب يعني كيف تجعلون مع الله أنداداً، وتعبدون معه غيره، وهو المستقل بالخلق، والرزق، والتصرف، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾؛ أي: جحود.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٧٩﴾﴾

أخبر تعالى أنه جعل لكل أمة نبي منسكاً، أي: شريعة لهم عاملون بها ، وقيل: موضع عبادة، والمنسك في كلام العرب: هو الموضع الذي يعتاده الإنسان، ويتردد إليه، إما بخير، أو بشر ، ولهذا سميت مناسك الحج بذلك، لتردد الناس إليها وعكوفهم عليها ، وقوله: ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾؛ أي: هؤلاء المشركين في الحق فلا تتأثر بمنازعتهم لك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه، من التبليغ، والإهداء ولهذا قال: ﴿وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: طريق واضح موصل إلى المقصود، وقوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾، كقوله: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾⁽²⁾ الآية، تهديد شديد ، ولهذا قال: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: فتعرفون حينئذ الحق، من الباطل، والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين، إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

﴿٧٩﴾

1 - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية: (13) من

سورة الجاثية

2 - ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية: (41) من

سورة يونس.

أخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه ، وأنه محيط بما في السموات، وما في الأرض ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ (1) وأنه علم الكائنات كلها، قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن الله قَدَّرَ مقادير الخلائق، قبل خلق السموات، والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء " (2) ، قال ابن عباس رضي الله عنه: " خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، وقال للقلم: قبل أن يخلق الخلق، اكتب، فقال القلم: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى أن تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة " فذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (3) رواه ابن أبي حاتم، وفي الترمذي معناه مرفوعاً (4) ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: كله ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ مضبوط، وعلمه بجميع ذلك محيط، وهو على الله سهل يسير.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّن ذَالِكُمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ مِّنَ الْمَصِيرِ ﴿٧٧﴾﴾

أخبر تعالى عن المشركين، فيما عبدوا غير الله، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: حجة، وبرهاناً، ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: ولا علم لهم، فيما اختلقوه وانتفكوه وإنما هو أمر تلقوه من آبائهم، وأسلافهم بلا دليل، وحجة، وأصله مما سؤل لهم الشيطان، وزينه لهم ، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، أي: من ناصر ينصرهم من الله، حين يحل بهم العذاب ، ثم قال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ؛ أي: فإذا ذكرت لهم آيات القرآن، والحجج، والدلائل الواضحات على توحيد الله، إنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق، وصدق، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ

1 - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الآية: (3) من سورة سبأ .

2 - أخرجه مسلم في صحيحه 2044/4 باب حجاج آدم موسى عليهما السلام برقم: 2653 عن عبدالله بن عمر والترمذي في سننه 458/4 كتاب الإيمان برقم : 2156 بلفظ " قَدَّرَ الله المقادير "، وأحمد في مسنده 144/11 مسند عبدالله بن عمر برقم: 6579، والحاكم في مستدرکه 45/1 كتاب الإيمان برقم: 5 نحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

3 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 631/2 تفسير سورة آل عمران برقم : 3390 .

4 - أخرجه الترمذي 457/4 برقم : 2155 بلفظ " إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال: وما أكتب قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد " وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه .

الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ۖ أَي: تبين الإنكار، في وجوه الكفار بحيث ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ ؛ أَي: يقعون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ؛ أَي: يكادون أن يبادروا بالذين يحتجون عليهم، بالدلائل الصحيحة من القرآن، ويبسطوا إليهم أيديهم، وألسنتهم بالسوء ﴿قُلْ﴾ ؛ أَي: يا محمد لهؤلاء: ﴿أَفَأَنْبُؤُكُمْ بِشَرِّ مَنْ دَلَّكُمْ النَّارَ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ؛ أَي: النار، وعذابها، ونكالها أشد وأشق مما يخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، فإن عقاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما ينالون منهم ، وقوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ؛ أَي: وبئس النار منزلاً ومرجعاً.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾﴾ .

نَبَّهَ اللهُ عَلَى حَقَارَةِ الْأَصْنَامِ وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا بِقَوْلِهِ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾ ؛ أَي: لما يعبد المشركون بالله ﴿فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ ؛ أَي: انصتوا وتفهموا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ؛ أَي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام، والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك، كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "قال الله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، وليخلقوا شعيرة" (1) ، ثم قال أيضاً: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ؛ أَي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته، والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت ان تستنفذه منه، لما قدرت على ذلك ، هذا، والذباب من أضعف مخلوقات الله، وأحقرها، ولهذا قال: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ، قال ابن عباس: " الطالب: الصنم ، والمطلوب: الذباب "، وهو اختيار ابن جرير، وقال السدي: " الطالب: العابد، والمطلوب: الصنم " (2) ، ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ؛ أَي: ما عرفوا قدرة الله، وعظمته حين عبدوا معه غيره من

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 2220/5 باب نقض الصور برقم : 5609 عن أبي هريرة بلفظ " فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة " ، ومسلم في صحيحه 1671/3 كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان برقم : 2111 عن أبي هريرة

2 - أورد ابن جرير في تفسيره قول ابن عباس، في قوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ ، قال: " آلهتهم. ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب. ثم أضاف: والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنفذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب "، وقال السدي: يعني ضعف الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم الذي لا يخلق ذباباً، ولا يستطيع أن يستفيد ما سلب منه، وضعف المطلوب إليه الذي لا يخلق ذباباً ". ينظر تفسير السدي ص/358، وتفسير الطبري 685/18.

هذه الأصنام التي لا تقاوم الذباب، لضعفها، وعجزها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ؛ أي: هو القوي بقدرته، وقوته لخلق كل شيء، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (1)، العزيز الذي عز كل شيء، فقهره، وغلبه.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

أخبر تعالى أنه يختار من الملائكة، رسلاً فيما يشاء من شرعه، وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ؛ أي: سميع لأقوال عباده بصير بهم عليم بمن يستحق ذلك منهم، كما قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (2) وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: يعلم ما يفعل رسله، فيما أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء، قال الحسن: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ما عملوا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ما هم عاملون من بعد " (3)، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، [ملائكته، ورسله قبل أن يخلقهم] (4) ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ما هو كائن من بعد فنائهم، ولهذا قال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾

اختلفوا في هذه السجدة الثانية من هذه السورة، هل هي مشروع السجود [فيها] (5) أم لا ؟ على قولين: وقد سبق عند الأولى، الحديث الصحيح: أن عقبة بن عامر (6) قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فضلت سورة الحج، بأن فيها سجدتين؟

1 - ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الآية: (27) من سورة الروم.

2 - ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سُبْحٰنَ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ الْوَحْيُ وَهُوَ فِي السَّمَٰوٰتِ الْعُلٰى ﴿١٢٤﴾﴾ من سورة الأنعام.

3 - أورد الماوردي في تفسيره ما بين أيديهم: أول أعمالهم، وما خلفهم آخر أعمالهم، قاله الحسن. ينظر وأورد البغوي قول الحسن: "ما بين أيديهم": ما عملوا "وما خلفهم" ما هم عاملون من بعد. ينظر تفسير الماوردي 41/4، ومعالم التنزيل 401/5.

4 - لعلها: [يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم]. ينظر تفسير الطبري 687/18.

5 - لعلها [فيهما] فهي الأنسب للسياق. ينظر اللوحة رقم: 319/ب، وتفسير ابن كثير 455/5.

6 - عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل: أبو ليبيد، الصحابي المشهور كان قارنا عالماً بالفرائض والفقهاء فصيح اللسان شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، روى عن النبي - صلى الله عليه و سلم كثيراً، روى عنه جماعة من الصحابة، منهم جابر، وابن عباس، وأبو أيوب، وأبو أمامة، ومن التابعين: أبو الخير، وسعيد بن المسيب، وغيرهم. (ت: 58هـ). ينظر أسد الغابة 59/4 رقم: 3697، والاستيعاب 1073/3 رقم: 1824، والإصابة 529/4 رقم: 5605، والثقات 280/3 رقم: 909.

قال: نعم، ومن لم يسجدهما، فلا يقرأهما⁽¹⁾، وهو (مذهب الشافعي وأحمد، وموافقيهم)⁽²⁾. وذهب قوم إلى أنه لا يسجد ههنا، وهو قول (الثوري وأبي حنيفة)⁽³⁾، وعدد سجود القرآن: أربعة عشر عند الأكثر، منها ثلاث في المفصل، وذهب جماعة إلى أنه ليس في المفصل سجود، روي ذلك عن (أبي بن كعب، وابن عباس، وبه قال مالك)⁽⁴⁾. وقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع رسول الله -

¹ - أخرجه أبوداود في سننه 530/1 باب تفرغ أبواب المسجد برقم : 1404 ، والنسائي في سننه باب سجدي سورة الحج 317/2 برقم : 2545 ، والترمذي في سننه 470/2 باب ما جاء في السجدة في الحج برقم : 578 ، وأحمد في مسنده 593/28 حديث عقبة بن عامر برقم : 17364 ، والطبراني في الكبير 307/17 حديث عقبة بن عامر برقم : 847 ، والحاكم في مستدركه 343/1 باب التأمين برقم : 805. وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي

² - تفصيل المذاهب في السجود: (عند أبي حنيفة): اتفقوا على وجوب سجدة التلاوة وهي: سجدة واحدة، وركنهما: وضع الجبهة على الأرض، أو ما يقوم مقامه. لا يجزئه الإيماء على الراحلة من غير عذر، لأنها واجبة، ويفسدها ما يفسد الصلاة: من الحدث، والكلام، والقهقهة وعليه إعادتها، كما لو وجدت في سجدة الصلاة، وأوجب أبو حنيفة وأصحابه لقول الله عز وجل: {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ}، ولا يذم إلا على ترك واجب، ولأنه سجود يفعل في الصلاة، فكان واجبا كسجود الصلاة، وقال (مالك والشافعي): هو مسنون وليس بواجب. وسبب الخلاف اختلافهم في مفهوم الأوامر بالسجود والأخبار التي معناها معنى الأوامر بالسجود، وكره مالك قراءتها خاصة، لا شيء قبلها ولا شيء بعدها في الصلاة، أو غيرها، ثم يسجد بها، وعند الشافعي: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ السَّجْدَةَ، أَوْ سَمِعَ مَنْ يَقْرُؤُهَا سَجْدَةَ التَّلَاوَةِ أَنْ يَسْجُدَ لَهَا فِي صَلَاةٍ كَانَتْ، أَوْ غَيْرِ صَلَاةٍ، وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ قَارِئًا كَانَتْ أَوْ مُسْتَمِعًا، ويقول ابن قدامة (الحنبلي): إن سجود التلاوة: سنة مؤكدة، وليس بواجب عند إمامنا و مالك و الأوزاعي و الليث و الشافعي وهو مذهب عمر وابنه عبد الله. ينظر البحر الرائق 128/2، وبداية المجتهد 222/1، و التاج والإكليل 60/2، والحاوي 200/2. والمغني 687/1.

³ - الأدلة التي استندوا عليها كل فريق، فمن قال بعدم الوجوب استدلوا: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال يا أيها الناس إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه . ولم يسجد عمر رضي الله عنه". وزاد نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء ". أخرجه البخاري في صحيحه 366/1 (باب من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود) برقم: 366. وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ قَارِئًا كَانَتْ أَوْ مُسْتَمِعًا، وَبِهِ قَالَ عُمَرُ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ". ومن قال إنه واجب أخذوا ذلك من قول الله عز وجل: (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21)) سورة الانشقاق، وكذلك الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه 465/6 برقم : 2759 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة " وحمل الأمر هنا على الوجوب. ينظر الاستذكار 508/2 باب ما جاء في سجود القرآن، وأحكام القرآن (ابن العربي) 45/4، وبدائع الصنائع 179/1، والحاوي 200/2، والمغني لابن قدامة 683 /1.

⁴ - عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي - صلى الله عليه وسلم - (وَالنَّجْمِ) . فلم يسجد فيها. أخرجه البخاري في صحيحه 364/1 باب من قرأ السجدة ولم يسجد برقم: 1023. وعن عطاء بن يسار أنه أخبره أنه سأل زيد بن ثابت عن القراءة مع الإمام فقال لا قراءة مع الإمام في شيء. وزعم أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، فلم يسجد. أخرجه مسلم في صحيحه 75/4 باب سجود التلاوة برقم: 1326. روي عن سعيد بن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وطاوس وعطاء وأيوب كل هؤلاء يقولون: ليس في المفصل سجود بالأسانيد الصحاح عنهم، وكذلك جمهور من أصحاب مالك عن مالك وهو الذي ذهب إليه في موطنه أن لا سجود في المفصل. ينظر الاستذكار 503/2، وبداية المجتهد 222/1، والبيان والتحصيل 106/18، والموطأ 25/2، وهو قول أكثر أصحابه وطائفة من المدينة وقول ابن عمر وابن عباس وأبي بن كعب

صلى الله عليه وسلم - في ﴿اقْرَأْ﴾⁽¹⁾، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾⁽²⁾، وأبو هريرة رضي الله عنه من متأخري الإسلام.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٧٨) .

أي: في اعلاء كلمة الله حق جهاده، أي: بأموالكم، وألسنتكم، وأنفسكم، وقوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾؛ أي: أيتها الأمة اصطفاكم الله، واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم، وشرّفكم، وخصّكم بأكرم رسول، وأكمل شرع ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزّمكم بشيء، [فيشق]⁽³⁾ عليكم إلا جعل لكم فرجاً ومخرجاً، كقصر الصلاة في السفر، والتيمم، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار في السفر، وبالمرض، والصلاة قاعداً عند العجز، وعلى هذا قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن جرير: " نصبٌ على تقدير "⁽⁴⁾ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: من ضيق بل، وسّعه عليكم، كلمة أبيكم إبراهيم، ويحتمل أن يكون منصوباً على فعل مُقدّر؛ أي: الزموا ملة أبيكم إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: "أي: الله سمّاكم المسلمين"⁽⁶⁾، كما قال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، وقيل: يعني إبراهيم نظراً، إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾⁽⁷⁾ والأول أوجه،

1 - ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الآية: (1) من سورة العلق

2 - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الآية: (1) من سورة الانشقاق.

3 - ينظر اللوحة رقم: 319/ب، وعند ابن كثير [فشقّ عليكم]، وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 455/5.

4 - أورد ابن جرير في قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كملة أبيكم، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبته، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكانه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ أي: اتبعوا ملة أبيكم، وقيل تقديره: مثل (ملة)، لأن المعنى سهل عليكم الدين، مثل (ملة إبراهيم) فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وقيل: (ملة) مفعول به، لأعني مقدراً، و(إبراهيم) بدل من (أبيكم). ينظر التبيان 949/2، ومشكل إعراب القرآن 341/1. وتفسير الطبري 691/18.

5 - ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية (161) من سورة الأنعام

6 - عن مجاهد في قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾، يقول الله سماكم المسلمين من قبل يعني من قبل الكتب كلها ومن قبل الذكر وفي هذا يعني القرآن. ينظر تفسير مجاهد ص/483.

7 - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية (128) من سورة البقرة.

قال مجاهد: " سماكم المسلمين من قبل، في الكتب المتقدمة، وفي الذكر؛ " أي: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ هذا القرآن، ﴿ وَفِي هَذَا ﴾؛ أي: وفي القرآن، وقيل: " أي: قبل هذا الوقت، وفي هذا الوقت "، وقوله: ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي: إنما جعل لكم هكذا أمةً وسطاً عدلاً خياراً، مشهوداً بعدالتكم عند جميع الأمم ﴿ وَتَكُونُوا ﴾، يوم القيامة ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، لأن جميع الأمم معترفون يومئذٍ بفضلهم، وشرفهم على كل أمة سواها، فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة بصدقهم، كما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (1) وقوله: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾؛ أي: قابلوا هذه النعمة العظيمة، بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم في أداء ما أفترض، وطاعة ما أوجب، وترك ما حرم، ومن أتم ذلك إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وهو الإحسان إلى الخلق، بما أوجب للفقير على الغني، وسائر المستحقين على أهل الثروة، وقوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ﴾ (2)؛ أي: اعتضدوا بالله، واستعينوا، وتوكلوا عليه، وتأيدوا به ﴿ هُوَ مَوْلَاكُمْ ﴾ (3)؛ أي: حافظكم، وناصركم، ومعينكم ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى ﴾ (4)؛ أي: هو ونعم الناصر في دفع الأعداء.

1 - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبِيَّةً وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية (143) من سورة البقرة

2 - في الحاشية: " تقووا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه ". اللوحة 320/أ

3 - في الحاشية: " متولي أموركم ". اللوحة 320/أ

4 - في الحاشية: " إذ لا مثيل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه ". اللوحة 320/أ

سادساً

﴿ سورة المؤمنون ﴾

وهي مكية وعدد آياتها (118) آية

تفسير سورة المؤمنون وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : " كان إذا نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوحي يسمع عند وجهه، كدوي النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، فقال: " اللهم زدنا، ولا تنقصنا، وأكرمنا، ولا تهنا، ولا تحرمنا وآثرنا، ولا تؤثر علينا، وأرض عنا، وأرضنا، ثم قال: لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، حتى ختم العشر " (1) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: " خلق الله الجنة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرستها، فقال لها: تكلمي، فقال: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزل الملوك " (2)، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً " خلق الله جنة عدن بيده، ودلاً فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (3)، وموقوفاً أصح؛ أي: قد فازوا، وسعدوا وحصلوا على

1 - أخرجه النسائي في سننه 450/1 باب رفع اليدين في الدعاء برقم: 1439، وقال: هذا حديث منكر لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه والله أعلم ، والترمذي في سننه 326/5 سورة المؤمنون برقم: 3173 ، وأحمد في مسنده 351/1 مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم: 223، وقال الترمذي: هذا أصح من الحديث الأول سمعت إسحاق بن منصور، يقول روى أحمد بن حنبل، و علي بن المديني، و إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن يونس بن سليم عن يونس بن يزيد عن الزهري هذا الحديث.

2 - أخرجه الطبراني في الأوسط 99/4 باب من اسمه عثمان برقم: 3701، وقال: لم يرو هذا الحديث عن الجريري إلا عدي بن الفضل، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 732/10 باب الخلود لأهل النار في النار برقم: 17642، وعزاه إلى البزار مرفوعاً وموقوفاً، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة " . والباقي بنحوه، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.

3 - أخرجه الطبراني في الأوسط 349/5 من اسمه محمد برقم: 5518، وقال: لم يرو هذا الحديث عن السدي إلا حماد بن عيسى تفرد به منجاب، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 731/10 باب الخلود لأهل النار في النار

الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ ، قال ابن عباسؓ: " أي: خائفون ساكنون "(1)، وعن علي - رضي الله عنه - قال: " الخشوع: خشوع القلب "(2)، قال الحسن: " كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا الجناح "(3)، وقال ابن سيرين: " كانت الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء، في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، خفضوا أبصارهم، على موضع سجودهم "(4) والخشوع في الصلاة، إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها وحينئذ يكون راحة له، وقرّة عين، كما قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا بلال أرحنا بالصلاة "(5)، وقال - عليه الصلاة والسلام - : " حُبَّ إِلَيَّ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ، وَجُعِلَتْ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ "(6) رواه أحمد، وبعض أصحاب السنن وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: عن الباطل، وهو يشمل الشرك والمعاصي، وما لا فائدة فيه، من الأقوال، والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (7)، قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، الأكثرون: على أنه المراد زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية(8)، وإنما فُرِضت الزكاة بالمدينة سنة

برقم: 18637 وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والكبير وقال: أحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد. وأوره الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة 443/3 برقم: 1284، وقال: ضعيف.

1 - أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال: خائفون ساكنون. ينظر تفسير ابن كثير 461/5، وتفسير الطبري 9/19، والدر المنثور 84/6.

2 - أورده ابن جرير في تفسيره 9/19 بلفظ: " الخشوع في القلب وأن تلتين للمرء المسلم كتفك ولا تلتقت " وأخرجه الحاكم في مستدركه 394/2 باب تفسير سورة المؤمنون برقم: 3482 عن علي رضي الله عنه والبيهقي في السنن الكبرى 279/2 باب جماع أبواب الخشوع في الصلاة والإقبال عليها برقم: 3333. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،

3 - وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا الجناح. ينظر تفسير ابن كثير 461/5، وتفسير الطبري 8/19، والدر المنثور 84/6.

4 - عن محمد بن سيرين قال: " كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ويلتفتون يمينا وشمالا ". ينظر تفسير ابن كثير 461/5، وتفسير الطبري 8/19. والدر المنثور 83/6.

5 - أخرجه أبوداود في سننه 715/2 باب في صلاة العتمة برقم: 4985 بلفظ " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " وأحمد في مسنده 178/38 باب رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برقم 33088 ، والهيثمي في مجمع الزوائد 174/1 باب فيمن كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: 633 ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير ، وقال: وفيه ابو حمزة الثمالي وهو ضعيف.

6 - أخرجه النسائي في سننه 61/7 باب حب النساء برقم: 3939 عن أنس رضي الله عنه ، وقال: هذا حسن صحيح، وأحمد في مسنده 307/19 مسند أنس رضي الله عنه برقم: 12294، والطبراني في الأوسط 241/5 باب من اسمه محمد برقم: 5203، وقال: لم يرو هذا الحديث عن ثابت إلا سلام بن المنذر عن أنس رضي الله عنه، والحاكم في مستدركه 174/2 كتاب النكاح برقم: 2676، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، والبيهقي في الكبرى 78/7 باب الرغبة في النكاح برقم: 13232.

7 - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَوْنَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الآية (72) من سورة الفرقان .

8 - الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى ، فالعين : القدر الذي يخرج المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى : فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله ، فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره ، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل، ويقول ابن جرير: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها

اثنتين من الهجرة، والظاهر أن الذي فُرِضت بالمدينة، إنما هي ذات النُصْبِ والمقادير الخاصة، وإلا، فالظاهر أن أصل الزكاة، كان واجباً بمكة، ويحتمل أن يكون المراد ههنا، زكاة النفس من الشرك، والدنس، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾⁽¹⁾، ويحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً، فإن المؤمن الكامل الذي زكَّى نفسه، وماله من الأدناس، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، أي: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون في ما نهاهم الله عنه من المنهيات، ولا يقربون سوى أزواجهم، التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيانهم من السراري، ومن تعاطي ما أحل الله له، فلا لوم عليه، ولا حرج، ولهذا قال: ﴿فَأِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، أي: غير الأزواج، والإماء، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾؛ أي: المعتدون، وقد استدل الشافعي - رحمه الله - ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد⁽²⁾ بهذه الآية الكريمة، فإن ذلك خارج عن القسمين، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُغُونَ﴾؛ أي: إذا اتتمنوا، لم يخونوا، بل يردوا الأمانات إلى أهلها، وإذا عاهدوا، وعاهدوا، وفوا بذلك، لا كصفات المنافقين، فإنهم إذا حدثوا كذبوا، وإذا وُعدوا أخلفوا، وإذا اتتمنوا خانوا "، هكذا في الصحيحين⁽³⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ أي: يواظبون عليها في مواقيتها، وقيل: في أول أوقاتها، وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها أيضاً بالصلاة، فدلَّ على أفضليتها، كما في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"⁽⁴⁾، وَلَمَّا وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْقِيَامِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ قَالَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾⁽⁵⁾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه

الله عليهم فيها مؤدّون، ويقول البيهقي: قيل: الزكاة هاهنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون. ينظر تفسير الطبري 10/19، والكشاف 176/3، ومعالم التنزيل 409/5.

1 - ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿﴾ الآيات من سورة الشمس.

2 - رأي الإمام الشافعي: " تحريم ما سوى الأزواج وما ملكت الأيمان وبين أن الأزواج وملك اليمين من الأميات دون البهائم ثم أكدها فقال عز وجل ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فلا يحل العمل بالذكر إلا في الزوجة أو في ملك اليمين ولا يحل الاستمناء، والله تعالى أعلم " ينظر الأم 94/5 باب الاستمناء.

3 - إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه 21/1 باب علامة المنافق برقم: 33، بلفظ " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان "، ومسلم في صحيحه 78/1 باب خصال المنافق برقم: 107.

4 - أخرجه ابن ماجه في سننه 101/1 باب المحافظة على الوضوء برقم: 277، وأحمد في مسنده 60/37 حديث ثوبان رضي الله عنه برقم: 22378، وابن حبان في صحيحه 311/3 كتاب الطهارة برقم: 1037، والطبراني في الأوسط 116/7 باب من اسمه محمد برقم: 7019، وقال: لم يرو هذا الحديث عن ورقاء إلا يحيى بن نصر بن حاجب، والحاكم في مستدرکه 220/1 كتاب الطهارة برقم: 447، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة، وفوق عرش الرحمن⁽¹⁾، قال مجاهد في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: ما من عبدٍ إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن: فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر: فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار⁽²⁾ ويؤكد هذا، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه " قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما منكم من أحدٍ، إلا وله منزلان منزل في الجنة. ومنزل في النار، فإن مات، فدخل النار، ورث أهل الجنة، منزله فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ " (3)، رواه ابن أبي حاتم ، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم كلهم خُلِقوا لعبادة الله، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجبت عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به، مما خُلِقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك، لو كانوا أطاعوا ربهم ، بل أبلغ من هذا أيضاً، كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود، والنصارى"⁽⁴⁾ وفي لفظ له قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إذا كان يوم القيامة، دفع الله لكل مسلم يهودياً، أو نصرانياً ، فيقول ، هذا فَكَأُكُّكَ من النار"⁽⁵⁾ ، قال ابن جبير: " الجنة بالرومية : هي الفردوس "⁽⁶⁾، وقال بعضهم: " لا يسمى البستان فردوساً، إلا إذا كان فيه عنب"⁽⁷⁾.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1028/3 باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم : 2637 ، وأحمد في مسنده 338/2 مسند أبي هريرة برقم : 8455 نحوه.

2 - عن ابن جريج : قال مجاهد: " يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار، هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان، وذلك أنه منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي في الجنة، ويهدم منزله في النار. وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة. ويبني منزله الذي في النار. ينظر تفسير الطبري 13/19، والكشف والبيان 40/7.

3 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1453/2 باب صفة الجنة برقم: 4341، والحاكم في مستدركه 427/2 برقم: 3485، والبيهقي في شعب الإيمان 342/1 فصل في فداء المؤمن برقم: 377، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصحيح 1010/2 حرف الميم برقم: 5799.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 2119/4 باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم: 2769 ، وقد جاء بأطراف أخرى عند ابن حبان في صحيحه 397/2 باب التوبة برقم: 630، بلفظ " لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً ". وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير 1334/2 حرف الياء برقم: 8035، بنفس المتن الذي أورده التفسير.

5 - أخرجه مسلم في صحيحه 2119/4 باب قبول التوبة للقاتل وإن كثر قتله برقم: 2767، وأورده الألباني في السلسلة 481/3 برقم: 1316، وقال: " هذا فكأكك من النار ". هكذا رواه الجماعة عن أبي بردة دون تلك الزيادة، فهي عندي شاذة بل منكورة.

6 - قال مجاهد، وسعيد بن جبّير: الجنة بالرومية هي الفردوس. وعن مجاهد أيضاً : الفردوس: بستان بالرومية ينظر تفسير ابن أبي حاتم 13008/2394، وتفسير ابن كثير 465/5، وتفسير الطبري 13/19.

7 - يقول البيضاوي في تفسيره: " الفردوس: أعلى درجات الجنة، وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل ". وقال الضحاك: هو الجنة الملتقّة الأشجار، وقيل: هي الجنة من الكرم خاصة، وقيل: ما كان غالبه كرمًا وجنات: جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم، ويقال له: الفردوس ، وقال كعب: هو البستان فيه الأعناب. وقال الضحاك: هي الجنة الملتقّة الأشجار. وجمعها فراديس، وأورد الماوردي في تفسيره قول كعب:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أخبر تعالى عن ابتداء الخلق الإنسان من سلالة، وهو آدم خلقه الله من صلصال من حماء مسنون، قال ابن عباس رضي الله عنه : " السلالة صفوة الماء " ، قال مجاهد : " أي: من مني آدم " ، قال ابن جرير: " إنما سُمِّي آدم طيناً، لأنه مخلوق منه، وقال قتادة: "استلَّ آدم من طين، وهذا أظهر في المعنى لأنه، خُلِقَ من طين لازب " (1) كما روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والخبِيث، والطيب وبين ذلك " (2) رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وصححه، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ الضمير عائذٌ على جنس الإنسان، ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعني: الرحم مُعَدُّ لذلك، مُهَيَّأً له، وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾؛ أي: ثم صَيَّرْنَا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل، وهو ظهره، وترائب المرأة، وهي عظام صدرها، ما بين الترقوة إلى التندوة(3)، فصارت علقه حمراء، على شكل العلقه، مستطيلة، وهي دَمٌ ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾، هي قطعة: كالبضعة من اللحم، لا شكل فيها، ولا تخطيط ﴿فَخَلَقْنَا

أنه البستان الذي فيه الأعناب. ينظر إرشاد العقل السليم 293/4، وأنوار التنزيل 526 /1، وتفسير الماوردي 348/3، والجواهر الحسان 39/1، والكشف والبيان 202/6.

1 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ فيه قولان أحدهما: آدم استل من طين ، وهذا قول قتادة ، وقيل : لأنه استل من قبل ربه . والثاني : أن المعنى به كل إنسان ، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، يقول ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وأدم هو الطين؛ لأنه خُلِقَ منه. وعن ابن عباس: قال: صفوة الماء. وعن مجاهد في قول الله ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: من مني آدم. ينظر تفسير الطبري 14/19 وتفسير الماوردي 47/4.

2 - أخرجه أبوداود في سننه 358/4 باب في القدر برقم: 4695، والترمذي في سننه 204/5 سورة البقرة برقم: 2955، وأحمد في مسنده 353/32 حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه برقم: 19582، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3 - يقول القرطبي: عن غير الجوهرية : التندوة للرجل : بمنزلة الثدي للمرأة. وقال الأصمعي : مغرز الثدي. وقال ابن السكيت : هي اللحم الذي حول الثدي إذا ضممت أولها همزت ، وإذا فتحت لم تهمز " . و التندوة: هي لحم الثدي أو أصله، ينظر تفسير القرطبي 6/20. والقاموس المحيط 345/1. ولسان العرب 106/3.

الْمُضَعَّةَ عِظْمًا، يعني: شكلناها ذات رأس، ويدين ورجلين، بعظامها، وعصبها وعروقتها، وقرأ بعضهم: "عَظْمًا" (1)، قال ابن عباس: " وهو عظم الصلب " (2) وفي الصحيح عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كل جسد ابن آدم يُبلى، إلا عَجْبُ الذَّنْبِ، منه خُلِقَ، وفيه يُركب " (3) ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، أي: وجعلنا على ذلك ما يستره، ويشده، ويقويه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾؛ أي: ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك، وصار خلقاً آخر، ذا سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَإِدْرَاكِ وَحَرَكَةٍ واضطرابٍ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، هكذا قال الأكثرون. قال ابن عباس: " أي: ينقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلاً، ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً " (4)، وعن بعضهم نحو ذلك، ولا منافاة. فإن من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات، والأحوال، وعن عبدالله بن مسعود: قال: " مرَّ يهودي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسأله عن شيء لا يعلمه، إلا نبي، قال: فجاء فجلس فقال: يا محمد ممَّ يخلق الإنسان؟ فقال: يا يهودي من كُلِّ يُخْلَقُ من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل: نطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة: فنطفة رقيقة منها اللحم والدم، فقام اليهودي، فقال: هكذا كان يقول من كان قبلك " (5) رواه أحمد. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " يدخل الملك على النطفة، بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة، فيقول: يا رب ماذا - شقي أم

1 - ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضَعَّةَ عِظْمًا﴾ ابن عامر وشعبة عن عاصم ﴿عِظْمًا﴾ : بفتح العين ، وإسكان الظاء من غير ألف بصيغة المفرد فيهما ، وقرأه الباقون : عِظْمًا بكسر العين وفتح الظاء ، وألف بعدها بصيغة الجمع قرئ : عظاما فكسونا العظم . وعظاما فكسونا العظام . وقرأ ابن عامر عِظْمًا على الواحد في الحرفين ، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة .. فقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظم واحدا ليس قبل الميم ألف ، وقرأ الباقون ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم وبكار عن أبان عن عاصم عظاما فكسونا العظام بالألف جميعا " . ، ينظر أضواء البيان 325/5 ، والسبعة في القراءات 444/1 . والكشاف للزمخشري 178/3 ، والكشف والبيان 42/7 .

2 - قال ابن عباس: " وهو عظم الصلب " . لم أرف عليها بهذا اللفظ إلا في تفسير ابن كثير 466/5 .

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 1881/4 سورة النبأ برقم: 4651 بلفظ " ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " ، ومسلم في صحيحه 2270/4 باب ما بين النفتين برقم: 2955 .

4 - وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ ، يعني: ننقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شاباً، ثم كهلاً ثم شيخاً، ثم هرماً . وعن قتادة، والضحاك نحو ذلك . ينظر تفسير ابن كثير 467/5 وتفسير الطبري 18/19، وفي الحاشية: " أي: خلقا مابيننا للخلق الأول، حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيرا وكان أكمه، وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة، فأفرخت عنده قال: يضمن البيضة ولا يرد الفرخ ، لأنه خلق آخر سوى البيضة .

5 - أخرجه النسائي في سننه 339/5 صفة ماء الرجل وماء المرأة برقم: 9075 ، وأحمد في مسنده 437/7 حديث عبدالله بن مسعود برقم: 4438، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 436/8 باب منه برقم: 13901 وعزاه إلى أحمد والطبراني والبخاري بإسنادين وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره وبقيه رجاله ثقات . وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط .

سعيد - ؟ - ذكر أم أنثى - ؟ فيقول الله: ويكتبان ويكتب عمله، وأثره، ومصيبته، ورزقه، ثم تطوي الصحيفة، فلا يزداد على ما فيها، ولا ينقص." (1) رواه مسلم.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة، من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصوّرت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوّي الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: استحق التعظيم، والثناء، وبأنه لم يزل، ولا يزال أحسن المصورين، والمقدّرين، والخلق في اللغة: (التقدير) (2)، وقال مجاهد: " يصنعون ويصنع والله خير الصانعين " (3)، وقال عمر بن الخطاب: " وافقت ربّي في أربع نزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ، فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (4)، رواه ابن أبي حاتم ، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾؛ أي: بعد هذه النشأة الأولى، من العدم، يصيرون إلى الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾، يعني: النشأة الآخرة

1 - أخرجه مسلم في صحيحه 2037/4 باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه برقم: 2644، وأحمد في مسنده 64/26 حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه برقم: 16142، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره 17958/3176 والطبراني في الكبير 176/3 حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه برقم: 3039.

2 - ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق ، قيل: إن ذلك معناه: أحسن المقدرين، أو يكون على تقدير: ما كانوا يعتقدون، ويزعمون: أن غير الله يبدع، فكأنه قيل: فاحسب أن ههنا مبدعين، وموجدين، فإله أحسنهم إبداعاً على ما يعتقدون. كما قال: {خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم} - ﴿ولأمرنهم فليغيرون خلق الله﴾ فقد قيل إشارة إلى ما يشوهونه من الخلقة بالخصاء وتنف اللحية وما يجري مجراه ، وقيل: معناه يغيرون حكمه. والخلق في كلام العرب على وجهين أحدهما: الإنشاء على مثال: أبدعه والآخر: التقدير، وقيل في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ معناه: أحسن المقدرين، وكذلك قوله تعالى: (وتخلقون إفكا)؛ أي: تقدرون كذبا. والخلق: التقدير، فهو باعتبار ما منه وجودها مقدر، وبالإعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق. ومن المجاز: خلق الإفك خلقاً: إذا افتراه، وخلق الشيء خلقاً: ملسه ولينه. ومن المجاز: خلق الكلام وغيره: إذا صنعه اختلاقاً. ينظر تاج العروس 25/251، والمفردات في غريب القرآن 157/1

3 - قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع. وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال: ﴿أَتَىٰ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ (آل عمران - 49) فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. وقال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقاً. ينظر تفسير الطبري 19/19، ومعالم التنزيل 412/5.

4 - في صحيح البخاري 157/1 باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى في غير القبلة برقم: 393 بلفظ: " وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى... وآية الحجاب ... واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربي إن طلقن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ". وفي صحيح مسلم 4/1865 برقم: 2399 جاء بلفظ " وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر ". أما الأثر المذكور فقد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده 46/1 باب الأفراد عن عمر رضي الله عنه برقم: 41 بلفظ " قال عمر رضي الله عنه : « وافقت ربي عز وجل في أربع فقلت : يا رسول الله لو صليت خلف المقام فنزلت الآية ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت : يا رسول الله: لو ضربت على نساءك الحجاب فإنه يدخل عليك البر والفاجر ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ، ونزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ فلما نزلت قلت أنا : تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت، ودخلت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لهن : لتنتهن أو ليبدلن الله بأزواج خير منكن فنزلت الآية ﴿عسى ربه إن طلقن﴾.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (1) يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح، والأجساد، فيحاسب الخلق، ويوفى كل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (١٧).

لما ذكر تعالى خلق الإنسان، عطف بذكر خلق السموات السبع، كما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (2)، فقله: ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ قال مجاهد: "يعني السموات السبع سميت طرائق، لمطارقتها، وهو أن بعضها فوق بعض" (3) وقيل: لأنها طرائق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، أي: كنا لهم حافظين ولأعمالهم حاضرين؛ أي: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (4) فإنه سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل إلا يعلم ما في وعده، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨)
﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١٩)
﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيِّينَ﴾ (٢٠) ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢١) ﴿وَعَلَىٰ الْفُلْكِ تَحْمَلُونَهَا﴾ (٢٢)

قد ذكر الله نعمه على عبده، في إنزاله القطر من السماء، ﴿بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بحسب الحاجة، لا كثيراً، فيفسد الزرع، والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي، والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماءً كثيراً لزرعها، ولا تحمل ديمتها إنزاله المطر عليها، تسوق الماء إليها من بلادٍ إلى أخرى، كما في أرض مصر

1 - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (20) من سورة العنكبوت.

2 - ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية: (57) من سورة غافر.

3 - يقول البغوي: " سبع سموات، سميت طرائق لتطارقتها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض " . أو إذا أطبق نعلاً على نعل ، وطارق بين الثوبين : إذا لبس ثوباً على ثوب قاله الخليل والزجاج والفراء . ينظر اللباب في علوم الكتاب 14/185، ومعالم التنزيل 413/5.

4 - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية: (4) من سورة الحديد.

ويقال لها: الأرض الجُرْز يسوق الله إليها ماء النيل، معه طين أحمر، يجترفه من بلاد الحبشة (1) في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طيناً أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم، ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباح يغلب عليه الرمال، فسبحان اللطيف الخبير، وقوله: ﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب محله في الأرض، وجعل فيها قابلية يشربه، ويتغذى به ما فيها من الحب، والنوى، وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾؛ أي: لو شئنا أن لا يمطر لفعلنا، أو شئنا، [لصرفنا] (2) عنكم إلى السباح، والبراري لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجاً، لا ينتفع به لفعلنا، ولكن بلطفه، ورحمته، ينزل عليكم الماء من السحاب عذباً فُراتاً، فيسكنه في الأرض، ويسلكه ينابيع فيها تفتح العيون، وتجري الأنهار، وتسقى بها الزروع، والثمار، وتشربون منه، ودوابكم، وأنعامكم، وتطهرون به، وتتنظفون فله الحمد، وقوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، يعني: فأخرجنا لكم بما أنزلناه من السماء ﴿جَنَّتٍ﴾؛ أي: بساتين، وقوله: ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؛ أي: فيها نخيل وأعناب، وهذا ما كان يألف، أهل الحجاز (3)، وكذلك في حق كل إقليم، ما عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم، ما يعجزون عن القيام بشكره، وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾؛ أي: من جميع الثمار، كما قال تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ﴾ (4) الآية، وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾، يعني: الزيتون، والطور: هو الجبل، وإنما سُمِّيَ طوراً، إذا كان فيه شجر، فإن عَرِيَ عنها سمي جبلاً، لا طوراً، وهذا الذي كلم الله عليه موسى - عليه الصلاة والسلام - وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون، وقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾، قيل: الباء زائدة؛ أي: تنبت الدهن، وقيل: تقديره، تأتي بالدهن (5)، ولهذا

1 - الحبشة: بلاد الحبشة هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. الحر بها شديد جداً، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون بها قليل. وهم من أكثر الناس عدداً وأطولهم أرضاً، لكن بلادهم قليلة وأكثر أرضهم صحارى لعدم الماء وقلة الأمطار وطعامهم الحنطة والدخن، وعندهم الموز والعنب والرمان، ولباسهم الجلود والقطن. ينظر آثار البلاد وأخبار العباد 6/1 باب الحبشة.

2 - هكذا في المخطوط اللوحة 321/أ. وعند ابن كثير [لصرفناه]، وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 470/5 - الحجاز: حاجز بين اليمن والشام وهو مسيرة شهر، قاعدتها مكة، حرسها الله تعالى، لا يستوطنها مشرك ولا ذمي، كانت تقام للعرب بها أسواق في الجاهلية كل سنة، فاجتمع بها قبائلهم يتفاخرون ويذكرون مناقب آبائهم وما كان لهم من الأيام، ويتناشدون أشعارهم التي أحدثوا. والحجاز بالكسر وآخره زاي: جبل ممتد حال بين العُور غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما. وعمامة منازل بني سليم إلى المدينة فذلك الشق كله حجاز. ينظر آثار البلاد 32/1. ومعجم البلدان 218/2.

4 - ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (11) من سورة النحل

5 - قوله تعالى: ﴿تَنْبِتُ بِالذَّهْنِ﴾، قرأ الجمهور: ﴿تَنْبِتُ﴾ بفتح التاء وضم الباء والتقدير: تنبت ومعها الدهن كما تقول: خرج زيد بسلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء واختلف في التقدير على هذه القراءة التقدير تنبت جناها ومعها الدهن فالمفعول محذوف وقيل: الباء زائدة وأكثر القراء على فتح التاء الأول

قال: ﴿وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ ؛ أي: فيها ما ينتفع به من الدهن، والاصطباغ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كلوا الزيت، وادّهنوا به، فإنه من شجرة مباركة " (1) رواه أحمد ، وفي رواية " انتمدوا بالزيت " (2) ورواه (الترمذي، وابن ماجه) (3) من غير وجه، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ ذكر تعالى ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع، وذلك أنهم يشربون، من ألبانها الخارجة من فرث ودم، يأكلون من لحماتها، ويلبسون من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ويركبون ظهورها، ويحملون الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم، كما قال: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بُلُغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (4) وقوله: ﴿لَعِبْرَةٌ﴾؛ أي: آية تعتبرون بها، ﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ أي: وعلى الإبل من الأنعام في البر ﴿وَعَلَىٰ الْفُلْكِ﴾، في البحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّا يَتَّبِعُونَهُ بِهٖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

من قوله تنبت وضم بائه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء ولها وجهان : أحدهما : أن الباء فيه زائدة كما يقال : أخذت ثوبه وأخذت بثوبه . والوجه الآخر : أنهما لغتان بمعنى واحد نبت وأنبت. { تنبت } يقرأ بضم التاء وكسر الباء وفيه وجهان: أحدهما: هو متعد، والمفعول محذوف تقديره (تنبت ثمرها) أو جناها والباء على هذا حال من المحذوف، أي: وفيه الدهن كقولك خرج زيد بثيابه وقيل الباء زائدة فلا حذف إذا بل المفعول الدهن، والوجه الثاني: هو لازم، يقال: (نبت البقل) وأنبت بمعنى فعلى، هذا الباء حال، وقيل هي مفعول، أي: (تنبت) بسبب الدهن، ويقرأ: بضم التاء وفتح الباء، وهو معلوم، ويقرأ بفتح التاء وضم الباء وهو كالوجه الثاني. التبيان للعكبري 952/2، وتفسير القرطبي 115/12. والكشف والبيان 44/7.

1 - أخرجه النسائي في سننه 163/4 باب الزيت برقم: 7602، والترمذي في سننه 285/4 باب ما جاء في أكل الزيت برقم: 1852، وأحمد في مسنده 449/3 حديث أبي أسيد رضي الله عنه برقم: 16054، والحاكم في مستدرکه 399/2 برقم: 3504 ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وله شاهد آخر بإسناد صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه ، إنما نعرفه من حديث سليمان الثوري عن عبد الله بن عيسى.

2 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1103/2 باب الزيت برقم: 3319، واليزار في مسنده 397/1 حديث أسلم مولى عمر عن علي رضي الله عنهم برقم: 275، والحاكم في مستدرکه 122/4 برقم: 7142، والبيهقي في شعب الإيمان 100/5 فصل في إيمان تلاوة القرآن برقم: 5539، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

3 - أخرجه الترمذي 294/3 رقم: 962 بلفظ: " أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يدهن بالزيت وهو محرم غير المقتت " ، وقال: المقتت: المطيب، وقال: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث فرقد السبخي، وقد تكلم يحيى بن سعيد في فرقد السبخي وروى عنه الناس. وابن ماجه في سننه 1030/2 باب ما يدهن به المحرم برقم: 3083، وأورده الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي 462/2 برقم: 962. وضعيف ابن ماجه 83/7 برقم: 3083.

4 - الآية: (7) من سورة النحل

أخبر تعالى عن نوح حين بعثه الله إلى قومه، لينذرهم عذاب الله، وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشرك به، وخالف أمره، وكذب رسله، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لا تخافون في إشراكم به، فقال: الملائكة، وهم السادة، والأكابر منهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يترفع ويتعظم بدعوى النبوة، وهم بشر مثلكم، فكيف أوحى إليه دونكم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾؛ أي: لو أراد أن يبعث نبياً، لبعثه ملكاً من عنده، ولم يكن بشراً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي: يبعثه البشر، ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾؛ أي: أسلافهم، وأجدادهم، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾؛ أي: مجنون، فيما يزعمه من الله أرسله إليكم واختصه من بينكم، بالوحي ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: انتظروا ريب المنون واصبروا عليه مدة، حتى تستريحوا منه، بموته.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ۖ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فِإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۗ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ۗ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۗ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۗ﴾.

أخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه استنصاراً على قومه، فأمره الله تعالى بصناعة السفينة، وإحكامها، وإتقانها، وأن يحمل فيها ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، أي: ذكر، أو أنثى، من كل صنف، من الحيوانات، والنباتات، والثمار، وغير ذلك، وأن يحمل فيها أهله، إلا من سبق عليه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به، من أهله، كابنه، وزوجته، وقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: عند معاينة إنزال المطر العظيم، لا تأخذ بقومك رافة، وشفقة عليهم، وطمع في تأخيرهم، لعلهم يؤمنون، فإني قد قضيت أنهم مغرِقون، على ما هم عليه، من الكفر والطغيان، وقد سبق القصة، مبسوطه في سورة هود⁽¹⁾، وقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين وقد امتثل نوح أمر الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا

¹ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَلِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۗ﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ۗ﴾ من سورة هود.

﴿وَمُرْسَلَهَا﴾⁽¹⁾، فذكر الله، عند ابتداء سيره، وعند انتهائه، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا﴾، فالبركة في السفينة: النجاة، وفي النزول بعد الخروج: بركة النسل من أولاده الثلاثة، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، هو كقوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: أن في هذا الصنيع: وهو إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين، ﴿لَآيَاتٍ﴾؛ أي: لحجج، ودلالات واضحات على صدق الأنبياء، فيما جاءوا به عن الله تعالى، وأنه فاعل لما يشاء، قادر على كل شيء، عليم بكل شيء، وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾؛ أي: لمختبرين للعباد، بإرسال المرسلين.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^(٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ^(٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ^(٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ^(٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ^(٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ^(٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ^(٣٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ^(٣٨) قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي^(٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ^(٤٠) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَابًا فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٤١)

أخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح، قرناً آخر، قيل: المراد بهم (عاد)⁽³⁾ فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم، وقيل المراد بهؤلاء (ثمود) لقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾، وأنه تعالى أرسل فيهم، رسولا منهم، فدعاهم الله إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكذبوه، وخالفوه، وأبوا من إتباعه، لكونه بشراً مثلهم، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري، وكذبوا بقاء الله في القيامة، وأنكر المعاد الجناني، وقالوا: ﴿أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ؛ أي: بعيداً بعيداً ذلك

1 - ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥١) من سورة هود .

2 - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلْفَهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ الآية: (64)

من سورة يوسف .

3 - (عاد): منهم العمالقة. سكنوا اليمن وأرسل عليهم هوداً عليه السلام. 2 - (ثمود): أقامت بين الشام والحجاز. كان مسكنهم بالحجر وهي مدينة بين المدينة الشريفة والشام وبنبيهم صالح عليه السلام. ينظر الأنس الجليل 45/1، وتاريخ المدينة 297/1، وعشائر العراق 11/1 .

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: مما جاءهم من الرسالة، والندارة والإخبار بالمعاد ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾؛ أي: استفتح عليهم الرسول، واستنصر ربهم عليهم، فأجاب دُعَاؤَهُ، قال: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾، أي: من مُخَالَفَتِكَ، وَعِنَادِكَ، فيما جنتهم به، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: وكانوا يستحقون ذلك من الله، لكفرهم، وعنادهم، وطغيانهم، والظاهر أنه اجتمع صيحه، مع الريح الصرصر، العاصف، القوي، الباردة، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَاءً﴾؛ أي: صرعى هلكى، كغناء السيل، وهو الشيء الحقير الهالك، لا ينتفع بشيء منه، ﴿فَبُعِدَّا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، كقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾؛ أي: بكفرهم، وعنادهم، ومخالفتهم الرسول.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾⁽²⁾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعِدَّا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

أي: أنشأنا بعد انقراضهم أُمَّةً، وخلائق ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ بل يؤخذون حسب ما قدر لهم في الكتاب المحفوظ، وعلمهم قبل كونهم، أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن، وخلفاً بعد سلف ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ﴾، يعني يتبع بعضهم بعضاً ، وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ﴾، يعني: جمهورهم، وأكثرهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾، أي: أهلكتناهم متعاقباً، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ أي: أخباراً، وأحاديث للناس يتحدث من بعدهم، بأمرهم، وشأنهم [﴿فَبُعِدَّا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾]⁽³⁾؛ أي: أبعدهم الله من رحمته.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾⁽⁴⁾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٥﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٦﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

1 - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الآية: (76) من سورة الزخرف.
2 - ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية: (11) من سورة الحجر .
3 - [﴿فَبُعِدَّا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾] وهذا خطأ أورده المصنف، أو لعله يكون من الناسخ، وهو الأرجح، والصواب: قوله تعالى: ﴿فَبُعِدَّا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهو السياق الصحيح لترتيب الآيات.

أخبر تعالى أنه أرسل رسوله موسى، وأخاه هارون إلى فرعون، وملأه بالآيات والحجج القاطعات، وأن فرعون، وقومه استكبروا عن اتباعهما، والانتقيا لأمرهما لكونهما بشرين، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون، وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين، وأنزل على موسى الكتاب، وهو التوراة فيها أوامره، ونواهيته، وذلك بعدما قصم الله فرعون، وأتباعه وبعد أن أنزل التوراة، لم يهلك أمة بعامته، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ (1) الآية. ثم قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

أخبر تعالى عن عيسى، وأمه عليهما السلام، وأنه جعلهما آية للناس؛ أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب، ولا أم، وخلق حواء من ذكر، بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى، بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال ابن عباس: " الربوة: المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات " (2) وذات قرار؛ أي: ذات خصب، والمعين: الماء الطاهر الصافي الجاري، واختلفوا أن هذه الربوة في أي أرض هو؟ قال ابن زيد: " ليس الرُّبَا إلا بمصر، عليها القرى، ولولا الرُّبَى، لغرقت القرى "، وقال ابن المسيب: " هي دمشق، وما حولها " (3)، وعليه الأكثر، وقيل: هي (الرملة) (4) من فلسطين، كما ورد في الحديث الغريب، أنه - عليه الصلاة والسلام، قال للرجل: " إنك تموت بالربوة، فمات بالرملة " (5)، وأقرب الأقوال ما

1 - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية: (43) من سورة القصص.

2 - الربوة: ما ارتفع من الأرض وفيها قولان: أحدهما: أنها لا تسمى ربوة إلا إذا اخضرت بالنبات وربت والثاني: تسمى ربوة وإن لم تكن ذات نبات، وفي المراد بها هنا أربعة أقاويل أحدها: الرملة، قاله أبو هريرة والثاني: دمشق، قاله ابن جبير. والثالث: مصر، قاله ابن زيد. والرابع: بيت المقدس. قاله قتادة. ينظر تفسير الماوردي 55/4. ومختار الصحاح 98/1.

3 - روى سفيان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: هي دمشق. ويقول البغوي في تفسيره: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾؛ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿وَمَعِينٍ﴾ فالمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، ينظر تفسير سفيان الثوري 216/1، ومعالم التنزيل 419/5.

4 - الرملة: إحدى مدن الشام وهي مدينة عامرة بها أسواق وتجارات ودخل وخرج، ومنها إلى يافا التي على ساحل البحر نصف يوم، ومن الرملة إلى نابلس يوم، ومنها إلى قيسارية مرحلة. الرملة واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبته قد خربت الآن وكانت رباطا للمسلمين. ينظر الروض المعطار 25/1، ومعجم البلدان 69/3.

5 - ينظر كنز العمال 404/12 باب المعجزات ودلائل النبوة برقم: 34534 بلفظ " عن الاقرع بن شفي العكي قال: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم في مرضي يعودني فقلت: لا أحسب إلا أني ميت من مرضي، قال: كلا لتبقين ولتهاجر إلى أرض الشام وتموت وتدفن بالربوة من أرض فلسطين، فمات في خلافة عمر ودفن بالرملة. وفي معجم الصحابة لابن قانع 166/1 برقم: 98 جاء بلفظ " كلا لتبعثن وتهاجرن إلى الشام فتموت

قال ابن عباس رضي الله عنه : " المعين: الماء الجاري " (1)، وهو النهر الذي قال الله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ (2)، وعن قتادة: أن الربوة (3): هي بيت المقدس " (4)، وهذا هو الأظهر، لما جاء في (آية أخرى) (5) وثبته الأحاديث الصحيحة (6).

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

أمر تعالى عباده المرسلين بأكل الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال ، فإن الحلال عون على العمل الصالح، فقاموا بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير قولاً، وعملاً ونصحاً، قال الحسن البصري: " أما والله ما أمرُوا بأصفركم، ولا أحمركم، ولا حلوكم، ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه " (7)، وكان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه، وفي الصحيح أن رسول الله -

وتدفن بها " . وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم 275/3 باب دار الأرقم برقم 986 جاء بلفظ " كلا لتبقين ولتهاجر إلى أرض الشام ، وتموت ، وتدفن بالربوة من أرض فلسطين " .

1 - عن ابن عباس: ﴿وَمَعِينٌ﴾ قال: المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ . تفسير الطبري 38/19.

2 - ﴿فَنَادَلَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ الآية: (24) من سورة مريم.

3 - عن قتادة قال: هو بيت المقدس، وعنه أيضاً : كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. ويقول ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء ، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. ينظر تفسير الطبري 38/19.

4 - بيت المقدس: ويقال لها أيليا بفتح الهمزة، مدينة بالشام وهي مدينة قديمة جليلة على جبل يصعد إليها من كل جانب، وهي طويلة من المغرب إلى المشرق، وفي طرفها الغربي باب البحر وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام، وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون إلى مثله، وفي المشرق منها زقاق شارع إلى الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة. ينظر الروض المعطار 68/1.

5 - وهو قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : (شرقياً)؛ أي: خرجت من أهلها مكاناً شرقياً، قال: كانت خرجت من بيت المقدس مما يلي المشرق. وقيل: اعتزلتهم وتحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس. ينظر أضواء البيان 385/3، والدر المنثور 495/5، وتفسير ابن كثير 219/5.

6 - أورد ابن جرير في تفسيره 37/19، قول أبي هريرة: " الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ﴿وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ . والطبراني في الأوسط 8/7 باب من اسمه محمد برقم: 6694 بلفظ " عن مرة البهزي قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: الرملة: الربوة " . وقال: "لا يروى هذا الحديث عن مرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عباد بن عباد " . وفي الكبير 317/20 برقم: 754 . بلفظ " وحدثنى أن الرملة هي الربوة ذلك أنها مغربة ومشرقة " . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 147/7 باب

سورة المؤمن برقم: 11188، وعزاه إلى الطبراني ، وقال: وفيه من لم أعرفهم.

7 - عن الحسن في قول الله : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: اما انه لم يذكر أحمركم وأصفركم ، ولكنه قال : تنتهون إلى حلاله . وروى عن مقاتل نحو ذلك . ينظر تفسير ابن أبي حاتم 1515/282.

صلى الله عليه وسلم - قال : " ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا : وأنت يا رسول الله؟ ، قال : نعم أرهاها على قراريط لأهل مكة " (1)، وفيه أن داود كان يأكل من كسب يده " (2)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله طيبٌ، لا يقبل إلا طيباً، وأن الله أمر المؤمنين، بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (3)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يارب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ " (4) رواه مسلم. وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: دينكم يا معشر الأنبياء، دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولهذا قال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾، وقد تقدم الكلام عليه في سورة الأنبياء (5) وأن قوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ منصوب على الحال، وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾؛ أي: الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أي: مسرورون بما هم فيه من الضلال، لأنهم يحسبون أنهم مهتدون، ولهذا قال متهدداً لهم: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ﴾؛ أي: في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي إلى حين هلاكهم، وموتهم، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: أتظن هؤلاء المغرورون، أن ما نعطيهم من الأموال، والأولاد، لكرامتهم علينا، وقبولهم عندنا، كلا ليس الأمر كما يظنون، ويزعمون في قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (6) لقد [أخطأوا] (7) في ذلك، وخاب رجائهم، بل إنما يفعل ذلك بهم استدراجاً وإنظاراً، وإمهالاً، ولهذا قال: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ (8) الآية، وغيرها من الآيات الدالة عن استدراج حالهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب،

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 789/2 باب رعي الغنم على قراريط برقم: 2143، وابن ماجه في سننه 727/2 باب الصناعات برقم: 2149، والبيهقي في السنن الكبرى 118/6 باب جواز الإجارة برقم: 11421.
2 - أخرجه البخاري في صحيحه 730/2 باب كسب الرجل وعمله بيده برقم: 1966، والطبراني في الصغير 33/1 باب من اسمه أحمد برقم: 17 بلفظ " كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من كسب يده "، وقال : " لم يروه عن الأوزاعي إلا الوليد ، تفرد به ابن أبي السري.
3 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (172) من سورة البقرة.
4 - أخرجه مسلم في صحيحه 336/6 باب قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم: 2393، والترمذي في سننه 220/5 باب سورة البقرة برقم: 2989، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وإنما نعرفه من حديث فضيل بن مرزوق و أبو حازم هو الأشجعي اسمه سلمان مولى عزة الأشجعية.
5 - إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (92) من سورة الأنبياء.
6 - ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (35) من سورة سبأ .
7 - ينظر اللوحة رقم: 323/أ، وعند ابن كثير: [أخطأوا]. وهو الصواب. تفسير ابن كثير 479/5.
8 - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الآية (55) من سورة التوبة.

ولا يعطي الدين إلا من يُحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفس محمد بيده، لا يُسلم عبداً، حتى يُسلم قلبه، ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره يوافقه، قالوا: وما يوافقه يا رسول الله؟، قال: غشمه، وظلمه، ولا يكسب عبداً مالاً من حرام، فينفق منه، فيبارك له فيه، ولا يتصدق به، فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره وإلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث، لا يمحو الخبيث⁽¹⁾ رواه أحمد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٨٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن: " إن المؤمن جمع إحساناً، وشفقةً، أي: خوفاً وإن المنافق جمع إساءةً، وأمناً⁽²⁾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يؤمنون بآياته الكونية، والشرعية، كما قال تعالى إخباراً عن مريم: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾⁽³⁾؛ أي: أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيراً، فهو حق، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه، لا إله إلا الله أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً لا ولداً، وأنه لا نظير له ولا [كفو له]⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾؛ أي: يعطون العطاء، وهم خائفون وجلون، أن لا يقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما روت عائشة [رضي الله عنها] أنها قالت: " يا رسول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، يا رسول الله، هو الذي يسرق، ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله، قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصلي، ويصوم، ويتصدق، وهو يخاف

¹ - أخرجه أحمد في مسنده 189/6 مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 3672، والحاكم في مستدرکه 82/4 باب البر والصلة برقم: 7301، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 213/1 باب في الإسلام والإيمان برقم: 164، وعزاه إلى أحمد وقال: رجال أحمد اسناده بعضهم مستور وأكثرهم ثقات. وقد ورد الحديث بطرق أخرى وبألفاظ أخرى.

² - قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقةً، وإن المنافق جمع إساءةً وأمناً. ينظر تفسير ابن كثير 480/5، وتفسير الطبري 45/19. ومعالم التنزيل 421/5.

³ - ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ ﴿الآية: (12) من سورة التحريم

⁴ - اللوحة: 323/أ، وعند ابن كثير [كفء له]، وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 480/5.

الله" (1) وفي رواية: " ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ " (2) رواه أحمد، والترمذي، وقرأ بعضهم: (3) ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾؛ أي: يفعلون ما يفعلون، وهم يخافون" وروى هذا مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - " (4) أنه قرأ كذلك. والمعنى على القراءة الأولى، وهي قراءة الجمهور السبعة، وغيرهم أظهر، لأنه قال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سُبُقُونَ﴾، فجعلهم من السابقين، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى، لأوشك أن لا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدین، أو المقصرين، (والله أعلم).

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٣٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٣٤﴾ لَا تَجْعَرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٣٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ﴿٣٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٣٧﴾ .

أخبر تعالى عن عدله، وشرعه على عباده، في الدنيا، أنه ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: إلا ما تطيق حمله، والقيام به، وأنه يوم القيامة، يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور، لا يضيع منه شيء، ولهذا قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾، يعني: كتاب الأعمال ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يبخسون من الخير شيئاً، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين، ثم قال

1 - أخرجه أحمد في مسنده 156/42 حديث السيدة عائشة رضي الله عنها برقم: 25263.
2 - أخرجه الترمذي في سننه 327/5 سورة المؤمنون برقم: 3175، وسكت عنه، وأبو يعلى في مسنده 315/8 مسند السيدة عائشة رضي الله عنها برقم: 4917، والطبراني في الأوسط 198/4 باب من اسمه علي برقم: 3965. وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا.
3 - عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يقول: يعملون خائفين. وقرأت عائشة رضي الله عنها، وابن عباس، والنخعي ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾ مقصوراً من الإتيان. قال الفراء: ولو صحت هذه القراءة عن عائشة لم تخالف قراءة الجماعة. يروى عن عمير بن عبيد سأل عائشة رضي الله عنها: " كيف كان رسول الله يقرأها؟، قالت: آية آية؟ قال: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾؟ أو ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾؟ فقالت: أيتها أحب إليك، قلت: والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً، قالت: أيهما قلت: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾، فقالت: أشهد أن رسول الله كذلك كان يقرأها، وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حُرِّفَ ". ينظر الإتيان في علوم القرآن 541/1، وتفسير الطبري 46/19، وتفسير القرطبي 132/12،
4 - أخرجه أحمد في مسنده 185/41 حديث عائشة رضي الله عنها برقم: 24641، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 174/7 باب سورة المؤمنون برقم: 11189، وعزاه إلى أحمد وقال: وفيه اسماعيل بن مسلم وهو ضعيف.

منكراً على مشركي قريش: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾؛ أي: غفلة، وضلالة ﴿مِنْ هَذَا﴾؛ أي: القرآن، الذي أنزله الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾؛ أي: سيئة غير ذلك، يعني الشرك ﴿هُم لَهَا عَمَلُونَ﴾؛ أي: لا بد أن يعملوها قاله ابن عباس وموافقوه⁽¹⁾، وقال غيرهم: أي: قد كتب عليهم أعمال سيئة، لا بد أن يعملوها، قبل موتهم، لا محالة، ليحق عليهم كلمة العذاب، وهذا قوي حسن، كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " فو الذي لا إله غيره، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما تكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها"⁽²⁾، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾، يعني: حتى إذا جاء مترفيهم، وهم السعداء المتنعّمون، في الدنيا عذاب الله، وبأسه ونقمته بهم، ﴿إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾ أي: يصرخون: ويستغيثون، وقوله: ﴿لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تَتَصَرَّوْنَ﴾؛ أي: لا تمنعون منا، ثم ذكر تعالى أكبر ذنوبهم، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾؛ أي: إذا دُعيتم أبيتم وإن طلبتم امتنعتم، ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سُمِرًا تَهْجُرُونَ﴾، قيل: في تفسيره قولان⁽⁴⁾: أحدهما: أن مستكبرين حال منهم، حين نكوصهم عن الحق، وإبائهم إيّاه، واستكباراً عليه واحتقاراً له، ولأهله فعل هذا في الضمير في (به) ثلاثة أقوال: (أحدها): أنه للحرم بمكة ذماً، لأنهم كانوا يسمرون الهجر من الكلام، (والثاني): هو ضمير القرآن، كانوا يسمرون القرآن، بالهجر من الكلام، إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة، إلى غير ذلك من الأباطيل، (والثالث): أنه - صلى الله عليه وسلم - كانوا يذكرونه في سمرتهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، كما سبق من أنه " ساحر مجنون

1 - قال ابن عباس: ولهم أعمال من دون ذلك يقول: أعمال سيئة دون الشرك هم لها عاملون قال: لا بد لهم من أن يعملوها. وقال مجاهد: لا بد لهم أن يعملوها، قال قتادة ومجاهد: أي لهم خطايا لا بد أن يعملوها من دون الحق. وقال الحسن وابن زيد: المعنى ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه، لا بد أن يعملوها دون أعمال المؤمنين، فيدخلون بها النار ينظر تفسير الطبري 50/19، وتفسير القرطبي 134/12. والدر المنثور 107/6.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 2713/6 باب لا يقول فلان شهيد برقم: 7016، ومسلم في صحيحه 106/1 باب تحريم قتل الإنسان نفسه برقم: 179. بلفظ " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة".

3 - ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (12) من سورة غافر

4 - يقول الماوردي: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾؛ أي: بحرمة الله، ألا يظهر عليهم فيه أحد، وهو قول ابن عباس والحسن، ومجاهد، وقتادة. ويحتمل وجهاً آخر: مستكبرين بمحمد أن يطيعوه، وبالقرآن أن يقبلوه. اختلفوا في هذه الكناية، فأظهر الأقبول أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام، وتعظيمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته، فلا يظهر علينا أحد، ولا نخاف أحداً، فيؤمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد، وجماعة، وقيل: "مستكبرين به" أي: بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول أظهر. ينظر تفسير البغوي 423/5، وتفسير الماوردي 59/4

شاعر" (1)، وكل ذلك باطل، بل هو عبد الله ورسوله، الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء، وقيل: مستكبرين بالبيت، يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياء الله، وأهل حرمه، وجيران بيته، فلا يظهر عليهم أحد، والمراد: أنهم كانوا يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ويفحشون، وأصل الهجر: الفحش، والشروع في الباطل.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَتَكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ .

أنكر تعالى على المشركين، في ترك تفهمهم للقرآن، وتدبرهم فيه، وإعراضهم عنه مع أنهم، قد خُصُّوا بهذا الكتاب، ولم يبلغ آباءهم الذين ماتوا في الجاهلية، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا تلك النعمة، بقبولها، والقيام بشكرها، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم، واتبع الحق، أي: أفلم يدبروا ما جاءهم من القول، وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالة على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - ، قال قتادة : " لو تدبره القوم، وعقلوه، لوجدوه مُزاجراً عن المعاصي، ولكن أخذوا بما تشابهه، فهلكوا " (2)، ثم قال تعالى منكرأ على مشركي قريش: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أفهم لا يعرفون محمداً، وصدقه، وأمانته، وصيانتها، التي نشأ بها فيهم؟ أفيقدرون على إنكار ذلك، والمباهة فيه؟ (3)، ولهذا قال جعفر بن أبي طالب: (4).

1 - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الآية (52) من سورة الذاريات. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42)﴾ من سورة الحاقة.

2 - عن قتادة في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ قال : اذا والله كانوا يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه عند ذلك. ينظر الدر المنثور 110/6، وتفسير الطبري 179/22.

3 - في الحاشية: " وحسن خلقه وكمال علمه مع عدم التعلم وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش". اللوحة: 323/ب.

4 - جعفر بن أبي طالب: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو علي بن أبي طالب لأبويه ، وهو جعفر الطيار ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا ، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل روي أن أبا طالب رأى النبي وعلياً رضي الله عنهما يصليان ، وعلي عن يمينه ، فقال لجعفر رضي الله عنه: صل جناح ابن عمك ، قيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنسانا ، وله هجرتان : هجرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة ،

للنجاشي⁽¹⁾ ملك الحبشة: " أيها الملك إن الله قد بعث إلينا رسولاً، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته "، وكذا قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لنائب كسرى، حين بارزهم وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ، هذا حكاية قول المشركين في شأنه، - عليه الصلاة والسلام - أنه تقوّل القرآن، أي: افتراه من عنده، وأن به جنوناً، لا يدري ما يقول وأخبر تعالى عنهم، أن قلوبهم لا تؤمن به، وهم يعلمون بطلان ما يقولون به، فإنهم قد أتاهم من كلام الله ما لا يدافع، وأن جميع أهل الأرض، عجزوا أن يأتوا بمثل سورة قصيرة منه⁽²⁾، ولهذا قال: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ﴾ يجوز أن يكون الواو حالية، وأن يكون للاستئناف، " روي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقي رجلاً فقال له: أسلم، فقال الرجل: إنك لتدعوني إلى أمر أنا له كاره، فقال - عليه الصلاة والسلام -: وإن كنت كارهاً " ⁽³⁾ وقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ، قال مجاهد وغيره: " الحق هو الله " ⁽⁴⁾ أي: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك، ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ؛ أي: لفساد أهوائهم، واختلافها، كما أخبر عنهم في قولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْنَيْنِ عَظِيمٍ﴾، ثم قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ⁽⁵⁾، وفيه بيان لعجز العباد، واختلاف آرائهم، وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته، وأقواله، وأفعاله، وأحواله، ثم قال: ﴿بَلْ أَنْتَهُم بِذِكْرِهَمْ﴾

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه: ابنه عبد الله وبعض أهله وأم سلمة وعمرو بن العاص وابن مسعود، استشهد يوم مؤتة سنة 8 هـ، نعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم. ينظر أسد الغاية 421/1 رقم: 757، وتهذيب التهذيب 83/2 رقم: 146 والثقات 49/3 حرف الجيم رقم: 166، والجرح والتعديل 482/2.

1 - النجاشي: أصحابه بن أبحر النجاشي ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر إليه وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاطه قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي بالمدينة وكبر عليه أربعة وأصحمة اسمه والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقبصر للروم. قيل أنه توفي في عام 9 هـ. ينظر أسد الغاية 153/1 رقم: 188، والإصابة 205/1 باب الألف بعدها الصاد رقم: 473.

2 - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (23) من سورة البقرة.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 117/19 حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم: 12061، وأبو يعلى في مسنده 471/6 حديث حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما برقم: 3879، والهيثمي في مجمع الزوائد 554/5 باب عرض الإسلام والدعاء إليه قبل القتال برقم: 9583، وعزاه إلى أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

4 - الحق هو الله، قاله ابن جريج، والسدي، وسفيان الثوري، ومجاهد، ومقاتل. ينظر تفسير ابن جريج 57/19، وتفسير البغوي 424/5، وتفسير الثوري ص/217، وتفسير السدي ص/359، وتفسير الطبري 57/19 وتفسير القرطبي 140/12.

5 - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْنَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ٢٣ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٢٤ من سورة الزخرف.

يعني: القرآن، ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾؛ أي: أجراً، وجُعلاً ﴿فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: أنت لا تسألهم أجرة، ولا جُعلاً، ولا شيئاً على دعوتك إياهم على الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه، كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾⁽¹⁾، إن أجري إلا على الله، ونحوه من الآيات، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ عن ابن عباس: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه فيما يرى النائم ملكان [؟] ⁽²⁾، فقال: إن مثله ومثل أمته، [كمثل قوم استبقوا]⁽³⁾ إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك، إذ أتاهم رجل في (حُلَّةِ حَبْرَةٍ)⁽⁴⁾، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً مُعَشَّبَةً، وحياضاً رِوَاءً تتبعوني؟ فقالوا: نعم، قال: فأنطلق بهم، فأوردتهم رياضاً مُعَشَّبَةً، وحياضاً رِوَاءً، فأكلوا، وشربوا وتسمنوا، فقال لهم: ألم ألقمكم على تلك الحال؟ فجعلتم لي إن وردت لكم رياضاً مُعَشَّبَةً، وحياضاً رِوَاءً أن تتبعوني، فقالوا: بلى، فقال: إن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني، قال: فقالت طائفة: صدق، والله لنتبعنّه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا، فنقيم عليه ⁽⁵⁾ رواه أحمد، وقوله: ﴿لَنَكُوبُونَ﴾؛ أي: لعادلون، جائرون، منحرفون، تقول العرب: نكب فلان عن الطريق، إذا زاغ عنها، وقوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، أخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم، بأنه لو أراح الله عنهم، وأفهمهم القرآن لما انقادوا، ولا استمروا على كفرهم، وطغيانهم، وضلالهم، ولم ينزعوا عنه، كما قال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾⁽⁶⁾ الآية، وغيرها من الآيات، فهذا من باب علمه تعالى ألا يكون لو كان كيف كان يكون.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

1 - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ إنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿47﴾ من سورة سبأ.
2 - سقط من المتن وهو في الحاشية في اللوحة رقم: 324/أ: [فقد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته. فقال: إن مثله ومثل أمته]. ينظر تفسير ابن كثير 485/5.
3 - هكذا في المتن، اللوحة رقم: 324/أ، وعند ابن كثير: [كمثل قوم سُفِرَ انتهبوا]. ينظر تفسير ابن كثير 485/5.
4 - حَبْرَةٌ بوزن عَنَبَةٍ: وهو بُرْدٌ يَمَانٍ والجمع حَبْرٌ وحَبْرَاتٌ. ينظر النهاية في غريب الحديث 871/1.
5 - أخرجه أحمد في مسنده 228/4 مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنه برقم: 4202، والحاكم في مستدرکه 439/4 كتاب تعبير الرويا برقم: 8200، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والمفازة: واحدة المفاز، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز وأصل المفازة مهلكة فتفاءلوا بالسلامة، والمفازة: إذا كانت ليلتين أو أكثر لا ماء فيها، وأما الليلة واليوم فلا يعدّ مفازة. وسميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز. ينظر لسان العرب 392/5.
6 - ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (23) من سورة الأنفال.

وَالْأَفْعِدَّةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا
هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٨٣﴾

أي: قد ابتليناهم بالمصائب، والشدائد ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أي: فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر، والمخالفة، بل استمروا على ضلالهم، وغيهم ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾
أي: ما خشعوا، وما تضرعوا إلى ربهم بالدعاء، بل مُصرّاً على تمردهم قال ابن عباس: جاء أبو سفيان رضي الله عنه (1) إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا محمد، أنشدك الله، والرحم (2)، فقد أكلنا العلهز؛ أي: الوبر، والدم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ الآية. هكذا رواه النسائي (3)، وأصل هذا الحديث في الصحيحين "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا على قريش حين استعصوا ، وقال: اللهم أعني بسبع، كسبَع يوسف" (4) وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ﴾ ، أي: حتى إذا جاءهم أمر الله، وجاءتهم الساعة بغتة، وأخذهم من عذاب الله، ما لم يكونوا يحتسبون، فعند ذلك ألبسوا من كل خير، وأيسوا من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم، ثم ذكر تعالى نعمه على عباده، بأن جعل لهم السمع، والأبصار، والأفئدة، وهي العقول، والفهوم، التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بما يكون من الآيات الدالة على وحدانيته تعالى، وأنه الفاعل المختار لما يشاء، وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: وما أقلَّ الله على ما أنعم به عليكم، ثم أخبر عن قدرته العظيمة في

1 - أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس أبو سفيان القرشي الأموي، وهو والد معاوية وله كنية أخرى: أبو حنظلة، بابنه حنظلة الذي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر كافراً، وأمه صفية بنت حزن عمة ميمونة بنت الحارث زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح، وشهد حنيناً والطائف، وفتنت عين أبي سفيان يوم الطائف وقيل: إن عين أبي سفيان الأخرى فتنت يوم اليرموك، ولما عمى أبو سفيان كان يقوده مولى له، روى أبو سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه: ابن عباس، وقيس بن حازم، وابنه معاوية ومات بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد أُخْتَلِفَ في سنة موته (31 هـ، 32 هـ، 33 هـ). ينظر الاستيعاب 714/2 رقم: 1206، وأسد الغابة 10/3 رقم: 2473، والإصابة 412/3 رقم: 4050.

2 - في الحاشية: أنشدك الله: أي أذكرك الله والرحم وسألتك بهما. اللوحة 324/ب.

3 - أخرجه النسائي في سننه 413/6 تفسير سورة المؤمنون برقم: 11352، والحاكم في مستدرکه 428/2 تفسير سورة المؤمنون برقم: 3488، وقال: هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه، والهيثمي في مجمع الزوائد 175/7 باب سورة المؤمنون برقم: 11191، وقال: " وفيه علي بن الحسين بن واقد وثقه النسائي وغيره وضعفه ابو حاتم ".

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 341/1 باب الدعاء على المشركين برقم: 962، وكذلك 1791/4 تفسير سورة الروم برقم: 4496، ومسلم في صحيحه 2155/4 باب الدخان برقم: 2798.

برئه الخليقة، وخلقهم لهم في سائر أقطار الأرض، على اختلاف أجناسهم وصفاتهم، ولغاتهم ، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم، والآخرين، فلا يترك منهم صغيراً، ولا كبيراً، إلا أعاده كما بدأه، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾؛ أي: يحيي الرمم، ويميت الأمم، ﴿ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾؛ أي: وعن أمره تسخير الليل، والنهار كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً، يتعاقبان، لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم، الذي قد قهر كل شيء، ثم قال مخبراً عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾؛ أي: يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، يعنون: الإعادة محال، إنما يُخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين، واختلاقهم ، وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿ إِذْ كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ﴿ ١١ ﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿ ١٢ ﴾ ﴾ (1) الآية.

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٤ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٥ ﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ ٨٦ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ ٨٧ ﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٨ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿ ٨٩ ﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ٩٠ ﴾ .

ألزم تعالى الخلائق، ليقروا بوحدانيته، واستقلاله بالخلق، والتصرف، والمُلك ليرشدوا إلى أنه لا إله إلا هو، ولهذا قال لرسوله - عليه الصلاة والسلام - : " أن يقول للمشركين المعاندين المعترفين له بالربوبية، ومع هذا قد أشركوا معه الآلهة فعبدها مع اعترافهم أنهم، لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون شيئاً، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى، ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾؛ أي: مَنْ مَالِكُهَا الَّذِي خلقها، وَمَنْ فِيهَا، والحيوانات، والنباتات، والثمرات، وسائر صنوف المخلوقات ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾؛ أي: فيعترفون لك، بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك، قل: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، أنه لا يليق العبادة، إلا للخالق الرازق، لا لغيره ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ﴾؛ أي: من هو خالق العالم العلوي، بما فيه من الكواكب النيرات، والملائكة الخاضعين له في سائر أقطارها، ومن هو رب العرش العظيم، يعني الذي هو سقف المخلوقات، كما جاء في سنن أبي داود عن رسول الله

1 - الآيات: (11) - (12) من سورة النازعات.

- صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " شأن الله أعظم من ذلك، أن عرشه على سماواته هكذا، وأشار بيده، مثل القبة " (1) قال ابن عباس رضي الله عنه: " إنما سُمِّيَ عرشاً، لارتفاعه " وعن كعب الأحبار قال: " إن السموات في العرش، كالفنديل المعلق بين السماء والأرض " (2)، ولهذا قال ههنا: ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، يعني الكبير، وقال في آخر السورة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (3)؛ أي: الحسن البهي، فقد جمع العرش بين العظمة، والاتساع، والعلو، والحسن، ولهذا قال مَنْ قال: " إنه من ياقوتة حمراء " (4) ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: " إن ربكم ليس عنده ليلٌ، ولا نهار نور العرش من نور وجهه " (5)، وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ؛ أي: فإذا كنتم تعترفون أنه رب السموات، ورب العرش، أفلا تخافون عقابه، وتحذرون عذابه في إشراككم به (6) ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ؛ أي: من بيده الملك ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (7)؛ أي: متصرف فيها، فهو سبحانه، الخالق المالك المتصرف ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم، فأجار أحداً لا يخفر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يفات عليه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (8)؛ أي: وهو السيد العظيم، الذي لا أعظم منه، وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ؛ أي: سيعرفون أن السيد العظيم، الذي يجير، ولا يجار

1 - أخرجه أبوداود في سنه 644/2 باب في الجهمية برقم: 4726، وأبو عوانة في مسنده 121/2 باب زيادات في الاستسقاء مالم يخرج مسلم رحمه الله في كتابه برقم: 2517، وابن أبي حاتم في تفسيره 223/61 تفسير سورة البقرة الآية 22، والطبراني في الكبير 128/2 باب محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه برقم: 1547. ومن غريب الحديث القبة: من الخيام بيتٌ صغير مُستدير وهو من بيوت العرب. أوهي الخيمة الصغيرة أعلاها مستدير. ينظر النهاية في غريب الحديث 4/4 باب القاف مع الباء. وجامع غريب الحديث 16/1.

2 - عن الضحاك، عن ابن عباس وإنما سمي العرش عرشاً لارتفاعه. وعن الاعمش عن كعب قال: إن السموات في العرش كالفنديل معلق بين السماء والأرض. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 8578/1497 سورة الأعراف الآية 54، 10821/1920 سورة التوبة الآية 129، وتفسير الطبري 558/18.

3 - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الآية (116) من سورة المؤمنون.

4 - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 8579/1497 عن سعد الطائي يقول: " العرش ياقوتة حمراء ". سورة الأعراف الآية: (54)، وكذلك 10214/1925، سورة يونس الآية: (3)

5 - أخرجه الطبراني في الكبير 179/9 حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 8886، والهيثمي في الزوائد 260/1 باب إن الله لا ينام برقم: 282 وعزاه إلى الطبراني في الكبير وقال: " وفيه أبو عبد السلام قال أبو حاتم: مجهول وقد ذكره ابن حبان في الثقات وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره ".

6 - في الحاشية: (فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدراته). ينظر اللوحة رقم: 325/أ.

7 - ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية (56) من سورة هود.

8 - في الحاشية: " الجار الذي أجرته من أن يظلمه ظالم واستجاره من فلان فأجاره منه، وأجاره الله من العذاب: أنقذه، وأجرت فلاناً على فلان إذا اغتنه منه ومنعته، يعني مغيث من يشاء ممن يشاء، ولا يغيث أحد من أحد، وخفرت بالرجل إذا أجرته وكنت له خفيراً أي مجبراً تمنعه، وأخفرتة إذا نقضت عهده وغدرت به. ينظر اللوحة رقم: 325/أ

عليه، هو الله تعالى، ﴿قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ (1)؛ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره، مع اعترافكم، وعلمكم بذلك، ومعنى: ﴿تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون، وتصرفون، ثم قال: ﴿بَلْ أَنبئُهُم بِالْحَقِّ﴾، وهو الإعلام، بأنه لا إله إلا الله، وأقمن الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك، ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: في إشراكهم به، ولا دليل لهم على ذلك، بل اتبعوا آبائهم، وأسلافهم الجهال في الضلال كما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (2).

﴿ مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
 نزّه تعالى نفسه أن يكون له ولدٌ، أو شريك في الملك، فقال: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ (3)؛ أي: لو فُدر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والشاهد: أن الوجود منتظم مُتسبِقٌ، كل من العالم العلوي والسفلي، مرتبطٌ ببعضه ببعض، في غاية الكمال ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ (4)، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر، وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض (والمتكلمون ذكروا هذا المعنى) (5)، وعبروا عنه بدليل التمانع، وهو أنه لو فُرض صانعان، فصاعداً، فأراد واحد تحريك جسم، وأراد الآخر تسكينه، فإن لم يحصل الأمر، فكل منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزاً، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد، فيكون مُحالاً، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكناً، لأنه لا

1 - ﴿فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ في الحاشية: " يخدعون عن توحيده وطاعته ، والخادع هو الشيطان والهوى. اللوحة رقم:

325/أ.

2 - ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الآية: (22) من سورة الزخرف .

3 - ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ في الحاشية : إذا جزء شرط محذوف، وهو كما فسره الشيخ أي لأنفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً عن ملك الآخرين، ولغلت بعضهم بعضاً كملوك الدنيا. اللوحة رقم: 325/أ.

4 - ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ الآية:

(3) من سورة الملك.

5 - يستنتج من هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل: (الأولى) : أنه لم يتخذ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، (والثانية): أنه لم يكن معه إله آخر سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. (والثالثة): أنه أقام البرهان على استحالة تعدد الآلهة. المعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إليها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه المحال. ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً من ملك الآخرين ، ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون ، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء. وتقديره: " لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق". ينظر أضواء البيان 351/5، والإتقان السيوطي 65/4، والبرهان (للزركشي) 214/3 - 468/3، وتفسير الرازي 102/23، وتفسير الطبري 65/19، وتفسير الزمخشري 200/3.

يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً، ولهذا قال: ﴿وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾؛ أي: عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد والشريك علواً كبيراً ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، أي: يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه، ﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: تقدّس، وتنزّه، وتعالى، يعني: أنه أعظم من أن يُوصَف بهذا الوصف، ويُعظَّم عن ذلك.

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾ .

يعني إن أريئني ما يوعدون، أي: من العذاب، وإن عاقبتهم، وأنا شاهد ذلك، فلا تجعلني فيهم، وقد أمر الله أن يدعى بهذا الدعاء عند حلول النقم، وفي الحديث الذي رواه أحمد، وصححه الترمذي: " وإذا أردت بقوم فتنة، فتوفني إليك غير مفتون " (1) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾، أي: لو شئنا لأريناك ما يحل لهم من النقم والبلاء، ثم قال مُرشدًا له، إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يُسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة، وبغضه محبة، فقال: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾، كما قال في [رواية أخرى] (2) ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (3)؛ أي: أدرا بالخلة التي هي أحسن، وهي الصفح، والإعراض، والصبر ﴿السَّيِّئَةِ﴾؛ أي آذاهم، وعاملهم بالجميل مع إساءتهم إليك، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الكذب، والشرك، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أمره تعالى أن يستعيد من الشياطين، لأنه لا ينفع معهم الجميل، ولا ينقادون بالمعروف، وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾؛ أي: في شيء من أمري، ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور، فإن ذلك مطردة الشيطان عند الأكل، وعند الجماع، وعند الذبح، وغير ذلك من الأمور ولهذا روى أبو داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم، وأعوذ بك من الهَدْم، ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني

1 - أخرجه الترمذي في سننه 368/5 تفسير سورة ص برقم: 3235، وأحمد في مسنده 338/5 مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنه برقم: 2484، والطبراني في الكبير 141/20 حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه برقم: 290. وقال الترمذي: قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

2 - [رواية أخرى] ويقصد آية أخرى .
3 - ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الآية: (34) من سورة فصلت.

الشیطان عند الموت "(1)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا كلمات، كان يقولهن عند النوم، من الفزع " بسم الله، أعود بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، وشر عبادته، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون "(2) رواه أبوداود، والترمذي، والنسائي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾﴾

أخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين، أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا، ليُصْلِحَ ما كان أفسده في مدة حياته، ولهذا قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، فإنه تعالى ذكر أنهم يسألون الرجعة، فلا يخافون عند الاحتضار، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (كلا): حرف ردع، وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب، ولا نقبل منه، وقوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾، قال ابن زيد: " أي: لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم "(3) ويحتمل أن تكون ذلك علة لقوله: ﴿كَلَّا﴾، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحاً، هو كلام منه، وقول لا عمل معه، ولو رُدَّ لما عمل صالحاً، وكان كاذباً في مقالته، هذه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (4)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: " إذا وُضِعَ الكافر في قبره، فيرى مقعده من النار، فيقول ربّ ارجعون أتوب، وأعمل صالحاً، فيقال له: قد عُمرت ما كُنتَ معمراً، فيضيق عليه قبره، قال: فهو كالمنهوش، ينام، فيفزع تهوى إليه هوام الأرض،

1 - أخرجه أبوداود في سننه 484/1 باب الاستعاذة برقم: 1552، والنسائي في سننه 282/8 باب الاستعاذة من الترددي والهدم برقم: 5531، والحاكم في مستدرکه 713/1 كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل برقم: 1948، وأوره الهيثمي 57/3 باب فيما يُستعاذ منه من الموتات برقم: 3885. وفي الحاشية: الأصل في التخبط أن يضرب البعير الشيء بخف يده فتسقط، والمعنى: أعود بك أن يمسنی الشيطان عند الموت بنزعاته التي تزل الأقدام، وتصارع العقول والأحلام.

2 - أخرجه أبوداود في سننه باب كيف الرقي برقم: 3895، والنسائي في سننه 191/6 باب ما يقول من يفزع من منامه برقم: 10602، والترمذي في سننه 541/ برقم: 3528، وقال هذا حديث حسن غريب، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 176/10 باب ما يقول إذا أرق أو فزع برقم: 17067. وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك.

3 - ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم. ينظر تفسير ابن كثير 494/5، وتفسير الطبري 70/19. وفي الحاشية: كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد المراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وهو قائلها لا محالة لا يجليها، ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليهن وتسلط الندم، أو هو قائلها وحده لا يجاب إليهن ولا يسمع منه.

4 - ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ من سورة الأنعام.

وحياتها، وعقاربها " (1) ، قال أبو صالح (2) وغيره: في قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾؛ أي: أمامهم، قال مجاهد، وغيره: " البرزخ: الحاجز بين الدنيا والآخرة، ليس مع أهل الدنيا يأكلون، ويشربون، ولا مع أهل الآخرة، يُجازى بأعمالهم " (3)، وقيل: البرزخ: المقابر لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مُقيمون إلى يوم يُبعثون، وفيه تهديد لهؤلاء الظلمة، بعذاب البرزخ، كما قال: ﴿مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ (4)، وقوله: ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: يستمر به العذاب، إلى يوم البعث (5).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَفَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣٢﴾ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

أخبر تعالى أنه إذا نُفِخَ في الصور نفخة النشور وقام الناس من القبور، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: لا ينفخ الأنساب يومئذٍ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (6) قال ابن مسعود: " إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين، والآخريين، ثم نادى مناد: ألا من

1 - أخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : اذا وضع الكافر في قبره مقعده من النار قال : رب ارجعون حتى أتوب أعمل صالحا فيقال : قد عمرت ما كنت معمرا ينظر الدر المنثور 114/6. وفي الحاشية : نهشته الحية : لسعته ، والنهش: هو أخذ اللحم بمقدم الأسنان ، والهوام: واحدتها هامة ، ولا يقع الاسم إلا على المخوف من الأحناش.

2 - عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري . كاتب الليث روى عن معاوية بن صالح الحضرمي والليث بن سعد وابن وهب ، وغيرهم، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه،، هو صاحب حديث وعلم مكثر، وله مناكير، وقال أبو حاتم: سمعت ابن معين يقول: أقل أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له، وقال أحمد بن حنبل: كان أول أمره متماسكا، ثم فسد بأخذه. وقال أبو حاتم: هو صدوق أمين وقال أبو زرعة: لم يكن عندي ممن يتعمد الكذب، وكان حسن الحديث. أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه وكان سليم الناحية، ولم يكن وزن أبي صالح الكذب، كان رجلا صالحا. وقال النسائي: ليس بثقة، ويحيى بن بكير أحب إلينا منه. وقال ابن المديني: لا أروى عنه شيئا. وقال ابن حبان. كان في نفسه صدوقا، إنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له . ت : 222 هـ . ينظر تهذيب التهذيب 225/5 رقم: 449، وتهذيب الكمال 98/15 رقم: 3336، وميزان الإعتدال 440/2 رقم: 4383.

3 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها : أنه حاجز بين الموت والبعث، قاله ابن زيد. والثاني: حاجز بين الدنيا والآخرة . قاله الضحاك. والثالث: حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا، قاله مجاهد. والرابع: أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة، حكاه ابن عيسى. والخامس: هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، قاله الكلبي. وأورد القرطبي قول الضحاك ومجاهد وابن زيد. وعن مجاهد أيضاً أن البرزخ: هو الحاجز بين الموت، والرجوع إلى الدنيا. وعن الضحاك أيضاً: هو ما بين الدنيا والآخرة. ينظر تفسير القرطبي 150/12، وتفسير الماوردي. 66/4.

4 - ﴿مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية (10) من سورة الجاثية.

5 - في الحاشية: يوم البعث: وهو إقناط كلي من الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا، وإنما الرجوع منه إلى حياة تكون به في الآخرة.

(6) - ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٣﴾ وَأُمِّهِ ﴿٢٤﴾ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَجِيَّتِهِ ﴿٢٦﴾ وَبَنِيهِ ﴿٢٧﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٨﴾﴾ من سورة عيس.

عليه وسلم - يقول: كل سبب، ونسب منقطع يوم القيامة، إلا سببي، ونسبي" (1) رواه البيهقي، والطبراني، وذكر أنه أصدقها أربعين ألفاً، إعظماً لها، وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: فمن رجحت حسناته على سيئاته، ولو بواحدة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، قال ابن عباس: " أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا " (2) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي: ثقلت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: خابوا وهلكوا، وفازوا بالصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾؛ أي: ماكنون فيها دائمون مقيمون، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾، كما قال: ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (3)، عن أبي هريرة: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن جهنم لما سيق إليها أهلها، يلقاهم لهبها، ثم تلعفهم لفة، فلم يبق لحم، إلا سقط على العرقوب" (4) رواه ابن أبي حاتم، وقوله ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُحُونَ﴾، قال ابن عباس: " يعني عابسون" قال ابن مسعود: " ألم تر إلى الرأس المشييط، الذي قد بدا أسنانه، وقلصت شفتاه" (5)، وعن أبي سعيد: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُحُونَ﴾، قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى، حتى تضرب سرته" (6) رواه الترمذي، وحسنه، وصححه.

1 - أخرجه الطبراني في الأوسط 257/4 باب من اسمه علي برقم: 4132، وقال: لا يروى هذا الحديث عن ابن الزبير إلا بهذا الإسناد تفرد به سليمان بن عمر، وفي الكبير 44/3 باب أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما، والبيهقي في السنن 63/7 باب الأنساب كلها منقطعة يوم القيامة برقم: 13171، وقال: " لفظ حديث بن إسحاق وهو مرسل حسن وقد روى من أوجه آخر موصولا ومرسلا"، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 499/4 باب في الشريقات برقم: 7430، وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

2 - يقول الماوردي في قوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: بمعنى السعداء، قاله يحيى بن سلام. والثاني: المنجحون، قاله ابن شجرة. والثالث: الناجحون، قاله النقاش. والرابع: أنهم الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا، قاله ابن عباس. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 88/39 سورة البقرة الآية 5 وتفسير الطبري 250/1 سورة البقرة برقم: 294، وتفسير الماوردي 328/4.

3 - ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51)﴾ من سورة إبراهيم.

4 - أخرجه الطبراني في الأوسط 144/9 باب من اسمه هارون برقم: 9365، وأبو نعيم في الحلية 363/4 حديث عبدالله بن أبي الهذيل برقم: 286، والهيثمي في مجمع الزوائد 711/10 باب تلقي النار أهلها برقم: 18586 وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني وهو ضعيف.

5 - ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُحُونَ﴾ قال ابن عباس: عابسون. وقال أهل اللغة: الكلوح تكشر في عبوس. والكالج: الذي قد تشمرت شفتاه وبدت أسنانه. ينظر تفسير الطبري 74/19، وتفسير القرطبي 152/12. وأخرج البخاري في صحيحه 1769/4 تفسير سورة المؤمنون برقم: 237 قول ابن عباس كالحون: عابسون، وأخرج الطبراني في الكبير 229/9 حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 9121 بلفظ " ألم تنظر إلى الرؤوس متشيطة قد بدت أسنانهم وقلصت شفاههم".

6 - أخرجه الترمذي في سننه 708/4 صفة أهل النار برقم: 2587، وأبو يعلى في مسنده 516/2 مسند أبي سعيد برقم: 1367، والحاكم في مستدركه 428/2 برقم: 3490، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

﴿ أَلَمْ تَكُنْ عَلَيَّ تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَدِّبُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٧﴾

هذا توبيخ لأهل النار، وتقريع لهم على ما ارتكبوا من الكفر، والمآثم العظام التي أوبقتهم في ذلك، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ عَلَيَّ تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي: قد أرسلنا إليكم الرسل، وأنزلنا عليكم الكتب، وأزحنا شُبُهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها، كما قال: ﴿ لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (1)، وغيرها من الآيات البيِّنات ولهذا قالوا: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾؛ أي: قد قامت علينا الحجة ولكننا أشقى من أن ننقاد لها، ونتبعها، فضللنا عنها، ولم نُرزقها، ثم قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾؛ أي: رُدنا إلى الدنيا ﴿ فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾، إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة، كما قالوا: ﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (2)؛ أي: لا سبيل إلى الخروج، لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون.

﴿ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ ﴿١١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ ﴿١٢١﴾

هذا وعيدٌ من الله للكفار، إذا سألوا الخروج من النار، والرجعة إلى الدنيا، قال: ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا ﴾؛ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أدلاء ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾، أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " هذا قول الرحمن، حين انقطع كلامهم منه " (3)، قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: " إن أهل جهنم يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم: ﴿ إِنَّكُمْ مَكْنُونُونَ ﴾ (4)، قال: هانت، والله دعوتهم على مالك، ورب مالك، ثم يدعون ربهم، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (17)، قال:

1 - ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ الآية:

(165) من سورة النساء.

2 - ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَنتَئِينَ وَأَحْيَيْتَنَا أَنتَئِينَ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (11) من سورة غافر.

3 - أخرجه البيهقي في الاسماء والصفات 554/1 باب ما جاء في إثبات صفة القول برقم 481 عن ابن عباس في قوله: ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾، قال: " هذا قول الرب عز وجل حين انقطع كلامهم منه ". ينظر تفسير

ابن أبي حاتم 14047/2509 سورة المؤمنون. وتفسير الطبري 79/19. والدر المنثور 6/121.

4 - ﴿ وَنَادُوا يٰمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُونُونَ ﴾ الآية: (77) من سورة الزخرف.

فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يردّ عليهم: ﴿قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾، قال: فوالله ما نبسّ القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير، والشهيق في نار جهنم، قال: فشبّهت أصواتهم، بأصوات الحمير، أولها زفير، وآخرها شهيق "(1) رواه ابن أبي حاتم، ثم قال تعالى مُذَكَّرًا لَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَاسْتَهْزَأَهُم بِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْرِبْنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِمِينَ ﴿١٦٦﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾؛ أي: فسخرتم منهم في دُعائهم إِيَّاي، وتضرعهم إِلَيَّ ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي﴾؛ أي: حملكم بعضهم، على أن نسيتم معاملتي، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، أي من صنعهم، ومن عبادتهم، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (2)، ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه، فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾، على أذاكم [له] (3)، واستهزأكم منهم، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾؛ أي: جعلناهم هم الفائزون بالسعادة والسلامة والجنة والناجون من النار.

﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١٦٨﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٧١﴾﴾

نبّه الله الكفار على ما أضاعوه في عمرهم القصير، من طاعة الله، وعبادته لو صبروا عليها في الدنيا، لفاضوا، كما فاز أوليائه المتقون، ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾؛ أي: كم كانت إقامتكم في الدنيا، ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾؛ أي: الحاسبين (4)، ﴿قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: مدّة يسيرة على كل

1 - أخرجه الحاكم في مستدرکه 429/2 تفسير سورة المؤمنون برقم: 3492 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين يوما ثم يرد عليهم إنكم ما كنتم قال : هانت دعوتهم و الله على مالك و رب مالك ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ، ﴿قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وأورده الهيثمي في الزوائد 344/11 باب الخلود لأهل النار في النار، وأهل الإيمان في الجنة برقم: 18636 وعزاه إلى الطبراني رواه الطبراني رجاله رجال الصحيح. وعن عبد الله بن عمرو، قال: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم، ثم أجابهم: (إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ) قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فخلى عنهم مثلي الدنيا، ثم أجابهم: (أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون) قال: فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق

2 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)﴾ من سورة المطففين.

3 - والصحيح [لهم] فهي الأنسب مع السياق.

4 - في الحاشية: " استقصروا مدة لبثهم في الدنيا ، بالإضافة إلى خلودهم، ولما هم فيه من العذاب، لأن الممتحن يستطيل أيام محتته، ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعوة، أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو

تقدير ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تصرّفتم لأنفسكم هذا التصرف السيء، الذي استحققتكم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على عبادته، وطاعته، كما فعل المؤمنون، لفرتم كما فازوا، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد، ولا إرادة منكم، ولا حكمة لنا، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: لا تعودون في الدار الآخرة كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: مُهملاً، وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾؛ أي: تقدّس أن يخلق شيئاً عبثاً، فإنه الحق المنزه عن ذلك، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾⁽¹⁾، فذكر العرش، لأنه سقف المخلوقات، ووصفه بأنه كريم؛ أي: حسن المنظر، بهي الشكل، ورؤي: " أن رجلاً مُصاباً مرّ به على عبدالله بن مسعودؓ فقرأ في أذنه هذه الآية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فتعلّى الله الملك الحقّ حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: بماذا قرأت في أذنه، فأخبره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والذي نفسي بيده، لو أنّ رجلاً موقناً، قرأها على جبل، لزال "⁽²⁾ رواه ابن أبي حاتم.

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١٧٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ^(١٧٨).

هذا وعيد لمن أشرك بالله، وعبد معه سواه، فإنه قال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: من أشرك بالله ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾؛ أي: لا دليل له على قوله، وفعله ، وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط هو قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، أي: الله يحاسبه على ذلك، ثم أخبر ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾؛ أي: لديه يوم القيامة لا فلاح لهم، ولا نجاة، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء ، فالغفر إذا أُطلق معناه محو الذنوب، وستره عن الناس والرحمة معناها: أن يُسدّدُهُ، ويُوفِّقه في الأقوال، والأفعال، (والله أعلم) .

لأن المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالهم سيئ لبتهم في الدنيا، ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها. وقوله فاسألوا العادين: أي: لا يعرف من عدد تلك السنين إلا أننا نستقله، ونحسبه يوماً، أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها كم هي ؟ فأسأل من فيه أن يعدّ، ومن يقدر أن يلقي إليه فكره، وقيل: فاسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد، ويحصون أعمالهم". ينظر اللوحة رقم: 326/ب.

¹ - في الحاشية : الذي يحيط بالأجرام. ، وينزل منه محكمات الأقضية والأحكام ، ينظر اللوحة رقم: 326/ب، وتفسير البيضاوي 171/1.

² - أخرجه أبو يعلى في مسنده 458/8 حديث عبدالله بن مسعود برقم: 5045، وابن أبي حاتم في تفسيره 14070/2513 سورة المؤمنون الآية 115، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 198/5 باب رقية الجنون برقم: 8469 وعزاه إلى أبي يعلى وقال: " وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

سابعاً

﴿ تفسير سورة النور ﴾

وهي مدنية وعدد آياتها (64) آية

سورة النور

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ⁽¹⁾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

أي: هذه ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾، فيه تنبيه إلى الاعتناء بها، ولا ينفي ما عداها ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾، قال مجاهد وقتادة: "أي: بينا فيها الحلال والحرام، والأمر والنهي والحدود، وفرضنا عليكم، وعلى من بعدكم" ⁽¹⁾ ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: مفسرات واضحة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لكي تتعظوا، ثم قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾، في هذه الآية حكم الزاني، وفيه تفصيل: لأنه لا يخلو إما أن يكون بكرًا، وهو الذي لم يتزوج، أو محصنًا، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج، فإن حدّه جلد مائة، كما في الآية وزاد على ذلك، أن يُعَرَّبَ عاماً عن بلده، عند جمهور العلماء، خلافاً لأبي حنيفة "فإن عنده أن التعريب على رأي الإمام، إن شاء عَرَّبَ، وإن شاء لم يُعَرَّب" ⁽²⁾

¹ - أورد ابن أبي حاتم عن قتادة قوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾؛ أي: فرض الله عز وجل فيها فرائضه وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحد حدوده، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته. "وقال الماوردي: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فيه قراءتان بالتخفيف وبالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف ففي تأويله وجهان (أحدهما): فرضنا فيها إباحة الحلال وحظر الحرام، قاله مجاهد. (والثاني): قدرنا فيها الحدود من قوله تعالى: ﴿فَيَنْصِفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ البقرة: 237؛ أي: قدرتم، قاله عكرمة. ومن قرأ بالتشديد ففي تأويله وجهان: (أحدهما): معناه تكثير ما فرض فيها من الحلال والحرام، قاله ابن عيسى. (والثاني): معناه بينها، قاله ابن عباس. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2516/ رقم: 14082 - 14083 وتفسير الماوردي 70/4 وتفسير مجاهد ص/489.

² - اختلفوا في نفي البكر مع الجلد؛ فالذي عليه الجمهور أنه ينفي مع الجلد؛ قاله الخلفاء الراشدون، وهو قول ابن عمر رضوان الله عليهم أجمعين، وبه قال عطاء وطاوس وسفيان ومالك وابن أبي ليلى والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وقال بتركة حماد بن أبي سليمان وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن. ورأي الإمام أبي حنيفة في ذلك: أن الاستدلال به من وجهين: أحدهما أنه عز وجل أمر بجلد الزانية والزاني ولم يذكر التعريب، فمن أوجبه فقد زاد على كتاب الله عز وجل، والزيادة عليه نسخ، ولا يجوز نسخ النص بخير الواحد. والثاني أنه سبحانه وتعالى جعل الجلد جزء والجزاء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من الاجتزاء وهو الاكتفاء، فلو أوجبنا التعريب لا تقع الكفاية بالجلد، وهذا خلاف النص. وخلاصة رأي المذهب الحنفي: "للإمام أن ينفي إن رأى المصلحة في التعريب، ويكون النفي تعزيراً لا حداً. ينظر بدائع الصنائع 39/7، وبداية المجتهد: 2/427، وتفسير القرطبي 87/5، والحاوي 395/13، والذخيرة 88/12، والمبسوط للسرخسي: 73/9، والمغني 129/10،

وحجة الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، وزيد بن خالد⁽¹⁾ في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أحدهما: يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً - يعني أجيراً - على هذا فزنا بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم: فأخبروني إنما على ابني جلد مائة، وتغريب عام، وأن على امرأة هذا، الرجم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: الوليدة، والغنم ردُّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغذ يا أنيس⁽²⁾ - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا، فإن اعترفت، فارجمها فاعترفت فرجمها " ⁽³⁾، وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكرًا لم يتزوج، فأما إن كان محصناً، فإنه يُرجم كما في الصحيحين: " إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام خطيباً - فحمد الله - وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيُّها الناس، فإن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه، آية الرجم، فقرأناها، ووعيناها، ورجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمانٌ، أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيُضلوا بترك فريضة أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال، ومن النساء إذا قامت البينة، أو الحبل، أو الاعتراف " ⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾؛ أي: رحمة، ورقة ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية، فإنها ليست اختياره، وإنما النهي أن يحمل الحاكم الرأفة الطبيعية على ترك الحد، فإنه لا يجوز له ذلك، ولهذا قال مجاهد، وغير واحد: "المراد إقامة الحدود إذا رُفعت إلى السلطان، فتقام، ولا تُعطل" ⁽⁵⁾ وعن أبي

1 - زيد بن خالد الجهني أختُلفَ في كنيته وفي وقت وفاته وسنه اختلافاً كثيراً فقليل يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبا طلحة. وقيل أبا زرعة. سكن المدينة، وشهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. روى عنه من الصحابة: السائب بن يزيد الكندي، والسائب بن خالد الأنصاري، رضي الله عنهما، وغيرهما، ومن التابعين ابنه خالد، وأبو حرب، وابن المسيب، وأبو سلمة، وعروة وغيرهم. وتوفي بالمدينة، وقيل: بمصر، وقيل: بالكوفة، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين، وهو ابن خمس وثمانين، وقيل: مات سنة خمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل: توفي آخر أيام معاوية، وقيل: سنة اثنتين وسبعين. ينظر الاستيعاب 1/163. وأسد الغابة 2/340 رقم: 1823، والإصابة 2/603 رقم: 2895.

2 - أنيس الصحابي بالتصغير: هو أنيس بن الضحاك الأسلمي، وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المرأة الأسلمية ليرجمها، إن اعترفت بالزنا، معدود في الشاميين. وقال ابن عبد البر: يقال له: أنيس بن مرتد. قال ابن الأثير: الأول أشبه بالصحة؛ لكثرة الناقلين له، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقصد أن لا يؤمر في القبيلة إلا رجل منها لنفورهم من حكم غيرهم، وكانت المرأة أسلمية، والله أعلم. ينظر أسد الغابة 1/201 رقم: 268، وتهذيب الأسماء واللغات 1/138 رقم: 73. ومعرفة الصحابة 1/247.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2/813 باب الوكالة في الحدود برقم: 2190، ومسلم في صحيحه 3/1324 باب رجم الثيب في الزنا برقم: 1697 / 1398.

4 - أخرجه البخاري 6/2503 باب الإعراف بالزنا برقم: 5441، ومسلم 3/1317 باب رجم الثيب برقم:

1691.

5 - أورد ابن أبي حاتم قول وكيع، عن سفیان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قال: الرأفة إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان. " وأن الحد يقام ولا يعطل " ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2518 / 14096 - 14097.

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إقامة حدٍ من حدود الله، خير من مطر أربعين ليلة، في بلاد الله " (1) رواه النسائي، وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما وقيل: المراد ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ في إقامة الحدود، وشدة الضرب، فلا يقيموا الحد كما ينبغي، من شدة الضرب الزاجر عن المأثم، وليس المراد الضرب المبرح، وقال الشعبي: " هي رحمة، في شدة الضرب " (2)، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؛ أي: أقيموا الحد على من زنا، وشددوا عليه الضرب هكذا: المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا أقام حد الله، وقوله: ﴿وَلَيْشَهْدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، هذا تنكيل للزانيين، إذا جُلدا بحضرة الناس، فإن ذلك أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردهما، فإن في ذلك تقريعاً، وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً، والطائفة : "الرجل فما فوقه " قاله ابن عباس، وقيل: " رجلين فصاعداً "، وقيل: " ثلاثة فصاعداً " (3) وعن مالك: الطائفة أربعة نفر، فصاعداً، فإنه لا يكون شهادة في الزنا دون أربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي، وقال قتادة: " أمر الله أن يشهد عذابهما، طائفة من المؤمنين، أي: نفر من المسلمين، ليكون ذلك عظةً، وعبرةً ونكالاً " (4)، وقيل: ليس ذلك للفضيحة، إنما ذلك ليدعو الله لهما، بالتوبة والمغفرة.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾

1 - أخرجه النسائي في سننه 76/8 باب الترغيب في إقامة الحدود برقم: 4905، وابن ماجه في سننه 575/3 كتاب الحدود برقم: 2537، والبيهقي في شعب الإيمان 19/6 باب فضل الإمام العادل وما جاء في جور الولاية برقم: 6995، بلفظ " أربعين صباحاً"، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 357/5 (باب إقامة الحدود) برقم: 10586 بلفظ: " أربعين صباحاً ". وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد وفيه زريق بن السحت ولم أعرفه.

2 - اختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود فقال الحسن البصري: " ضرب الزنا أشد من القذف والقذف أشد من الشرب، وضرب الشارب أشد من ضرب التعزير "، وعلى هذا مذهب أصحابنا، وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزاني أشد من ضرب الشارب وضرب الشارب أشد من ضرب القذف، وقال مالك: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح . وقال عامر الشعبي : رحمة في شدة الضرب. وقال عطاء: ضرب ليس بالمبرح. وقال سعيد بن أبي عرُوبة، عن حماد بن أبي سليمان: يجلد القاذف وعليه ثيابه. ينظر تفسير ابن كثير 8/6، والدر المنثور 133/6، وزاد المسير 7/6. الآية 2 من سورة النور .

3 - اختلف في عددهم على أربعة أقاويل: أحدها: أربعة فصاعداً، قاله مالك والشافعي. والثاني : ثلاثة فصاعداً قاله الزهري. والثالث: اثنان فصاعداً ، قاله عكرمة. والرابع: واحد فصاعداً، قاله الحسن وإبراهيم ولما شرط الله إيمان من يشهد عذابهما، قال بعض أصحاب الخواطر: لا يشهد مواضع التأديب إلا من لا يستحق التأديب. ينظر تفسير الماوردي 72/4

4 - قال مجاهد: رجل فما فوقه إلى ألف. وقال ابن زيد: لا بد من حضور أربعة قياساً على الشهادة على الزنى، وأن هذا باب منه، وهو قول مالك والليث والشافعي. وقال عكرمة وعطاء: لا بد من اثنين؛ وهذا مشهور قول مالك ، فراها موضع شهادة. وقال الزهري: ثلاثة، لأنه أقل الجمع. الحسن: واحد فصاعداً وعنه عشرة. وقال قتادة: ليكون ذلك عبرة وموعظة ونكالا لهم. ينظر تفسير القرطبي 166/12.

أخبر تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية، ولا يطاوعه على مراده من الزنا، إلا زانية، أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا زَانٍ﴾، أي: عاصٍ بزناه ﴿أَوْ مُشْرِكٌ﴾، لا يعتقد بتحريمه، قال ابن عباس: " المراد بالنكاح ههنا: (الجماع لا النكاح المشروع)⁽¹⁾، و(عليه كثيرون)⁽²⁾، وقوله: ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: " أي: حرّم الله الزنا على المؤمنين "، وقال قتادة وغيره: " أي حرّم على المؤمنين نكاح البغايا "⁽³⁾، ومن ههنا ذهب أحمد إلى أنه: "لا يصح العقد، من الرجل العفيف، على المرأة البغي ما دامت كذلك، حتى تستتاب فإن تابت، صح العقد عليها، وإلا، فلا "⁽⁴⁾، وكذلك في جانب الزوج، حتى يتوب توبةً نصوحاً، وعن عبدالله بن عمرو: " أن رجلاً من المسلمين، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأة، يقال لها: أم مهزول⁽⁵⁾ كانت تسافح أن

1 - عن ابن عباس: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ قال: ليس هذا بالنكاح، إنما هو الجماع، لا يزني بها إلا زان أو مشرك، وروى عن الضحاك، وسعيد بن جبير، وعكرمة نحو ذلك. وعن ابن عباس أيضاً: النكاح هو الجماع، فما كان منه حلال فهو حلال، وما كان منه حرام فهو حرام. وعنه أيضاً: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة. وعن سعيد بن جبير: ليس بالنكاح الحلال ولكنه السفاح. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2522/ (14121 - 14214). وتفسير الثعلبي 65/7، وتفسير الطبري 99/19.

2 - تفصيل ذلك: إن العلماء اختلفوا في المراد بالنكاح في هذه الآية، فقال جماعة: المراد بالنكاح في هذه الآية: الوطء الذي هو نفس الزنى، وقالت جماعة أخرى من أهل العلم: إن المراد بالنكاح في هذه الآية هو عقد النكاح. فلا يجوز لعفيف أن يتزوج زانية، وهذا القول: في نفس الآية قرينة تدلّ على عدم صحته، وتلك القرينة هي ذكر المشرك والمشركة في الآية: ﴿وَلَا تَنْكُحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾. وذلك قرينة على أن المراد بالنكاح في الآية التي نحن بصدد الوطء، الذي هو الزنى، لا عقد النكاح، فنكاح المشركة والمشرك لا يحلّ بحال، فأقوى التأويلات أن الآية نزلت في بغايا الجاهلية، والمسلم ممنوع من التزوج بهن، فإذا تبين وأسلمن صح النكاح، وقال ابن عباس: مَعْنَاهُ الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ، وَالزَّانِيَةُ لَا تَزْنِي إِلَّا بِزَانٍ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَرَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا زَنَى بِالْمَرْأَةِ ثُمَّ نَكَحَهَا أَتَاهُمَا زَانِيَانِ، مَا عَاشَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَوْلُهُ سِفَاحٌ وَآخِرُهُ نِكَاحٌ". وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مِثْلَهُ، وَأَخَذَ مَالِكٌ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَرَأَى أَنَّهُ لَا يَنْكُحُهَا حَتَّى يَسْتَبْرَأَ مِنْ مَائِهِ الْفَاسِدِ. وَرَوَى الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيْفَةَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ لَا حُرْمَةَ لَهُ. وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيْبِ: إِنَّ آيَةَ نَسَخَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾. ينظر أحكام القرآن (لابن العربي) 494/5، وأحكام القرآن (للجصاص) 106/5، وأضواء البيان 417/5، وتفسير الماوردي 72/4.

3 - يقول الإمام ابن جرير: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات؛ وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أنه لم يُعَن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحلّ الزنا أو بمشركة تستحلّه ". ينظر تفسير ابن حاتم 2523/ 14127 ، 14129، وتفسير الطبري 101/19، وتفسير القرطبي 167/12 ، 171، وتفسير مجاهد ص/489.

4 - إذا زنت المرأة، لم يحل لمن يعلم ذلك نكاحها إلا بشرطين؛ أحدهما، انقضاء عدتها، فإن حملت من الزنى ف قضاء عدتها بوضعه، ولا يحل نكاحها قبل وضعه. وبهذا قال مالك وأبو يوسف. وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة. وفي الأخرى قال: يحل نكاحها ويصح. وهو مذهب الشافعي، لأنه وطء لا يلحق به النسب، فلم يحرم النكاح، كما لو لم تحمل. والشرط الثاني، أن تتوب من الزنا، وبه قال قتادة، وإسحاق، وأبو عبيد. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: لا يشترط ذلك. أما فقه الإمام أحمد: الزانية يحرم نكاحها حتى تتوب لقوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾. ينظر المبدع في شرح المقنع 63/7 باب المحرمات في النكاح، والمغني 515/7.

5 - أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وهي من البغايا التسع اللواتي كن في الجاهلية وكانت لهن رايات يعرفن بها، فأراد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها. فأنزل الله تعالى

يتزوجها، وتشتترط عليه أن تنفق عليه، وذكر له أمرها، قال: فقراً عليه نبي الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾⁽¹⁾ . رواه أحمد والنسائي، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ثلاثة حرمَّ الله عليهم الجنة، مُدْمِن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهل الخبث "⁽²⁾ . رواه أحمد، قال الجوهرى⁽³⁾ في (الصحيح)⁽⁴⁾: الديوث: الفُذُّعُ، وهو الذي لا غَيْرَةَ له، فأما إذا حصلت له توبة، فإنه يحل له التزويج " كما روي أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: " إِنِّي كُنْتُ أَلْتُمُّ بِامْرَأَةٍ، أَتِي مِنْهَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ - عز وجل - عليّ، فرزقنا الله من ذلك توبة، فأردت أن أتزوجها، فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس هذا في هذا، أنكحها، فما كان من إثم فعليّ "⁽⁵⁾، وقد (ادّعى طائفة: أن هذه الآية منسوخة)⁽⁶⁾

﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ وكانت بيوتهن تسمى المواخير في الجاهلية، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتاً معلومة للزنا، لا يدخل عليهن ولا يأتين إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان، فحرمَّ الله ذلك على المؤمنين. ينظر تفسير الطبري 98/19 - 99 ، ومعالم التنزيل 9/6.

¹ - أخرجه النسائي في سننه 66/6 باب تزويج الزانية برقم: 3228، وأحمد في مسنده 16/11 مسند عبدالله بن عمرو برقم: 6480 والحاكم في مستدرکه 211/2 كتاب النكاح برقم: 2785، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 74/7 تفسير سورة النور ، وعزاه إلى أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ، وقال: رجال أحمد ثقات.

² - أخرجه أحمد في مسنده 272/9 مسند عبدالله بن عمر برقم: 5372، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 599/4 باب فيمن يرضى لأهله بالخبث برقم: 7721، وعزاه إلى أحمد ، وقال: وفيه راو لم يسم، وبقية رجاء ثقات. وقد ورد في كتب أخرى بألفاظ متعددة : " ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والمدمن على الخمر والمنان بما أعطى " . ولفظ: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق بوالديه والديوث ورجلة النساء " . ولفظ: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: الرجل لبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل والديوث " .

³ - الجوهرى: إسماعيل بن حماد الجوهرى، أبو نصر: أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما كان من أعاجيب الزمان ، ذكاء وفطنة وعلما . وأصله من فاراب من بلاد الترك ، وكان إماما في اللغة والأدب والنحو والصرف وهو مع ذلك من فرسان الكلام والأصول . وكان يطوف الأفاق . أشهر كتبه (الصحيح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) وخطه يضرب به المثل، لا يكاد يفرق بينه وبين خط ابن مقلة ، وصنف الصحاح للأستاذ أبي منصور البيشكي وأسمعه من أوله إلى باب الضاد المعجمة، ثم اعتراه اختلاط ووسواس واختباط، حتى قيل إنه قال: عملت في الدنيا شيئا لم أسبق إلى مثله وسأعمل للأخرة مثله ثم ضم إلى جنبه مصراعي باب وشددهما بخيط ونهض للطيران من سطح داره فرمى بنفسه فمات سنة 398هـ. ينظر بغية الوعاة 446/1 رقم: 913، و البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة 10/1 رقم: 61.

⁴ - كتاب الصحاح. واسمه تاج اللغة وصحاح العربية ويعرف ب(الصحيح): للجوهري وهو أبو النصر إسماعيل بن حماد وأصله من عشيرة تركية تولع باللغة العربية وأراد أن يقف على حالتها فكان يسوح بين البدو في جزيرة العرب ثم عاد إلى وطنه وقد رتب كتابه على 28 بابا كل باب منها 28 فصلا على عدد الحروف وترتيبها واعتمد في ترتيبه الأبجدي على أواخر الكلم وقيل إن كثيرا من الكلمات الأصلية المجردة عن المزايدات الواردة فيه هو مما جمعه تلميذه إبراهيم الوراق، أخذها من المعلومات التي جمعها هو وأستاذه من قبله. وهو أصح من قاموس الفيروز آبادي. ينظر اكتفاء القنوع 322/1.

⁵ - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14120/2521.

⁶ - روى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: {الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك} قال: نسخت هذه الآية التي بعدها {وأنكحوا الأيامى منكم} [النور: 32]؛ وقاله ابن عمرو، قال: دخلت الزانية في أيامي المسلمين. قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول عليه أكثر العلماء. ينظر أحكام القرآن (الجصاص) 164/5 وتفسير الطبري 101/19، وتفسير القرطبي 167/12، ومعالم التنزيل 9/6، والناسخ والمنسوخ (النحاس) 582/1.

قال سعيد بن المسيب⁽¹⁾: فنسختها التي بعدها ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّمَىٰ مِنْكُمْ﴾، وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام⁽²⁾، في كتاب (الناسخ والمنسوخ)⁽³⁾، ونصَّ عليه الشافعي رضي الله عنه⁽⁴⁾.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ .

في هذه الآية بيان حكم جلد القاذف للمحصنة، وهي الحرّة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلاً، يجلد قاذفه أيضاً، وليس في هذا نزاع بين العلماء، فأما إن أقام القاذف بيّنة على صحة ما قاله، درء عنه الحد، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فأوجب على القاذف، إذا لم يُقَمِّ بيّنة على صحة ما قاله، ثلاثة أحكام: أحدها: أن يُجلد ثمانين جلدة، والثاني: أن تُردَّ شهادته دائماً، والثالث: أن يكون فاسقاً، ليس يعدل لا

1 - سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي كنيته أبو محمد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وكان من سادات التابعين ففها ودينا وورعا وعلما وعبادة وفضلا، وكان أبوه يتجر في الزيت وكان سعيد سيد التابعين وأفقه أهل الحجاز واعر الناس للرؤيا ما نودي بالصلاة أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد ينتظرها، ويقال أنه ممن أصلح بين عثمان وعلي، روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري وقتادة ويحيى بن سعيد الأنصاري، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء من كثرة من مات من الفقهاء. ينظر تقريب التهذيب 241/1 رقم: 2396. الثقات 273/4 رقم: 2882 والجرح والتعديل 59/4 رقم: 262.

2 - أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي بتشديد اللام وهو معدود فيمن أخذ الفقه عن الشافعي، وكان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس ممن جمع وصنف واختار وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه وحاد عنه، وكان إماما بارعا في علوم كثيرة منها التفسير والقراءات والفقه واللغة والنحو والتاريخ، قال الخطيب البغدادي كان أبوه سلام عبدا روميا لرجل من أهل هراة وسمع: سفيان بن عيينة وي زيد بن هارون ويحيى القطان وآخرين، وروى عنه محمد بن إسحاق الصاعاني وابن أبي الدنيا وعلي بن عبد العزيز البغوي وآخرون. وروى عنه أهل العراق مات بمكة (سنة 224 هـ). ينظر تهذيب الأسماء 535/2 رقم: 824، والثقات 16/9 رقم: 14938، ووفيات الأعيان 60/4.

3 - الناسخ والمنسوخ وهو كتاب في الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم الف فيه جماعة منهم أبو عبيد قاسم بن سلام المتوفي سنة 224 هـ. ينظر الرسالة المستطرفة 80/1، كتب الناسخ والمنسوخ، وكشف الظنون 1920/2 باب الناسخ والمنسوخ.

4 - عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾، قال: هي منسوخة، نسختها ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّمَىٰ مِنْكُمْ﴾، فهي من أيامى المسلمين، وقال الإمام الشافعي: " فالاختيار للرجل أن لا ينكح زانية، وللمرأة أن لا تنكح زانيا، فإن فعلا، فليس ذلك بحرام على واحد منهما، ليست معصية واحد منهما في نفسه تحرم عليه الحلال إذا أتاه، قال: وكذلك لو نكح امرأة لم يعلم أنها زنت، فعلم قبل دخولها عليه أنها زنت قبل نكاحه، أو بعده لم تحرم عليه، ولم يكن له أخذ صداقه منها، ولا فسح نكاحها، وكان له إن شاء أن يمسك وإن شاء أن يطلق، وكذلك إن كان هو الذي وجدته قد زنى قبل أن ينكحها، أو بعد ما نكحها قبل الدخول، أو بعده، فلا خيار لها في فراقه وهي زوجته بحالها ولا تحرم عليه، وسواء حد الزاني منهما، أو لم يحد، أو قامت عليه بيّنة، أو اعترف لا يحرم زنا واحد منهما، ولا زناهما، إلا أن يختلف دينهما بشرط وإيمان". ينظر الأم 12/5. وتفسير الطبري 101/19، والدر المنثور 130/6. وروح المعاني 87/18.

عند الله، ولا عند الناس، ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط؟ فترفع التوبة فسق فقط؟ ويبقى مردود الشهادة دائماً، وإن تاب؟، أو إلى الجملتين الثانية والثالثة؟، فذهب (الائمة الثلاثة)⁽¹⁾، أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، ونصَّ عليه ابن المسيب، وكثير من السلف أيضاً، وقال أبو حنيفة: " إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبداً "، وبه قال الشعبي، والضحاك، لا تُقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه، بأنه قد قال البهتان، فحينئذٍ تُقبل شهادته "⁽²⁾، (والله أعلم).

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ .

¹ - يقول ابن قدامة الحنبلي: " إن تاب لم يسقط عنه الحد وزال الفسق بلا خوف وتقبل شهادته عندنا، وروي ذلك عن عمر وأبي الدرداء وابن عباس، وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والزهري و عبد الله بن عتبة و جعفر بن أبي ثابت و أبو الزناد، و مالك و الشافعي، وذكره ابن عبد البر عن يحيى بن سعيد، وقال الحسن و النخعي و سعيد بن جبير و الثوري و أصحاب الرأي : لا تقبل شهادته إذا جلد وإن تاب، وعن أبي حنيفة ترد شهادته قبل الجلد، وإن لم يتب فالخلاف معه في فصلين، أحدهما : أنه عندنا تسقط شهادته بالقذف إذا لم يحققه، وعند أبي حنيفة و مالك لا تسقط إلا بالجلد . والثاني : أنه إذا تاب قبلت شهادته وإن جلد وعند أبي حنيفة لا تقبل . وقال مالك: إذا تاب قبلت شهادته خلافاً لأبي حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله في دينه ، وقيل: إكذاب نفسه. ينظر الاستذكار 107/7، والأم 27/7، والتسهيل لعلوم التنزيل 60/3، وتفسير القرطبي 181/12، والمغني في فقه الإمام أحمد 75/12.

² - قال الشافعي: لا أعلم خلافاً بين أهل الحرمين في أن القاذف إذا تاب قبلت شهادته، قال أبو عمر: قول مالك ها هنا في شهادة المحدود إنها تُقبل إذا تاب - معناه عنده في المشهور من مذهبه: إنه لا تُقبل فيما حد فيه - قذفاً كان أو غيره - وتُقبل فيما سوى ذلك، إذا كان عدلاً وحسنت حالته، هذه رواية بن القاسم، وهو قول ابن الماجشون، وبه قال: ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وطاوس، ومجاهد، ومطرف، وسحنون، وقال مالك: إذا حسنت حالته قبلت شهادته في كل شيء. وفي المغني: وكذلك الفاسق إذا تاب قبلت شهادته بالقياس على القاذف إذا تاب، والتوبة: الندم والاستغفار من الذنب والعزم أن لا يعود، جملته أن القاذف إن كان زوجاً فحقوق بينة أو لعان أو كان أجنبياً فحقه بالبينة أو بإقرار المقذوف لم يتعلق بقذفه فسق ولا حد ولا رد شهادة وإن لم يحقق قذفه بشيء من ذلك المتعلق به وجب الحد عليه والحكم بفسقه ورد شهادته فإن تاب لم يسقط عنه الحد وزال الفسق بلا خوف وتقبل شهادته عندنا، وفي البدائع: كلُّ فاسقٍ تاب عن فسقه فُبلت توبته وشهادته إلا اثنين المحذود في القذف والمعروف بالكذب لأن من صار معروفاً بالكذب واشتهر به لا يُعرف صدقه من توبته بخلاف الفاسق إذا تاب عن سائر أنواع الفسق فإن شهادته تُقبل. ينظر الاستذكار 106/7، والأم 48/7، والبحر الرائق 79/7 وبدائع الصنائع 269/6، والعدة 247/2، والمبسوط 122/16 ، 242/16، والمغني 75/12.

في هذه الآية فرجٌ للأزواج، وزيادة مخرج، إذا قذف أحدهم زوجته، وتعرَّس عليه إقامة البيِّنة، أن يلاعنها، كما أمر الله، وهو أن يحضرها عند الإمام، فيدَّعي عليها ما رماها به، فيُحلفه الحاكم أربع شهادات بالله، في مقابله أربعة شهداء، أنه لمن الصادقين، فيما رماها به من الزنا، ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْكٰذِبِينَ﴾، فإذا قال ذلك، بانته منه بنفس هذا اللعان، عند الشافعي، وكثيرين⁽¹⁾ وحرمت عليه أبدأ، وعند أبي حنيفة، فُرقة اللعان، كُفرقة الطلاق، فإذا كذب الزوج نفسه، جاز له أن ينكحها، ويعطيها مهرها، ويتوجَّه عليها حد الزنا، ولا يدرء عنها إلا أن تُلاعن فتشهد ﴿أَرْبَع شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ﴾؛ أي: فيما رماها به، ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾، فخصَّها بالغضب لأن الغالب أن الرجل، لا يتجشم فضيحة أهله، ورميها بالزنا، إلا وهو صادق معذور، وهي تعلم صدقه، فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾، والمغضوب عليه: هو الذي يعلم الحق، ويعرض عنه، ثم ذكر تعالى، لطفه بخلقه، ورأفته بهم، في شرعه الفرج، والمخرج من شدة ما يكون فيه من الضيق، فقال: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ أي: لخرجتم، ولشق عليكم كثير من أموركم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على عباده، وإن كان بعد الحلف، والأيمان المغلظة، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرعه، ويأمر به، وينهى عنه، وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية، وذكر سبب نزولها، وفيمن نزلت من الصحابة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن هلال بن أمية رضي الله عنه⁽²⁾، قذف امرأته عند النبي - صلى الله عليه وسلم - بشريك بن سحْمَاء رضي الله عنه⁽³⁾، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - البيِّنة، أو حدًّا في ظهرك، فقال يا رسول الله: إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيِّنة، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: البيِّنة، وإلا حدًّا في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك

1 - إذا تم اللعان وقعت الفرقة المؤبدة بينهما، وبماذا تقع: فيه أربعة أقاويل: أحدها: بلعان الزوج وحده وهو مذهب الشافعي. والثاني: بلعانهما معاً، وهو مذهب مالك. والثالث: بلعانهما وتفريق الحاكم بينهما، وهو مذهب أبي حنيفة. والرابع: بالطلاق الذي يوقعه الزوج بعد اللعان. وهو مذهب أحمد بن حنبل، ثم حرمت عليه أبداً. واختلفوا في إحلالها له إن أكذب بعد اللعان نفسه على قولين: أحدهما: تحل، وهو مذهب أبي حنيفة. والثاني: لا تحل، وهو مذهب مالك والشافعي. ينظر الأم 21/5، والبهجة في شرح التحفة 531/1، وتحفة الفقهاء 221/2، وتفسير الماوردي 77/4. والمعني لابن قدامة 122/7.

2 - هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب، مدني شهد بدرًا وأحدًا وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سحْمَاء وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، وذكرهم في سورة براءة، وهم هلال وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع رضي الله تعالى عنهم، روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وروى عنه قتادة. ينظر أسد الغابة 422/5 رقم: 5373، وتهذيب الأسماء 437/2 رقم: 654. والجرح والتعديل 72/9 رقم: 277.

3 - شريك بن عبدة بن مغيث البلوي، حليف الأنصار، وهو شريك ابن السحْمَاء بفتح السين، وسكون الحاء المهملتين وهي أمه، صاحب اللعان نسب في ذلك الحديث إلى أمه. قيل: إنه شهد مع أبيه أحدًا، وهو أخو البراء بن مالك لأمه. وهو الذي قذفه هلال بن أمية بامرأته، قال هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس: إنه أول من لاعن في الإسلام. ينظر أسد الغابة 602/6 برقم: 2423. والإصابة 344/3 رقم: 3902.

بالحق، إني لصادق، ولينزلن الله ما يبئري ظهري من الحد، فنزل جبريل، وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فجاء هلال، فشهد، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: " إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب، ثم قامت، فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وَقَفَّوْهَا، وقالوا إنها موجبة، قال ابن عباس رضي الله عنه: فتلكأت، ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أَبْصِرْوْهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغِ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدِجِ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لَشْرِيكَ بْنِ سَحْمَاءَ رضي الله عنه، فجاءت به كذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لولا ما مضى من كتاب الله، لكان لي، ولها شأن " (1). رواه البخاري، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه (2) قال: " إن عويمر العجلاني رضي الله عنه (3) قال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً، وجد مع امرأته رجلاً، أيقنته فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد أنزل فيك، وفي صاحبك، فاذهب فأتي بها قال سهل رضي الله عنه: فتلاعنا في المسجد، وأنا مع الناس، عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما فرغاً، قال عويمر رضي الله عنه: كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكناها، فطلقها ثلاثاً، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " انظروا، فإن جاءت به أسحم أدعج العينين، عظيم الأليتين، خَدَجِ السَّاقَيْنِ، فلا أحسب عويمراً رضي الله عنه، إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أُحيمر، كأنه وَحَرَّة، فلا أحسب عويمراً رضي الله عنه إلا، قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من تصديق عويمر رضي الله عنه، فكان بعد يُنسب إلى أمّه " (4)، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قال: سعد بن عبادة رضي الله عنه (5): " لو رأيت رجلاً

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1774/4 باب سورة النور برقم: 4470، وأبو داود في سننه 684/1 باب في اللعان برقم: 2254، وأحمد في مسنده 36/4 مسند عبدالله بن عباس رضي ال عنه برقم: 2131 .

2 - سهل بن سعد بن سعد بن مالك بن خالد، يكنى: أبا العباس، وقيل: أبو يحيى. وشهد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنناً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلاً، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي صلى الله عليه وسلم، وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة، روى عنه أبو هريرة وسعيد بن المسيب، والزهري، وأبو حازم، وابنه عباس بن سهل، وغيرهم أُخْتَلِفَ في سنة وفاته (88 هـ - 91 هـ) وقيل: أنه أخرج من بقي من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة. ينظر الاستيعاب 664/2 برقم: 1089، وأسد الغابة 547/2 برقم: 2283. والتاريخ الكبير 97/4 رقم 2092.

3 - هو عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري، عويمر بزيادة راء في آخره هو بن أبي أبيض العجلاني صاحب اللعان، وقال الطبراني: هو عويمر بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد العجلاني، وهو الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، وذلك في شعبان سنة تسع من الهجرة وكان قدم تبوك فوجدها حبلى، وعاش ذلك المولود سنتين ثم مات وعاشت أمه بعده يسيراً. ينظر الاستيعاب 1226/3 برقم: 2004. وأسد الغابة 338/4 برقم: 4125، والإصابة 746/4، والثقات 286/3 برقم: 926.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1771/4 سورة النور برقم: 4468، وأبو داود في سننه 682/1 باب في اللعان برقم: 2248، وأورده الألباني في صحيح سنن أبي داود 19/7 باب اللعان برقم: 1945 وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه البخاري. وصححه ابن الجارود.

5 - سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت، وقيل: أبا قيس والأول أصح، وكان نقيب بني ساعدة، وأمّه عمرة بنت مسعود لها صحبة وماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

مع امرأتي، لضربته بالسيف، غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " أتعجبون من غيرة سعدٍ ﷺ ، والله لا أنا أُغَيَّرُ منه ، ومن أجل غيرة الله، حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه العُدْرُ من الله، من أجل ذلك، بعث الله المنذرين والمبشّرين، ولا أحد إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك، وعد الله الجنة "(1) هكذا في الصحيحين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

هذه الآيات كلها، نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حين رماها أهل الإفك، والبهتان من المنافقين، بما قالوا من الكذب البحت، والفرية التي غار الله عز وجل لها، ولنبيه - صلى الله عليه وسلم - فأنزل براءتها صيانة لعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾؛ أي: جماعة منكم، وكان يتقدمهم رأس المنافقين، عبدالله بن سلول(2)، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوّزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك، قريباً من شهر حتى، نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة منها، في الصحيحين عن الزهري(3) قال: أخبرني سعيد بن

سنة خمس، وشهد سعد العقبة، واختلف في شهوده ببراء، وكان من أعظم الناس جوداً وكرماً، وكان غيوراً شديداً الغيرة، وإياه أراد رسول الله بقوله: " إن سعداً لغيور، وإنني لأغبر من سعد، والله اغبر منا ". وروى عنه بنوه: قيس وسعيد وإسحاق، وحفيده شرحبيل بن سعيد، وروى عنه من الصحابة أيضاً: ابن عباس وأبو أمامة بن سهل، ولما توفي النبي صلى الله عليه، طمع في الخلافة، وجلس في سقيفة بني ساعدة، ليباع نفسه، فباع الناس أبا بكر، وعدلوا عن سعد، فلم يبايع سعد أبا بكر. وأقام بحوران. ت: 14 هـ وقيل: 15 هـ. ينظر الاستيعاب 594/2 رقم: 944، وأسد الغابة 422/2 رقم: 2003، والإصابة 65/3 رقم: 3175.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 2511/6 باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله برقم: 6454، ومسلم في صحيحه 1136/2 كتاب اللعان برقم: 1499.

2 - وهو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث، يكنى أبا الحباب بابنه الحباب من بني عوف ابن الخزرج. وسلول أمه وهي امرأة من خزاعة، كان رأس المنافقين، وممن تولى كبر الإفك في عائشة، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه، ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء الله بالإسلام وأخذته العزة فلم يخلص الإسلام، وأضمر النفاق حسداً وبغياً. ونزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة. وتوفي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحساناً وكرماً وحلماً، (ت: 9 هـ). ينظر الاستيعاب 286/1، وإمتاع الأسماع 343/14 وتهذيب الأسماء 246/1.

3 - محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الاعلام وعالم الحجاز والشام، أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه جماعة من الأئمة، روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص رضي الله عنهم، وغيرهم. وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر. (ت: 123 هـ). ينظر تهذيب التهذيب 395/9 رقم: 734، وصفة الصفوة 136/2 رقم: 178، ووفيات الأعيان 177/4.

المسيب⁽¹⁾ وعروة بن الزبير⁽²⁾ وعلقمة بن وقاص⁽³⁾ وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود⁽⁴⁾ عن حديث عائشة [رضي الله عنها]، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله، وكُلُّهُمُ قد حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيتُ عن كل واحدٍ الحديث الذي حدَّثني، وبعضهم يُصدِّق بعضاً، ذكروا أن عائشة [رضي الله عنها] زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج سफراً، قرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه، قالت عائشة [رضي الله عنها]: فأقرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك بعدما ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة، وقفل (رجع) من المدينة، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتى حاذيتُ الجيش فلما قضيتُ شأنِي، أقبلت إلى الرحل، فلمستُ صدري، فإذا عِقْدٌ من جَزَعِ ظَفَارٍ، قد انقطع

1 - أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان سعيد سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة: أتت ذلك فسله، يعني سعيداً، ثم ارجع إلي فأخبرني، ففعل ذلك وأخبره، فقال: ألم أخبركم أنه أحد العلماء، وسئل الزهري ومكحول: من أوقفه من أدركتما، فقالا: سعيد بن المسيب، وروي عنه أنه قال: حجبت أربعين حجة؛ وعنه أنه قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، سمع سعد بن أبي وقاص وأبا هريرة رضي الله عنهما. مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء من كثرة من مات من الفقهاء. ينظر التاريخ الكبير 510/3 رقم: 1698، والثقات 273/4 رقم: 2882، ووفيات الأعيان 375/2.

2 - عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدي، كنيته أبو عبد الله أخو عبد الله بن الزبير أمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وكان من أفاضل أهل المدينة وعلمائهم ويقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً ويقوم به ليلة ما ترك نصيبه من الليل ولا ليلة، قطعت رجله وذلك أن الأكلة وقعت فيها فنشرها فما زاد على أن قال: الحمد لله. سمع ابن عباس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعائشة رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري وعثمان ويحيى ومحمد وعبد الله بن عروة بن الزبير وابن عبد الله بن عروة. أُخْتُفِ في سنة وفاته: (ما بين 94هـ - 101هـ). ينظر التاريخ الكبير 31/7 رقم: 138، والثقات 194/5 رقم: 4515. والجرح والتعديل 395/6 رقم: 2207.

3 - علقمة بن وقاص الليثي المدني يقول ابن حجر: ثقة ثبت من الثانية أخطأ من زعم أن له صحبة، سمع عمر وعائشة رضي الله عنهما، وروى عن أبيه، حدث عنه: ولده؛ عمرو وعبد الله، والزهري ومحمد بن إبراهيم بن الحارث، وروى له الجماعة، وكان قليل الرواية. له أحاديث ليست بالكثيرة. وثقه: ابن سعد والنسائي. مات في ولاية عبد الملك بن مروان بالمدينة. ينظر التاريخ الكبير 40/7 رقم: 176، وتهذيب التهذيب 283/5 رقم: 489، والثقات 209/5 رقم: 4560، وسير أعلام النبلاء 61/4 رقم: 15.

4 - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الأعمى ويقال كنيته أبو عبد الله المدني، روى عن أبيه وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وعن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وروى عنه الزهري وأبو الزناد وأبو بكر بن أبي الجهم، وصالح بن كيسان، وقال العجلي: كان أعمى وكان أحد فقهاء المدينة تابعي ثقة رجل صالح جامع للعلم وهو معلم عمر بن عبد العزيز وقال أبو زرعة ثقة مأمون إمام، ومات عبيد الله قبل علي بن حسين سنة أربع أو خمس وتسعين وقيل سنة 99 هـ. ينظر التاريخ الكبير 385/5 رقم: 1239، وتهذيب التهذيب 22/7 رقم: 50. والثقات 63/5 رقم: 3867.

فرجعتُ، فالتمسْتُ عِقدِي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل (الرهط)⁽¹⁾، الذين يرحلون بي، فحملوا (هودجي)⁽²⁾، فرحلوه على بعيري، الذي كنتُ أركب، وهم يحسبون أنّي فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك، خفافاً لم يُهْلَبُهُنَّ، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل اليهودج حتى رَحَلوه، ورفعوه، وكنتُ جاريةً حديثة السن، فبعثوا الجمل، وساروا، ووجدتُ عِقدِي بعدما استمر الجيش، فجنّت منازلهم، وليس بها داع، ولا مُجيب، فتيممتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننتُ أن القوم سيفقدوني، فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني عيني، فنمتُ، وكان صفوان بن المعطلّ السلمي ثم الذكواني⁽³⁾ قد عَرَسَ من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رأني، وقد كان يراني قبل أن يُضرب عليّ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها، وركبتها، فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولّى كِبْرَه عبدالله بن أبي بن سلول، فقدمتُ المدينة، فاشتكيتُ حين قدمنا شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يُرييني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللُطف الذي كُنْتُ أراه منه حين اشتكي، إنما يدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم يقول: (كيف تيكُم)⁽⁴⁾، قلتُ: فذاك يُرييني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نَقِهْتُ، وخرَجْتُ معي أُمُّ مِسْطَح⁽⁵⁾ قبل المناصع وهو مُتَبَرِّزْنَا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تأخذ الكُفُّ قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية، وكما نتأذى بالكُفِّ، أن نتخذها في بيوتنا فانطلقتُ أنا، وأُمُّ مِسْطَح، وهي ابنة أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف، وأُمها ابنة

1 - الرهط ، بالفتح ويحرك نقله الصاغاني ، وقال الليث : تخفيف الرهط أحسن من تثيله : قوم الرجل وقبيلته يقال: هو رهطه دنية ، قاله الجوهري . وقيل : الرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة أو من سبعة إلى عشرة ، وقال ابن دريد : وربما جاوز ذلك قليلا . ينظر تاج العروس 311/19.

2 - الهُودَجُ : مَحْمَلٌ لَهُ قُبَّةٌ تُسْتَرُّ بِالثِّيَابِ يَرُكَبُ فِيهِ النَّسَاءُ . ينظر تاج العروس 274/6.

3 - صفوان بن المعطلّ بن ربيعة بالتصغير بن خزاعي السلمي الذكواني ويقال أول مشاهده المريسي، شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها، وكانت الخندق سنة خمس وأتت عليه رسول الله ، فقال: (ما علمت منه إلا خيرا) ، وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، فبرأه الله عز وجل، ورسوله ولما بلغ صفوان أن حسان بن ثابت ممن قال فيه ضربه بالسيف فجرحه، روى عنه أبو هريرة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وكان صفوان شجاعا خيرا فاضلا ، وله دار بالبصرة ، وقتل في غزوة أرمينية شهيدا وأمير الجيش يومئذ عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة تسع عشرة في خلافة عمر، وقيل : إنه غزا الروم في خلافة معاوية ، فاندقت ساقه ثم لم يزل يطاعن حتى مات (عام: 58 هـ). والله أعلم. ينظر أسد الغابة 31/3 رقم: 2511 والإصابة 440/3 رقم: 4093. والثقات 192/3 رقم: 650.

4 - (تيكم) إشارة إلى المؤنث . ينظر جامع غريب الحديث 26/1، والمنهاج شرح صحيح مسلم 106/17.

5 - أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية ، واسم أبي رهم أنيس بفتح الهمزة وكسر النون، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق ، أمها بنت صخر بن عامر ، يقال : اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . لها ذكر في حديث الإفك . قال ابن سعد: يقال اسمها سلمى ويقال: ربطة، وبه جزم ابن حزم في الجمهرة وهي مشهورة بكنيتها ثبت ذكرها في الصحيحين في قصة الإفك. ينظر أسد الغابة 431/7 رقم: 7583، والإصابة 302/8 رقم: 12249، وجمهرة أنساب العرب 31/1.

صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق⁽¹⁾، وابنها مسطح بن أثانة بن عبّاد بن عبد المطلب⁽²⁾، فأقبلتُ أنا، وابنة أبي رُهم قَبْلَ بيتي حين فرغنا من شأننا، فَعَثَرْتُ أم مسطح مرطها فقالت: تَعَسَ مسطح فقالتُ لها: بِئْسَ ما قُلْتَ تَسُبِّين رجلاً شهد بدرًا قالت : أي هنتاه ، ألم تسمعي ما قال؟ قُلْتُ: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فأزددتُ مرضاً إلى مرضي، فلما رجعتُ إلى بيتي، فدَخَلَ عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال: (كيف تيكمن)، قُلْتُ: أتأذن لي أن آتي أَبَوَيَّ، قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أَتَيِّنَ الخبر من قِبَلَهُمَا، فأذن لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجئتُ أَبَوَيَّ، فقُلْتُ لأمي: يا أُمَّتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت: أي بُنية هَوْنِي عليك فو الله لقلّ ما كانت امرأة قطّ وَضِيئَةً، عند رجل يُحبها، ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، قالت: قُلْتُ سبحان الله، أو قد تحدّث الناس بهذا؟ قالت : فبكيّت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحتُ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد⁽³⁾ حين استلبت الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الوُدِّ، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب⁽³⁾، فقال: لم يُضَيِّقَ الله عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تُصدِّقُك الخبر، قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة⁽³⁾، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يُريبك من عائشة

1 - أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، يكنى بأبي قحافة، وأمه أم الخير سلمى وهي ابنة عم أبي قحافة، وقيل: اسمها: ليلي، ولقبه عَتِيق، لأن وجهه كان جميلاً، وهو صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الغار وفي الهجرة، والخليفة بعده، كان - رضي الله عنه - من رؤساء قريش في الجاهلية، محبباً فيهم، مألفاً لهم، فلما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له، وميلهم إليه، صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله وقد أسلم أبوه وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، (ت: 13هـ). ينظر أسد الغابة 315/3 رقم: 3053، والإصابة 169/4 رقم: 4820 وألقاب الصحابة والتابعين 72/1 (حرف العين)، والجرح والتعديل 111/5 رقم: 508.

2 - مسطح بن أثانة بن عبّاد ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبى، يكنى أبا عبّاد . وقيل : أبو عبد الله . وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف شهد مسطح بدرًا، وكان ممن خاض في الإفك على عائشة رضي الله عنها، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم فيمن جلد في ذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه، فأقسم أن لا ينفق عليه، ثم عاد ينفق عليه بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾. وقيل: إن مسطحاً لقب، واسمه عوف. وله أخت اسمها هند، قيل: (توفي سنة أربع وثلاثين)، وهو ابن ست وخمسين سنة. وقيل: شهد صفين مع علي، (ت: سنة 37 هـ). ينظر أسد الغابة 164/5 رقم: 4857، والإصابة 93/6 رقم: 7941، والثقات 383/3 رقم: 1264.

3 - بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وكانت مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار، فكاتبوها ثم باعوها من عائشة، فأعتقتها وكان اسم زوجها مغنياً، وكان مولى فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاختارت فراقه، وكان يحبها فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها فيه، فقالت: أأتمر قال: " بل أشفع " . قالت: فلا أريده. وقد اختلف في زوجها: هل كان عبداً أو حرّاً. والصحيح أنه كان عبداً. ينظر أسد الغابة 43/7 رقم: 6763، والإصابة 535/7 رقم: 10928، والثقات 38/3 رقم: 128.

[رضي الله عنها] ، قالت له بريرة [رضي الله عنه] : والذي بعثك بالحق إن رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمصه عليها أكثر من أنها جاريةٌ حديثة السن تنام من عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبدالله أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني قد بلغني أذاه في أهل بيتي فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري⁽¹⁾ فقال: أنا أعذرُك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة⁽²⁾، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ⁽³⁾: لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير⁽⁴⁾ وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة⁽⁵⁾: كذبت لعمر الله لنقتلنه إنك منافق تُجادل عن المنافقين، فتناد الحَيَّانِ الأوس، والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُخَفِّضُهُمْ حتى سكتوا، وسكت، قالت: وبكيتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالحق كبدني قالت: فبينما هم جالسان عندي، وأنا أبكي، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما على ذلك، دخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتنشَّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: أما بعد يا عائشة قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة، فسئبرنك الله، وإن كنتِ أَلَمْتِ بذنبٍ، فاستغفري الله، ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبٍ ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقالته قَلَصَ دمعِي

1 - سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن الأوس الأنصاري الأشهلي، سيد الأوس وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة ، ويكنى أبا عمرو شهد بدرًا باتفاق ورمي بسهم يوم الخندق، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصاب سعدا السهم أمر أن يجعل في خيمة ربيعة الأسلمية، في المسجد ، ليعوده من قريب، فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في بني قريظة، وأجيب دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات، وفي الصحيحين وغيرهما من طرق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ، أسلم على يد مصعب بن عمير فلما أسلم قال لبني عبد الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا . فأسلموا ، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام ، وشهد بدرًا ؛ لم يختلفوا فيه ، وشهد أحدا ، والخندق. ت : 5 هـ . ينظر أسد الغابة 441/2 رقم: 2037، والإصابة 86/3 رقم: 3206، والثقات 146/3 رقم: 491.

2 - أسيد (بضم الهمزة): هو أسيد بن حضير بضم المهملة وفتح الضاد المعجمة بن سماك بن عتيك الأنصاري الأوسي الأشهلي يكنى: أبا يحيى ، بابنه يحيى، وقيل: أبا عيسى، كناه بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وقيل: غير ذلك، وكان أبوه فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج، وكان رئيس الأوس يوم بعثت، وأسلم أسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقيل: الثانية، وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يكرمه ولا يقدم عليه واحدا وقد أُخْلِيفَ في شهوده بدرًا وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وشهد مع عمر فتح البيت المقدس، روى عنه كعب بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم. (ت: 20 هـ). ينظر الاستيعاب 92/1 باب أسيد، وأسد الغابة 142/1 رقم: 170 وتقريب التهذيب 112/1 رقم: 157.

حتى لا أحسُّ منه قَطْرَةً، قلتُ لأبي: أجب عني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله؟ فقلتُ لأمي: أجيبني رسول الله، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله؟ قالت: فقلتُ: وأنا جارية حديثة السن، لا أحفظ كثيراً من القرآن، والله لقد عرفتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به ، ولئن قلتُ لكم إنِّي بريئة، والله يعلم أنني بريئة، لا تُصدّقوني، ولئن اعترفتُ لكم بذنب، والله يعلم أنني بريئة منه، لا تُصدّقني، وإنِّي والله لا أجد لي ولا لكم مثلاً، إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (1) قالت: ثم تحوّلت، فاضطّجعتُ على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذٍ أعلم أنني بريئة، وأن الله مُبرِّئٌ ببراءتي، ولكن والله ما كنتُ أظن أن ينزل في شأني وحي يُنلّي، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنتُ أرجو أن يُرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النوم رؤياً يُبرئني الله بها، قالت: فو الله ما رام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله على نبيّه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه لينحدر منه، مثل الجمان من العرق في اليوم الشتائي، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة، أما والله فقد برأكِ، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عشر آيات، فأنزل الله هذه الآيات براءتي، قالت: فقال أبو بكر - رضي الله عنه -، وكان يُنفق على مسطح لقرابته منه، وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إلى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (2)، فقال أبو بكر: والله إنّي لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه، وقال: لا أنزعها أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش [رضي الله عنها] (3) زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أمري: ما علمت وما رأيت، فقالت:

1- ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

الآية: (18) من سورة يوسف .
2- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية: (22) من سورة النور.

3- زينب بنت جحش: (أم المؤمنين) زوج النبي ﷺ، أخت عبد الله بن جحش. وهي أهدية من أسد بن خزيمة ، وأما أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت قديمة الإسلام ، ومن المهاجرات وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الله تعالى زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من السماء وكان اسمها برة، فسمها صلى الله عليه وسلم زينب، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : إن آباءكن أنكحوكن وإن الله أنكحني إياه. وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة. وكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به كما أخبر رسول الله ، وتوفيت سنة 20 هـ. ينظر الاستيعاب 1849/4 رقم: 335، وأسد الغابة 138/7 رقم: 6941. والإصابة 667/7 رقم: 11221.

يا رسول الله أحمي سمعي، وبصري ، والله ما عَلِمْتُ إلا خيراً، قالت عائشة [رضي الله عنها]: وهي التي تساميني من أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعصمها الله بالورع وَطَفَقَتْ أُخْتَهَا حَمْنَةَ بنت جحش [رضي الله عنها]⁽¹⁾ تُحَارِبُ لها، فهلكت فيمن هلك، قال ابن شهاب⁽²⁾: فهذا ما انتهينا إليه من أمر هؤلاء الرهط وفي بعض الروايات " أن عائشة [رضي الله عنها] قالت: لما نزل عذري قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل حدَّ أربع نفر عبدالله بن أبي بن سلول، وحسَّان بن ثابت⁽³⁾، ومسطح بن أثاثة⁽⁴⁾، وحمنة بنت جحش [رضي الله عنها] " ⁽⁴⁾، هكذا في بعض السنن، وفي رواية للبخاري، أنها قالت: " ولقد جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيتي، فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمتُ عليها عيباً، إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة، فتأكل خميرها، أو عجينها، وانتهرها بعض أصحابه، فقال: أصدقي رسول الله حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كَنْفَ أنثى قط، قالت

¹ - حمنة بنت جحش: وهي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبي . وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير ، فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدا ، وعمران ابني طلحة ، وأما أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت ممن قال في الإفك على عائشة رضي الله عنها ، فعلت ذلك حمية لأختها زينب فقال بعضهم : إنها جلدت مع من جلد فيه ، وقيل : لم يجلد أحد : وكانت من المهاجرات وشهدت أحدا فكانت تسقي العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم . روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنها ابنها عمران بن طلحة . لم تذكر المصادر تاريخ وفاتها . ينظر الاستيعاب 1813/4 رقم: 3302. وأسد الغابة 78/7 رقم: 6843، والإصابة 586/7 رقم: 11052،

² - محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي، كنيته أبو بكر ولد الزهري سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي السنة التي ماتت فيها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سيقا لمتون الأخبار، وكان فقيها فاضلا وحدث عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب وأبي أمامة بن سهل وطبقتهم من صغار الصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم، وروى عنه: صالح بن كيسان والأوزاعي والليث ومالك، وأم سواهم. ت: 124 هـ. ينظر تذكرة الحفاظ 83/1 رقم: 97. والثقات 349/5 رقم: 5162، والطبقات الكبرى 157/1 رقم: 70.

³ - حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا الوليد ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو حسام، وأمه : الفريعة بالفاء والعين المهملة مصغرا بنت خالد بن خنس الأنصارية، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبرا في المسجد ، يقوم عليه قائما ، يفاخر عن رسول الله ، وكان حسان ممن خاض في الإفك ، فجلد فيه في قول بعضهم ، وأنكر قوم ذلك ولم يشهد مع النبي شيئا من مشاهدته لجبنه ، ووهب له النبي جاريته سيرين أخت مارية ، فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، فهو وإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا خالة . وأُخْتُفَ في سنة موته: (40 هـ 50 هـ، 54 هـ) وهو ابن مائة وعشرين سنة، لم يختلفوا في عمره وأنه عاش ستين سنة في الجاهلية ، وستين سنة في الإسلام. ينظر الاستيعاب 341/1. وأسد الغابة 7/2 رقم: 1147، والإصابة 62/2 رقم: 1706،

⁴ - أخرجه أبوداود في سننه 567/2 باب في حد القذف برقم: 4474، بلفظ: " لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم " والترمذي في سننه 336/5 سورة النور برقم: 3181، وابن ماجه في سننه 857/2 باب حد القذف برقم: 2567، وأحمد في مسنده 76/40 مسند السيدة عائشة رضي الله عنها برقم: 24066، والطبراني في الكبير 163/23 باب جلد النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب الإفك برقم: 263. وقال الترمذي: " هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق " .

عائشة [رضي الله عنها]: فَقُتِلَ شَهِيداً⁽¹⁾ ، فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾؛ أي: جماعة منكم، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾؛ أي: يا آل أبي بكر ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أي: في الدارين: لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم، باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حيث أنزل براءتها في القرآن العظيم. كما روى ابن جرير: " إن عائشة، وزينب بنت جحش تفاخرتا، فقالت زينب [رضي الله عنها]: أنا الذي نزل تزويجي، فقالت عائشة [رضي الله عنها]: أنا الذي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الرحلة، فقالت زينب [رضي الله عنها]: يا عائشة ما قلت حين ركبتيهما؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين⁽²⁾ وقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾؛ أي: لكل من تكلم في هذه القضية، ورمى عائشة [رضي الله عنها] بشيء من الفاحشة، نصيب عظيم من العذاب ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾، قيل: ابتدأه، وقيل: الذي كان يجمعه، ويستوشيه، ويُشيعه ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: على ذلك، ثم الأكثرون: على أنه هو عبدالله بن أبي بن سلول، وهو الذي يقدم النص عليه في الحديث، وقيل: بل هو حسان بن ثابتؓ، وهو (قول غريب)، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد دلَّ على ذلك، لما كان لإيراده كثير فائدة، فإنه من الصحابة الفضلاء، وله محاسن كثيرة، وأحسنها أنه كان يذب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشعره، وهو الذي قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هاجمهم وجبريل معك"⁽³⁾، وعن مسروق⁽⁴⁾ قال: " كنتُ عند عائشة [رضي الله عنها]، فدخل حسان بن ثابتؓ، فأمرتُ، فألقي له وسادة، فلما خرج، قلتُ لعائشة: ما تصنعين بهذا، يعني يدخل عليك"⁽⁵⁾ وفي رواية، قيل لها: " أتأذنين لهذا يدخل عليك، وقد

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 1780/4 باب تفسير سورة النور برقم: 4479، ومسلم في صحيحه 2129/4 باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم: 2770.

² - أورده ابن جرير في تفسيره 119/19 تفسير سورة النور، وأخرجه الطبراني في الكبير 44/24 ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها، وذكر سننها ووفاتها ومن أخبارها برقم: 122، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 384/9 باب حديث الإفك برقم: 5303، وعزاه إلى الطبراني، وقال: وفيه المعلى بن عرفان وهو متروك. وينظر الدر المنثور 156/6.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه 1176/3 باب ذكر الملائكة برقم: 3041، بلفظ " قال النبي صلى الله عليه وسلم هاجمهم، أو هاجمهم، وجبريل معك"، ومسلم في صحيحه 1933/4 باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه برقم: 2486.

⁴ - مسروق بن عبد الرحمن الهمداني من أهل الكوفة كنيته أبو عائشة أدرك الجاهلية، وهو الذي يقال له مسروق بن الأجدع بن مالك بن معاوية الهمداني، وهو تابعي وكان على القضاء، وعن يحيى بن معين انه قال: مسروق ثقة لا يسئل عنه، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم، وروى عنه الشعبي والنخعي، وكان من عباد أهل الكوفة وروى عنه أهلها، ت: 62 هـ. ينظر أسد الغابة 164/5 رقم: 4855، والثقات 456/5 رقم: 5700، والجرح والتعديل 396/8 رقم: 1820.

⁵ - أورده ابن جرير بلفظ " ما تصنعين بهذا، وقد قال الله ما قال فقالت: قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وقد ذهب بصره، ولعلَّ الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره. ينظر تفسير الطبري 118/19 تفسير سورة النور.

قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قالت: وأي عذاب أشد من العمى، وكان قد ذهب بصره، لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب الأليم، ثم قالت: إنه كان يُنافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ ، وفي رواية " إنه أنشد عندما دخل عليها شعراً يمتدحها به"، فقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزُنُّ بَرِييَةً ... وَتُصْبِحُ عَرْتِي مِنْ لَحُومِ الْعَوَافِلِ⁽²⁾.

فقالت: لكنك لست كذلك، وقالت عائشة [رضي الله عنها]: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان. وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان [الحرث بن عبدالمطلب رضي الله عنه]⁽³⁾ :

هجوت محمداً، فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذلك الجزاءُ

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاءُ

أتشتُمهُ، ولست له بكفءٍ ... فشرُّكمَا لخيركمَا الفداءُ

لساني صارمٌ لا عيبَ فيه... وبَحْرِي لا تُكدرُهُ الدلاءُ⁽⁴⁾.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1779/4 سورة النور برقم: 4477، ومسلم في صحيحه 1934/4 باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه برقم: 2488.

2 - وهي قصيدة تتكون من 9 أبيات والشاهد هو الأول منها وهي بعنوان : حسانٌ رزانٌ ما تزُنُّ بريية ... وتُصْبِحُ عَرْتِي مِنْ لَحُومِ الْعَوَافِلِ. ينظر ديوان حسان بن ثابت 190/1. وفي حاشية المخطوط : " رَزْنُ الرجل بالضم: أي وقور ، وامرأة رزانٌ، إذا كانت رزيئةً في مجلسها، أزننته بشر ، اتهمته به ، وهو يُزْنُ بكذا والغرث الجوع ، فهو غرثان ، وامرأة غرثي ، والمراد هنا : أنها نحيفة غير جسيمة، كما هو شأن الغوافل.

3 - هكذا في المتن [الحرث بن عبد المطلب]، اللوحة 239/ب، وعند ابن كثير [ابن الحارث] وهذا الصواب: وهو أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي وكان أبا النبي من الرضاعة ، أرضعتها حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية . وأمه غزية بنت قيس بن طريف وكان ممن يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين ، وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ويهجوه ويؤذي المسلمين، وإلى ذلك أشار حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة: هجوت محمداً فأجبت عنه... وعند الله في ذلك الجزاء. وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح . وشهد معه حنيناً فأبلى فيها بلاءً حسناً. وهو معدود في فضلاء الصحابة ، روي أنه لما حضرته الوفاة قال : لا تبكوا علي فإني لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمت. ت: 15 هـ ينظر الاستيعاب 535/1 . وأسد الغابة 153/6 رقم: 5952 والإصابة 179/7 رقم: 10022.

4 - وهذه قصيدة تتكون من 32 بيتاً وهي بعنوان: عفت ذات الأصابع فالجواء: والشواهد المذكورة:

24 - هجوت محمداً، فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاءُ .

25 - أتَهْجُوهُ، وَلَسْتُ لَهُ بِكفءٍ..... فشرُّكمَا لخيركمَا الفداءُ .

28 - فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاءُ .

32 - لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبَحْرِي لا تُكدرُهُ الدلاءُ. ينظر ديوان الشاعر ص/17 - 21.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

هذا تأديبٌ للمؤمنين في قضية الإفك حين، أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيئ، فقال تعالى: ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ أي: ذلك البهتان ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: [قاسوه]⁽¹⁾ ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم، فأَمُّ المؤمنين أولى بالبراءة منه، وقد قيل: إنها نزلت في خالد بن زيد أبي أيوب الأنصاري⁽²⁾ وامرأته، كما في (مسند أحمد) أن أبا أيوب خالد بن زيد⁽³⁾ قالت له امرأته أم أيوب [رضي الله عنها]: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة [رضي الله عنها]؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكننتِ فاعلةً يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنتُ لأفعله، قال: فعائشة خيرٌ منك⁽³⁾، قال: فلما نزل القرآن ذكر الله من قال بالفاحشة ما قال من أهل الإفك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾، وذلك حسان، وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، كما قال أبو أيوب وصاحبته: أي هلا ظنوا الخير، فإنَّ أم المؤمنين أهله وأولى به هذا ما يتعلق بالباطن، وقوله: ﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: بألسنتهم ﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: كذبٌ ظاهرٌ بينٌ، على أم المؤمنين، فإن الذي وقع لم يكن ريباً، وذلك أن مجيء أم المؤمنين [رضي الله عنها]، راكبةً جَهْرَةً على راحلة صفوان بن المعطل⁽⁴⁾ في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يُشاهدون ذلك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه ريباً، لم يكن هكذا جهرة، ولا كانا يُقدمان على مثل ذلك، على رؤوس الأشهاد، قال تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، يشهدون على صحة ما جاءوا به، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾؛ أي: في حكم الله، كذبةٌ فاجرون بُهتٌ.

1 - هكذا في المتن اللوحة 329/ب، والصواب عند ابن كثير [قاسوا]، ينظر تفسير ابن كثير 27/6.

2 - خالد بن زيد بن كليب ابن ثعلبة أبو أيوب الأنصاري الخزرجي وهو مشهور بكنيته، وأمه: هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس شهد العقبة، وبدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع رسول الله ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا نزل عليه، وأقام عنده حتى بنى حجره ومسجده، وانتقل إليها، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير، روى عنه من الصحابة ابن عباس، وابن عمر، والبراء بن عازب وغيرهم. (ت: 50 هـ) على الأرجح، ودفن بالقرب من القسطنطينية، وقبره بها يستسقون به. ينظر الاستيعاب 424/2 رقم: 600. وأسد الغابة 116/2 رقم: 1345، والإصابة 234/2 رقم: 2165.

3 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14221/2546. وتفسير الطبري 129/19 تفسير سورة النور. والدر المنثور 160/6، ولم أقف عليه في مسند الإمام أحمد.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

أي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، أيها الخائضون في (قصة الإفك)⁽¹⁾، ورحمته في الدنيا بأن قبل توبتكم، وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم، وغفر ذنوبكم في الآخرة ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في قضية الإفك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، في الآخرة، لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل في شأن من تولى كبره، وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة: كحسان، ومسطح، وحمنة⁽²⁾، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبدالله بن أبي، وأضرابه، فليس لهم من فضل الله، ورحمته نصيب، لأنه لم يكن لهم إيمان، ولا عمل صالح حتى يعادل هذا، ويعارضه، ثم قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، قال مجاهد وغيره: أي برواية بعضكم من بعض، يقول: هذا سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا، وقرأ بعضهم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾⁽²⁾ وفي صحيح البخاري: " أن عائشة [رضي الله عنها] كانت تقرأها كذلك؛ أي: بكسر اللام وتخفيف القاف من الؤلُق، وهو الكذب الذي يستمر صاحبه فيه "⁽³⁾، والقراءة الأولى أشهر، وعليه الجمهور، ولكن عائشة [رضي الله عنها] أعلم بالحال، والله أعلم. وقوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: تقولون ما لا تعلمون، ثم قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾؛ أي: تقولون ما تقولون في شأنها وتحسبون ذلك سهلاً يسيراً، ولو لم تكن زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كان هيئاً، فكيف وهي زوجة سيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما

¹ - وقد ورت هذه القصة في حديث شريف، أخرجه البخاري في صحيحه 1515/4 باب حديث الإفك برقم: 3910، ومسلم في صحيحه 2120/4 باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم: 4770. والحديث ورد مطولاً.

² - يقول القرطبي: قرأ أبي وابن مسعود ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾، من التلقي، بتاءين. وقرأ جمهور السبعة بحرف التاء الواحدة وإظهار الذال دون إدغام؛ وهذا أيضاً من التلقي. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام الذال في التاء. وقرأ ابن كثير بإظهار الذال وإدغام التاء في التاء، وهذه قراءة قلقة؛ لأنها تقتضي اجتماع ساكنين، وقرأ ابن يعمر وعائشة رضي الله عنهما - وهم أعلم الناس بهذا الأمر ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف؛ ومعنى هذه القراءة من قول العرب: ولق الرجل يلق ولقا إذا كذب واستمر عليه؛ فجاءوا بالمتعدي شاهداً على غير المتعدي.. وذكر أنها في قراءة أبي: " إِذْ تَلَقَّوْنَهُ" بتاءين، وعليها قراءة الأمصار، غير أنهم قرأوها: ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ بتاء واحدة؛ لأنها كذلك في مصاحفهم. وقد روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، تقول: إنما هو ولق الكذب، وتقول: إنما كانوا يلقون الكذب. ينظر تفسير الطبري 131/19، وتفسير القرطبي 204/12، والتبيين في إعراب القرآن 967/2، والحجة في القراءات 260/1.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه 1523/4 باب حديث الإفك برقم: 3913، والطبراني في الكبير 143/23 باب نظر عائشة رضي الله عنها إلى جبريل برقم: 200.

قيل، فإنه تعالى يغار لهذا، وهو لم يُقَدَّر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك - (حاشا وكلا) - فكيف يكون هذا في سيِّدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد العالمين، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، وفي الصحيحين " أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يدرى ما تبلغ، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض "(1).

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾
يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

هذا تأديب آخر، أي: إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الصديقة، فأولاً: ينبغي الظنُّ بهم خيراً، وأن لا يشعر نفسه ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك وسوسةً أو خيالاً، فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها، ما لم يقل، أو يعمل "(2) [اتفقا عليه]، فقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾، أي: ما ينبغي لنا أن ننتفوه بهذا الكلام، ولا نذكره لأحد ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، أي: سبحان الله أن يُقال هذا الكلام عن زوجة رسوله، وحليلة حبيبه، ثم قال: ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾، أي: ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً، أي: فيما يُستقبل، ولهذا قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي: إن كنتم تؤمنون بالله، ورسوله، وشرعه، وتعظمون رسوله، ثم قال: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، أي: بما يصنع عباده ﴿حَكِيمٌ﴾، في شرعه وقدره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

هذا تأديب ثالث، لمن سمع شيئاً من الكلام السيء، فوقع في ذهنه منه شيء، وتكلم به فلا يكثر منه، ولا يُشيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: يختارون ظهور الكلام بالقبيح ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾؛

1 - أخرجه البخاري في سننه 2377/5 باب حفظ اللسان برقم: 6113 بلفظ " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق "، ومسلم في صحيحه 2290/4 باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار برقم: 2988 بلفظ " إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ".

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 2454/6 باب إن حنث ناسياً في الأيمان برقم: 6287 بلفظ " إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم ". ومسلم 116/1 باب تجاوز الله عن حديث النفس برقم: 127 بلفظ " إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به " .

أي: بالحد ﴿وَالْآخِرَةَ﴾، بالعذاب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فردوا الأمر إلى الله ترشدوا، وعن ثوبان ⁽¹⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تؤذوا عباد الله، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته " ⁽²⁾ رواه أحمد، والترمذي عن ابن عمر أبلغ منه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

أي: ﴿وَلَوْلَا﴾ هذا، وهو ﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، لكان أمراً آخر، ولكنه تعالى ﴿رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية، [وظهر من ظهر] ⁽³⁾ منهم، بالحد الذي أقيم عليه، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾، هذا تنفير، وتحذير من ذلك بأفصح عبارة، وأزجرها وأحسنها، قالوا: ﴿خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾، نزغاته، ومعاصي الله، وكل ما هو بخلاف السنة، وقال رجل لابن مسعود ⁽⁴⁾: " إِنِّي حَرَّمْتُ أَنْ أَكُلَ شَيْئًا، وَسَمَاءُ، فَقَالَ: هَذَا مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَكُلَّ " ⁽⁴⁾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أي: لولا هو يرزق [من يشاء] ⁽⁵⁾ التوبة، والرجوع إليه ويُرَكِّي النفوس من شريكها، وفجورها، ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، فيهلكه في

1 - ثوبان ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو ثوبان بن بجدد وقيل : ابن جدر ، يكنى أبا عبد الله وقيل : أبو عبد الرحمن ، والأول أصح ، وهو من حمير من اليمن أصابه سباء فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، وقال له : (إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم ، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت) فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفرا وحضرا إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بها دارا ، وابتنى بمصر دارا ، ويحصد دارا ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث نوات عدد ، روى عنه شداد بن أوس ، وجبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني وغيرهم، ت: 54هـ . ينظر الاستيعاب 218/1، وأسد الغابة 366/1 رقم: 623، والإصابة 413/1 رقم: 968.

2 - أخرجه الترمذي في سننه 378/4 باب تعظيم المؤمن برقم: 2032، وأحمد في مسنده 88/37 مسند ثوبان رضي الله عنه برقم: 22402 والهيثمى في مجمع الزوائد 164/8 باب فيمن يعبر بالنسب أو غيره برقم: 13093، وعزاه إلى أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد.

3 - وعند ابن كثير [وَطَهَّرَ مَنْ طَهَّرَ]، وهو الصواب. ينظر اللوحة 330/ب، وتفسير ابن كثير 30/6.

4 - ورد هذا القول عن مسروق أنه قال: " سألت رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن أكل طعاما؟ فقال: هذا من نزغات الشيطان، كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ، وَكُلَّ ". ينظر تفسير ابن كثير 30/6 تفسير سورة النور.

5 - وعند ابن كثير [من يشاء]، وهو الصواب. ينظر اللوحة 330/ب، وتفسير ابن كثير 30/6.

[مهامه الضلال]⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾؛ أي: لأقوال عباده، ﴿عَلِيمٌ﴾، لمن يستحق منهم الهدى والضلال.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ .

أي: لا يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولوا الطَّوْلِ والصدقة والإحسان ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا يحلفوا أن لا يوصلوا قراباتهم المساكين، والمهاجرين، وهذا غاية الترفق، والعطف على صلة الأرحام ولهذا قال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾؛ أي: عما يُقَدِّمُ منهم من الاساءة، والأذى ، وهذا من حلمه تعالى، وكرمه، ولطفه بخلقه، مع ظلمهم لأنفسهم، وهذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حَلَفَ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَىٰ مِسْطَحٍ ﷺ بِنَافِعَةٍ بَعْدَ مَا قَالَ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ [رضي الله عنها] ما قال، كما سبق في الحديث، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين [رضي الله عنها] ، وطابت النفوس المؤمنة ، وتاب الله على من تاب من المؤمنين ، وأقيم الحدّ على من أُقِيمَ عليه، شرع تعالى بعطف الصديق على قريبه وهو مِسْطَحُ بنِ أَثَاثَةَ ﷺ، فإنه كان ابن خالة الصديق ﷺ ، وكان مسكيناً، لا مال له إلا ما يُنْفِقُ عليه أبوبكر ﷺ، وكان من المهاجرين، وقد زَلِقَ زَلَقَةً تاب الله عليه منها وضُرب الحدّ عليها، وكان الصديق ﷺ معروفاً بالمعروف، له الفضل، والأيدى على الأقارب، والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما يغفر من الذنب إليك يغفر لك وكما تصفح، يُصَفِّحُ عنك، فعند ذلك قال الصديق ﷺ: " بلى والله أنا أحب يا ربنا أن تغفر لنا " (2) ، ثم رجع إلى مِسْطَحٍ ﷺ ما كان يصله من المنفعة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بِنَافِعَةٍ أبداً، فلماذا كان الصديق هو الصديق ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾﴾

1 - وعند ابن كثير: [مهالك الضلال]. ينظر اللوحة 330/ب، وتفسير ابن كثير 30/6. (المهمه)، و(المهمه): المفازة البعيدة، ويقال: (مهمه) بلا لام، جمعها: (مهامه). ينظر تاج العروس: 505/36، ولسان العرب 541/13.
2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1780/4 تفسير سورة النور برقم: 4479، ومسلم في صحيحه 2129/4 باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم: 2770 ، والحديث ورد مطولاً.

هذا وعيد لمن قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل مُحَصَّنَةٍ، ولا سيما عائشة الصديقة [رضي الله عنها] التي كانت سبب نزولها، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سبها ورمأها بما رماها به الذين ذكروا في هذه الآية، فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: " أصحهما أنهن كهي "(1) ، (والله أعلم). وقوله: ﴿لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (2) الآية. وقد ذهب بعضهم، إلى أنها خاصة بعائشة [رضي الله عنها]، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: " إنها نزلت في عائشة [رضي الله عنها] خاصة "(3)، وهذا مُسَلَّم بلا شك، وليس فيه أن الحكم خاصٌّ بها، بل يعمّها كغيرها، ولعلّه مراد ابن عباس رضي الله عنهما ومتابعيه: أن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - [رضي الله عنهن] ، خاصة بها دون غيرهن من النساء، كما رُوِيَ عنه، أنه قال : " نزلت هذه الآية في شأن عائشة [رضي الله عنها] وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأما أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباعوا بسخط من الله ، فكان ذلك في أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - [رضي الله عنهن]، ثم نزل بعد ذلك ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إلى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4) ، فأنزل الله الجلد والتوبة، فالتوبة تُقْبَلُ والشهادة تُرَدُّ، وفي رواية ابن جرير: أن ابن عباس رضي الله عنهما فسّر هذه الآية، وقال: " هي في شأن عائشة، وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - [رضي الله عنهن] وهي مُبْهَمَةٌ؛ أي: عامة في تحريم قذف كل مُحَصَّنَةٍ، قال: وليست لهم توبة ، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ إلى آخر الآية، قال: فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة، وقد اختار ابن جرير عمومها "(5)، وهو الصحيح، ويعضد العموم ما في الصحيحين عن أبي

1 - أورد القرطبي في تفسيره أن هشام بن عمار قال: " سمعت مالكا يقول : من سب أبا بكر وعمر أدب ومن سب عائشة قتل، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فمن سب عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتِلَ. وقال ابن العربي: قال أصحاب الشافعي: من سب عائشة رضي الله عنها أدب كما في سائر المؤمنين. ثم يضيف القرطبي: وأهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله تعالى فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ؛ فهذا طريق قول مالك. ولو أن رجلا سب عائشة بغير ما برأها الله منه، لكان جزاؤه الأدب ". ينظر تفسير القرطبي 206/12.

2 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (57) من سورة الأحزاب.
3 - أخرجه الطبراني في الكبير 151/23 باب نظر عائشة رضي الله عنها إلى جبريل عليه السلام برقم: 226، عن سعيد بن جبير، والحاكم في مستدرکه 11/4 باب ذكر الصحابييات من أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم و غيرهن رضي الله تعالى عنهن برقم: 6731. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد 185/7 باب تفسير قصة الإفك برقم: 11211، وعزاه إلى الطبراني ، وقال: وفيه

يحيى الحماني وهو ضعيف

4 - ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)﴾ من سورة النور.

5 - عن ابن عباس قال: هذا في شأن عائشة رضي الله عنها، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وعن ابن وهب وابن زيد: هذا في عائشة رضي الله عنها، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات، فله ما قال الله، ولكن عائشة

هريرة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله ما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " (1)، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " إنهم يعني: المشركين إذا رأوا، يعني: يوم القيامة، أنه لا يدخل الجنة، إلا أهل الصلاة، قالوا: تعالوا حتى نجد فيجدون، فيختم على أفواههم، وتشهد أيديهم، وأرجلهم " (2). ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (3)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضحك، فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: من مخاصمة العبد ربه يقول: يا رب ألم تُجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول إنني لا أُجير على نفسي، إلا شاهد مني، قال: فيقول " كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فينطق بأعماله، ثم يُخلى بينه، وبين الكلام، قال: فيقول: بُعداً لكَرٍّ وسُحقاً، فعنك كنتُ أناضل " (4) رواه مسلم، وقال قتادة: " ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير متهم من بدئك، فراقبهم، واتق الله في سرائرك، وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوءٌ، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو حسن الظن بالله، فليفعل، ولا قوة إلا بالله " (5)، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: ﴿دِينَهُمْ﴾؛ أي: حسابهم، وكل ما في القرآن ﴿دِينَهُمْ﴾؛ أي: حسابهم، ثم إن قراءة الجمهور بنصب ﴿الْحَقَّ﴾، على أنه صفة لدينهم، وقرأ مجاهد: بالرفع على أنه نعت الجلالة، وفي مُصحف أبي بن كعب: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ الْحَقُّ﴾

كانت إمام ذلك. ويقول ابن جرير: " وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها ". ينظر تفسير ابن كثير 32/6 وتفسير الطبري 140/19.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1017/3 باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ﴾ سعيبراً برقم: 2615، ومسلم في صحيحه 92/1 باب بيان الكبائر وأكبرها برقم: 89.

2 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 14298/3480.

3 - ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ الآية (42) من سورة النساء.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 2280/4 كتاب الزهد والرقائق برقم: 2969، والنسائي في سننه 508/6 سورة الإنفطار برقم: 11653، وقال: ما أعلم أحداً روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم وابن حبان في صحيحه 58/16 باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث برقم: 7358.

5 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 14299/3480، والطبري في تفسيره 454/21 الآية 21 سورة فصلت.

دِينَهُمْ⁽¹⁾ ، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ؛ أي: وعده، ووعدته، وحسابه هو العدل، الذي لا جورَ فيه، فيبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾⁽²⁾.

قال ابن عباس⁽³⁾: " الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، قال: ونزلت في عائشة [رضي الله عنها]، وأهل الإفك، وهكذا روى عن أكثر التابعين، واختاره ابن جرير⁽²⁾ ووجهه، أن الكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبته أهل النفاق إلى عائشة [رضي الله عنها]، هم أولى به وهي أولى بالبراءة، والنزاهة منهم، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، وقال ابن زيد: " الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وهكذا، الطيبات، والطيبون "⁽³⁾ ، وهذا يرجع إلى ما قاله ﴿أُولَئِكَ﴾ باللازم؛ أي: ما كان الله ليجعل عائشة [رضي الله عنها] زوجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له، لا شرعاً، ولا قدراً، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ ؛ أي: هم بعداء عما يقول أهل الإفك، والعدوان ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ؛ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ؛ أي: عند الله جنات النعيم، وفيه وعدٌ

1 - قرأ مجاهد: {يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ} برفع {الحق} على أنه نعت لله عز وجل. والنصب على النعت للدين، قال أبو عبيد: ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ؛ ليكون نعتاً لله عز وجل ، ويقول الزمخشري: والحق : بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ، وبالرفع صفة لله . ينظر تفسير القرطبي 210/12، والكشاف 223/3 سورة النور ، ومشكل إعراب القرآن 511/2.

2 - ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، قاله ابن زيد. والثاني : الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال قاله مجاهد وقتادة. والثالث: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام قاله ابن عباس والضحاك. وتأول بعض أصحاب الخواطر: الخبيثات الدنيا، والطيبات الآخرة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14316/2562، وتفسير الطبري 141/19 ، وتفسير الماوردي 84/4.

3 - قال ابن زيد: المعنى الخبيثات من النساء، للخبيثين من الرجال ، وكذا الخبيثون للخبيثات، وكذا الطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، وقال مجاهد وابن جبير وعطاء وأكثر المفسرين : المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول، وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول. ينظر تفسير القرطبي 211/12.

بأن تكون زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة، ولهذا كان مما يُفتخر بها " أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرةً ورزقاً كريماً "(1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

هذه آدابُ في الاستئذان، أمر الله المؤمنين أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم، ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا﴾؛ أي: يستأذِنوا قبل الدخول ﴿وَتُسَلِّمُوا﴾ بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاثاً فإن أُذِنَ له، وإلا انصرف، لما ثبت في الصحيحين " أن أبا موسى رضي الله عنه حين استأذن على عمر رضي الله عنه ثلاثاً، فلم يُؤذَن له، انصرف، ثم قال عمر رضي الله عنه: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس رضي الله عنه (2) يستأذن: ائذِنوا له فطلبوه، فوجدوه قد ذهب، فلما رجع بعد ذلك، قال: ما رجعت؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً، فلم يُؤذَن لي، فرجعت، وإني سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يُؤذَن له فليَنصرف، فقال: لتأتين على هذا بيئنة، وإلا أوجعتك ضرباً، فذهب إلى ملاٍ من الأنصار، فذكر لهم ما قال له عمر، فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري، فأخبر عمر بذلك، فقال: ألهاني الصَّفْقُ بالأسواق "(3)، وعن أنس رضي الله عنه، أو غيره " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استأذن على سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال سعد رضي الله عنه: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى سلَّم رسول الله ثلاثاً، وردَّ عليه سعد رضي الله عنه ثلاثاً، ولم يسمعه

1 - يقول النيسابوري: برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد: (وشهد شاهد من أهله) وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها إني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المتلو على وجه الدهر" . ينظر غرائب القرآن وרגائب الفرقان 174/5.

2 - عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم الأشعر نبت وأمه ظبية بنت وهب وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن ، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة ، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام، قدم أبو موسى إلى البصرة سنة سبع عشرة واليا بعد عزل المغيرة ، وكتب إليه عمر رضي الله عنه : أن سر إلى الأهواز فأتى الأهواز فافتتحها عنوة وقيل : صلحا وافتتح أبو موسى أصبهان سنة ثلاث وعشرين وكان أبو موسى على البصرة لما قتل عمر رضي الله عنه فأقر عثمان عليها ، ثم عزله واستعمل بعده ابن عامر ومات أبو موسى بالكوفة. أُخْتُلِفَ في سنة موته 42 هـ -

53 هـ. ينظر الاستيعاب 979/3 رقم: 1639، وأسد الغابة 376/3 رقم: 3124 والإصابة 211/4 رقم: 4901.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 727/2 باب الخروج في التجارة برقم: 1956، ومسلم في صحيحه 1694/3 باب الاستئذان برقم: 2153.

النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فرجع النبى - صلى الله عليه وسلم - فأتبعه سعد بن عبد الله ، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما سلّمت تسليمَةً، إلا وهي بأذني، ولقد رددتُ عليك، ولم أسمعك، أَحْبَبْتُ أَنْ اسْتَكَثِرَ مِنْ سَلَامِكَ، وبركتك من البركة، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْبَيْتَ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ زَبِيْبًا، فَأَكَلَ نَبِيَّ اللَّهِ، فلما فرغ، قال: أَكَلَّ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ (1) رواه أحمد ، ورواه أبو داود، والنسائي عن قيس بن سعد (2) مبسوطاً، وقيل: الاستئناس: طلب الإنسان وهو أن ينظر هل في البيت إنسانٌ فيؤذَنهم إنِّي داخلٌ ، ولهذا قال الخليل (3): الاستبصار " ورُوي عن ابن عباس (رضي الله عنه) ، (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا) ، وكان يقرأ هكذا، كما كان يقرأ أبي بن كعب، وهذا غريبٌ جداً عن ابن عباس (رضي الله عنه) . وقال إبراهيم (4): في مُصحف ابن مسعود (رضي الله عنه) ﴿ حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ﴾ ، وهذا أيضاً رواية عن ابن عباس (رضي الله عنه) ، وهو اختيار ابن جرير (5) ، وعن كَلْدَةَ بن

1 - أخرجه أبو داود في سننه 395/2 باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده برقم: 3854، والنسائي في سننه 202/4 باب الدعاء لمن أظفر عنده برقم: 6901، وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمعه من أنس، وأحمد في مسنده 397/19 مسند أنس رضي الله عنه برقم: 12406، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 71/8 باب فيمن رد السلام سراً برقم: 12753، عزاه إلى أحمد والبخاري وقال: عن أنس ولم يقل أو غيره، وعند أبي داود بعضه.

2 - قيس بن سعد بن عبادة ابن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي الساعدي ، يكنى : أبا الفضل . وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الملك . وأمه بنت عم أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد، وكان من فضلاء الصحابة ، وأحد دهاة العرب وكرماتهم ، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب ، مع النجدة والشجاعة ، وكان شريف قومه غير مدافع ، ومن بيت سيادتهم، وعن أنس رضي الله عنه قال : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبي بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث. وروى عنه: ابن أبي ليلى، والشعبي وعمرو بن شريحيل، وغيرهم. (ت: 59 هـ - 60 هـ). ينظر الاستيعاب 1289/3 رقم: 2134. وأسد الغابة 450/4 رقم: 4340، والإصابة 473/5 رقم: 7182.

3 - الخليل بن أحمد الأزدي من فراهيد البصري كنيته أبو عبد الرحمن صاحب العروض وكتاب العين يروى المقاطيع وهو أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد. وكان من خيار عباد الله من المتقشفين في العبادة وكان من الزهاد في الدنيا ، والمنقطعين إلى العلم، وكان آية في الذكاء ، وكان الناس يقولون: لم يكن في العربية بعد الصحابة أذكى منه . وكان يحج سنة ، ويغزو سنة، روى عن أيوب السخيتاني وعاصم الأحول وعنه حماد بن زيد وأيوب بن المتوكل وسيبويه والأصمعي وغيرهم مات بعد الستين وقيل سنة سبعين أو بعدها ينظر وبغية الوعاة 557/1 رقم: 1172، وتقريب التهذيب 195/1 رقم: 1750 والثقات 229/8 رقم: 13160، وقال : الاستئناس : الاستبصار من (أنس الشيء إذا أبصره) كقوله : " أنستُ ناراً " أي: أبصرت. ينظر اللباب 343/14.

4 - إبراهيم بن يزيد بن عمرو النخعي أبو عمران، وقيل: إنه إبراهيم بن يزيد بن الأسود، من زعم أنه إبراهيم بن يزيد بن عمرو فقد نسبه إلى جده، سمع المغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك، ودخل على عائشة رضي الله عنهم، روى عنه منصور ومغيرة، والأعمش، وكانت أمه مليكة بنت قيس أخت علقمة بن قيس، ورُوي عن سعيد بن جببر قوله: أتستفتونني وعندكم إبراهيم . وقال الشعبي لما بلغه موت إبراهيم ما خلف بعده، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد قيل إنه مات، وهو متوار من الحجاج، فذُفِنَ ليلاً ت: 96 هـ بعد موت الحجاج بأربعة أشهر. ينظر تذكرة الحفاظ 95/1 رقم: 70. والثقات 7/4 رقم: 1605، والجرح والتعديل 144/2 رقم: 473.

5 - في مصحف ابن مسعود: ﴿ حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ﴾ . وقد قرئت: ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ روي ذلك عن ابن عباس، وقد روي عنه أنه كان يقرأها كما كان أبي وابن مسعود يقرانها: ﴿ حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ﴾ ينظر الاستذكار 478/8، والبيان والتحصيل 470/18 وتفسير الطبري 146/19. وروح المعاني 136/18.

حنبل⁽¹⁾ وصفوان بن أمية⁽²⁾ بعثه في الفتح: (بَلْبَأ، وَجَدَايَةَ، وَضَعَايِسَ)⁽³⁾ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأعلى الوادي، قال: فدخلت عليه، ولم أسلم، ولم استأذن، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ارجع فقل: السلام عليكم، وأدخل⁽⁴⁾، رواه أحمد وأبوداود، والترمذي والنسائي، قال ابن مسعود⁽⁵⁾: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم⁽⁵⁾ عن عدي بن حاتم⁽⁶⁾: " أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن [أراني أحدٌ عليها]⁽⁷⁾، لا والدٌ، ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل علي الرجل من أهلي، وأنا على تلك الحال"⁽⁸⁾، قال: فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا﴾ الآية. وعن قتادة: في

1 - كعدة بن حنبل ويقال: كعدة بن الحنبل بن مليل الأسلمي، وهو أخو صفوان بن أمية لأمه ويقال ابن أخيه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه: أمية بن صفوان بن أمية، وعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية. روى له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي والنسائي. وهو الذي قال يوم حنين لما شهدها مع أخيه صفوان ووقعت هزيمة المسلمين بطل السحر فزجره صفوان. ثم أسلم بعد ذلك، وهو الذي بعثه صفوان بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس . وقيل: أن كعدة بن الحنبل أسود من سودان مكة وكان متصلا بصفوان بن أمية يخدمه لا يفارقه في سفر ولا حضر، ثم أسلم بإسلام صفوان، ولم يزل مقيما بها حتى توفي بها. ينظر أسد الغابة 523/4 رقم: 4481، والإصابة 619/5 رقم: 7451، وتهذيب الكمال 206/24 رقم: 4989.

2 - صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، وأمه صفية بنت معمر جمحية أيضا، يكنى أبا وهب، وقيل: أبو أمية قتل أبوه أمية بن خلف يوم بدر كافرا، ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، هرب صفوان بن أمية إلى جدة، فأتى عمير بن وهب بن خلف، وهو ابن عم صفوان، إلى رسول الله، ومعه ابنه وهب ابن عمير، فطلبوا له أمانا من رسول الله، فأمنه، وبعث إليه برده أو ببردة له، وقيل: بعمامته التي دخل بها مكة أمانا له وكان من المؤلف، وحسن إسلامه وأقام بمكة وكان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وكان أحد المطعمين، فكان يقال له: سداد البطحاء، وكان من أفصح قريش ومات صفوان بن أمية بمكة سنة 42 هـ. ينظر الاستيعاب 718/2 رقم: 1214، وأسد الغابة 25/3 رقم: 2497، والإصابة 432/3 رقم: 4077.

3 - [أَيْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَدَايَا وَضَعَايِسَ] هي جَمْعُ جَدَايَةَ وهي من أولاد الظُّبَاء ما بلغ سِنَّة أشهر أو سِنَعَةً ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى بِمَنْزِلَةِ الْجَدْيِ مِنَ الْمَعَزِ. [ضغيب] ض غ ب س : الضُّغْبُوسُ بوزن العصفور و الضُّعَايِسُ صغار القثاء. ينظر لسان العرب 134/14. ومختار الصحاح 403/1، والنهاية في غريب الأثر 708/1.

4 - أخرجه أبوداود في سننه 765/2 باب كيف الاستئذان برقم: 5176، والنسائي في سننه 169/4 باب الضغابيس برقم: 6735، والترمذي في سننه 64/5 باب التسليم قبل الاستئذان برقم: 2710، وأحمد في مسنده 152/24 مسند كعدة بن الحنبل رضي الله عنه برقم: 15425. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن جريج ورواه أبو عاصم أيضا عن ابن جريج مثل هذا. وضغابيس هو حشيش يؤكل.

5 - ينظر الدر المنثور 173/6، وتفسير الطبري 147/19.

6 - عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي: وأبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل، أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانيا قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين وقد أسن، وروى عن النبي أحاديث كثيرة، ولما توفي رسول الله قدم على أبي بكر الصديق في وقت الردة بصدقة قومه، وثبت على الإسلام ولم يرتد، وثبت قومه معه، وكان جوادا شريفا في قومه، حاضر الجواب وشهد فتوح العراق، ووقعة القادسية، ووقعة مهران، وغير ذلك، وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام، وشهد معه بعض الفتوح، وأرسل معه خالد بالأخماس إلى أبي بكر الصديق، وشهد صفين مع علي، روى عنه الشعبي وعبد الله بن معقل، وأبو إسحاق الهمداني وغيرهم. وتوفي سنة سبع وستين، وقيل: سنة ثمان. ينظر الاستيعاب 1057/3 رقم: 1781، وأسد الغابة 10/4 رقم: 3596، والإصابة 469/4 رقم: 5479.

7 - عند ابن كثير [أن يراني أحدٌ عليها]، وهو الصواب. ينظر اللوحة 331/ب، وتفسير ابن كتي 39/6.

8 - ينظر تفسير الطبري 147/19.

قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾، قال: " هو الاستئذان ثلاثاً، مَنْ لم يُؤذَن له منهم فليرجع، أما الأولى: فليسمع الحي، وأما الثانية: فيأخذوا حذرهم، وأما الثالثة: فإن شاءوا أذنوا، وإن شاءوا رُدُّوا، ولا تَفَقَّنَ على باب قوم رُدُّوك عن بابهم، فإن لك من حاجات، ولهم أشغال، والله أولى بالعدر"⁽¹⁾، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: الاستئذان خير للطرفين، والمستأذن، وأهل البيت ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لكي تتعظوا، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤذَنَ لَكُمْ﴾، وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن، وإن شاء لم يؤذن، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾؛ أي: إذا ردوكم من الباب، قبل الإذن، أو بعده، ﴿فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم أزكى، وأظهر لكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؛ أي: من الدخول بالإذن، وغير الإذن وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾، هذه أخص من الذي قبلها، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي [فيها ليس]⁽²⁾ أحد، بغير إذن، إذا كان لهم فيها منفعة، كالبیت المَعْدَّ للضيف، فإنه إذا أُذِن له فيه أوَّل مرَّة، كفى. قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: " هذا كالاستثناء من السابق "، وقال آخرون: " هي بيوت التجار في الحانات، ومنازل الأسفار، وبيوت مكة، وغير ذلك " ⁽³⁾ واختاره ابن جرير، وحكاه عن جماعة، والأول أظهر، وقيل: هي بيوت الشعر.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽³⁾.

أمر الله عباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم، عما حرّم عليهم، ولا ينظروا إلا إلى ما يُباح لهم النظر إليهم، فإن وقع البصر إلى غير مُحَرَّم من غير قصد، فليصرف عنه بصره سريعاً، كما قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: " سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري " ⁽⁴⁾ رواه مسلم. وفي بعض

1 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14347/2566. وروح المعاني 135/18.

2 - الصحيح [التي ليس فيها أحد] لعل الناسخ قلب العبارة سهواً. ينظر تفسير ابن كثير 41/6.

3 - ينظر الدر المنثور 175/6، وتفسير ابن أبي حاتم 14363 / 2569 - 14365 ، 14368، وتفسير الطبري 151/19، وتفسير القرطبي 221/12، وتفسير الماوردي 88/4،

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 1699/3 باب نظر الفجأة برقم: 2159، والترمذي في سننه 101/5 باب نظرة المفجأة برقم: 2776، وأحمد في مسنده 498/31 مسند جرير بن عبدالله برقم: 19160، والحاكم في مستدركه 431/2 تفسير سورة النور بقم: 3498، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وقد أخرجه مسلم.

السنن قال: " أَطْرُقَ بَصْرَكَ " (1)؛ أي: انظر إلى الأرض، والصرف أعم، فإنه قد تكون إلى الأرض أو إلى جهة أخرى، وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه (2) قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي رضي الله عنه: يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة " (3). رواه أبو داود، والترمذي، ولما كان النظر، داعية إلى فساد القلب كذلك، أمر الله بحفظ الفروج، كما أمر بحفظ الأبصار، فقال: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾، وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، كما قال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (4)، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه، كما جاء في السنن: " احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك " (5) ﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾؛ أي: أظهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته، ويروى في قلبه، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾، كما قال: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (6)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كل عين زانية، إلا عيناً غُضَّتْ عن محارم الله وعيناً أسهرت في سبيل الله، وعيناً يخرج منها مثل رأس الذباب، من خشية الله " (7) رواه ابن أبي الدنيا (8). وقد قال كثير من السلف: " إنهم كانوا يnehون أن يحِدَّ الرجل نظره

1 - أخرجه النسائي في سننه 390/5 رقم 9232 بلفظ " غض بصرك ". وأبو داود الطيالسي في مسنده 93/1 برقم: 672، بلفظ " غض بصرك ".

2 - بُرَيْدَةُ بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، يكنى أبا عبد الله، أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً، هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بأرض قومه، أسلم قبل بدر، ولم يشهدا ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد وشهد الحديبية، فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة فشهد معه مشاهده، وكان من ساكني المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وابتنى بها داراً، ثم خرج منها غازياً إلى خراسان، فأقام بمرور حتى مات ودفن بها سنة 63 هـ. ينظر الاستيعاب 185/1. وأسد الغابة 263/1 رقم: 398، والإصابة 286/1 رقم: 632.

3 - أخرجه أبو داود في سننه 652/1 باب فيما يؤمر به من غض البصر برقم: 2149، والترمذي في سننه 101/5 باب نظرة المفاجأة برقم: 2777، والحاكم في مستدركه 212/2 كتاب النكاح برقم: 2788، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

4 - ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ الآية: (5) من سورة المؤمنون.

5 - أخرجه أبو داود في سننه 437/2 باب ما جاء في التعري برقم: 437/2، والترمذي في سننه 97/5 باب حفظ العورة برقم: 2769، وابن ماجه في سننه 618/1 باب الستر عند الجماع برقم: 1920، والحاكم في مستدركه 199/4 كتاب اللباس برقم: 738، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

6 - ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ الآية: (19) من سورة غافر.

7 - أخرجه أبو نعيم في الحلية 163/3 حديث صفوان بن سليم، وقال: غريب من حديث صفوان وأبو سلمة تفرد به عمر بن صهبان، وأورده السيوطي في الجامع الصغير 162/2، حرف الكاف برقم: 6334 وعزاه إلى أبي نعيم، وقال: حسن، وأورده الألباني في السلسلة 65/4 برقم: 1562، وعزاه إلى أبي نعيم وقال: ضعيف جداً.

8 - أورده ابن أبي الدنيا في كتابه المرض والكفارات 28/1 باب (أول الكتاب) برقم: 17. بلفظ: " إن العبد ليمرض المرض ماله عند الله، من خير فقد كره الله، بعض ما سلف من خطايا، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب، من خشية الله، فيبعثه الله إن بعثه الله، أو يقبضه إن قبضه على ذلك ".

إلى الأمر " ، وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك، وحرّمه، طائفة من العلماء، لما فيه من الافتتان، وشدد آخرون، وذلك كثير جداً⁽¹⁾.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾﴾

أمر تعالى نساء المؤمنات غيراً لأزواجهن المؤمنين، [وتمييزاً لهم]⁽²⁾ عن صفة نساء الجاهلية، أن يغضضن من أبصارهن، وسبب نزول هذه الآية، أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حدّث: أن أسماء بنت مرشدة [رضي الله عنها]⁽³⁾ كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزّرات، فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن، وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا، فأنزل الله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ ؛ أي: مما حرّم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا (ذهب كثير من العلماء)⁽⁴⁾، إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر

1 - تفصيل المذاهب في النظرة: (الحنفي): ينظر الرجل من الرجل ولو أمرد صبيح الوجه إذا أمن الشهوة إلى جميع بدنه، إلا ما بين سرته إلى منتهى ركبته، فالسرة ليست بعورة، والركبة عورة، وإنما قيدنا النظر إلى الأمرد بما إذا أمن الشهوة.. (المالكي): النظر إلى الأمرد الحسن الصورة على وجه الالتئاذ كالنظر إلى الشاية، وأما النظر إليه لا بقصد الالتئاذ أو الخلوة به، فلا حرمة مع علم السلامة على مقتضى مذهبنا، لكن السلامة في ترك ذلك ولا سيما لأصحاب الفضل، (الشافعي): لا يجوز النظر إلى الأمرد من غير حاجة لأنه يخاف الافتتان به كما يخاف الافتتان بالمرأة، (الحنبلي): النظر إلى الأمرد لغير شهوة على قسمين. أحدهما: أن يأمن ثوران الشهوة. فهذا يجوز له النظر من غير كراهة، على الصحيح من المذهب، وعليه أكثر الأصحاب، القسم الثاني: أن يخاف من النظر ثوران الشهوة. فقيل: يكره، ويحرم على وجهين. ينظر الإنصاف 23/8. والفواكه الدواني 276/2 واللباب في شرح الكتاب 411/1، والمهذب في فقه الإمام الشافعي 133/16.

2 - وعند ابن كثير [وتمييزاً لهم]، وهو الأنسب. ينظر اللوحة 332/ب، وتفسير ابن كثير 44/6.

3 - أسماء بنت مرشدة الحارثية، وقيل: بنت مرثد، أخت بني حارثة حديثها في الاستحاضة. روى حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر، عن أبيهما قال: جاءت أسماء بنت مرشدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني حدثت لي حيضة لم أكن أحيضها. قال: وما هي قالت: أمكث ثلاثاً أو أربعاً بعد أن أطهر، ثم تراجعني، فتحرم علي الصلاة؟ فقال رسول الله: (إذا رأيت ذلك فامكثي ثلاثاً ثم تطهري وصلي) وقال الإمام الشافعي: قال الشافعي: " الحديث عن حرام بن عثمان حرام ". ينظر الاستيعاب 1785/4 رقم: 3231، وأسد الغابة 18/7 رقم: 6702، والإصابة 493/7 رقم: 10808.

4 - ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾، وما ذكره هنا من الأمر بغضّ البصر قد جاء في آية أخرى تهديد من لم يمتثلها، ولم يغضّ بصره عن الحرام، وهي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ غافر (19). خائنة الأعين النظر إلى ما

للرجال الأجانب بشهوة، ولا بغير شهوة أصلاً، مُحْتَجِّين بما روته أم سلمة⁽¹⁾ [رضي الله عنها]: " أنها كانت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وميمونة⁽²⁾ [رضي الله عنها] ، قالت : فبينما نحن عنده إذ أقبل ابن أم مكتوم رضي الله عنه⁽³⁾ ، فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله، أليس هو أعمى، لا يبصرنا، ولا يعرفنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أفعمياوان أنتما، أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِه " ⁽⁴⁾ رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجَوَّز بعضهم نظرهن إلى الأجانب، بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل ينظر إلى الحبشة، وهم

نهي عنه، إنه لا يجوز للمرأة أن تنظر من الرجل إلا إلى ما يجوز للرجل أن ينظر من المرأة، فإن نظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه كان حراما، وإن نظر إلى غير العورة كان مكروها، أقسام النظر المباح إلى المرأة الأجنبية: أحدها: أن يكون لضرورة كالطبيب يعالج موضعا من جسد المرأة فيجوز أن ينظر إلى ما دعت الحاجة إلى علاجه من عورة وغيرها، إذا أمن لاقتتان بها، ولا يتعدى بنظره إلى ما لا يحتاج إلى علاجه. والقسم الثاني: أن يكون لتحمل شهادة أو حدوث معاملة، فيجوز أن يعمد النظر إلى وجهها دون كفيها: لأنه إن كان شاهدا فليعرفها في تحمل الشهادة عنها، وفي أدائها عليها، وإن كان مبايعا فليعرف من يعاقده. والقسم الثالث: أن يريد خطبتها فهو الذي جوزنا له تعمد النظر إلى وجهها وكفيها بإذنها وغير إذنها، ولا يتجاوز النظر إلى ما سوى ذلك من جسدها، وعند الحنابلة روايتان: إحداهما: يحرم عليها من ذلك ما يحرم عليه، والثانية: يجوز لها النظر منه إلى ما ليس بعورة. ينظر أضواء البيان 509/5، والبيان والتحصيل 288/4، والحاوي 79/9، الكافي في فقه الإمام أحمد 9/3، والمبسوط 254/10، والمغني 461/7.

¹ - أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة وإحدى أمهات المؤمنين، واسم أبيها أبي أمية: حذيفة، ويعرف بزاد الركب. وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. وأمها عاتكة بنت عامر الكنانية، وكانت قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، روت أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم كثيرا، وعن أبي سلمة وروى عنها أولادها عمر وزينب ومكاتها نيهان وأخوها عامر بن أبي أمية، وروى عنها أيضا بن عباس وعائشة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، وتوفيت أم سلمة أول أيام يزيد بن معاوية سنة 59 هـ. وصلى عليها أبو هريرة. وقيل: صلى عليها سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنهم. ينظر أسد الغابة 313/7 رقم: 7329، والإصابة 150/8 رقم: 11845. والثقات 439/3 رقم: 1438.

² - ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسم ميمونة (برة) فسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ميمونة، وكانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبي رهم بن عبد العزى، وقيل غيره تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد زوجها سنة سبع في عمرة القضاء، وهي خالة ابن عباس، وخالد بن الوليد رضي الله عنهم. روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أولاد أخواتها: عبد الله بن عباس، و عبد الله بن شداد، و عبد الرحمن بن السائب، يزيد بن الأصم، وربيبها عبيد الله الخولاني ومولاتها ندية ومولاها عطاء بن يسار، وغيرهم كثير. (ت: 50 هـ، وقيل 60 هـ)، صلى عليها ابن عباس، ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم. و عبد الله بن شداد. ينظر أسد الغابة 294/7 رقم: 7291، والإصابة 126/8 رقم: 11779، وتهذيب التهذيب 480/12 رقم: 2898.

³ - عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري لم يختلفوا أنه من بنى عامر ابن لؤي واسم أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله، واختلوا في اسم أبيه، فقال بعضهم: هو عبد الله بن زائدة بن الأصم، وقال آخرون: هو عبد الله بن قيس بن مالك بن الأصم القرشي العامري، كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة، واختلف في وقت هجرته إليها فقيل كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الواقدي قدمها بعد بدر بيسير، واستخلفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال رضي الله عنه وشهد فتح القادسية، ومعه اللواء، وقتل بالقادسية شهيدا. ينظر الاستيعاب 997/3 رقم: 1669. وأسد الغابة 280/4 رقم: 3997.

⁴ - أخرجه أبو داود في سننه 109/4 باب في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ برقم: 4114، والترمذي في سننه 102/5 باب احتجاب النساء من الرجال برقم: 2778 وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة - رضي الله عنها - تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها عنهم، حتى ملّت، ورجعت " (1)، وقوله: ﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾، قال سعيد بن جبيرة وقتادة: " أي: عن الفواحش، وعمّا لا يحلّ لهن ". وقال أبو العالية: " كل ما في القرآن، من حفظ الفروج، فهو من الزنا، والحرام، إلا في هذا الموضوع، فإنه أراد به الاستتار، حتى لا يقع بصر الغير عليه " (2) وقوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾؛ أي: ولا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب، إلا ما لا يمكن اخفاؤه، قال ابن مسعود: " كالرداء، والثياب، يعني على ما كان يتعانه نساء العرب، من المقتعة التي تجلّ ثيابها، وما يبدو من أسافل الثياب، فلا حرج عليها فيه، لأن هذا لا يمكن اخفاؤه، ونظيره في زي النساء، ما يظهر من إزارها وما لا يمكن انعقاده، وقال ابن عباس وغير واحد: " المراد: وجهها، وكفاها والخاتم، ويحتمل أن يكون هذا تفسير للزينة التي نهين أبدانها، كما قال ابن مسعود: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾: الزينة: الفُرط، والدُمُج، والخلخال والقلادة "، وقال: " الزينة زينتان : فزينة لا يراها إلا الزوج، وهي الخاتم، والسوار وظاهر الثياب، وأما عامة الناس، فلا تبدو منها إلا الخواتم " (3)، والمشهور عند الجمهور في تفسير ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾: الوجه، والكفان " (4)، وقوله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، يعني: المقانع يعمل صنفات ضاربات على صدور النساء، لتواري ما تحتها من صدرها، وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة تمر بين الرجال مُسْفِحَةً بصدرها، لا يواريه شيء، وربما ظهرت عنقها، وذوائب شعرها، وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هياتهن، وأحوالهن، والخُمر: جمع خمار، وهو ما يُخَمَّر أي: يُغَطِّي به الرأس، وهي التي تسميها الناس، المقانع، قالت عائشة: " يرحم الله

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 335/1 باب قصة الحبش وقول النبي صلى الله عليه وسلم يا بني أرفدة برقم:

3337، ومسلم في صحيحه 607/2 باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد برقم: 892.

² - قال أبو العالية: " كل فرج ذُكِرَ حَفْظُهُ في القرآن فهو من الزنا إلا هذه ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ فإنه يعني الستر. ينظر تفسير ابن أبي حاتم (14379 - 14381) وتفسير الطبري 154/19. والدر المنثور 177/6.

³ - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل : أحدها: أنها الثياب ، قاله ابن مسعود. والثاني: الكحل والخاتم ، قاله ابن عباس، والمسور بن مخرمة، والثالث : الوجه والكفان ، قاله الحسن ، وابن جبيرة ، وعطاء. ينظر الدر المنثور 179/6 - 180، تفسير ابن أبي حاتم 2573/ (14394 - 14399 ، 14401 ، 14403) ، وتفسير الطبري 155/19.

⁴ - أورد ابن أبي حاتم عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ قال: وجهها وكفاها، والخاتم، وروى عن ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعكرمة، وأبي صالح، وزيد بن أبي مريم نحو ذلك، وأورد أيضاً بقوله: حدثنا أبو زرعة ثنا يحيى بن عبد الله ، حدثني ابن لهيعة ، عن عطاء، عن ابن جبيرة في قول الله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾، يعني: الوجه والكفين فزينة الوجه الكحل، وزينة الكفين الخضاب، ولا يحل ان يرى منها غريب غير ذلك. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2575/ 14398 ، 14403. وتفسير الطبري 157/19.

نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، شققن مروطنهن، فاختمن بها " (1) رواه البخاري. وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، يعني: أزواجهن، ﴿أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاؤَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾، كل هؤلاء محارم للمرأة فيجوز لها أن تظهر عليهم بزینتها، ولكن من غير اقتصاد، و(تبهرج) (2)، وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾، يعني: تظهر زينتها أيضاً، للنساء المسلمات، دون نساء أهل الذمة لئلا يصفن لرجالهن، وذلك، وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن، لا يمنعهن من ذلك مانع، وأما المسلمة، فإنها تعلم أن ذلك حرام فتتزرع عنه، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها " (3) . قال مجاهد : " أو نسائهن؛ أي: المسلمات، وليس المشركات من نسائهن، فليس للمرأة المسلمة، أن تكشف بين يدي المشركة " (4) وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعني من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها، وإن كانت مشركة، لأنها أمّتها، وإليه ذهب ابن المسيب (5)، وقال الأكثرون: بل يجوز لها أن تظهر زينتها على رقيقها، من الرجال، والنساء، كما روى أنس رضي الله عنه " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى فاطمة [رضي الله عنها] بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة [رضي الله عنها] ثوبٌ إذا قنعت به رأسها، لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها، لم يبلغ

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 1782/4 باب سورة النور برقم: 4480 - 4481، وأبو داود في سننه 459/2 باب في قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ برقم: 4102، والنسائي في سننه 88/7 باب سبب نزول آية الحجاب برقم: 13286.

2 - البهرج: الشبي " المباح " يقال: بهرج دمه . من المجاز: " البهرجة: أن يُعدَلَ بالشبي عن الجادة القاصدة إلى غيرها، واللفظة معربة وقيل: هي كلمة هندية أصلها نَبَهْلَه وهو الرديي، فنقلت إلى الفارسية، فقيل: نَبَهْرَه ثم عرّبت بهرج. ينظر تاج العروس 1340/1 باب (بهج)، والصاحح 323/2، والنهاية في غريب الحديث 436/1.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2007/5 باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها برقم: 4942، وأبو داود في سننه 652/1 باب فيما يؤمر به من غض البصر برقم: 2150، والترمذي في سننه 109/5 باب كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة برقم: 2792، وأحمد في مسنده 100/6 مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 3609، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولم أقف عليه في صحيح مسلم .

4 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2577 / 14415 - 14416، وتفسير الطبري 160/19، وتفسير القرطبي 233/12، وتفسير الماوردي 94/4، والدر المنثور 183/6، ومعالم التنزيل 35/6.

5 - ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء المسلمات والكتايبات. وهو قول جماعة من أهل العلم، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. وقال ابن عباس: لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته، وقال سعيد بن المسيب: إنما عني بها الإماء ولم يعن بها العبيد. وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته. وهو قول مجاهد وعطاء، وسئل عطاء: هل يرى غلام المرأة رأسها وقدمها قال: ما أحب ذلك إلا أن يكون غلاما يسرا فأما رجل ذو لحية فلا. وعن ابن عباس: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من المماليك والإماء ورخص لهن أن يروهن بعد ما ضرب عليهن الحجاب، وعن سعيد بن جبیر قوله: إنما عني بها الإماء ولم يعن بها العبيد، وكذلك قال سعيد بن المسيب، وعن سعيد بن جبیر أيضاً قوله: يعني عبد المرأة ولا يحل لها أن تضع جلبابها عند عبد زوجها. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2577 / 14418 - 14419، وتفسير الطبري 61/19، وتفسير القرطبي 234/12، 237، وتفسير الماوردي 94/4. والدر المنثور 184/6، 645.

رأسها، فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك" (1) رواه أبو داود، وقوله: ﴿ أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أَوْلِي الْأَرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ ﴾، يعني: كالأجراء، والأتباع الذين ليسوا بأكفاء، وهم مع ذلك في عقولهم وله، ولا يشتهون النساء، قال ابن عباس: " هو المغفل، الذي لا شهوة له"، وقال عكرمة، وغيره: " هو الْمُخَنَّث، الذي لا يقوم زُبُهُ" (2)، وفي الصحيحين عن أم سلمة [رضي الله عنها] قالت: " دخل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندها مُخَنَّث، وعندها عبدالله بن أبي أمية (3)، يعني أخاها والمخنث يقول لعبدالله: يا عبدالله بن أبي أمية، إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان، فإنها تُقبِلُ بأربعٍ وتُدبِرُ بثمان، فسمعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لأم سلمة [رضي الله عنها]: لا يدخلن هذا عليك" (4) وفي رواية مسلم عن عائشة [رضي الله عنها]: لا يدخلن عليكم هذا، فَحَجَبُوهُ" (5)، وقوله: ﴿ أَوْ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ ﴾، يعني: لصغرهم، لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن، وتَعَطُّفُهُنَّ فِي الْمَشْيَةِ، ولم يعرفوا العورة من غيرها، فلا بأس، بدخولهن على النساء، والطفل: تكون واحداً، وجمعاً، فأما إذا كان مراهماً، أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك، ويُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ، والحسنة، فلا يُمَكِّنُ من الدخول على

1 - أخرجه أبو داود في سننه 460/2 باب في العبد ينظر شعر مولاته برقم: 4106، والبيهقي في سننه 95/7 باب ما جاء في إبدائها زينتها لما ملكت يمينها برقم: 13323. وأورده الألباني في صحيح أبي داود 521/2 باب في العبد ينظر إلى شعر مولاته برقم: 4106.

2 - اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أَوْلِي الْأَرْبَةِ ﴾ فقيل: هو الأحمق، الذي لا حاجة به إلى النساء، وقيل الأبله، وقيل: الرجل يتبع القوم، فيأكل معهم، ويرتفق بهم؛ وهو ضعيف، لا يكثرث للنساء، ولا يشتهيهن، وقيل: العنين، وقيل: الخصي، وقيل: المخنث، وقيل: الشيخ الكبير، وقيل: الصبي الذي لم يدرك، وهذا الاختلاف، كله متقارب المعنى، ويجتمع فيمن لا فهم له، ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء. وقال ابن عباس: هذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكثرث للنساء، ولا يشتهي النساء، وعنه أيضاً: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول، لا يغار عليه، ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحمق، الذي لا حاجة له في النساء، وقال عكرمة: هو المخنث، وعنه أيضاً: المخبوب. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14426/2578، 14428، وتفسير الطبري 163/161/19 وتفسير القرطبي 234/12، والدر المنثور 11184/6، ومعالم التنزيل 35/6.

3 - عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، يقال لأبيه أبي أمية زاد الركب وهو أشهرهم، إنما سماه أزواد الركب، لأنهم كانوا إذا سافر معهم أحد كان زاده عليهم، وكان شديداً على المسلمين مخالفاً ميغضاً، كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أنه خرج مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلقبه عام الفتح، فتلقيه فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فدخل على أخته، وسألها أن تشفع له فشفعت له أخته أم سلمة وهي أخته لأبيه فشفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة مسلماً، وشهد حنيناً والطائف، ورمي يوم الطائف بسهم فقتله ومات. ينظر الاستيعاب 868/3 رقم: 1474، وأسد الغابة 176/3 رقم: 2807، والإصابة 11/4 رقم: 4546.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 1572/4 باب غزوة الطائف برقم: 4069، ومسلم في صحيحه 1715/4 باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب برقم: 2180.

5 - أخرجه مسلم في صحيحه 1716/4 باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب برقم: 2181 وأبو داود في سننه 107/4 باب في قوله تعالى غَيْرِ أَوْلِي الْأَرْبَةِ برقم: 4109، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 522/2، برقم: 4109.

النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله: أفرأيت الحمّو؟ قال: الحمّو الموت"(1)، قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾، كانت امرأة في الجاهلية، إذا كانت تمشي في الطرق وفي رجلها خلخال صامت لا يُسمعُ صوته ، ضربت برجلها إلى الأرض ، فتسمعُ الرجال طنينه ، فهي الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحرّكت بحركة ليظهر ما هو خفي ، فإنه داخلٌ في هذا النهي ، ومنه التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال ريحها " ولما روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت، فمرت طيبها بالمجلس، وهي كذا وكذا ، يعني : زانية "(2) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "سمعتُ أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لا تُقبل صلاة امرأة تطيّبت لهذا المسجد، حتى ترجع، فتغتسل، غُسلها من الجنابة "(3) رواه أبو داود، وابن ماجه. وقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: أفعالوا ما أمركم من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية، من الرذائل ، فإن الفلاح في متابعة الشريعة، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإنّي أتوب إليه كل يوم، مائة مرة "(4) رواه مسلم .

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 2005/5 باب لا يخلون رجل بامرأة إلا نو محرم والدخول على المغيبة ،ومسلم في صحيحه 1711/4 باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، و (الحمو): أبو الزوج وأخو الزوج وكل من ولي الزوج من ذي قرابته فهم أحماء المرأة، واتفق أهل اللغة على أن الأحماء، أقارب زوج المرأة كآبيه، وعمه، وأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، ونحوهم . ينظر العين 311/3.وغريب الحديث لابن الجوزي1/245 باب الحاء مع الميم، ولسان العرب 14/197.

2 - أخرجه أبو داود في سننه 478/2 باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج برقم: 4173، بلفظ " إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا "، والنسائي في سننه 153/8 باب ما يكره للنساء من الطيب برقم: 5126، بلفظ " ... أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية " والترمذي في سننه 106/5 باب كراهية خروج المرأة متعطرة برقم: 2786، " وقال: هذا حديث حسن صحيح.

3 - أخرجه أبو داود في سننه 478/2 باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج برقم: 4174، وابن ماجه في سننه 1326/2 باب فتنة النساء برقم: 4002، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 539/2 باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج برقم: 4174، وقال: صحيح.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 2075/4 باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم: 2702، بلفظ: " وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، وأبو داود في سننه 475/1 باب في الاستغفار برقم: 1515، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 348/10 باب الإكثار من الاستغفار برقم: 17586 بلفظ: " إنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ". قال: وفيه كثير بن سليم وهو ضعيف.

عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَبِكُمْ عَلَى
الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ
إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن
قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ .

هذه الآيات مشتملة على جُمَلٍ من [الأحكام المحكّمة، والآيات المبرّمة]⁽¹⁾ فقوله:
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، هذا أمرٌ بالتزويج، وقد
ذهب (طائفةٌ من العلماء)⁽²⁾، إلى وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر
قوله - عليه الصلاة والسلام -: " يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة،
فليتزوج، فإنه أغضٌ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه
له وجاء "⁽³⁾ اتفقا عليه. وعن معقل بن يسار⁽⁴⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - " تزوّجوا الودود الودود، فإنّي مكّثت بكم الأمم "⁽⁵⁾ رواه أبو داود،
والنسائي. والأيامى: جمع أيم، وهو من لا زوج له، من رجل، أو امرأة، يعني:
زوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم، ونسائكم، وقوله: ﴿إِنْ
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس⁽⁶⁾: رَغَبَهُمُ اللَّهُ فِي التَّزْوِيجِ، وَأَمْرٌ

1 في تفسير ابن كثير [الأحكام المحكّمة، والأوامر المبرّمة]. ينظر تفسير ابن كثير 88/6.
2 - النكاح سنةٌ وَعِنْدَ شِدَّةِ الْاِسْتِثْبَاقِ وَاجِبٌ لِيُمْكِنَهُ التَّحَرُّزُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الزَّوْنِ لِأَنَّ تَرْكَ الزَّوْنِ وَاجِبٌ وَمَا لَا
يُنْتَوَصَلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ يَكُونُ وَاجِبًا كَوُجُوبِهِ وَعِنْدَ عَدَمِ التَّوَقُّانِ سُنَّةٌ حَتَّى كَانَ الْاِسْتِغَالُ بِهِ أَفْضَلَ مِنَ التَّخَلِّي
لِلْعِبَادَةِ النَّفْلِ عِنْدَنَا خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ يَقُولُ إِنَّ النِّكَاحَ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ، وَقَالَ نَفَاةُ الْقِيَاسِ: مِثْلُ دَاوُدَ بْنِ
عَلِي الْأَصْفَهَانِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الظَّوَاهِرِ، أَنَّهُ فَرَضَ عَيْنَ بِنْمَنْزِلَةِ: الصَّوْمِ، وَالصَّلَاةِ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ فُرُوضِ
الْأَعْيَانِ، حَتَّى أَنْ مِنْ تَرْكِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ وَالْوَطْءِ بِأَيْمٍ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّهُ مَبَاحٌ كَالْبَيْعِ
وَالشَّرَاءِ"، وَقَالَ ابْنُ رَشْدٍ: " الْمَقْصُودُ بِهِ الْأَمْرُ بِالنِّكَاحِ وَالْأَلَا يُجْبِرُنَّ عَلَى النِّكَاحِ وَهُوَ أَيْضًا مَحْمُولٌ عَلَى النَّدْبِ
عِنْدَ الْجُمْهُورِ"، وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ: " وَفَرَضَ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ عَلَى الْوَطْءِ إِنْ وَجَدَ مِنْ أَيْنٍ يَتَزَوَّجُ أَوْ يَنْسَرِي أَنْ يَفْعَلَ
أَحَدَهُمَا وَلَا بُدَّ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ ذَلِكَ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّوْمِ". ينظر بدائع الصنائع 228/2، وبداية المجتهد 427/1،
وتبيين الحقائق: 95/2 ومغني المحتاج: 3/125 وما بعدها، وكشاف القناع: 6/5. والمحلى 664/8.
3 - أخرجه البخاري في صحيحه 673/2 باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة برقم: 1806، ومسلم في
صحيحه 1018/2 باب نذب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريتها فيواقعها برقم:
1400.

4 - معقل بن يسار بن عبد الله بن مضر المزني . يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبو يسار ، وأبو علي صحب رسول
الله ، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان روي عنه أنه قال : بايعناه على أن لا نفر . روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم ، وعن النعمان بن مقرن المزني ، وروى عنه: أبو عثمان النهدي ، والحسن البصري وجماعة من
أهل البصرة . وله أحاديث في الصحيحين والسنن الأربعة، سكن البصرة، وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة ،
وتوفي بها آخر خلافة معاوية . وقد قيل : إنه توفي أيام يزيد بن معاوية . ينظر الاستيعاب 1432/3 رقم:
2464، وأسد الغابة 245/5 رقم: 5023 ، والإصابة 184/6 رقم: 8148، وتهذيب الكمال 279/28 رقم:
6095.

5 - أخرجه أبو داود في سنه 625/1 باب من تزوج الودود برقم: 2050، والنسائي في سنه 65/6 باب (كراهية
تزويج العقيم) برقم: 3227، بلفظ: " تزوجوا الودود الودود فإنّي مكّثت بكم ". والحاكم في مستدرکه 453/2
كتاب النكاح برقم: 2685، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ إلى آخره، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه " أطيعوا فيما أمركم به من النكاح يُنجز لكم ما وعدكم من الغنى " (1)، وقال ابن مسعود: " التمسوا الغنى في النكاح " (2)، يقول الله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعن أبي هريرة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمُكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله " (3) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وقوله: ﴿وَلَيْسَتَغْفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، هذا أمرٌ من الله لمن لا يجد تزويجاً، يعني: أهْبَهُ من المهر، والنفقة بالتعفف عن الحرام، كما سبق في حديث: " يا معشر الشباب " (4)، وهذه الآية مطلقة، والتي في سورة النساء أخص منها، وهي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أي: صبركم عن تزويج الإماء خيرٌ لكم، لأن الولد ينجى رقيقاً، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (5)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، هذا أمرٌ من الله، للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة، أن يُكاتبوهم بشرط أن [يكون للعبد عقل] (6)، وكسبٌ يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه، وذهب كثيرٌ من الأئمة: " إلى أن هذا أمرٌ إرشاد واستحباب، لا أمر تحتم وإيجاب ، بل السيد مُخَيَّر في ذلك إذا طلب منه العبد الكتابة، إن شاء كاتبه، وإن شاء، لم يكاتبه "، وذهب آخرون: " إلى وجوبه على السيد، إذا طلب العبد ذلك، آخذاً بظاهر الأمر " (7)، قال ابن

1 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14449/2582 تفسير سورة النور الآية 32.

2 - ينظر تفسير الطبري 166/19، وتفسير القرطبي 241/12. والدر المنثور 188/6.

3 - أخرجه النسائي في سننه 15/6 باب فضل الروحة في سبيل الله عز وجل برقم: 3120، والترمذي في سننه 184/4 باب المجاهد والمناكح والمكاتب وعون الله وأياهم برقم: 1655، وابن ماجه في سننه 841/2 باب المكاتب برقم: 2518، وأحمد في مسنده 378/12 مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم: 7416، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

4 - إشارة الى الحديث الذي ورد في الصحيحين وقد سبق ذكره . ينظر ص/ 377 هامش : (3) من هذا البحث.

5 - ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَتِيَابِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَبْتَغِيَهُنَّ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)﴾ من سورة النساء .

6 - اللوحة رقم: 333/ب، وعند ابن كثير: [يكون للعبد حيلة وكسب]. ينظر تفسير ابن كثير 52/6.

7 - معنى المكاتبه في الشرع : هو أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجماً عليه ؛ فإذا أداه فهو حر. ولها حالتان : (الأولى): أن يطلبها العبد ويحببه السيد ؛ فهذا مطلق الآية وظاهرها. (الثانية): أن يطلبها العبد ويأبأها السيد؛ وفيها قولان : (الأول): لعكرمة وعتاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك بن مزاحم وجماعة أهل الظاهر أن ذلك واجب على السيد. وقال علماء الأمصار : لا يجب ذلك. وتعلق من أوجبها بمطلق الأمر ، وأفل بمطلقه على الوجوب حتى يأتي الدليل بغيره. يقول السرخسي: وقال بعض مشايخنا الأمر قد يكون لبيان الجواز والإباحة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾. من كان له مملوكٌ مسلمٌ أو مسلمةٌ فدعا أو دعته إلى الكتابة \$ فرض على السيد الإجابة إلى ذلك ويُجبره السلطان على ذلك بما يدري أن المملوك العبد أو الأمة يُطبقه مما لا

جريح (1) لعطاء (2): " أوجب عليّ إذا علمتُ له مالاً أن أكتبه؟ قال : ما أراه إلا واجباً " (3) رواه البخاري. وبه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو قول قديم للشافعي، وأما الجديد: " فإنه لا يجب " (4)، لقوله - عليه الصلاة والسلام - : " لا يحل مال امرئ مسلم إلا من طيب نفسه " (5) وعليه مالك، وأبو حنيفة، وقوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ؛ أي: أمانة، وصدقاً، وقيل: مالاً، وقيل: حيلة، وكسباً وحرفة، وقوله: ﴿مَنْ مَالَ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾ اختلفوا في المراد منه، قال بعضهم: " اطرحوا لهم بعض نجوم الكتابة : مقدار الربع أو الثلث. وقيل: جزء من غير حدٍّ معين،

خيف فيه على السيّد لكنّ ممّا يُكاتبُ عليه مثلُهُمَا وَلَا يَجُوزُ كِتَابَةُ عَبْدٍ كَافِرٍ أَصْلًا. وجاء في المغني: " إذا سأل العبد سيده مكاتبته استحب له إجابته إذا علم فيه خيرا، ولم يجب ذلك في ظاهر المذهب، وهو قول عامة أهل العلم منهم الحسن و الشعبي و مالك و الثوري و الشافعي وأصحاب الرأي، وعن أحمد: أنها واجبة إذا دعا العبد المكتسب الصدوق سيده إليها فعليه إجابته وهو قول عطاء و الضحاك و عمرو بن دينار و داود وقال إسحاق : أخشى أن يَأْتَمَ إن لم يفعل ولا يجبر عليه". ينظر أحكام القرآن (الكلية هراسي) 436/2، وأحكام القرآن(الخصاص) 180/5. وإرشاد الفحول 174/1، والبرهان في أصول الفقه 217/1، وبدائع الصنائع 134/4، وبداية المجتهد 374/4، وتفسير القرطبي 245/12، والمطلى 222/9، والمستصطفى 209/1، والمغني 338/12.

1 - ابن جريح: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح أبو الوليد ويقال أبو خالد له كنيستان المكي مولى بن أمية خالد القرشي وأصله رومي ، قال أحمد بن حنبل: كان صاحب علم، وعن يحيى بن سعيد: كان ابن جريح صدوقا، روى عن عطاء وطاوس ، روى عنه الثوري والليث بن سعد وحماد بن سلمة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم ، قال يحيى: لم يكن أحد أثبت في نافع من ابن جريح وكان من أحسن الناس صلاة ، روى له الجماعة، قال أحمد عن يحيى بن سعيد: مات سنة خمسين ومائة، ينظر التاريخ الكبير 422/5 رقم: 1373 وتهذيب الكمال 338/18، والثقات 93/7 رقم: 9156، والجرح والتعديل 356/5 رقم: 1687.

2 - عطاء بن أبي رباح أبو محمد مولى آل أبي خثيم القرشي الفهري، وتفقه ابن جريح على أبي محمد عطاء بن أسلم أبي رباح، وتفقه عطاء على أبي العباس عبد الله بن عباس، وأخذ ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. سمع أبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وجابر وابن عمر رضي الله عنهم روى عنه عمرو بن دينار وقيس بن سعد وحبيب بن أبي ثابت، عمى في آخر عمره وكان من سادات التابعين فقهها وعلمها وورعا وفضلا لم يكن له فراش إلا المسجد الحرام إلى أن مات، روي عنه قوله : أدركت مائتي نفس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم في هذا المسجد إذا قال الإمام ولا الضالين سمعت لهم رجّة بآمين، ت: 114 هـ. ينظر التاريخ الكبير 463/6، والثقات 198/5 رقم: 4524 ، وتهذيب الأسماء واللغات 46/1.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 902/2 باب إثم من قذف مملوكه . وباب المكاتب ونجومه في كل سنة نجم رقم: يلي 2420، والبيهقي في السنن الكبرى 319/10 باب من قال يجب على الرجل مكاتبته عبده برقم: 21405.

4 - اختلف أهل العلم في وجه مكاتبته الرجل عبده ، على وجه الفرض، أم هو على وجه الندب؟ قال ابن جرير: حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريح، قال: قلت لعطاء: أوجب عليّ إذا علمت مالا أن أكتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبا، وقالها عمرو بن دينار، وعن ابن عباس قال: لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح، الذي له المال يريد أن يكتب، ألا يكتبه. وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ندب من الله سادة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خيرا، لا إيجاب. ثم قال : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكتبه إذا علم فيه خيرا، وسأله العبد الكتابة. ينظر الاستذكار 381/7 باب القضاء في المكاتب، والأم 31/8، وتفسير الطبري 67/19. والكافي 333/2. واللباب في شرح الكتاب 307/1.

5 - أخرجه أحمد في مسنده 299/34 حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي الله عنهما برقم: 20695 وأبو يعلى في مسنده 140/3 مسند أبي حرة الرقاشي برقم: 1570 ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 305/4 باب الغصب وحرمة مال المسلم برقم: 6866، وعزاه إلى أبي يعلى ، وقال: أبو حرة وثقه أبو داود، وضعفه ابن معين.

وقيل: هو النصيب، الذي فرض الله لهم من أموال الزكوات⁽¹⁾، وهذا قول الحسن، وكثيرين، واختاره ابن جرير، وقال ابن عباس^{رضي الله عنه}: أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب؛ أي: ضعوا عنهم من مكاتبتهم، كما سبق من حديث " ثلاثة حق على الله عونهم "⁽²⁾، والقول الأول أشهر، وكان ابن عمر^{رضي الله عنه} إذا كاتب عبداً، لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه، مخافة أن يعجزه، فترجع إليه صدقته، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته، وضع عنه ما أحب "⁽³⁾، وقوله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾، كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام، نهى الله المؤمنين عن ذلك، وكان سبب نزول هذه الآية، فيما ذكره كثير من المفسرين [؟]⁽⁴⁾ عبدالله بن أبي بن سلول، فإنه كان له إماء، وكان يُكرههن على البغاء، طلباً، لخراجهن، ورغبة في أولادهن"، كما قال الزهري: " كانت جارية لعبدالله بن أبي، يقال لها: (مُعَاذَةُ)⁽⁵⁾

1 - وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ خمسة تأويلات: أحدها: أن الخير، القدرة على الاحتراف والكسب، قاله ابن عمر وابن عباس. والثاني: أن الخير المال، قاله عطاء ومجاهد. والثالث: أنه الدين والأمانة، قاله الحسن. والرابع: أنه الوفاء والصدق، قاله قتادة وطاووس. والخامس: أنه الكسب والأمانة، قاله الشافعي، وعن علي في قوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، قال: يحط عنه الربع أي ربع الكتابة يحطها عنه. قال عكرمة: وكان أول نجم ادى في الاسلام، وعن ابن عباس قال عكرمة: وكان أول نجم ادى في الاسلام وعن عبيد الله بن عمر يعني بذلك أن يضع عنه نصف ما عليه أو من سوى ذلك. وقال السدي: كان ابن عمر يضع عن المكاتبين الربع، وكان غيره يضع العشر. وقال عبد الرحمن بن زيد: الفء والصدقات. وقال مجاهد: هو الربع. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14509/2588، 14510، 14515، 14517، 14519، وتفسير الطبري 171//19، تفسير الماوردي 99/4 وتفسير مجاهد 441/2.

2 - أخرجه النسائي في سننه 15/6 باب فضل الروحة في سبيل الله عز وجل برقم: 3120، والترمذي في سننه 184/4 باب المجاهد والمناجح والمكاتب وعون الله وأياهم برقم: 1655، وابن ماجه في سننه 841/2 باب المكاتب برقم: 2518، وأحمد في مسنده 378/12 مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم: 7416، والحاكم في المستدرک 161/2 كتاب النكاح برقم: 2678، وقال: هذا حديث صحيح. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3 - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه 377/8 باب ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ برقم: 15595، والبيهقي في السنن الكبرى 330/10 باب ما جاء في تفسير قوله عز وجل وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ برقم: 21466 بلفظ " كان بن عمر يجب أن يكون ما ترك من شيء من آخر مكاتبته ".

4 - والصواب: [في شأن] كي يصح السياق، يبدو أنها سقطت من الناسخ. ينظر تفسير ابن كثير 54/6.

5 - معاذة بنت عبد الله جارية عبدالله بن أبي سلول: قال الزهري: كانت مسلمة فاضلة، ثم إنها عتقت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيعة النساء، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة، أخو بني عمرو ابن عوف فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بنت سهل. ثم هلك عنها، أو فارقها، فتزوجها الحمير بن عدي القاري، أخو بني خزيمة فولدت له توأما الحارث وعديا ابني الحمير، ثم فارقها، فتزوجها عامر بن عدي رجل من بني خزيمة أيضا فولدت له أم حبيب بنت عامر، يقول ابن شهاب الزهري: وكانت معاذة بنت عبد الله بن جبير بن الضرير بن أمية بن خدارة ابن الحارث بن الخزرج، وقال أبو عمر: قول ابن شهاب هذا يدل على أن الأوس والخزرج كان يسبي بعضهم بعضا في الجاهلية ويملكون ما يسبون كسائر ما كانت العرب تصنعه وقال أبو عمر: معاذة بنت عبد الله. وقيل: مسيكة. قال الزهري: معاذة. وقال الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر اسمها مسيكة. ينظر الاستيعاب 1913/4 رقم: 4094. وأسد الغابة 288/7، والإصابة 119/8 رقم: 11756.

يُكْرَهُهَا عَلَى الزَّانَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ⁽¹⁾، وَقِيلَ: كَانَتْ لَهُ أُخْرَى، يُقَالُ لَهَا: مُسِيكَةٌ، وَكَانَ يُكْرَهُهَا عَلَى الْفُجُورِ فَتَابَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَعَنْ الزَّهْرِيِّ أَيْضًا: " أَنْ رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُسَيْرًا، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَارِيَةَ، يُقَالُ لَهَا: (مُعَاذَةٌ)، وَكَانَ الْقَرَشِيُّ الْأَسِيرُ يَرِيدُهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ مُسَلِمَةً، فَكَانَتْ تَمْتَنِعُ مِنْهُ، لِإِسْلَامِهَا، وَكَانَ ابْنُ أَبِي يَكْرَهُهَا عَلَى ذَلِكَ، وَيَضْرِبُهَا رَجَاءً أَنْ تُحْمَلَ لِلْقَرَشِيِّ، فَيَطْلُبُ فِدَاءَ وَلَدِهِ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ⁽²⁾ الْآيَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا ﴾، هَذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَنْتَبَغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾؛ أَي: مِنْ خَرَاجِهِمْ فِي مَهْرِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ. " وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ كَسْبِ الْبَغِيِّ ⁽³⁾، وَفِي رِوَايَةٍ: " مَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ ⁽⁴⁾، وَمَنْ يُكْرَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ أَي: لَهُمْ، وَإِثْمُهُمْ عَلَى مَنْ أَكْرَهُهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا أَكْرَهُهُ عَلَيْهِ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: " وَضِعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأُ، وَالنَّسِيَانُ، وَمَا أُسْتُكْرَهُوا عَلَيْهِ ⁽⁵⁾، وَلَمَّا فَصَّلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هَذِهِ الْأَحْكَامَ، وَبَيَّنَّهَا قَالَ: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ﴾، يَعْنِي: الْقُرْآنَ فِيهِ آيَاتٌ وَاضِحَاتٌ مُفَسَّرَاتٌ، ﴿ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾؛ أَي: خَيْرًا عَنِ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ، مَا حَلَّ بِهِمْ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أَوْامِرَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ وَمَوْعِظَةً ﴾؛ أَي: زَاجِرًا عَنِ ارْتِكَابِ الْمَآثِمِ، وَالْمَحَارِمِ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾؛ أَي: لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَخَافَهُ.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

1 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 14535/2591، والبيهقي في السنن الكبرى 9/8 باب النهي عن كسب البغي برقم: 15569 بلفظ " يكرهها على الزنا ". وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 192/7 باب تفسير سورة قصة الإفك برقم: 11232، وقال: رواه البزار وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو كذاب.

2 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14527/2589، وتفسير الطبري 175/19. والدر المنثور 193/6.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2045/5 باب مهر البغي والنكاح الفاسد برقم: 5032 بلفظ " ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين"، وأحمد في مسنده 355/13 مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم: 6876.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 779/2 باب ثمن الكلب برقم: 2122، ومسلم في صحيحه 1199/3 باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن برقم: 1568.

5 - أخرجه ابن ماجه في سننه 659/1 باب طلاق المكره والناسي برقم: 2043، والطبراني في الأوسط 161/8 باب من اسمه موسى برقم: 8273، والحاكم في مستدرکه 199/2 كتاب الطلاق برقم: 2801، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 379/6 باب في الناسي والمكره برقم: 10502، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف.

زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: " أي: هادي أهل السموات والأرض "، وعنه أيضاً: " يُدبّر الأمر
فيهما نجومهما، وشمسهما، وقمرهما " (1)، وقيل: أي: نوري هُداي، وهو اختيار ابن
جرير، وقال أبي بن كعب: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾، هو المؤمن الذي جعل الإيمان والقرآن
في صدره "، وضرب الله مثله فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، بدأ بنور نفسه
ثم ذكر نور المؤمن، فقال: مثل نور من آمن به، وهكذا كان يقرؤها، وهو قراءة ابن
عباس رضي الله عنه أيضاً (2)، وفي الحديث " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في
دعائه يوم آذاه أهل الطائف: أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح
عليه أمر الدنيا، والآخرة أن يحلّ لي غضبك، أو ينزل لي سخطك لك العتبي حتى
ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله " (3) وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾، يجوز أن يعود
الضمير إلى الله؛ أي: مثل هُداه في قلب المؤمن، ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، قاله ابن عباس رضي الله عنه:
ويجوز أن يعود إلى المؤمن، الذي دلّ عليه السياق، أي: مثل نور المؤمن الذي في
قلبه كمشكاة، فنسبته قلب المؤمن، وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقاه من
القرآن المطابق، لما هو مفطور عليه " (4) كما قال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ
وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (5)، فنسبته قلب المؤمن في صفائه، في نفسه بالقنديل، من الزجاج

1 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أقاويل: أحدها: معناه الله هادي
السموات والأرض، قاله ابن عباس، وأنس. والثاني: الله مدبر السموات والأرض، قاله مجاهد والثالث: الله
ضياء السموات والأرض، قاله أبي. والرابع: منور السموات والأرض. ينظر تفسير الطبري 177/19
وتفسير الماوردي 101/4 تفسير سورة النور.

2 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ فيه أربعة أقاويل: أحدها: مثل نور الله، قاله ابن عباس
الثاني: مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم، قاله ابن شجرة. والثالث: مثل نور المؤمن، قاله أبي. والرابع
: مثل نور القرآن، قاله سفيان. ينظر تفسير الطبري 178/19، وتفسير الماوردي 102/4.

3 - أخرجه الطبراني في الدعاء 315/1 باب القول عند بناء الرجل بأهله برقم: 1036، وأورده الهيثمي في
مجمع الزوائد 37/6 باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعرضه نفسه على القبائل برقم:
9851، وعزاه إلى الطبراني وقال: وفيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة، وأورده السيوطي في الجامع الصغير
116/1 باب حرف الألف برقم: 1483، وقال: حسن.

4 - ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وفيه خمسة أقاويل: أحدها: أن المشكاة كوة لا منفذ لها والمصباح السراج، قاله
كعب الأحمري. والثاني: المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة، قاله مجاهد. والثالث: المشكاة موضع الفتيلة من
القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح الضوء قاله ابن عباس. والرابع: المشكاة الحديد الذي به القنديل وهي
التي تسمى السلسلة والمصباح هو القنديل، وهذا مروى عن مجاهد أيضاً. والخامس: أن المشكاة صدر المؤمن
والمصباح القرآن الذي فيه والزجاجة قلبه، قاله أبي، قال الكلبي: والمشكاة لفظ حبشي معرب. ينظر تفسير
الطبري 180/19، وتفسير الماوردي 102/4 - 103.

5 - ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْأَنَّا مُوعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
الآية (17) من سورة هود.

الشفاف، وما يستمدُّ به من القرآن، والشرع بالزيت الجيد الصافي الذي يشرق، لا كدر فيه، وقوله: ﴿كَمْشَكْوَةٌ﴾، قال ابن عباس وأتباعه: " هو موضع الفتيلة من القنديل"⁽¹⁾، هذا هو المشهور، ولهذا قال بعده: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وهو الذُّبَالَةُ التي تضيء، وقال: إن اليهود قالوا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - كيف يخلص نور الله من دون السماء، فَضْرَبَ اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ النُّورِ"⁽²⁾، فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، قال: وهو مثلُ ضربه الله لطاعته، فسَمَّى طاعته نوراً، ثم سماه أنواعاً سَمَّيْتُ، قال مجاهد، وغيره: " المشكاة: الكوة التي لا منفذ لها بلغة الحبشة "⁽³⁾ وقيل: هي [الحديد]⁽⁴⁾ التي يُعَلَّقُ بها القنديل، والقول الأول أولى. وهي: أنها موضع الفتيلة من القنديل وقال السدي: هو السراج ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية، ثم وصف الزجاج، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، قرأ بعضهم⁽⁵⁾: بضم الدال بلا همزٍ من الدُرِّ، أي كأنها كوكب من دُرٍّ، وقرأ آخرون: بكسر الدال، وضمها مع الهمز من الدرء، وهو الدفع، وذلك أن النجم إذا رَوَى فيه يكون أشدُّ استنارةً من سائر الأحوال، قال قتادة: كوكب مُضيء مبين ضخم ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾؛ أي: تستمد من زيت زيتون، شجرة مباركة ﴿زيتونة﴾، (بدل)، أو (عطف بيان)⁽⁶⁾، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾؛ أي: ليست في شرقي بفتحها، فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في غربيها، فتقلص عنها الفياء قبل الغروب، بل هي في وسط تضربها الشمس من أول النهار إلى آخرها، فيجيء زيتها معتدلاً، صافياً مشرقاً، قال ابن عباس: " هي شجرة بالصحراء، لا

¹ - وعن مجاهد قال: القنديل، ثم العمود الذي فيه القنديل. وعن محمد بن كعب قال: هي موضع الفتيلة من القنديل. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14562 / 2596، 14563، 14567، ، وتفسير الطبري 19 / وتفسير الماوردي 102/4، والدر المنثور 199/6.

² - أورده الطبري في تفسيره 180/19 تفسير الآية 35 من سورة النور.

³ - أخرج البخاري في صحيحه 1768/4 باب سورة النور برقم: 238 عن سعيد بن عياض الشمالي قوله: كمشكاة: ككوة بلسان الحبشة. وقال ابن عباس: المشكاة بلسان الحبشة الكوة، وكذلك قاله مجاهد. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14569/2597، وتفسير السدي 361. والدر المنثور 199/6 - 200.

⁴ - لعلها [الحدائد] هكذا في تفسير ابن كثير 58/6.

⁵ - اختلفوا في قوله تعالى: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فقرأ ابن كثير دُرِّيٌّ بضم الدال وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء من غير همز، وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم دُرِّيٌّ مثل ابن كثير. وقرأ أبو عمرو يريء بكسر الدال مهموز. وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر دُرِّيء بضم الدال مهموز. وفي رواية أبان عن عاصم وحفص عن عاصم. وقرأ الكسائي يريء مثل أبي عمرو بكسر الدال مهموز. فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء، وهو الدفع، لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة، قال أكثر النحاة: هو لحن، لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين. ينظر تفسير الطبري 184/19، وحجة القراءات 499/1، والسبعة في القراءات 455/1، ومعالم التنزيل 46/6.

⁶ - (يُوقَدُ): مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، والجملة صفة ثانية لكوكب (مِنْ شَجَرَةٍ): متعلقان بـ(يوقد). (مُبْرَكَةٌ): صفة لشجرة. (زَيْتُونَةٌ): بدل من شجرة. (شَرْقِيَّةٌ) نعت لـ(زيتونة)، و (لَا) ليست تحول بين النعت والمنعوت و(لا غربية) عطف. ينظر إعراب القرآن (دعاس) 352/2، والتبيان في إعراب القرآن 969/2.

يظلمها جبل، ولا شجر، ولا كهف، ولا يوازئها شيء هو أجود لزيتها كما قال عكرمة: " تلك زيتونة بأرض فلاة، إذا أشرقت الشمس، أشرقت عليها، وإذا غربت، غربت عليها، فذاك أصفى، ما يكون من الزيت " (1)، وقال أبي بن كعب: " فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت، ولا إذا غربت، قال: فكذاك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله شيء من الفتن، وقد ابتلي بها فينبتة الله فيها، فهو بين أربع خلال: إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، فهو في سائر الناس، كالرجل الحي، يمشي في قبور الأموات " (2)، وعن ابن جبير، والعمري ونحوه، وعن ابن عباس ؓ أيضاً: " ليست شرقية ليس فيها غرب، ولا غربية، ليس فيها شرق، ولكنها شرقية غربية "، وعنه: ﴿شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ﴾، رجل صالح، لا يهودي، ولا نصراني " (3) وأولى الأقوال: الأول، فإنها في مستوٍ من الأرض في مكان فسيح بارزٍ ظاهر للشمس، تفرعه من أول النهار إلى آخره، ليكون ذلك أصفى لزيتها، وأطف، وقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال ابن عباس ؓ: " يعني بذلك إيمان العبد وعمَله " (4)، وقيل: " نور النار ونور الزيت حين اجتماع أضواء، كذلك نور القرآن، ونور الإيمان، حين اجتماع، فلا يكون واحد منهما، إلا بصاحبه، وقال أبي بن كعب: " فهو ينقلب إلى خمسة أمور: كلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور، يوم القيامة إلى الجنة " (5)، وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله عز وجل خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك، اهتدى، ومن أخطأه ضلّ، فكذاك أقول: جَفَّ القلم على علم الله " (6) رواه أحمد والترمذي، وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: يُبين الله الأشياء للناس، تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبيل الإدراك، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال، وعن أبي سعيد ؓ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " القلوب أربعة:

1 - ينظر تفسير ابن حاتم 14599 / 2600 ، 14601.

2 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14596/2599، وتفسير الطبري 181/19، والدر المنثور 197/6، ومعالم التنزيل 49/6.

3 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14603/2600. والدر المنثور 201/6.

4 - ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فيه ستة أقاويل: أحدها: يعني ضوء النار على ضوء الزيت على ضوء الزجاج، قاله مجاهد. والثاني: نور النبوة على نور الحكمة، قاله الضحاك. والثالث: نور الزجاج على نور الخوف والرابع: نور الإيمان على نور العمل. والخامس: نور المؤمن فهو حجة الله، يتلوه مؤمن فهو حجة الله حتى لا تخلو الأرض منهم. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14558/2603 - 14620، وتفسير الماوردي 105/4. والدر المنثور 198/6.

5 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14619/2603 وتفسير الطبري 181/19، ومعالم التنزيل 49/6.

6 - أخرجه الترمذي في سننه 26/5 باب افتراق الأمة برقم: 2642، وأحمد في مسنده 219/11 مسند عبدالله بن عمرو برقم: 6644، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 398/7 باب سبب الهداية برقم: 11812.

قلبٌ أُجْرِدُ: فيه مثل السراج يزهر، وقلبٌ أُغْلَفُ: مربوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوس: وقلبٌ مُصْفَح: فأما القلب الأجرد، فقلب المؤمن سراجُه فيه نوره، وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق: عرف ثم أنكر، وأما القلب المُصْفَح: فقلبٌ فيه إيمان، ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل [؟] (1) القرحة، يمدُّها القيح والدم، فأبي المدتين غلبت على الأخرى، غلبت عليه (2) رواه أحمد بإسناد جيد.

﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (36)
 رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
 تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ ٣٧ ﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
 وَاللَّهُ يَرِزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ ٣٨ ﴾ .

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن، وما فيه من الهدى، والعلم بالمصباح، في الزجاج الصافية المتوقد من زيت طيب، وذلك كالقنديل مثلاً، ذكر محلها، وهي المساجد التي أحبُّ بقاع الأرض إلى الله، وهي بيوتها التي يُعبد فيها، فقال: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ ، أي: أمر الله برفعها، أي: بتطهيرها من الدنس واللغو، والأفعال، والأقوال، التي لا تليق فيها، كما قال ابن عباس: " نهى الله سبحانه عن اللغو فيها " (3)، وبه قال كثيرون، وقال قتادة: " هي هذه المساجد أمر الله ببنائها، ورفعها، وأمر بعمارها، وتطهيرها " (4) ، وفي الصحيحين عن عثمان - رضي الله عنه - قال: " سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: من بنى مسجداً يُذكر فيه اسم الله، بنى الله له بيتاً في الجنة " (5) رواه بعض أصحاب السنن، وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: " أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببناء المساجد في الدور، وأن تُنظَّف وتُطَيَّب " (6) رواه أحمد، وأهل السنن، إلا النسائي .

1 - [البقرة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل] وهذه التتمة في الحاشية. ينظر اللوحة 334/ب
 2 - أخرجه أحمد في مسنده 208/17 مسند أبي سعيد رضي الله عنه برقم: 11129، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 231/1 باب في قلب المؤمن وغيره برقم: 224، وعزاه إلى أحمد والطبراني في الصغير وقال: وفي أسناده ليث بن سليم. وأورده الألباني في السلسلة 263/11 برقم: 5158 وقال: ضعيف.
 3 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14627/2604، وتفسير الطبري 189/19. والدر المنثور 202/6.
 4 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14635/2605. والدر المنثور 202/6.
 5 - أخرجه مسلم في صحيحه 378/1 باب فضل بناء المسجد والحث عليه برقم: 533، والنسائي في سننه 31/2 باب الفضل في بناء المساجد برقم: 688، والترمذي في سننه 135/2 فضل ببناء المسجد برقم: 319 وابن ماجه في سننه 243/1 باب من بنى لله مسجداً برقم: 735، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 112/2 باب بناء المساجد برقم: 1943، وقال: وفيه وهب بن حفص وهو ضعيف .
 6 - أخرجه أبو داود في سننه 178/1 باب اتخاذ المساجد في الدور برقم: 455، والترمذي في سننه 489/2 باب ما ذكر في تطييب المساجد برقم: 594 وسكت عنه، وابن ماجه في سننه 250/1 باب تطهير المساجد وتطييبها برقم: 758 بلفظ " وإن تُبْنَى في الدور وأن تُطَهَّر وتُطَيَّب ". وأحمد في مسنده 396/43 مسن عائشة رضي الله

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما أمرتُ بتشييد هذه المساجد، قال ابن عباس رضي الله عنه: " لتزخرقنها، كما زخرقت اليهود والنصارى " (1).
رواه أبو داود. وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تقوم الساعة، حتى تتباهى الناس في المساجد " (2). رواه أحمد، وأكثر أهل السنن، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن البيع والابتياح، وعن تناشد الأشعار في المساجد " (3) رواه أحمد، وأكثر أهل السنن. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " من سمع رجلاً ينشد ضالةً في المسجد، فليقل : لا ردّها الله عليك، فإن المساجد، لم تُبن لهذا " (4).
رواه مسلم، وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه (5) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " جَنَّبُوا مساجدنا صبيانكم، ومجانينكم، وشراكم، وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجَمَرُواها في الجَمَع " (6) رواه ابن ماجه. فقله: " جَنَّبُوا مساجدنا صبيانكم "، ذلك لأنهم يلعبون في المسجد، ولا يناسبهم، " وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانا

عنها برقم: 26386. وأورده الألباني في صحيح أبي داود 354/2 باب اتخاذ المساجد في الدور برقم: 480، وقال: " اسناده صحيح على شرط الشيخين.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه 171/1 باب بنیان المساجد رقم الباب: 29، وأبو داود في سننه 176/1 باب في بناء المساجد برقم: 448، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 133/1 برقم : 448، وقال: صحيح.

² - أخرجه أبو داود في سننه 176/1 باب في بناء المساجد برقم: 449، والنسائي في سننه 32/2 باب المباهاة في المساجد برقم: 689، وابن ماجه في سننه 224 باب تشييد المساجد برقم: 739، وأحمد في مسنده 372/19 مسند أنس رضي الله عنه، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 133/1 برقم: 449 وقال : صحيح.

³ - أخرجه النسائي في سننه 48/2 باب النهي عن تناشد الأشعار في المساجد برقم: 715، والترمذي في سننه 139/2 باب كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة والشعر في المسجد برقم: 322، وابن ماجه في سننه 247/1 باب ما يكره في المساجد برقم: 749، وأحمد في مسنده 257/11 مسند عبدالله بن عمر برقم: 6676، بلفظ " وأن تتشد فيه الأشعار وأن تتشد فيه الضالة وعن الحلق يوم الجمعة قبل الصلاة "، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه 397/1 باب النهي عن نشد الضالة في المسجد برقم: 568، والترمذي في سنه 610/3 باب النهي عن البيع في المسجد برقم: 1321، وقال: هذا حديث حسن غريب.

⁵ - واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الكناني الليثي. وقيل: واثلة بن عبد الله بن الأسقع، كنيته أبو شداد وقيل : أبو الأسقع وأبو قرصافة. سكن البصرة . وله بها دار، ثم سكن الشام على ثلاثة فراسخ من دمشق بقرية البلاط وشهد فتح دمشق، وشهد المغازي بدمشق وحمص، ثم تحول إلى فلسطين، ونزل البيت المقدس. روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي مرثد وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم، وروى عنه ابنته فسيلة ويقال خصيلة، وأبو إدريس الخولاني وشداد بن عبد الله أبو عمار، وربيعة بن يزيد القصير، وغيرهم. وكان قد عمى. وكان يصفر لحيته. وتوفي (سنة 83 هـ). ينظر الاستيعاب 1563/4 رقم: 2738، وأسد الغابة 444/5 رقم: 5414، والإصابة 591/6 رقم: 9093.

⁶ - أخرجه ابن ماجه في سننه 247/1 باب ما يكره في المساجد برقم: 750، والطبراني في الكبير 132/8 حديث أبي أمامة وواثلة رضي الله عنهما برقم: 7601، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 140/2 باب في كرامة المساجد وما نهى عن فعله فيها برقم: 2049 وعزاه إلى الطبراني في الكبير وقال: وفيه العلاء بن كثير الليثي الشامي وهو ضعيف.

يلعبون في المسجد ضربهم بالدرّة" (1)، "ومجانينكم" يعني لضعف عقولهم وسخر الناس بهم، فيؤدّي إلى اللعب فيها، ولما يُخشى من تَقَدُّرِهِمْ في المسجد، ونحو ذلك "وبيعكم، وشراكم"، فلما تقدّم من النهي عن البيع، والشراء فيه "وخصوماتكم" يعني التحاكم، والحكم فيه، لما فيه من الخصومات، والتشاجر الذي لا يناسبه، ولهذا قال بعد "ورفع أصواتكم"، وقوله " وإقامة حدودكم" لما يُخشى من الموت " ولسل سيوفكم" لئلا يُصاب بعض الناس، لكثرتهم، وقوله: " واتخذوا على أبوابها المطاهر"، يعني: المراحيض التي يُستعان بها في الوضوء، وقضاء الحاجة، وقد كان قريباً من مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آبارٌ يَسْتَقُونَ منها - فيشربون ويتطهّرون، وغير ذلك، وقوله " وجمّروها في الجُمع"، يعني: بخروها أيام الجُمع لكثرة اجتماع الناس يومئذٍ"، وكان عمرُ ﷺ يُجمّرُ مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم كل جمعة" (2)، وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "صلاة الرجل في جماعة، تضعف على صلّاته في بيته، وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً" (3). وفي الدار قطني (4) مرفوعاً " لا صلاة لجار المسجد، إلا في المسجد" (5) وفي السنن مرفوعاً: " بَشَّرَ المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة والمستحب لمن دخل المسجد، أن يُقدّم رجله اليمنى" (6)، ويقول كما في سنن أبي داود: " عن عبدالله بن عمرو ﷺ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا دخل

- 1 - ينظر كنز العمال 789/12 باب تنمة فضائل الفاروق برقم: 35772. بلفظ: " عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: كان عمر بن الخطاب يعس المسجد بعد العشاء فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه، إلا رجلاً قائماً يصلي".
- 2 - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 141/2 باب في تخليق المساجد برقم: 7445، وأبو يعلى في مسنده 170/1 مسند عمر رضي الله عنه برقم: 190، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 116/2 باب إجمار المسجد برقم: 1960. وقال: رواه أبو يعلى، وفيه عبد الله بن عمر العمري، وثقه أحمد وغيره، وأُخْتَلِفَ في الاحتجاج به.
- 3 - أخرجه البخاري في صحيحه 232/1 باب وجوب صلاة الجماعة برقم: 620، ومسلم في صحيحه 449/1 باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة بلفظ " تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمسا وعشرين درجة". وكذلك 458/1 باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة برقم: 272. بلفظ " صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلّاته في بيته وصلّاته في سوقه بضعا وعشرين درجة".
- 4 - الدار قطني: بفتح الدال المهملة بعدها الألف ثم الراء والقاف المضمومة والطاء المهملة الساكنة وفي آخرها النون هذه النسبة إلى دار القطن وهي كانت محلة ببغداد كبيرة: هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الشهير، صاحب السنن سمع أبا القاسم البغوي وأبا بكر بن أبي داود السجستاني وابن أبي داود وابن صاعد والحضرمي، وخلّاق ببغداد والبصرة والكوفة وواسط، وارتحل في كهولته إلى مصر والشام وصنف التصانيف الفائقة، حدث عنه الحاكم وأبو حامد الإسفراييني، وقال الحاكم: صار الدار قطني أوحده عصره في الحفظ والفهم والورع وإماماً في الفقهاء والنحويين، صادفته فوق ما وصف لي. وله مصنفات يطول ذكرها. ت: 385 هـ. ينظر الأنساب 438/2، وتذكرة الحفاظ 132/3 رقم: 925، والعبر 167/2.
- 5 - أخرجه الدار قطني في سننه 419/1 باب الحث لجار المسجد على الصلاة فيه برقم: 80، والحاكم في مستدرکه 373/1 باب التأمين برقم: 898، وقال: وقد صحت الرواية فيه عن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنهما من سمع النداء فلم يجب، 4721.
- 6 - أخرجه أبوداود في سننه 209/1 باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم برقم: 561، والترمذي في سننه 435/1 فضل العشاء والفجر في جماعة برقم: 223، وابن ماجه في سننه 257/1 باب المشي إلى الصلاة برقم: 781، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، مرفوع هو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المسجد، قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من شر الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ (1). وعن أبي حميد (2) أو أبي أسيد (3) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم انني أسألك من فضلك " (4) رواه مسلم، والأحاديث في فضائل المسجد كثيرة، وقوله: ﴿وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾، قال ابن عباس: أي: يُتلى فيها كتابه، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾؛ أي: في البكرات والعشيات، والأصال: جمع أصيل، وهو آخر النهار قال ابن عباس: " كل تسبيح في القرآن، هو الصلاة، والمراد بالعدو: صلاة الغداة وبالأصال صلاة العصر، وهما أول ما فرض الله من الصلاة، فَأَحَبُّ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِمَا عِبَادَهُ " (5) كذا قال الحسن، ومن قرأ: ﴿يُسَبِّحُ﴾، بفتح الباء على ما لم يُسَمِّ فاعله وقف على قوله في: ﴿وَالْأَصَالِ﴾ وقفاً تاماً، وابتداء بقوله: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وكأنه مُفسِّر للفاعل المحذوف (6)،

1 - أخرجه أبو داود في سننه 180/1 باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد برقم: 466، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 136/1 برقم: 466 وقال: صحيح.

2 - أبو حميد الساعدي: اختلف في اسمه فقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن سعد . وقيل : المنذر بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن عمرو بن الخزرج بن سعد بن ثعلبة بن جبل بن الخزرج يعد في أهل المدينة روى عنه من الصحابة : جابر بن عبد الله، ومن التابعين: عروة بن الزبير ، وعباس بن سهل، ومحمد بن عمرو بن عطاء، وخارجة بن زيد بن ثابت، وغيرهم، توفي آخر خلافة معاوية قال ابن سعد: شهد أحدا وما بعدها. ينظر الاستيعاب 1633/4 برقم: 2921 . وأسد الغاية 85/6 برقم: 5815، والإصابة 94/7 برقم: 9787.

3 - أبو أسيد الساعدي: اسمه مالك بن ربيعة . وقيل : هلال بن ربيعة ، ومالك أكثر أبو أسيد، مشهور بكنتيته، وهي بصيغة التصغير، وهو أنصاري خزرجي من بني ساعدة ، شهد بدرًا، وأحدا وما بعدها وكان معه راية بني ساعدة يوم الفتح، روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أحاديث. وروى عنه: أولاده حميد والزبير والمنذر، ومولاه علي بن عبيد، ومولاه أبو سعيد، ومن الصحابة: أنس، وسهل بن سعد رضي الله عنهما، ومن التابعين: عباس بن سهل، وعبد الملك بن سعيد بن سويد وأبو سلمة وآخرون. قال الواقدي كان قصيرا أبيض الرأس واللحية كثير الشعر وكان قد ذهب بصره (ومات سنة 60 هـ)، وهو آخر البدريين موتاً. ينظر أسد الغاية 16/6 برقم: 5672. والإصابة 723/5 برقم: 7634.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 494/1 باب ما يقول إذا دخل المسجد برقم: 713، والترمذي في سننه 127/2 باب ما يقول عند دخول المسجد برقم: 314 - 315، وقال: " وفي الباب عن أبي حميد و أبي أسيد و أبي هريرة، وحديث فاطمة حديث حسن وليس إسناده بمتصل.

5 - وروي عن سفيان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا ذلك ، وعن الضحاك أيضاً قال ذلك . ينظر تفسير الطبري 191/19، وتفسير القرطبي 276/12، وتفسير الماوردي 173/6. والدر المنثور 666/5.

6 - اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ بضم الياء وكسر الباء، بمعنى يصلي له فيها رجال، ويجعل يسبح فعلا للرجال، وخبراً عنهم، وترفع به الرجال، سوى عاصم وابن عامر، فإنهما قرأ ذلك: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ بضم الياء وفتح الباء، على ما لم يسَمِّ فاعله، ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمراً، كأنهما أرادا: يُسَبِّحُ اللهُ في البيوت التي أذن الله أن ترفع، فسَبِّحْ له رجال، فرفعاً للرجال يفعل مضمراً، والقراءة التي هي أولاهما بالصواب، قراءة من كسر الباء، وجعله خبراً للرجال وفعلاً لهم. ينظر تفسير الطبري 1/19، وتفسير القرطبي 275/12، وحجة القراءات 501/1.

كما قال الشاعر (1):

لِيُبَاكَ يَزِيدُ، ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَانِحُ.

كأنه قال: من يبكيه ؟ قال: هذا يُبْكِيهِ، وكأنه قيل: من يُسَبِّحُ له فيها؟ قال: رجال. وأما على قراءة من قرأ: بالكسر، فجعله فعلاً، وفاعله ﴿رِجَالٌ﴾، فلا يُحَسِّنُ الوقف إلا على الفاعل، لأنه تمام الكلام، فقوله: ﴿رِجَالٌ﴾، فيه إشعارٌ بهمهمم العالية، ونياتهم، وعزائمهم السامية، التي بها صاروا عَمَّارِ المساجد، التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته، فأما النساء، فصلاتهن في بيوتهن، أفضل لهن، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها، وصلاتها في مخدعها، أفضل من صلاتها في بيتها " (2)، رواه أبو داود. وعن أم سلمة [رضي الله عنها]، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " خير مساجد النساء، قَعْرُ بيوتهن " (3) ويجوز لها شهود جماعة الرجال، بشرط أن لا يؤذي أحداً من الرجال، بظهور زينة، ولا ريح طيب، كما في الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " (4)، وعن زينب [رضي الله عنها] (5) امرأة عبدالله رضي الله عنهما، قالت: قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا شهدت إحداكن المسجد، فلا تمسّ طيباً " (6) رواه مسلم، وفيهما قالت عائشة [رضي الله عنها]: " كان نساء المؤمنات يشهدن الفجر مع رسول

1 - البيت لنهشل بن حري بن ضمرة وبيروى للبيد، ونسبه الزمخشري لمزرد أخي الشماخ وفي ابن السبكي أنه لمرة بن عمرو النهشلي في يزيد بن نهشل، وقيل للحارث بن ضرار النهشلي، وفي ابن يعقوب لضرار بن نهشل في أخيه يزيد. هذا ونهشل بن حري شاعر إسلامي. وفي الكتاب لسبويه أن البيت للحارث بن نهيك. وهذا البيت متنازع عليه بين عدد من الشعراء ككليب ومزرد بن ضرار والحارث بن ضرار، وهو لنهشل ابن حري ينظر الإيضاح في علوم البلاغة 2/124. وفي جمالية الكلمة 1/104.

2 - أخرجه أبو داود في سننه 211/1 باب التشديد في ذلك برقم: 570، والحاكم في مستدركه 286/1 كتاب الإمامة وصلاة الجماعة برقم: 756، وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 164/44 مسند أم سلمة رضي الله عنها برقم: 26542، والحاكم في مستدركه 327/1 كتاب الإمامة وصلاة الجماعة برقم: 756، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 2/154 باب خروج النساء إلى المساجد وغير ذلك وصلاتهن في بيوتهن وصلاتهن في المسجد برقم: 2105، وعزاه إلى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وقال: وفيه ابن لهيعة وفيه كلام.

4 - أخرجه البخاري في صحيحه 305/1 باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان برقم: 858، ومسلم في صحيحه 326/1 باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة برقم: 136.

5 - زينب بنت معاوية. وقيل: ابنة معاوية الثقفية، امرأة عبد الله بن مسعود وقال أبو عمر: زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفي روت عن: النبي صلى الله عليه وسلم، وعن زوجها عبد الله بن مسعود، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وروى عنها: بسر بن سعيد وعبد الله بن عمرو بن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي وروى لها الجماعة. ينظر أسد الغابة 7/148 رقم: 6961، والإصابة 7/680 رقم: 11250، وتهذيب التهذيب 451/12 رقم: 2804.

6 - أخرجه مسلم في صحيحه 328/1 باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة برقم: 443، والنسائي في سننه 8/145 باب النهي على المرأة أن تشهد الصلاة إذا أصابت من البخور برقم: 5129، بلفظ "إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمس طيباً".

الله صلى الله عليه وسلم، ثم يرجعون متلفعات [بمروطهن]⁽¹⁾، ما يُعرفن من الغلس⁽²⁾، وفيهما أيضاً: أنها قالت: لو أدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد، كما مُنعت نساء بني إسرائيل !! " ، وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، كقوله: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمُولُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽³⁾ ، الآية، يعني: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها، وزينتها، وملاذ بيعها، وريحها عن ذكر ربهم، الذي هو خالقهم، ورازقهم، لأن ما عندهم ينفذ، وما عند الله باق، فيقدمون طاعته، ومراده ومحبه " روي أن [مسعود]⁽⁴⁾ رأى قوماً من أهل السوق، حيث نودي للصلاة، تركوا بياعاتهم، ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبدالله: " هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ " ⁽⁵⁾ وروي نحوه عن ابن عمرو⁽⁶⁾، قال ابن عباس⁽⁷⁾ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ؛ أي: " الصلاة المكتوبة " ⁽⁶⁾، ووافقه كثير من التابعين، وقال مقاتل بن حيان⁽⁷⁾: لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة، وأن يقيموها، كما أمرهم الله، وأن يحافظوا على مواقيتها، وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ ؛ أي: يوم القيامة الذي تنقلب فيه القلوب، والأبصار من شدة الفرع، وعظمة الأهوال كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ءَلْبَاصُهُ﴾ ⁽⁸⁾ وقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ؛ أي: هؤلاء من الذين يُتقبل منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم ويتفضل عليهم بما لم يستحقوه بأعمالهم ويُضاعفه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ⁽⁹⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ

1 - مروط: جمع مرط: وهي أكسيّة من صوف، كانوا يأتزون بها، وربّما كانت من خزّ أو غيره، ينظر غريب الحديث 353/2، والنهية في غريب الحديث والأثر 675/4.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 210/1 باب وقت الفجر برقم: 553، ومسلم في صحيحه 445/1 باب استحباب التكبير بالصبح في أول وقتها وهو التغليس وبيان قدر القراءة فيها برقم: 230.

3 - ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمُولُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية (9) من سورة المنافقون.

4 - والصحيح [ابن مسعود رضي الله عنه] لعلها سقطت من الناسخ .

5 - ينظر تفسير الطبري 192/19.

6 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14656/2609 عن أبي العالية قال الصلاة المفروضة، وتفسير الطبري 193/19 عن معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهم قالوا الصلاة المكتوبة. وتفسير مقاتل 420/2 قال الصلاة المفروضة. والدر المنثور 207/6 أن ابن عباس قال الصلاة المكتوبة .

7 - مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام مولى لبكر بن وائل، روى عن: مجاهد، والضحاك ، والحسن وعكرمة، وقتادة، وعتمه عمرة وغيرهم، وروى عنه: علقمة بن مرثد، وبكير بن معروف، وغيرهما ، وكان صدوقاً فيما يروى إذا كان دونه ثبت، وهم إخوة أربعة مقاتل والحسن ويزيد ومصعب بنو حيان . وهرب في أيام خروج أبي مسلم الخراساني إلى كابل ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا. وثقه يحيى بن معين وأبو داود وقال: ليس به بأس، مات مقاتل بن حيان بكابل، وكان قد هرب من أبي مسلم. ومات قبيل الخمسين. ينظر تذكرة الحفاظ 131/1 رقم: 168، وتقريب التهذيب 544/1 رقم: 6867. والنقات 508/7 رقم: 11210، والجرح والتعديل 353/8 رقم: 1629.

8 - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفَلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظُّلْمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ءَلْبَاصُهُ﴾ (42) من سورة إبراهيم.

9 - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (40) من سورة النساء.

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (1) وعن أسماء بنت يزيد [رضي الله عنها] (2) مرفوعاً " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مُنَادٍ، فَسَمِعَ بِصَوْتِ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة، ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون، وهم قليل، ثم يُحاسب سائر الخلائق" (3).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٣٧﴾﴾.

هذان مثلان ضربهما الله لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول البقرة (4) نارياً ومائياً، وكما ضرب لما يقِرُّ في القلوب، من الهدى، والعلم في سورة الرعد (5) مثلين مائياً ونارياً، وقد سبق الكلام على كل منهما في موضعهما، فأما الأول من هذين: فهم الكفار الدُّعاة إلى كفرهم، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في الواقع على شيء، مثلهم في ذلك، كالسراب: الذي يُرى في القيعان من الأرض، على بُعد، كأنه بحر طامٌّ، والقيعة: جمع قاع، والقاع: أيضاً واحدة القيعان: وهي الأرض المستوية، المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب،

1 - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ الآية: (261) من سورة البقرة.

2 - أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية، وهي ابنة عمه معاذ بن جبل ، وزوجة أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنهم، وكانت تكنى أم سلمة، ويقال: أم سلمة الأنصارية الأشهلية. بايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وروت جملة أحاديث، وقتلت بعمود خيائها يوم. اليرموك تسعة من الروم، وسكنت دمشق، وروت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، روى عنها: ابن أخيها محمود بن عمرو الأنصاري شهر بن حوشب ، ومجاهد ، وإسحاق بن راشد، وغيرهم، وكانت يقال له خطيبة النساء، روى لها البخاري في الأدب والباقون سوى مسلم. عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية، ينظر أسد الغابة 21/7 رقم: 6703، والإصابة 498/7 رقم: 10810، وتاريخ الإسلام 73/5 رقم: 4، وسير أعلام النبلاء 296/2 رقم: 53.

3 - أخرجه ابن راهويه في مسنده 180/5 حديث ما يروى عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 2306، وابن حميد في مسنده 457/1 حديث أسماء بنت يزيد برقم: 1581، وابن أبي حاتم في تفسيره 2610/8 سورة النور برقم: 14663، وابن حجر في المطالب العالية 531/18 باب صفة البعث برقم: 4555.

4 - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ فَهْمٍ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْئِدَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)﴾ من سورة البقرة.

5 - ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ بَثَلٍ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۗ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الآية (17) من سورة الرعد.

وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار، فإذا رأى [السراب] (1) من هو محتاج إلى الماء، حسبه ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه، لم يجده شيئاً، فكذلك حال الكافر: يحسب أنه، قد عملَ عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة، وحاسبه عليها، وناقشه على أفعاله لم يجد شيئاً بالكلية، قد قيلَ لعدم إيمانه، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (2)، وقال ههنا: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، وفي الصحيح أنه: " يُقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزيراً ابن الله، فقال: كذبتُم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون، فيقولون: أي ربنا عطشنا فاسقنا، فقال: ألا ترون، فتمثل لهم النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فينطلقون، فيتهافتون فيها " (3)، وهذا المثال لذوي الجهل المركب، فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم العوام، والأرذال، المقلدون لأئمة الكبر الصمِّ البكم، الذين لا يعقلون، فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾، قال قتادة: " وهو العميق " (4)، ﴿يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ يَرُوهَا﴾؛ أي: لم يتقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا يعرف حال من يقوده وقال العوفي عن ابن عباس: " يعشاه موج يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر " (5)، وهي كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ (6)، وقال أبي بن كعب في قوله: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، فهو يتقلب في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة، إلى الظلمات إلى النار " (7) ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾؛ أي: من لم يهده الله، فهو: هالكٌ جاهلٌ حائرٌ بائرٌ كافرٌ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ (8) وهذا في مقابلة ما قال في شأن

1 - [السراب]، زيادة يتطلبها السياق لعلها سقطت من الناسخ، ينظر اللوحة رقم: 335/ب.

2 - ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ الآية: (23) من سورة الفرقان.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه 2706/6 باب قول الله تعالى ﴿وَجُوهٌ يُّؤْمِنُونَ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ برقم:

7001، ومسلم في صحيحه 66/2 باب معرفة طريق الرؤية برقم: 472.

4 - وفي قوله لحي ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه البحر الواسع الذي لا يرى ساحله، حكاه ابن عيسى . والثاني: أنه البحر الكثير الموج قاله الكلبي . والثالث: أنه البحر العميق، وهذا قول قتادة. ينظر وتفسير ابن أبي حاتم

14686/2613، وتفسير الطبري 198/19، وتفسير الماوردي 110/4. الدر المنثور 210/6 .

5 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14687/2614، وتفسير الطبري 198/19. والدر المنثور 210/6.

6 - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية: (7) من سورة البقرة.

7 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14688/2614، وتفسير الطبري 198/19، وتفسير القرطبي 285/12 والدر

المنثور 198/6. ومعالم التنزيل 53/6.

8 - ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الآية (186) من سورة الأعراف.

المؤمنين، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فالله [المسئول]⁽¹⁾، أن يجعل في قلوبنا نوراً، وعن أيماننا نوراً، وعن شماننا نوراً، وأن يُعظّم لنا نوراً.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

أخبر تعالى أنه يُسَبِّحُه من في السموات، والأرض، أي: من الملائكة، والأناسيين والجان، والحيوان، حتى الجماد، كما قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ﴾؛ أي: في حال طيرانها، تُسَبِّحُ ربها، وتعبده بتسبيح ألهمها، وأرشدنا إليه، وهو يعلم ماهي فاعلة، ولهذا قال: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، أي: كل قد أرشد إلى طريقته، ومسلكه في عبادته، ثم أخبر تعالى أن له: ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فهو الحاكم المتصرف، الذي لا مُعَقَّبَ لحكمه ولا ينبغي العبادة إلا له، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: يوم القيامة، فيحكم فيه بما يشاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾⁽³⁾.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُعَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

أخبر تعالى أنه بقدرته، يسوق السحابة أول ما ينشئها، وهي ضعيفة، وهي الإزجاء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، أي: يجمعه بعد تفرقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾، أي: متراماً يركب بعضها ببعض، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾، أي: المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾⁽⁴⁾، كما هو

1 - هكذا في المتن اللوحة 336/أ، والصواب: [المسئول]، وعند ابن كثير [فنسأل الله العظيم]. ينظر تفسير ابن كثير 68/6.

2 - ﴿سَبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الآية: (44) من سور الإسراء.

3 - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الآية: (31) من سورة النجم.

4 - عن ابن عباس أنه قرأ هذا الحرف: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾: "من خَلَّه". بفتح الخاء، من غير ألف. وقال أبو عمرو: إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم. ويقول الطبري: وأما قرأء الأمصار، فإنهم على القراءة الأخرى من خلاله، وهي التي نختار، لإجماع الحجة من القرءاء عليها. يقول القرطبي: وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو العالية {من خَلَّه}، ويجوز أن يكون خلل جمع خلال. ينظر تفسير الطبري 202/19، وتفسير القرطبي 289/12، 44/14، والدر المنثور 212/6. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 233/4.

قراءة ابن عباس رضي الله عنه، قيل: يبعث الله المثيرة، فَتَقَمُّ الأرضَ قَمًّا، ثم يبعث الناشئة، فتنشئ السحاب، ثم يبعث المؤلفة، فيؤلف بينهم، ثم يبعث اللواقح، فيلقح السحاب ⁽¹⁾. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وقوله: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، قيل: (من) الأولى: (لابتداء الغاية)، والثانية: (للتبعيض)، والثالثة: (لبيان الجنس) ⁽²⁾، وهذا على معنى، أن في السماء جبال بردة، ينزل الله منها البرد، وأما من جعل الجبال ههنا، كناية عن السحاب، فإن (من) الثانية حينئذٍ (لابتداء الغاية)، لكنها (بدل) من الأولى، وقوله ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يحتمل أن يكون المراد بقوله أي: بما ينزل من السماء من نوعي المطر، والبرد فيكون قوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمة لهم ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: يؤخر عنهم الغيث، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾؛ أي: البرد نقمة على من يشاء [لما فيه] ⁽³⁾ من نثر ثمارهم، وإتلاف زروعهم، وأشجارهم، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: رحمة بهم، وقوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾؛ أي: يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا تبعته وتراءته، وقوله: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؛ أي: يتصرف فيهما، فيأخذ من طول هذا، في قصر هذا حتى يعتدلا، ثم يأخذ من هذا، في هذا، فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا، والله هو المتصرف في ذلك، بعلمه، وقدرته، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾؛ أي: لدليلا على عظمتها، كما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ⁽⁴⁾ إلى آخر الآية.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

1 - ورد هذا القول عن عبيد بن عمير الليثي في تفسير ابن أبي حاتم 14709/2617 سورة النور، وتفسير الطبري 88/17، وتفسير القرطبي 16/10 سورة الحجر، وتفسير الماوردي 155/3، سورة الحجر.

2 - { وينزل } مضارع فاعله مستتر معطوف على يخرج، (من) ها هنا لابتداء الغاية، فأما (من جبال) ففي (من) وجهان: أحدهما: هي زائدة هذا على رأي الأخفش. والثاني: ليست زائدة، ثم فيها وجهان: أحدهما: هي بدل من الأولى، على إعادة الجار والتقدير: وينزل (من جبال السماء) أي: من جبال في السماء، فعلى هذا يكون (من برد) زائدة عند قوم، وغير زائدة عند آخرين. والوجه الثاني: أن التقدير (شيئا من جبال) فحذف الموصوف، واكتفى بالصفة، وهذا الوجه هو الصحيح. لأن قوله تعالى (فيها من برد)، يحوجك إلى مفعول يعود الضمير إليه، فيكون تقديره: (وينزل من جبال السماء): جبلا فيها برد، وفي ذلك زيادة حذف، وتقدير مستغنى عنه، وأما (من) الثانية: ففيها وجهان أحدهما: هي زائدة، والثاني: للتبعيض. ينظر إعراب القرآن للدعاس 355/2 والتبيان في إعراب القرآن 974/2، و الجدول في إعراب القرآن 274/18.

3 - [لما فيه]: زيادة يتطلبها السياق، ينظر اللوحة رقم: 336/أ. وينظر تفسير ابن كثير 73/6.

4 - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآية: (164) من سورة البقرة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ من سورة آل عمران.

ذكر تعالى قدرته التامة، لسلطانه في خلقه أنواع المخلوقات، على أوانها، وأحوالها من ماءٍ واحدٍ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان، والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام، وسائر الحيوانات، ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾؛ أي: بقدرته، لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٦).

قرّر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم، والأمثال، والأحكام البيّنة المحكمة كثيراً جداً، وأنه يرشد إلى تفهّمها، وتعلّقها أولي الألباب، والبصائر ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾.

أخبر تعالى عن صفات المنافقين، الذين يُظهرون خلاف ما يُبطنون، يقولون بألسنتهم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: يخالفون أقوالهم، بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ أي: إذا طلبوا إلى اتباع الهدى، فيما أنزل الله على رسوله، أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وهذه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (1)، وقوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾؛ أي: إذا كان الحكم لهم لا عليهم، لجأوا سامعين مطيعين، وهو معنى قولهم: ﴿مُذْعِنِينَ﴾، وإذا كان الحكم عليه أعرض، ودعا إلى غير الحق، وأحب أن يتحاكم

¹ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٦٦) من سورة النساء.

إلى غير النبي - صلى الله عليه وسلم - لِيُرْوَجَ باطله، فإذعانه لم يكن عن اعتقاد الحق، بل لأنه موافق لهواه، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، إلى آخره؛ أي: لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرضٌ لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، [وأياً] (1) كان، فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم، وما هو عليه مُنطَوٍ، من هذه الصفات وقوله: ﴿بَلْ أَوْلَاكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبران مما يظنون، ويتوهمون من الحيف والجور، تعالى الله ورسوله عن ذلك، ثم أخبر تعالى: عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يبيغون ديناً سوى كتاب الله، وسنة نبيه (رسوله)، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعاً وطاعةً ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، ونيل المطلوب، فقال: ﴿وَأَوْلَاكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، قال قتادة: " ذكر لنا أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله، ولرسوله، وللخليفة، وللمؤمنين عامة " (2) رواه ابن أبي حاتم، والأحاديث، والآثار في هذا الباب كثيرة مشهورة، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ﴾، قال قتادة: " يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فيما أمراه به، وترك ما نهياه عنه، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه، ويتقاه فيما يُستقبل " (3)، وقوله: ﴿فَأَوْلَاكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، يعني: الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

أخبر تعالى عن المنافقين الذين كانوا يحلفون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لئن أمرهم بالخروج إلى الغزو، ليخرجن، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾؛ أي: لا تحلفوا وقوله: ﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾، قيل: تقديره طاعتكم معروفة؛ أي: قد علم طاعتكم، إنما هي قول، لا فعل معه، وكلما حلفتكم كذبتكم، فمن عادتكم الكذب، حتى فيما يختارونه

1 - ينظر اللوحة 336/ب، وعند ابن كثير [وأياً ما كان]، وهو الصواب. ينظر تفسير ابن كثير 74/6.

2 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14745/2623. وكنز العمال 234/16.

3 - أورده ابن أبي حاتم في تفسيره 14747/2624، بلفظ: " عن قتادة: ومن يطع الله ورسوله قال: من يطع الله فيما أمر به ورسوله، قال: فيما أمر به، ويخشى الله قال: فيما مضى من ذنوبه ويتقاه، قال: يخشاه فيما يستقبل ".

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾⁽¹⁾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، وقيل: المعنى: ليكن أمركم طاعة معروفة، أي بالمعروف من غير حلف، ولا إقسام كما يطيع الله ورسوله، المؤمنون بغير حلف، فكونوا أنتم مثلهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: هو خبير بكم، وبمن يطيع ممن يعصي، فإنه خبير بضمان العباد، وإن أظهروا خلافها، ثم قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، أي اتبعوا كتاب الله، وسنة رسوله، وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: يتولوا عنه، ويتركوا ما جاءكم به ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾، أي: إبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾؛ أي: من قبول ذلك، وتعظيمه، والقيام بمقتضاه، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، وذلك إلى أنه يدعو إلى صراط مستقيم، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾⁽²⁾، قال وهب بن منبه: " أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني اسرائيل، يقال له: شعيا أن قم في بني اسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحى فقام فقال: يا سماء أسمعني، ويا أرض انصتي، فإن الله يريد أن يقضي شأناً ويُدبر أمراً هو مُنفذُه إنه يريد أن يُحوّل الريف إلى الفلاة، والأجسام في الغيطان، والأنهار في الصحاري والنعمة في الفقراء، والملك في الرعاة، ويريد أن يبعث أمياً من أميين، ليس بفظ، ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، لو يمر على خُبِّ السراج، لم يُطفئه من سكينته، ولو مشى على القصب اليابس، لم يُسمع من تحت قدميه حساً، أبعثه مُبشراً ونذيراً لا يقول الخنا، أفتح به أعيناً عمياً، وأذناً صمّاً، وقلوباً غُفأً، وأشدّده لكل أمرٍ جميل، وأهب له كُلُّ خُلُقٍ كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقته، والصدق، والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به من الجهالة، وأرفع به بعد الفرقة، وأولف به بين أمم متفرقة، وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأستنفذ به فئاماً من الناس عظيماً من الهلكة، وأجعل أمته خير أمة للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين، مصدقين بما جاءت به رُسُلي " ⁽³⁾ رواه ابن أبي حاتم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن

1 - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (11) لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَنَنصُرُوهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَدْبِرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (12) ﴿ من سورة الحشر.

2 - ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (40) من سورة الرعد.

3 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14758/2626.

بَعْدُخَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

هذه بشارة من الله لرسوله - عليه الصلاة والسلام - ، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أئمة الناس، والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وأبيدناهم بعد خوفهم من الناس أمناً، وحكماً فيهم، وقد فعل تعالى ذلك، فإنه قد فتح على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ما فتح، ثم على خلفائه الراشدين، كما هو مبين في السير والتواريخ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها "(1).⁽¹⁾ فيها نحن نتقلب، فيما وعدنا الله، ورسوله، وصدق الله، ورسوله، ونسأله القيام بشكره على ما يرضيه عنا. وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش "(2)، وفي رواية: " لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولاهم اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش "(3)، وفي رواية: " لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش "(4)، وفي الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلين، كما وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل: يكونوا متتابعين، ومتفرقين، وقد وجد منهم أربعة على الولاء، وهم الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - ، ثم كان بعدهم فترة فيهم، ثم وجد منهم ما شاء الله، ثم قد يوجد منهم في القرون الباقية، بإرادة الله منهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم رسول الله، وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً، وعن سفينة رضي الله عنه (5): أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

1 - أخرجه مسلم في صحيحه 2215/4 باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم: 2889، والترمذي في سننه 472/4 سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً في أمته برقم: 2176، وأحمد في مسنده 339/28 مسند شداد بن أوس رضي الله عنه برقم: 17115، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 2640/6 باب الإستخلاف برقم: 6796، بلفظ " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (يكون اثنا عشر أميراً)، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنه قال: (كلهم من قريش). ومسلم في صحيحه 31452 باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم: 1821 بلفظ " اثني عشر خليفة".

3 - أخرجه مسلم في صحيحه 1452/3 باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم: 1821.

4 - أخرجه مسلم في صحيحه 1453/3 باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم: 1822، وأحمد في مسنده 401/34 حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه برقم: 20805، وأبو يعلى في مسنده حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه برقم: 7463، والطبراني في الكبير 199/2 حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه برقم: 1808، 1809.

5 - سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي رضي الله عنها، وهي أعتقت، وأُخْلِفت في اسمه، فقيل: مهرا، وقيل: رومان: وقيل: عبس، كنيته أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو البخترى، والأول أكثر، فلقب سفينة لكونه حمل شيئاً كثيراً في السفر، وأصله من فارس فاشتترته أم سلمة رضي الله عنها ثم أعتقت واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أم سلمة وعلي رضي الله

وسلم - قال: " الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً عضوضاً "(1) رواه أحمد . قال أبو العالية في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، الآية. كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد الوحي عشر سنين، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يُصبحون، ويُمسون خائفين، ثم أمروا بالقتال، وهم على خوفهم ، لا يفارق أحداً منهم سلاحه، فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية، فأظهر الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - على جزيرة العرب، فأمنوا، ووضعوا السلاح، ثم إن الله قبض نبيه - صلى الله عليه وسلم - فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر، وعمر، وعثمان ؓ حتى وقعوا فيما وقعوا ، فأدخل عليهم الخوف، واتخذوا الحِجْزَةَ، والشُّرْطَ، وغَيَّرُوا، فغَيَّرَهُمُ اللهُ "(2) ، وقوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ، قال قتادة: كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء "(3)، كما قال تعالى عن موسى أنه قال لقومه: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (4)، يعني: بني اسرائيل حيث أهلك الجابرة، وأورثهم أرضهم، وديارهم، وقوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى﴾ ؛ أي: اختار لهم ، قال ابن عباس: يُوسِّعُ لهم في البلاد، حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم ؓ حين وفد عليه: " أتعرف الحيرة(5)؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: " فو الذي نفسي بيده، ليؤمننَّ الله هذا الأمر حتى

عنهما، وروى عنه: ولداه عبد الرحمن وعمر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو ريحانة وغيرهم وروى له الجماعة سوى البخاري ، وتوفي سفينة في زمن الحجاج. ينظر الاستيعاب 684/2 رقم: 1135 وأسد الغابة 481/2 رقم: 2120 والإصابة 132/3 رقم: 3337، وتقريب التهذيب 245/1 رقم: 2458 وتهذيب الكمال 204/11 رقم: 2420.

1 - أخرجه أبو داود في سننه 622/2 باب في الخلفاء برقم: 4646، والترمذي في سننه 503/4 باب ما جاء في الخلافة برقم: 2226، وأحمد في مسنده 256/36 مسند أبي عبد الرحمن سفينة رضي الله عنه برقم: 21928، وقال الترمذي: "حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان" ولم ترد لفظة: "عضوض" في هذه المصادر، وإنما وردت في حديث آخر عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائننا خلافة ورحمة، وكائننا ملكا عضوضا، وكائننا عنوة وجبرية وفسادا في الأمة ... الحديث".

2 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14772/2629، وتفسير الطبري 209/19، وتفسير القرطبي 297/12، والدر المنثور 115/6، ومعالم التنزيل 57/6.

3 - بقول الخازن في تفسيره معنى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ : والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، كما استخلف الذين من قبلهم (أي: كما استخلف داود وسليمان) وغيرهما من الأنبياء (وكما استخلف بني إسرائيل وأهلك الجابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم). ينظر تفسير الخازن 86/5. ومعالم التنزيل 58/6.

4 - ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)﴾ من سورة الأعراف.

5 - الحيرة: بالكسر ثم السكون وراء ، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لحم النعمان وأبائه والنسبة إليها حاري على غير قياس . ينظر معجم البلدان 328/2.

يخرج الطعينة من الحيرة، حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وَلَيَفْتَحَنَّ كَنُوزَ كِسْرَى⁽¹⁾، قلت: كِسْرَى بن هُرْمَزٍ، قال: نعم كِسْرَى بن هُرْمَزٍ، وَلَيُذَلِّلَنَّ المَالَ حتى لا يقبله أحدٌ، قال عديّ: فهذه الطعينة، تخرج من الحيرة، فتطوف بالبيت في غير جواد، ولقد كنت فيمن أفتح كنوز كِسْرَى بن هُرْمَزٍ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة: لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قالها⁽²⁾. رواه البخاري نحوه، وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " بَشِّرْ هذه الأُمَّة بالسَّناءِ والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب "⁽³⁾ وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، في الصحيحين عن معاذ⁽⁴⁾ قال: " كنتُ رَدَفَ النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمارٍ ليس بيني وبينه، إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله - أعلم - ، قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يُعَذِّبَ من لا يُشْرِكُ به شيئاً، فقلت: يا رسول الله أفلا أُبَشِّرُ به الناس؟ قال: لا تُبَشِّرْهم، فينكَلُوا"⁽⁵⁾ وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك، فقد فسق عن أمر ربه، وكفى بذلك ذنباً عظيماً فالصحابية - رضي الله عنهم - لما كانوا أقوم الناس بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بأوامر الله، وأطوعهم له،

1 - كسرى بن هرمز ملك فارس وكان ممن أرسل لهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله تعالى، فمنهم من أجاب ومنهم من صانع ودارى عن نفسه، ومنهم من تكبر فخاب وخسر، كما فعل كسرى بن هرمز حين عتى وبغى وتكبر، فمزق ملكه، وتفرق جنده. وكان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الأقدار وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم، وقيل كانت ثلاثة آلاف امرأة يطوئن، وألوف جوار، وكان له خمسون ألف دابة، وكان أرغب الناس في الجوهر والأواني، وغير ذلك، وقال فيه صلى الله عليه وسلم: " وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ". صحيح مسلم 2236/4 برقم: 2918. وينظر البداية والنهاية 306/4 ، 296/6، والكامل في التاريخ 381/1.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 1316/3 باب علامات النبوة في الإسلام برقم: 3400، وأحمد في سننه 197/30 حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه برقم: 18260، والحاكم في مستدركه 564/4 كتاب الفتن والملاحم برقم: 8582، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

3 - أخرجه أحمد في مسنده 145/35 حديث أبي بن كعب رضي الله عنه برقم: 1220، وابن حبان في صحيحه 132/2 باب الإخلاص وأعمال البر برقم: 405، والحاكم في مستدركه 636/4 كتاب الرقاق برقم: 7862، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

4 - معاذ بن جبل بن عمرو ابن أوس الأنصاري الخزرجي وكان معاذ يكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ، وأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين عبد الله بن مسعود، وأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - على اليمن، وقال عنه: أعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل، وقال أيضاً: يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء، وقال الواقدي: كان من أجمل الرجال، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث، وروى عنه من الصحابة عمر، وابنه عبد الله، وأبو قتادة، وأنس بن مالك رضي الله عنهم وغيرهم. ومن التابعين: جنادة بن أبي أمية، وأبو إدريس الخولاني، وأبو مسلم الخولاني، وغيرهم. (وتوفي سنة: 18هـ). ينظر الاستيعاب 1402/3 رقم: 2416. وأسد الغابة 204/5 رقم: 4945، والإصابة 136/6 رقم: 8043،

5 - أخرجه البخاري في صحيحه 1049/3 باب اسم الفرس والحمار برقم: 2701، ومسلم في صحيحه 58/1 باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم: 152.

كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغرب، وأيدهم الله تأييداً عظيماً، وتحكّموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصر الناس بعدهم في سائر الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم، ولكن قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى يوم القيامة "(1) وفي رواية "حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك "(2) وفي رواية " حتى يقاتلون الدجال "(3)، وفي رواية " حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون "(4).

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

أمر تعالى المؤمنين بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وهي الاحسان إلى المخلوقين، كما هو المشروع، وأن يكونوا في ذلك مطيعين للرسول ممتثلين فيما أمرهم، وترك ما عنه زجرهم، لعل الله يرحمهم بذلك، وقوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ﴾؛ أي: يا محمد لا تظنن الذين كفروا؛ أي: خالفوك، وكذبوك ﴿ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾؛ أي: لا يعجزون الله، بل الله قادرٌ عليهم، وسيُعذبهم على ذلك أشدَّ العذاب، ولهذا قال: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ ﴾؛ أي: في الآخرة، وبئس المال مأل الكافرين، وقرارهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 2666/6 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق برقم: 6881، ومسلم 137/1 باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكما بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برقم: 156.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 39/1 باب من يرد له به خيراً يفقهه في الدين برقم: 71، ومسلم في صحيحه 498/12 باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق برقم: 5059.

3 - أخرجه الطبراني في الكبير 111/18 حديث مطرف بن عبدالله برقم: 211، وأورده الألباني في فضائل الشام ودمشق 7/1 برقم: 5، وقال: ضعيف.

4 - أخرجه ابن ماجه في سننه 1363/2 باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج برقم: 4078، والطبراني في الأوسط 89/2 باب من اسمه يعقوب برقم: 1342، والبيهقي في السنن 180/9 باب إظهار دين النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 18393، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 564/7 باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق برقم: 12250، وعزاه إلى أبي يعلى وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك.

بَلَغَ الْأَطْفَالَ مِنْكُمْ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرَجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ .

هذه آيات مشتملة على استئذان الأقارب، بعضهم على بعض، وما سبق كان في استئذان الأجانب، فأمر الله تعالى المؤمنين استئذان خدمهم مما ملكت أيماهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم، في ثلاثة أحوال : الأول: من قبل صلاة الغداة لأن الناس يكونون حينئذ نياماً في فرشهم، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرة﴾ أي: في وقت القيلولة، لأنهم حينئذ يكونون مع أهلهم غالباً، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلوة العِشَاءِ﴾، لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم، والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يخشى من هتك الستر، ونشر الشر، ولهذا قال: ﴿ثَلْثُ عَوْرَتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾؛ أي: إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم، وفي تمكينهم إياهم من ذلك، ولا عليهم أن يروا شيئاً من غير تلك الأحوال، لأنه قد أذن في الهجوم، لأنهم ﴿طَوُفُونَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: في الخدمة ويغتفر فيهم، ما لا يغتفر في غيرهم، ولما كانت هذه الآية، مُحكمةً، غير منسوخة، وكان عمل الناس بها قليلاً جداً، أنكر ابن عباس ؓ ذلك على الناس، وقال: " ترك الناس ثلاث آيات " وفي رواية " غلب الشيطان الناس، على ثلاث آيات، فلم يعملوا بهن " (1) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، إلى آخر الآية والتي في سورة النساء ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ (2) الآية. وفي سورة الحجرات: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (3)، وسئل ابن عباس ؓ عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال: " إن الله سَنِيْرٌ يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم، ولا حِجَالٌ في بيوتهم ، فربما فاجأ الرجل، خادمه، أو ولده، أو يتيمه في حجره، وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي

1 - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 43/4 (باب ما قالوا في الرجل يستأذن على جاريته) برقم: 17612، بلفظ: " غلب الشيطان على الناس في الساعات الذين ملكت أيماكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم.....". وأما الرواية الأولى: " ترك الناس ثلاث آيات "، فقد وردت في تفسير ابن أبي حاتم 14789/2632، وتفسير ابن كثير 82/6، والدر المنثور 218/6. ولم أقف عليها في كتب الأحاديث.

2 - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ الآية (8) من سورة النساء

3 - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الآية: (13) من سورة الحجرات.

سمى الله، ثم جاء الله بعدُ بالسُّتور، فبسط عليهم الرزق، فاتخذوا الستور، واتخذوا الحِجَال⁽¹⁾، ورأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به⁽²⁾ رواه أبو داود. والذي يدل على أنها مُحكمة لم تُنسخ، قوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ^٥ وَآلَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ^٦؛ أي: إذا بلغ الأطفال الذين يستأذنون في العورات الثلاث الحُلُم، وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال، يعني: بالنسبة إلى أجانبتهم، وفي الأحوال التي يكون الرجل مع أهله مُطلقاً، وقوله: ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه، وقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، قال ابن جبير وغيره: " هن اللواتي انقطع عنهن الحيض، ويئسن من الولد "⁽³⁾، ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾؛ أي: لم يبق لهن تشوّف إلى التزويج ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾؛ أي: ليس عليها من [الحجر في التستر]⁽⁴⁾ كما لغيرها من النساء، قال ابن مسعود^٥ وغير واحد: " المراد بها الجلباب والرداء "، وقال سعيد بن جبير: "أي: لا يتبرجن، بوضع الجلباب، أن يرى ما عليها من الزينة "⁽⁵⁾ وسئلت عائشة [رضي الله عنها] عن: (الخضاب)، و(النفاض)، والصباغ، و(الفرطين)⁽⁶⁾، والخلال، وخاتم الذهب، وثياب الرقاق، فقالت: " يا معشر النساء قِصَّتُهُنَّ كلها واحدة، أحلَّ الله لكنَّ الزينة، غير متبرجات؛ أي: لا يحل لكن أن يروا منكن

1 - الحجة بالتحريك : بُيِّت كَالْقَبَّةِ يُسْتَرُّ بِالثِّيَابِ وتكون له أزرارٌ كَبَارٌ وتُجْمَعُ على حِجَالٍ. ينظر النهاية في غريب الحديث /899.

2 - أخرجه أبو داود في سننه 770/2 باب الاستئذان في العورات الثلاث برقم: 5192 بلفظ " قال ابن عباس إن الله حلیم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال". وابن أبي شيبة في مصنفه 400/4 باب ما قالوا في الرجل يستأذن على جاريته برقم: 17905، والبيهقي في السنن الكبرى 97/7 باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث برقم: 13337، بسنن: بكسر السين وتشديد التاء مكسورة ويروى بفتح السين وكسر التاء مخففة. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14787/2632. والدر المنثور 219/6.

3 - أورده ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير: " والقواعد من النساء يعني المرأة الكبيرة التي لا تحيض من الكبير ". وروى ، عن مقاتل بن حيان، وقتادة، والضحاك ، والحسن، وابن جريج، نحو قول سعيد بن جبير. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2639/ برقم: (14831 - 14832 - 14833 - 14834)، وتفسير الطبري 216/19 وتفسير القرطبي 309/12.

4 - هكذا وردت ينظر اللوحة رقم: 338/أ، والصواب: [الحرج من التستر]. ينظر تفسير ابن كثير 83/6.

5 - أخرجه الطبراني في الكبير 209/9 حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه برقم: 9022، وأورده ابن أبي حاتم بلفظ " عن مقاتل بن حيان في قراءة ابن مسعود وليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن ان يضعن الجلباب ولا يضعن الخمار ، وروى عن الحسن وقتادة الزهري والاوزاعي نحو قول مقاتل بن حيان ". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2642/ برقم: 14841 ، 14844 ، 14845 ، 14846)، وتفسير الطبري 215/19.

6 - الخضاب: ما يختضب به. وقد خضبت الشيء أخضبه خضبا. واختضب بالحناء ونحوه. ينظر الصحاح 121/1، والنفاض بالكسر: إزارٌ من أزر الصبيان. ينظر الصحاح 224/2..الْفُرْطُ : نَوْعٌ مِنْ حُلِيِّ الْأُنْثَى معروف ويُجْمَعُ على أَقْرَاطٍ وَقِرْطَةٍ وَأَقْرِطَةٍ. ينظر النهاية في غريب الحديث 64/4.

محرمًا⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾؛ أي: وترك وضعهن لثيابهن، وإن كان جائزاً خير لهن، وأفضل، والله ﴿سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

اختلفوا في المعنى الذي رُفِعَ من أجله الحرج عن الأعمى، والأعرج، والمريض ههنا، فقال بعضهم: " نزلت في الجهاد "⁽²⁾ وجعلوا هذه الآية، كالأية التي في سورة الفتح⁽³⁾، وتلك في الجهاد، لا محالة، أي: لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم، وعجزهم، كما قال تعالى في سورة براءة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى﴾⁽⁴⁾ الآية، وقيل المراد ههنا: " أنهم كانوا يتخرجون من الأكل مع الأعمى لأنه لا يرى الطعام، وما فيه من الطيبات، فربما سبقه غيره إلى ذلك، ولا مع الأعرج، لأنه لا يتمكن من الجلوس، فيفتات عليه جليسه، والمريض لا يستوفي من الطعام، كغيره، فكرهوا أن يواكلوهم لئلا يظلموهم، فأنزل الله هذه الآية، رخصة لهم في ذلك "⁽⁵⁾ قاله سعيد بن جبير، وغيره، وقال الضحاك: " كانوا قبل المبعث يتخرجون من الأكل مع هؤلاء، تَقَدَّرًا وَتَقَرُّزًا، ولئلا يتفضلوا عليهم ". فأنزل الله هذه الآية، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، إنما ذكر هذا، وهو

1 - أخرجه النسائي في سننه 142/8 باب كراهية ربح الحناء برقم: 5090، وأحمد في مسنده 493/42 مسند السيدة عائشة رضي الله عنها برقم: 25760، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة 283/9 برقم: 4290، عن كريمة بنت همام قالت: " سمعت عائشة سألتها امرأة عن الخضاب بالحناء؟ قالت: لا بأس به، ولكن أكره هذا... " وقال: اسناده ضعيف وكريمة هذه مجهولة الحال ولم يوثقها أحد.

2 - وبعض من قال ذلك: عطاء عن أبيه، وعبدالرحمن بن زيد، وابن وهب، ومعمار عن قتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14864 / 2644، 14867، وتفسير الطبري 222/22، وتفسير القرطبي 273/16، ومعالم التنزيل 303/7.

3 - وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ بِعَدَابِهَا أَلِيمًا (17)﴾ من سورة الفتح.

4 - ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91)﴾ من سورة التوبة.

5 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 4643/ برقم: (14858 ، 14860 ، 14861 ، 14865 ، 14868) وتفسير الطبري 219/19.

معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ، وليساويه ما بعده في الحكم، وتضمن هذا بيوت الأبناء، لأنه لم ينص عليهم، ولهذا استدل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند، والسنن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " أنت ومالك لأبيك " (1) وقوله: ﴿أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾، ظاهر، وقد استدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب أبي حنيفة وأحمد (2)، وأما قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾، فقال سعيد بن جبير، والسدي: " هو خادم الرجل من عبده، و[قَهْرَمَانَ] (3)، فلا بأس أن يأكل مما استودعه، من الطعام بالمعروف " (4) وقالت عائشة [رضي الله عنها]: " كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمانهم، ويقولون: قد أحلنا لكم أن تأكلوا، ما احتجتم إليه، فكانوا، يقولون: أنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أدنوا لها عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء " (5) فأنزل الله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾، وقوله: ﴿أَوْ صَدِيقُكُمْ﴾؛ أي: بيوت أصدقائكم وأصحابكم، فلا جناح عليكم في الأكل منها، إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم، ولا يكرهه في ذلك قال قتادة: " إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه " وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾، قال قتادة: " كان هذا الحي

1 - أخرجه أبو داود في سننه 311/2 باب في الرجل يأكل من مال ولده برقم: 3530 بلفظ " أنت ومال لوالدك " وابن ماجه في سننه 769/2 باب ما للرجل من مال ولده برقم: 2291، وأحمد في مسنده 503/11 مسند عبدالله بن عمر برقم: 6902، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 273/4 باب في مال الولد برقم: 6762. وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو حريز وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات. وكذلك برقم: 6764، 6765، 6768، 6769.

2 - أورد الشيخ وهبة الزحيلي تفصيلاً في نفقة الأقارب على النحو التالي: أ - (مذهب الحنفية): تجب النفقة للقرابة المحرمة للزواج، أي لكل ذي رحم محرم، ولا تجب لقريب غير محرم من الإنسان. ب - (مذهب المالكية): أن النفقة الواجبة هي للأبوين والأبناء مباشرة فحسب دون غيرهم، فتجب النفقة للأب والأم، وللولد ذكراً أو أنثى، ولا تجب للجد والجدة، ولا لولد الولد. ج - (مذهب الشافعية): أن القرابة التي تستحق بها النفقة قرابة الوالدين وإن علوا، وقرابة الأولاد وإن سفلوا. د - (مذهب الحنابلة): تجب النفقة لكل قريب وارث بالفرض أو التعصيب من الأصول والفروع والحواشي كالإخوة والأعمام وأبنائهم، وكذا من ذوي الأرحام إذا كانوا من عمود النسب كأب الأم. وابن البنت، سواء أكانوا وارثين أم محجوبين. أما من كان من غير عمود النسب كالخالدة والعمة، فلا نفقة له على قريبه؛ لأن قرابتهم ضعيفة، وإنما يأخذون المال عند عدم الوارث كسائر المسلمين. تفصيل الأحناف: فإنه يُجبر على نفقة كل ذي رحم محرم منه الصغار والنساء وأهل الزمانة من الرجال إذا كانوا ذوي حاجة عندنا وقال ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى: تجب النفقة على كل وارث محرماً كان، أو غير محرم واستدل بظاهر قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ وأما نفقة الأقارب، فيرى الإمام وجوب هذه النفقة. ينظر الإقناع 148/4، والإنصاف 289/9، وبدائع الصنائع 30/4، والفقهاء الإسلام وأدلته 85/10، والمبسوط 404/5، والمغني 257/9.

3 - يقال: [قهرمان]، و[قهرمان] مقلوب، وهو بلغة (الفرس): المسيطر الحفيظ على من تحت يديه، وهو القائم بأمر الرجل. ينظر تاج العرس 322/33 باب (قهرم)، ولسان العرب 496/12.

4 - ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها: إنه عنى به وكيل الرجل وقيمه في ضيعته، يجوز له أن يأكل مما يقوم عليه من ثمار ضيعته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أراد منزل الرجل نفسه يأكل مما أذخره قاله قتادة. والثالث: أنه عنى به أكل السيد من منزل عبده وماله لأن مال العبد لسيد. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14/2647، 14880، وتفسير السدي 363، وتفسير الماوردي 124/4.

5 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14875/2646، وتفسير القرطبي 312/12. والدر المنثور 224/6.

من بني كنانة لا يأكل أحدهم، وحده في الجاهلية، حتى يجد ضيفاً يأكل معه، وربما يسوق الدُّود الحَفْلَ معه، وهو جائع لا يأكل حتى يجد من يؤاكله ويشاربه، فأنزل هذه الآية "(1)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته، وصادقته، فيدعوه إلى طعامه، فيقول: إِنِّي أَتَحَرَّجُ أَنْ آكُلَ مَعَكَ، وَأَنَا غَنِي، وَأَنْتَ فَقِيرٌ "(2)، فنزلت هذه الآية، فهذا رخصة من الله أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأبرك " روى أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: " يا رسول الله، إِنَّا نَأْكُلُ، وَلَا نَشْبَعُ قَالَ: فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ، قالوا: نعم، قال: فاجتمعوا إلى طعامكم، واذكروا اسم الله يُبارك لكم فيه "(3) رواه أحمد وأبو داود، وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قال سعيد بن جبير وغير واحد: " يعني وليسلم بعضكم على بعض "، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " إذا دخلت على أهلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ "(4)، وهذا أمر استحباب، قال مجاهد: " وَإِذَا دَخَلْتَ [بَيْتًا] (5) وليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين "(6) وبه قال قتادة (7)، وقوله: ﴿حَيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾؛ أي: حسنة جميلة،

1 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يأكل من بيت صديقه في الوليمة دون غيرها. والثاني: أنه يأكل من منزل صديقه في الوليمة وغيرها إذا كان الطعام حاضرا غير محرز. قال ابن عباس: الصديق أكثر من الوالد، ألا ترى أن الجهنيين لم يستغيثوا بالأباء ولا الأمهات وإنما قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " قد جعل الله في الصديق البار عوضا عن الرحم المذمومة ". والمراد بالصديق الأصدقاء وهو واحد يعبر به عن الجميع. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14883/2647، وتفسير الطبري 223/19، وتفسير القرطبي 316/12، وتفسير الماوردي 124/4، والدر المنثور 225/6، ومعالم التنزيل 65/6.

2 - أورده ابن جرير والبعوي عن ابن عباس. بينما ابن أبي حاتم أورد ذلك عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قوله: " فكان الرجل الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه يدعو إلى الطعام ليأكل منه فيقول: والله اني لأجرح والجنح ان يرحج ان ناكل منك وانا غني وانت فقير، فامروا ان يأكلوا جميعا أو اشتاتا ". ينظر تفسير ابن أبي حاتم 14881/2647، وتفسير الطبري 223/19، ومعالم التنزيل 65/6.

3 - أخرجه أبو داود في سننه 373/2 باب في الاجتماع على الطعام برقم: 3764، وأحمد في مسنده حديث وحشي الحبشي عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم: 16078، وابن حبان 27/12 باب آداب الأكل برقم: 5224، وأورده الألباني في صحيح أبي داود 440/2 باب الاجتماع على الطعام برقم: 3764، وقال: حسن.

4 - أخرجه البخاري في الأدب المفرد 375/1 (باب النظر في الدور) برقم: 1095. وأورده الألباني في صحيح الأدب المفرد 435/1 (باب فضل من دخل بيته بسلام) برقم: 451، وقال: (صحيح).

5 - إضافة يقتضيها المقام [بيتاً] يبدو أنها سقطت من الناسخ.

6 - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه 389/10 (باب التسليم إذا خرج من بيت) برقم: 19451 عن قتادة ومجاهد، والبيهقي في شعب الإيمان 447/6 (فصل في تنوير موضع القرآن) برقم: 8456 عن مجاهد.

7 - يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها: يعني إذا دخلتم بيوت أنفسكم فسلموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر. والثاني: إذا دخلتم المساجد فسلموا على من فيها، وهذا قول ابن عباس. والثالث: إذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم، قاله الحسن. والرابع: إذا دخلتم بيوتنا فسلموا على أهل دينكم، قاله السدي. والخامس: إذا دخلتم بيوتنا فارغة فسلموا على أنفسكم وهو أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، قاله ابن عمر، وإبراهيم، وأبو مالك، وقيل: سلامه على نفسه أن يقول: السلام علينا من ربنا تحية من عند الله. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2650/ (14891، 14893، 14895، 14897، 14898)، وتفسير الطبري 225/19، 226، وتفسير القرطبي 318/12، وتفسير الماوردي 126/4، والدر المنثور 225/6، 228.

وقيل: ذكر البركة والطيب ههنا، لما فيه من الثواب والأجر، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، لما ذكر تعالى [ما]⁽¹⁾ في هذه السورة من الأحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة، نَبَّه تعالى على أنه يُبَيِّنُ لعباده الآيات، بياناً شافياً لِيَتَدَبَّرُهَا وَيَتَعَقَّلُهَا.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

هذا أدبٌ آخر، أرشد الله إليه عباده المؤمنين، وكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيّما، إذا كانوا في أمر جامع، أي: اجتمعوا عليه، مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - من صلاة جمعة، أو عيد، أو جماعة، أو اجتماع لمشورة، ونحو ذلك، أمرهم الله أن لا يتفرقوا عنه، والحالة هذه إلا بعد استئذانه، ومشاورته، وأن من يفعل ذلك فهو مؤمن كامل، ثم أمر تعالى رسوله [صلى الله عليه وسلم]، إذا استأذن أحدٌ منهم في ذلك، أن يأذن له إن شاء، ولهذا قال: ﴿فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فليُسلِّم، فإذا أراد أن يقوم فليُسلِّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة " (2) رواه أحمد، وأبوداود، والترمذي، وحسنه، والنسائي.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه : " كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم عن ذلك إعظاماً لنبية - عليه الصلاة والسلام - قال: فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله " ، قال قتادة:

1 - [ما] إضافة يقتضيها المقام، لعلها سقطت من الناسخ. ينظر اللوحة 338/ب.
2 - أخرجه أبوداود في سننه 774/2 باب في السلام إذا قام من المجلس برقم: 5208، والنسائي في سننه 92/6 باب (ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم) برقم: 10174، والترمذي في سننه 62/5 باب التسليم عند القيام وعند القعود برقم: 2706، وقال: هذا حديث حسن. وأحمد في مسنده 47/12 مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم: 7142.

" أمر الله أن يُهاب نبيه، وأن يُبجل، ويُسود " (1). كما قال تعالى: ﴿يَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (2) الآية. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (3) الآية، وهذا من باب الأدب في مخاطبته - عليه الصلاة والسلام - والكلام معه، وعنه، وقيل: " المعنى: لا يعتقدوا أن دعاءه على أحد، كدعاء غيره، فإن دعاءه مستجاب، فاحذروا أن يدعو عليكم، فتهلكوا " (4) هكذا عن ابن عباس رضي الله عنه، وأتباعه، وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾ قال مقاتل بن حيان (5): " المنافقون كان يثقل عليهم الحديث، يعني: الخطبة يوم الجمعة، فيلوذون، ويستترون ببعض الصحابة، حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد يوم الجمعة حالة الخطبة، إلا بإذن منه، - عليه الصلاة والسلام - وكان بعضهم يلوذ ببعض، حتى يتغيبوا عنه، فلا يراهم " (6) ومعنى يتسللون: يخرجون خفية، قال مجاهد: ﴿لَوْ آذًا﴾؛ أي: خلافاً، وقوله: ﴿فَلْيُحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ أي: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو سبيله، ومنهاجه، وطريقته، وشريعته " (7) كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله - صلى

1 - ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه نهي من الله عن التعرض لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطه لأن دعاءه يوجب العقوبة، وليس كدعاء غيره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه نهي من الله عن دعاء رسول الله بالغلظة والجفاء ولبدع بالخضوع والتذلل: يا رسول الله، يا نبي الله، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أنه نهي من الله عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض، حكاه ابن عيسى. ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2/654 (14924 - 14927)، وتفسير الطبري 19/230، وتفسير الماوردي 4/128. والدر المنثور 6/230.

2 - ﴿يَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الآية: (2) من سورة الحجرات.

3 - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية: (4) من سورة الحجرات.

4 - ورد ذلك عن: ابن عباس، وابن أبي حاتم، وعطية العوفي، والحسن البصري. ينظر تفسير ابن كثير 6/89، وتفسير الطبري 19/230، وتفسير الماوردي 4/128، ومعالم التنزيل 6/67.

5 - مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام مولى ليكر بن وائل، روى عن: مجاهد، والضحاك، والحسن وعكرمة، وقتادة، وعنه عمرة وغيرهم، وروى عنه: علقمة بن مرثد، ويكير بن معروف، وغيرهما، وكان صدوقاً فيما يروى إذا كان دونه ثبت، وهم إخوة أربعة أمثال والحسن ويزيد ومصعب بنو حيان. وهرب في أيام خروج أبي مسلم الخراساني إلى كابل ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا. وثقه يحيى بن معين وأبو داود وقال: ليس به بأس، مات مقاتل بن حيان بكابل، وكان قد هرب من أبي مسلم. ومات قبيل الخمسين. ينظر تذكرة الحفاظ 1/131 رقم: 168، وتقريب التهذيب 1/544 رقم: 6867. والتقات 7/508 رقم: 11210، والجرح والتعديل 8/353 رقم: 1629.

6 - ينظر تفسير ابن أبي حاتم 2/656 / 14934. والدر المنثور 6/231.

7 - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم المنافقون كانوا يتسللون عن صلاة الجمعة لو آذاً أي يلوذ بعضهم ببعض ينضم إليه استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن على المنافقين أنقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة، فنزل ذلك فيهم، حكاه النقاش. والثاني: أنهم كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه يلوذ بعضهم ببعض لو آذاً فنزل ذلك فيهم، قاله مجاهد. وقال الحسن معنى قوله: ﴿لَوْ آذًا﴾ أي فراراً من الجهاد. تفسير ابن أبي حاتم 2/656 / 14934، وتفسير الطبري 19/231، وتفسير الماوردي 4/128 وتفسير مجاهد ص/495.

الله عليه وسلم - أنه قال : " من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ " (1) فليحذر، وليخش من خالف شريعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - باطنياً، وظاهراً ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، في قلوبهم من كفر، أو نفاق، أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؛ أي: في الدنيا: بقتل، أو حديد، أو حبس، أو نحو ذلك - وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم -: " مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ، كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها، جعل الفراش، وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار، يقعن فيها وجعل يحجزهن، ويغلبنه، فَيَتَّقَمَنَ فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، فتغلبوني، وتقتحمون فيها " (2).

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

أخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه عالم الغيب، وما يعمل العباد سراً وجهرأً فقله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي: هو عالم به، مشاهد له، ﴿لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ (3) كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (4) الآية. وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (5) الآية. ونحوها من الآيات البينات، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ ؛ أي: ويوم يرجع الخلائق إلى الله، وهو يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ ؛ أي: يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقير، وصغير وكبير، كما قال: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (6) ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وفي بعض السنن: عن عائشة [رضي

1 - أخرجه البخاري في صحيحه 753/2 باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع برقم: 2550، و2/959 باب إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود برقم: 2550، ومسلم في صحيحه 1343/3 باب ما يقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم: 1718.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه 2379/5 باب الانتهاء عن المعاصي برقم: 6118، ومسلم في صحيحه 1789/4 باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته برقم: 2284.

3 - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الآية (3) من سورة سبأ.

4 - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218)﴾ من سور الشعراء.

5 - ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)﴾ من سورة الأنعام.

6 - ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14)﴾ من سورة القيامة.

الله عنها⁽¹⁾ قالت: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تُنزلوا النساء الغُرف، ولا تُعلموهنَّ الكتابةَ وعَلِّمُوهُنَّ المغزل، وسورة النور "⁽²⁾.

1 - [رضي الله عنها] ضرورة يستوجبها المقام .
2 - أخرج الحاكم في مستدركه 340/2 تفسير سورة النور برقم:3494، والطبراني في الأوسط 34/6 باب من اسمه محمد برقم: 7513، والبيهقي في شعب الإيمان 477/2 باب سورة الكهف برقم: 2227، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 166/4 باب صناعة الإنشاء برقم: 6430.. وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال: وفيه محمد بن إبراهيم الشامي قال الدار قطني : كذاب. وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة 30/5، برقم: 2017، وقال عنه: (موضوع).

الخلاصة

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم علينا النعمة، ووفقنا لإنجاز هذا البحث دراسةً، وتحقيقاً، وإني لأرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ، وأسأله - جل وعلا - أن يجزي عنا مؤلفه الإمام ابن كثير، ومُلخّصه الإمام عفيف الكازروني خير الجزاء. أما بعد:

يمكن إجمال أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، فيما يأتي :

1 - أن الرسم القرآني الذي كتب به المفسر هو ما يتفق ورواية الإمام حفص عن عاصم .

2 - أن الإمام الكازروني سلك منهجاً علمياً دقيقاً في إيراد التفسير، فتناول في تأليف كتابه هذا منهج السلف الصالحين في تفسير القرآن، فقد فسّر القرآن بالقرآن وبالأحاديث النبوية، وبالأثار الثابتة المسندة من أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين، وأتباعهم رحمهم الله تعالى، وهذه هي طريقة السلف الصالحين في تفسير القرآن، وفي هذا الطراز كان تفسير الإمام الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهما، ونلاحظ أن منهجه لم يخرج عن منهج شيخه ابن كثير.

3 - أن المفسر يهتم - أحياناً - بتفصيل الأحكام الفقهية عند تفسيره بعض آيات الأحكام، ويتوسع في بيان تلك المسائل، ويورد عليها الأدلة، ويبسط القول منها.

4 - أنه يورد - أحياناً - أحاديث في فضل بعض السور قبل الشروع في تفسيرها، وأحياناً يُشرع في التفسير مباشرة، فقد أورد خمسة أحاديث في فضل سورة الكهف، وحديثاً في فضل سورة طه، وحديثاً في فضل سورة الأنبياء، أما بقية السور وهي: مريم، والحج، والمؤمنون، والنور، فقد استهلها مباشرة.

5 - أنه اتبع طريقة شيخه ابن كثير في تسمية السور، وأماكن نزولها مدنية كانت، أم مكية.

6 - أنه يعتمد على التفسير، لا على خرافات بني إسرائيل، وأكاذيبهم، وزياداتهم التي أوردوها اضلالاً للناس .

7 - أنه يستشهد في تفسير بعض الآيات القرآنية بالآيات الشعرية في كتابه، وذلك في مواضع كثيرة، غير أنه قد يأتي بشرط البيت دون تتمته، كما في تفسيره للآيات (6 - 8) من سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ قيل: عدداً، وقيل: غايةً، فإن المدد : الأمد لغاية، كما في قول الشاعر:

سبق الجواد إذا استولى على الأمد.

8 - وأحياناً يأتي بعدة أبيات، كما في تفسير الآيات (40 - 44) من سورة طه ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ، والخشية تحصيل الطاعة، ونقل عن زيد بن عمرو بن نفيل ههنا شعراً، وقيل: هو لأمية بن أبي الصلت: فقد أورد ثمانية أبيات، منها: وأنت الذي من فضل مَنْ ورحمة بعثت إلى موسى رسولا منادياً فقلت له: اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان باغياً.

9 - أنه لم يتعصب للمذهب الشافعي الذي اختاره مذهباً له، وإن كان كثيراً ما يورد تفاصيل الأحكام الفقهية، ويسوق الأدلة التي تؤيده، ففي تفسيره للآية (77) من سورة الحج، يقول: " وهو مذهب الشافعي، وأحمد، وموافقيهم، وذهب قوم إلى أنه لا يسجد، هاهنا، وهو قول الثوري، وأبي حنيفة، وعدد سجود القرآن أربعة عشر عند الأكثر، منها ثلاث في المفصل، وذهب جماعة إلى أنه ليس في المفصل سجود، روي ذلك عن أبي بن كعب، وابن عباس، وبه قال مالك ."

10 - أنه يقدم تفسير القرآن بالقرآن على تفسيره بالأحاديث الشريفة، كما يقدم تفسيره بالأحاديث على قول الصحابة، وتفسير بقول الصحابة على بعض آثار المفسرين، وهذه الطريقة سائدة في أغلب تفسيره وهذا مسلك شيخه الحافظ ابن كثير

11 - اعتمد الإمام الكازروني على أقوال ابن عباس في كثير من أقوال الأثر .

12 - إن مُسند الإمام أحمد، والكتب الستة، هي أكثر المصادر الحديثية التي اعتمد عليها الإمام الكازروني، وكان - غالباً - ما يُقدّم المُسند .

13 - اعتمد الإمام الكازروني في تفسيره على النقل من كتب التفسير، كتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، وجامع البيان للطبري ، وتفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، وتفسير السدي ، وتفسير مجاهد .

14 - يُعدُّ هذا الكتاب من كتب التفسير بالمأثور، حيث التزم في نقله، واستشهاده بالآيات، والأحاديث، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، وأقوال الأئمة .

15 - لم يُعَنَّ الإمام الكازروني بعزوه كثيراً من الآراء إلى أصحابها، لذا كُثرت في تفسيره العبارات الآتية: (غيره)، (بعضهم)، (كثيرون)، و(غير واحد)، و(آخرون) .

16 - لم يلتزم الإمام الكازروني طريقة واحدة حال إيراده القراءات القرآنية فنجده يعزو بعضها إلى أصحابها في مواضع، ويغفل ذلك في مواضع أخرى، كما في تفسيره للآيات (77) - (78) من سورة الكهف ، فقد قال: يأخذ كل سفينة صالحة

كما هو قراءة بعض الصحابة "، وأحياناً يذكر أصحابها، كما في تفسيره للآيات: (1) - (6) من سورة مريم، وقرأ عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ﴿إِنِّي خَفَّتِ الْمَوَالِي﴾ بتشديد الفاء، أي: قَلَّتْ عصباتي من بعدي .

17 - يقوم أحياناً بذكر المؤلفين، ولا يذكر الكتب كما، في تفسير الآية (82) من سورة الكهف، فقد قال: (وذكر ابن قتيبة). وأحياناً يذكر اسم الكتاب واسم صاحبه، كما في تفسيره للآية نفسها فقد قال: (ذكره النووي في تهذيب الأسماء).

18 - اقتصر الإمام الكازروني حال تخريجه بعض الأحاديث على صحيح مسلم، دون البخاري، مع أنه مذكور فيهما، وذلك كما في تفسيره للآيات: (32) - (33)، من سورة الحج حيث قال: روى جابر " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً يسوق بدنة، فقال له: اركبها بالمعروف إذا أُلْجِئَتْ لها "، (رواه مسلم). وقد وجدته في (الصحيحين).

19 - كثيراً ما يذكر الحديث الشريف، ويشير إليه أنه في (الصحيح)، وبالبحث عنه أجده في (الصحيحين)، وجدت ذلك في أكثر من عشرة مواضع، وأحياناً يستعمل عبارة في (الصحيح)، ولا أجده فيهما، كما في تفسيره الآيات (1) - (11) من سورة المؤمنون، فقد قال: كما في (الصحيح) إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " استَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ... " الحديث. ولم أجده في (الصحيحين)، بينما وجدته في سنن ابن ماجه، ومسنده أحمد، وصحيح ابن حبان، وعند الطبراني في الأوسط، والكبير، والبيهقي في شعب الإيمان.

20 - في بعض الأحيان يورد حديثين وردا في الصحيحين، فيذكر المصدر في الحديث الأول، ويشير إليه في الثاني: بقوله: (وفيها أيضاً)، ثم يذكر الحديث الثاني، ومثال ذلك: تفسيره للآية (1) - (2) من سورة الحج: فقد قال: " في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " يقول الله تعالى: يا آدم يقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ... ". الحديث. ثم قال: " (وفيها أيضاً) : عن عائشة [رضي الله عنها]، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إنكم تحشرون يوم القيامة حُفاةً عُراةً عُراً ... ".

21. عندما يفسر آية يأتي بآية أخرى من القرآن يستشهد بها، ثم يأتي بحديث، ثم يأتي بقول صحابي، أو أثر من المفسرين، وهذه الطريقة سائدة في أغلب تفسيره وهذا مسلك شيخه الحافظ ابن كثير.

22. من منهج المفسر أنه يهتم أحياناً بتفصيل الأحكام الفقهية عند تفسيره لبعض آيات الأحكام، ويتوسع في بيان تلك المسائل، ويورد عليها الأدلة، ويبسط القول منها.

23. عند مروره على مسألة يكون لا طائل منها، ولا تؤدي إلى نتيجة، فيصح بعدم الخوض فيها، باستعماله عدة عبارات يُفهم منها ذلك، كما أوردتها في سورة الكهف: الآية: (92)، بقوله: (وهذا غريب جداً) و (أثراً طويلاً عجيباً) و (فيه طولٌ و غرابة) و (لا نطوّل الكتاب به) .

24 - إذا كان هناك أكثر من راوٍ لأي رواية، يذكر بعضهم ثم يتبعها بلفظة (غيره) أو (غير واحد)، أو (نحوه)، أو (وجماعة)، أو (أقرانه)، كما أورد عند تفسيره الآية (50) من سورة الكهف، فقد قال: " وعن ابن المُسيّب، وابن جُبَيْر، وطاوس، (ونحوه) "، وفي تفسير للآيات (60) - (65) من سورة الكهف، " قال قتادة، (وغير واحدٍ) "، وفي الآية (82) من سورة الكهف، فقد قال: " وقال ابن عباس (وجماعة) " وفي الآية نفسها، قال: " وعن الحسن، (وأقرانه) نحوه " .

وهذه أهم النتائج التي رأيتُ أن أبينها، أرجو الله أن أكون قد وفقت في ذلك.

وأخيراً :

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك، فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وألهمنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل. فما أكثر التباس الباطل بالحق على عقول كثير من الخلق، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً يارب العالمين، اللهم جنبه الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أنعم عليه بالأمن والأمان بقدرتك يا أرحم الراحمين، إنك ولي ذلك والقادر عليه، وأسأل الله - عز وجل - أن يوفق المسلمين أفراداً، وجماعات للتقرب إلى الله بما جاء في الكتاب، وثبت في السنة، على فهم السلف الصالح. والصلاة والسلام على خير الخلق وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

الفخار والحامنة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة البقرة				
1.	﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾	البقرة	(7)	النور: 39 - 40	395
2.	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾	=	(28)	الكهف : 38 - 41	81
3.	﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾	=	(94)	مريم: 75	155
4.	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾	=	(128)	الحج : 78	303
5.	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾	=	(133)	مريم : 49 - 50	138
6.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	=	(143)	الحج : 78	303
	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	=	(147)	مريم: 34 - 37	133
7.	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	=	(164)	النور : 43 - 44	394
8.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	=	(172)	المؤمنون 51 - 56	320
9.	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾	=	(198)	الحج: 28 - 29	274
10.	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	=	(254)	طه: 109 - 112	200
11.	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	=	(254)	طه: 109 - 112	201
12.	﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	=	(261)	النور: 36 - 38	390
13.	﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	=	(280)	مريم: 10 - 11	120
	سورة آل عمران				
14.	﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾	آل عمران	(14)	الكهف : 45 - 46	83
15.	﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾	= =	(21)	مريم : 27 - 33	134
16.	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾	= =	(26)	الحج: 61 - 62	296
17.	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾	= =	(38)	مريم : 7	119

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورود	الصفحة
	سورة آل عمران				
18	﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾	آل عمران	(39)	مريم : 7	119
19	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	= =	(60)	مريم: 34 - 37	133
20	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾	= =	(159)	مريم: 75	155
21	﴿وَلَا تَحْسِنَنَّ الَّذِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾	= =	(169)	الحج : 58 - 60	295
22	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	= =	(190)	النور: 43 - 44	394
	سورة النساء				
23	﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾	النساء	(8)	النور : 58 - 60	402
24	﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	=	(25)	النور : 32 - 34	378
25	﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	=	(40)	الكهف: 48 - 49 والنور: 36 - 38	86 - 402
26	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	=	(40)	الكهف : 47 - 49	86
27	﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	=	(42)	النور 23 - 25	364
28	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾	=	(61)	النور: 47 - 52	395
29	﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾	=	(100)	الحج : 58 - 60	295
30	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	=	(164)	مريم : 58	143
31	﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	=	(165)	المؤمنون: 105 - 107	336
	سورة المائدة				
32	﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾	المائدة	(2)	الحج : 28 - 29	276
33	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	=	(48)	الأنبياء : 92 - 94	241
34	﴿هُدًى بَالِغِ الْكُفْبَةِ﴾	=	(95)	الحج : 32 - 33	280

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة المائدة				
35.	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾	المائدة	(103)	الحج : 30 - 31.	277
	سورة الأنعام				
36.	﴿ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ ﴾	=	(19)	طه: 99 - 100	198
37.	﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	=	(28)	المؤمنون: 99.	332
38.	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾	=	(52)	الكهف : 27 - 28	76
39.	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾	=	(52)	الكهف : 27 - 28.	77
40.	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾	=	(59)	النور: 64	409
41.	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾	=	(83)	مريم : 58.	143
42.	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾	=	(83)	الأنبياء : 51 - 56.	223
43.	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾	=	(90)	مريم : 58	143
44.	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	=	(10)	الكهف: 37 - 41	81
45.	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	=	(124)	الحج : 75 - 76.	300
46.	﴿ دِينًا قَبِيماً مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾	=	(161)	الحج: 78	303
	سورة الأعراف				
47.	﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّ لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾	الأعراف	(21)	طه: 115 - 122.	190
48.	﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾	=	(22)	طه: 115 - 122.	204
49.	﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾	=	(25)	طه : 53 - 56.	184
50.	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾	=	(33)	الحج: 30 - 31	278
51.	﴿ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	=	(38)	مريم : 66 - 70.	151

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الأعراف				
52.	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾	الأعراف	(89)	الأنبياء: 108 - 112	250
53.	﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾	=	(111)	طه: 77 - 79.	191
54.	﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ 121 ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ 122	=	(121) - (122)	طه: 65 - 70	188
55.	﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	=	(128)	الأنبياء: 105 - 107	248
56.	﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	=	(129)	النور: 53 - 55.	399
57.	﴿ اخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	=	(142)	طه: 95 - 98.	196
58.	﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ ﴾	=	(144)	مريم: 51 - 53.	139
59.	﴿ اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾	=	(144)	طه: 11 - 16	172
60.	﴿ وَكُنْتْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ ﴾	=	(145)	طه: 83 - 89	194
61.	﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾	=	(186)	النور: 39 - 40.	392
	سورة الأنفال				
62.	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾	الأنفال	(23)	المؤمنون 68 - 70	326
63.	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا ﴾	=	(32)	الكهف: 55 - 56	90
64.	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا ﴾	=	(32)	الحج: 47 - 48	289
	سورة التوبة				
65.	﴿ فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾	التوبة	(55)	المؤمنون: 51 - 56	320
66.	﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾	=	(91)	النور: 61	392
67.	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾	=	(114)	مريم: 46 - 48.	138

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة التوبة				
68.	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾	التوبة	(124)	مريم: 76	156
	سورة يونس				
69.	﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾	يونس	(41)	الأنبياء 112-108	250
70.	﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾	=	(41)	الحج : 67 - 69.	298
71.	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	=	(96)	الأنبياء 7 - 9	213
	سورة هود				
72.	﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾	هود	(17)	النور: 35	382
73.	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾	=	(41)	المؤمنون 26 - 30.	315
74.	﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾	=	(56)	المؤمنون 84 - 90.	329
75.	﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾	=	(71)	مريم: 51 - 53	138
76.	﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾	يوسف	(64)	المؤمنون 26 - 30.	316
77.	﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	=	(18)	النور: 11	354
78.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾	=	(109)	الأنبياء 7 - 9	214
	سورة الرعد				
79.	﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّارًا أَوْ كُنَّا جَبَدًا﴾	الرعد	(5)	مريم : 66 - 70.	150
80.	﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْأَخْرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾	=	(34)	طه : 127.	206
81.	﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾	=	(34)	الأنبياء : 38 - 40.	222
82.	﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾	=	(40)	النور : 53 - 54.	397

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة إبراهيم				
83.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾	إبراهيم	(28)	الأنبياء 105 - 107.	249
84.	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾	=	(41)	مريم : 46 - 48.	138
85.	﴿ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾	=	(42)	النور: 36 - 38	390
86.	﴿ وَتَعَسَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾	=	(50)	المؤمنون 101 - 104	335
	سورة الحجر				
87.	﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	الحجر	(11)	المؤمنون 42 - 44.	317
88.	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾	=	(87)	طه : 131 - 132.	208
89.	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾	=	(88)	الكهف 27 - 28	77
90.	﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	=	(99)	مريم : 27 - 33.	132
	سورة النحل				
91.	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِيُقِيءَ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل	(7)	المؤمنون 18 - 22.	314
92.	﴿ يُنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ ﴾	=	(11)	المؤمنون 18 - 22	313
93.	﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	=	(125)	طه : 40 - 44.	180
	سورة الإسراء				
94.	﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾	الإسراء	(11)	الأنبياء : 36 - 37.	221
95.	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ ﴾	=	(17)	الأنبياء : 10 - 15.	214
96.	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾	=	(44)	الحج : 18. والنور: 41 - 42.	- 262 393
97.	﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	=	(52)	طه : 53 - 56.	184

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الإسراء				
.98	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾	الإسراء	(59)	الأنبياء: 1 - 6	213
.99	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .	=	(85)	الكهف: 1- 5.	62
	سورة الكهف				
.100	﴿وَلَا يَظِلُّمَ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الآية .	الكهف	(49)	الأنبياء : 44 - 47	223
.101	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾	=	(65)	الكهف: 82	100
	سورة مريم				
.102	﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةَ لِلنَّاسِ﴾	مريم	(21)	الأنبياء : 91	240
.103	﴿فَدَجَّلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾	=	(24)	المؤمنون : 50	319
.104	﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ .	=	(65)	مريم : 7.	119
.105	﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾	=	(82)	الكهف: 100-102	111
	سورة طه				
.106	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾	طه	(131)	الكهف : 27 - 28.	77
.107	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾	=	(132)	مريم: 54 - 55	141
	سورة الحج				
.108	﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ .	الحج	(5)	الحج: 63 - 66.	296
.109	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ .	=	(46)	طه : 128 - 130.	207
.110	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾	=	(52)	الحج: 52 - 54.	291
	سورة الأنبياء				
.111	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾	الأنبياء	(34)	الكهف: 82. الأنبياء: 1 - 6	100
.112	﴿وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ .	=	(91)	مريم : 16 - 21.	123

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الأنبياء				
.113	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾	الأنبياء	(96)	الكهف : 97 - 99	110
	سورة المؤمنون				
.114	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) ﴾	المؤمنون	(1) - (2)	مريم 61 - 63	148
.115	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾	=	(5)	النور: 30	370
.116	﴿ تَنَبَّتْ بِالذَّنِّ ﴾	=	(20)	الحج: 25	264
.117	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾	=	(14)	مريم : 22 - 23	126
.118	﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾	=	(88)	الأنبياء : 21 - 23	217
.119	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾	=	(91)	الأنبياء: 21 - 23	217
.120	﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾	=	(92)	مريم: 59 - 60	145
.121	﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾	=	(116)	المؤمنون: 84 - 90	329
	سورة النور				
.122	﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾	النور	(22)	النور: 11	354
	سورة الفرقان				
.123	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾	الفرقان	(7)	الأنبياء 1 - 6	214
.124	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾	=	(23)	النور : 39 - 40	392
.125	﴿ الْمَلِكِ يُومِنُ بِالْحَقِّ لِلرَّحْمَنِ ﴾	=	(26)	الحج : 55 - 57	294
.126	﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾	=	(41)	الأنبياء: 36 - 37	221
.127	﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾	=	(66)	الكهف: 30 - 31	78

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورود	الصفحة
	سورة الفرقان				
128.	﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا ﴾.	الفرقان	(68)	مريم: 59 - 60.	146
129.	﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.	=	(72)	المؤمنون: 1 - 11.	297
130.	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾.	=	(63)	مريم: 46 - 48.	137
	سورة الشعراء				
131.	﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾.	الشعراء	(48)	طه: 65 - 70.	188
132.	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿54﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿55﴾	=	(54) - (55)	طه: 77 - 79.	191
133.	﴿ فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ ﴾.	=	(60)	طه: 77 - 79.	191
134.	﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابِ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿61﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿62﴾	=	(61) - (62)	طه: 77 - 79.	191
135.	﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾.	=	(100)	مريم: 85 - 87.	160
136.	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾.	=	(193)	مريم: 16 - 21.	124
137.	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿217﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾	=	(217) (218)	النور: 64.	409
	سورة النمل				
138.	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾.	النمل	(16)	مريم: 1 - 6.	119
139.	﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.	=	(25)	الحج: 63 - 66.	297
140.	﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾.	=	(87)	الحج: 1 - 2.	256
141.	﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾.	=	(88)	الكهف: 47 - 49.	84

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة القصص				
142.	﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ أَنْ تُنْبِئِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	القصص	(10)	طه : 36 - 39.	177
143.	﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾	=	(12)	طه : 36 - 39.	177
144.	﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	=	(25)	طه: 36 - 39	178
145.	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	=	(30)	طه : 11 - 16.	171
146.	﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ﴾.	=	(34)	مريم : 51 - 53.	140
147.	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾	=	(43)	المؤمنون 45 - 49.	318
148.	﴿وَقِيلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَذَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾	=	(64)	الكهف: 52 - 53	89
	سورة العنكبوت				
150.	﴿ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾	العنكبوت	(20)	المؤمنون 12 - 16.	311
151.	﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	=	(26)	الأنبياء : 71 - 75.	229
	سورة الروم				
152.	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُونَ﴾	الروم	(14)	الكهف : 52 - 53	88
153.	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.	=	(27)	الحج : 73 - 74.	300
154.	﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾.	=	(48)	الحج: 63 - 66	296
155.	﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.	=	(54)	الحج : 5 - 7	257
156.	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	=	(55)	طه: 102 - 103	199

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة لقمان				
157.	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ﴾	لقمان	(27)	الكهف: 109	113
158.	﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْتَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾	=	(28)	طه: 1 - 8	169
	سورة السجدة				
159.	﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهْيَبِينَ﴾	السجدة	(8)	الحج: 5 - 7	256
160.	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	=	(12)	مريم: 38 - 40	135
	سورة الأحزاب				
161.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	الأحزاب	(57)	النور: 23 - 25	363
	سورة سبأ				
162.	﴿لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	سبأ	(3)	الحج: 70 النور: 64	298 409
163.	﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾	=	(10)	الأنبياء: 78 - 82	233
164.	﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾	=	(12)	الكهف: 92 - 96	108
165.	﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّبِينَ﴾	=	(35)	المؤمنون: 51 - 56	320
166.	﴿قُلْ مَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾	=	(47)	المؤمنون 68 - 75	326
	سورة فاطر				
167.	﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	فاطر		الأنبياء: 95 - 97	242
	سورة فاطر				
168.	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾	=	(42)	طه: 133 - 135	210
	سورة يس				
169.	﴿وَأَمْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	يس	(59)	الكهف: 50	88
170.	﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكَ يَا بَنِي آدَمَ الْأَتْعَبِدِ الشَّيْطَانَ﴾	=	(60)	مريم: 41 - 45	137
171.	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾	=	(71)	الحج: 36	284
172.	﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾	=	(77)	مريم: 66 - 70	150

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة يس				
173.	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾	يس	(78)	الحج : 5 - 7.	258
174.	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	=	(82)	الأنبياء: 91	240
	سورة الصافات				
175.	﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾	الصافات	(89)	الأنبياء 57 - 63.	226
176.	﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾	=	(103)	الأنبياء : 104	247
177.	﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾	=	(145)	الأنبياء : 87 - 88	238
	سورة ص				
178.	﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً﴾	ص	(15)	الحج : 1 - 2	252
179.	﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾	=	(36)	الأنبياء : 78 - 82.	233
180.	﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾	=	(37)	الأنبياء : 78 - 82.	233
181.	﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾	=	(42)	الأنبياء : 83 - 84	235
182.	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	=	(100)	الأنبياء : 71 - 75.	230
	سورة الزمر				
183.	﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾	الزمر	(4)	الأنبياء. 16 - 20.	211
184.	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	=	(36)	الحج : 38	285
185.	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾	=	(56)	مريم : 38 - 40	136
	سورة غافر				
186.	﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾	غافر	(11)	المؤمنون: 105 - 107	336
187.	﴿ذَلِكَمُ بَآئِنُهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾	=	(12)	المؤمنون: 62 - 67	323
188.	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	=	(19)	النور: 30	370

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة غافر				
189.	﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾	غافر	(33)	الحج : 1 - 2.	253
190.	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	=	(51)	الحج : 15 - 16.	261
191.	﴿لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	=	(57)	المؤمنون 17	312
	سورة غافر				
192.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾	=	(78)	مريم : 58	143
	سورة فصلت				
193.	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	فصلت	(34)	المؤمنون 93 - 98	331
194.	﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	=	(37)	الحج : 18.	262
195.	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	=	(42)	الحج : 52 - 54.	294
196.	﴿وَلَيْسَ رُجِعَتْ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾	=	(50)	الكهف : 32 - 36.	80
	سورة الزخرف				
197.	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	الزخرف	(22)	المؤمنون: 84 - 90	330
198.	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	=	(31)	المؤمنون 68 - 75	325
199.	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾	=	(44)	الأنبياء 10 - 15.	214
200.	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾	=	(57)	الأنبياء: . 98 - 103	246
201.	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	=	(76)	المؤمنون 31 - 41	317

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الزخرف				
202.	﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾	الزخرف	(77)	المؤمنون: 108-	336
	سورة الجاثية				
203.	﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾	الجاثية	(10)	المؤمنون: 99.	333
					100
204.	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾	=	(13)	الحج: 63 - 66	297
205.	﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً﴾	=	(77)	مريم: 66 - 70	150
	سورة الأحقاف				
206.	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾	الأحقاف	(11)	مريم: 73 - 74	154
207.	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْفُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	=	(27)	الأنبياء: 44 - 47	223
	سورة محمد				
208.	﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾	محمد	(4)	الحج: 39 - 40.	286
209.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	=	(7)	الحج: 39 - 40.	287
	سورة الحجرات				
210.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	الحجرات	(2)	النور: 63	408
211.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	=	(4)	النور: 63	408
212.	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	=	(13)	النور: 58 - 60.	402
	سورة ق				
213.	﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾	ق	(33)	الأنبياء: 48 - 50	224
	سورة الذاريات				
214.	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	الذاريات	(47)	الأنبياء: 30 - 33.	220

ت.	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الطور				
215.	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10)﴾	الطور	(9) - (10)	الكهف: 47 - 49.	84
	سورة النجم				
216.	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20)﴾	النجم	(19) - (20)	الحج: 52 - 54.	291
217	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾	=	(31)	الأنبياء: 16 - 20 النور: 41 - 42.	215 392
218.	﴿وَعَشَاهَا مَا غَشَىٰ﴾ (54) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ (55).	=	(55)	طه: 77 - 79.	192
	سورة القمر				
219.	﴿حُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾	القمر	(7)	الأنبياء: 1 - 6	213
220.	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾	=	(10)	الأنبياء: 76 - 77.	230
	سورة الرحمن				
221.	﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾	الرحمن	(22)	الكهف: 60 - 65	92
222.	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (26) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (27)	=	(27)	الأنبياء: 34 - 35	220
	سورة الواقعة				
223.	﴿إِلَّا قَلِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾	الواقعة	(26)	مريم: 61 - 63	147
	سورة الحديد				
224.	﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	الحديد	(4)	المؤمنون: 17	312
	سورة المجادلة				
225.	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	المجادلة	(21)	الحج: 39 - 40.	287
	سورة الحشر				
226.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾	الحشر	(11)	النور: 53 - 54.	397

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورود	الصفحة
	سورة الممتحنة				
227.	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾	الممتحنة	(4)	مريم : 46 - 48.	138
228.	﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا ﴾	=	(1)	الحج : 39 - 40.	286
	سورة الصف				
229.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	الصف	(2)	مريم: 54 - 55	141
	سورة الجمعة				
230.	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَتَكُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ ﴾	الجمعة	(6)	مريم: 75	155
	سورة المنافقون				
231.	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ ﴾	المنافقون	(5)	الحج: 8 - 10	259
232.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	=	(9)	النور: 36 - 38	390
	سورة التحريم				
233.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾	التحريم	(6)	مريم : 54 - 55 طه: 131 - 132	141 209
234.	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	=	(6)	مريم: 54 - 55 الأنبياء 16- 20	141 211
235.	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾	=	(12)	مريم: 16 - 21	125
236.	﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ﴾	=	(12)	المؤمنون: 57 -	321 61
	سورة الملك				
237.	﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾	الملك	(3)	المؤمنون: 91 -	330 92
	سورة القلم				
238.	﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾	القلم	(141)	الأنبياء: 87 - 88	237

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورد	الصفحة
	سورة الحاقة				
239.	﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَقْرَبُ﴾	الحاقة	(19)	الحج 1 - 2	254
	سورة المعارج				
240.	﴿عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾	المعارج	(23)	مريم: 59 - 60	145
241.	﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	=	(35)	مريم: 59 - 60	145
	سورة نوح				
242.	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	نوح	(26)	الأنبياء: 76 - 77	230
	سورة المزمل				
243.	﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	المزمل	(18)	مريم: 61 - 63	146
	سورة القيامة				
244.	﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	القيامة	(13)	النور: 64.	409
245.	﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ 16 ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ 17 ﴿	=	(16) - (17)	طه: 113 - 114.	202
246.	﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾	=	(16)	طه: 113 - 114.	202
247.	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ 31 ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ 32 ﴿.	=	(31) - (32)	طه: 45 - 48.	182
	سورة الإنسان				
248.	﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾	الإنسان	(21)	الحج: 23 - 24.	267
	سورة النازعات				
249.	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾	النازعات	(6) - (7) - (8)	الحج: 1 - 2	253
250.	﴿أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿	=	(11) - (12)	المؤمنون: 76 - 83	328
	سورة عبس				
251.	﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ﴾	عبس	(34)	المؤمنون: 101 - 104.	333
	سورة المطففين				
252.	﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾	المطففين	(29)	المؤمنون: 108 - 111.	337
	سورة الانشقاق				
253.	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾	الانشقاق	(1)	الحج: 77.	302

ت	الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة	رقم الآية	مكان الورود	الصفحة
	سورة الطارق				
254.	﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	الطارق	(9)	الكهف: 47 - 49	85
	سورة الأعلى				
255.	﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	الأعلى	(3)	طه: 49 - 52	183
256.	﴿وَيَنْجِبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي بَصُلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)﴾	=	(11) - (12) - (13)	طه: 74 - 76	190
	سورة الفجر				
257.	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	الفجر	(22)	الكهف: 47 - 49	85
	سورة الشمس				
258.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	الشمس		المؤمنون 1 - 11	307
	سورة الضحى				
259.	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾	الضحى	(5)	طه: 128 - 130	208
	سورة العلق				
260.	﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	العلق	(1)	الحج: 77	302
	سورة الزلزلة				
261.	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾	الزلزلة	(1)	الحج: 1 - 2	252
	سورة الهمزة				
262.	﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ﴾	الهمزة	(8)	الكهف: 18	69
	سورة الماعون				
263.	﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	الماعون	(5)	مريم: 59 - 60	144

فهرس الأحاديث الشريفة

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
1.	" إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم "	الكهف 6 - 8	62
2.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور . "	الكهف 9 - 12	64
3.	" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . "	الكهف 13 - 16	66
4.	" ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا قوة إلا بالله . "	الكهف : 37 - 41	81
5.	" استكثروا من الباقيات قيل : وماهي يا رسول الله ، قال : التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله . "	الكهف : 45 - 46	84
6.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقةً وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً فقال: ألا تصليان. "	الكهف : 54	90
7.	" أن موسى رسول الله ذكر الناس يوماً فسئل أي الناس أعلم قال : أنا فعتب الله عليه . "	الكهف : 60 - 65	93
8.	" إذا أتيا قريةً لئاماً، أي : بخلاء ، فطلبنا منهم الضيافة فأبوا أن يُضيّفوهما . "	الكهف : 77 - 78	97
9.	" إنما سُمّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء . "	الكهف : 82	100
10.	" اللهم أن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض . "	الكهف : 82	100
11.	" أن الله تعالى يقول : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فيقول أبعث بَعَثَ النار... . "	الكهف : 92 - 96	107
12.	" استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نوم وهو مُحَمَّرٌ وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر... . "	الكهف : 97 - 99	110
13.	" أنهلكَ وفينا الصالحون ، قال : نعم إذا كثر الخبث . "	الكهف : 97 - 99	110
14.	" إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة . "	الكهف : 107 - 108	109
15.	" أتخوّف على أمتي الشرك والشهوة الخفية ، قلت يا رسول الله : أتشركُ أمتك من بعدك قال : نعم ... "	الكهف : 110	113
16.	" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر... . "	الكهف : 110	114
17.	" إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة "	الكهف : 110	115
18.	" إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار... . "	مريم : 38 - 40	136
19.	" أنتَ ومالك لأبيك . "	النور : 61	405
20.	" أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل . "	الحج : 1 - 2	254
21.	" إياكم ومحقرات الذنوب... "	الكهف : 47	85

م .	الحديث الشريف حرف الهمزة	مكان وروده	الصفحة
22.	" أهل الدنيا في غفلة الدنيا "	مريم: 38 - 40	136
23.	" إذا وَعَدَ أَخْلَفَ "	مريم: 54 - 55	141
24	" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ "	مريم : 54 - 55.	141
25.	" إذا استيقظ الرجل من الليل وابقظ امرأته فصليا ركعتين كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ "	مريم : 54 - 55.	141
26.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة "	مريم : 56 - 57	142
27.	" أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتطخون فيها ... "	مريم: 61-63	147
28.	" أنه أبطأ عنك جبريل عليه السلام قال : وَلِمَ لَا يُبْطِئُ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ حَوْلِي "	مريم : 64 - 65.	148
29.	" إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا أَوْ الْحَدِيثِيَّةَ "	مريم : 71 - 72.	152
30.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم فأخذ عوداً يابساً فَحَطَّ وَرَقَهُ ثُمَّ قَالَ ... "	مريم : 76	156
31.	" أن الله إذا أَحَبَّ عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إِنِّي أَحِبُّ فَلاناً فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جبريل ، الأرض "	مريم : 96 - 98 .	162
32	" إذا أَحَبَّ اللهُ عبداً نادى جبريل إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فَلاناً فَأُحِبُّهُ فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ يُنَزِّلُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ "	مريم : 96 - 98 .	162
33	" إن الله قرأ طةً ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى "	فضل سورة طه.	166
34	" إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه "	طه: 40 - 44.	179
35.	" اللهم إِنِّي اسألك أن يخور فخار ، فكان إذا خار سجدوا له وإذا خار رفعوا رؤوسهم "	طه : 83 - 89	195
36.	" أنه قرن عظيم ، الدارة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه اسرافيل "	طه : 102 - 104.	199
37.	" أتى تحت العرش فأخر ساجداً ويفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء الله أن يدعني "	طه : 109 - 112 .	200
38	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من التنزيل شدة فكان مما يحرك به لسانه "	" طه : 113 - 114.	202
39	اللهم أنفعني بما علمتني وعلمني بما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال "	" طه : 113 - 114.	202
40.	" أَطْرُقُ بَصْرَكَ "	النور : 30	370

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
41.	" إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده إنني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم.. "	طه : 1 - 8.	167
42.	" أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام . "	طه : 1 - 8.	168
43.	" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معه في تلك العير فقال له يا محمد إنني أرى فيك خصالاً... "	طه : 1 - 8.	169
44.	" إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليُصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ "	طه 11 - 1.	172
45.	" التقى آدم وموسى فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة... "	طه: 40 - 44	179
46.	" احتج آدم وموسى عند ربهما فحجَّ آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيه . "	طه : 115 - 122	204
47.	" أن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك... "	طه : 128 - 130	208
48.	" أنه عذاب القبر . "	طه : 123 - 126	205
49.	" إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . "	طه : 127	206
50.	" إنني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء... "	الأنبياء : 30 - 33	219
51.	" إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾... "	الأنبياء 57 - 63	226
52.	" أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الحوائط حفظها بالنهار... "	الأنبياء : 78 - 82	231
53.	" إذا حكم الحاكم فأجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد . "	الأنبياء : 78 - 80	231
54.	" أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل . "	الأنبياء : 83 - 84	234
55.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه . "	الأنبياء : 104	247
56.	" إنني لم أبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمة . "	الأنبياء 105 - 107	249
57.	" إنما أنا رحمة مهداة . "	الأنبياء 105 - 107	249
58.	" إن الله بعثني رحمة مهداة بُعثت برفع قوم وخفض آخرين . "	الأنبياء 105 - 107	249
59.	" إنكم تحشرون يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً قالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض... "	الحج : 1 - 2	254

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
60.	" إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك "	الحج : 5 - 7	256
61.	" أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به ... "	الحج : 5 - 7	258
62.	" أتدري أين تذهب هذه الشمس "	الحج : 18	262
63.	" إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي "	الحج : 18	263
64.	" أقرأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمس عشرة سجدة في القرآن "	الحج : 18	263
65.	" إن الحميم ليُصبّ على رؤوسهم فينفذ الجمجمة "	الحج : 19 - 22	266
66.	" احتكار الطعام بمكة إحد "	الحج : 25	271
67.	" احتكار الطعام في الحرم إحد فيه "	الحج : 25	271
68.	" أي مسجد وضع أول قال : المسجد الحرام ... "	الحج 26 - 27	272
69.	" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم هذا العشر "	الحج : 28 - 29	275
70.	" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فطبخ فأكل من لحمها وحسى من مرقها "	الحج : 28 - 29	276
71.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين "	الحج : 32 - 33	279
72.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبش أقرن فحيل ، يأكل في سواد ، وينظر في سواد ، ويمشي في سواد "	الحج : 32 - 33	279
73.	" أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن ، وأن لا نضحى بمقابلة ، ولا مدابرة ... "	الحج : 32 - 33	279
74.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدنة ، فقال له : اركبها بالمعروف إذا ألجئت لها "	الحج : 32 - 33	280
75.	" أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين فسمي وكبّر ووضع رجله على صفاحهما "	الحج 34 - 35	280
76.	" أنه أتى على رجل قد أناخ بدنته وهو ينحرها ، فقال : ابعثها قياماً مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم "	الحج : 36	282
77.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها "	الحج : 36	282
78.	" إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، فكلوا وادخروا ما بدا لكم "	الحج : 36	283
79.	أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ وكان إذا شهد غزاة يقول ذلك "	الأنبياء : 108 - 112	250
80.	" أن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى ألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "	الحج : 37	284

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
81.	" إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : وما اكتب قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد ."	الحج : 71 - 72	298
83.	" إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ومنه تفجّر أنهار الجنة وفوق عرش الرحمن ."	المؤمنون : 1 - 11.	307
84.	" إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فَكَأَكَّكَ مِنَ النَّارِ ."	المؤمنون : 1 - 11.	307
85.	" إن الله خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ..."	المؤمنون : 12 - 16.	309
86.	في رواية " اتدموا بالزيت "	المؤمنون : 18 - 22.	314
87.	" أن داود كان يأكل من كسب يده ."	المؤمنون : 51 - 56.	319
88.	إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ."	المؤمنون : 51 - 56.	320
89.	" إن الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم ."	المؤمنون : 51 - 56.	320
90.	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً فقال له : أسلم فقال الرجل : إنك لتدعونني إلى أمر أنا له كاره ، فقال عليه الصلاة والسلام : وإن كنت كارهاً ."	المؤمنون : 68 - 75 .	325
91.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان فقال : إن مثله ومثله كمثل قوم استبقوا إلى رأس مغارة ..."	المؤمنون : 68 - 75 .	326
92.	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قریش حين استعصوا وقال اللهم أعني بسبع كسبع يوسف ."	المؤمنون : 76 - 83 .	327
93.	" إنه من ياقوتة حمراء ."	المؤمنون : 84 - 90 .	329
94.	" إن جهنم لما سيق إليها أهلها يلقاها لهبها ثم تلفحهم لفحة ، فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب ."	المؤمنون : 101 - 104.	335
95.	" إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله ."	النور : 1 - 2.	342
96.	" أن رجلاً من المسلمين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة يقال لها : أم مهزول كانت تسافح أن يتزوجها ..."	النور : 3.	343
97.	" أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين ، سابغ الأليتين ، خديج الساقين ، فهو لشريك بن سحماء ، ..."	النور : 6 - 10.	348
98.	" أنظروا فإن جاءت به أسحم أدهج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، ..."	النور : 6 - 10.	348
99.	" أتعجبون من غيرة سعد ، والله لا أنا أغير منه ، ومن أجل غيرة الله حرّم الله الفواحش ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّن ﴾ ..."	النور : 6 - 10.	349
100	" أن عائشة قالت : لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل حدّ أربع نفر ..."	النور : 11.	355

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
101	" إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور "	الحج : 1 - 2.	352
102	" أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما بلغ يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض".	النور : 14 - 15.	360
103	" إن الله تجاوز لأمتي عما حَدَّثتُ به نفسها ما لم يقل أو يعمل".	النور : 16 - 18.	360
104	" أن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك "	طه : 128 - 130.	208
105	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال: أيها الناس عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ثلاثاً "	الحج : 30 - 31 .	278
106	" أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت ، وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح لهم أبواب السماء "	الحج : 30 - 31 .	278
107	" اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا : يا رسول الله ما هن قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس... "	النور : 23 - 25.	364
108	" أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يُؤذَن له ، انصرف ثم قال عمر : لم أسمع صوت عبدالله بن قيس يستأذن : انذونا له "	النور : 27 - 29.	366
109	" أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس، إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادي ... "	النور : 27 - 29.	368
110	عن أم سلمة رضي الله عنها : " انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة رضي الله عنها، قالت : فبينما نحن عنده ... "	النور : 31.	372
111	" إذا أنتهى أحدكم إلى المجلس فليُسلِّم ، فإذا أراد أن يقوم فليُسلِّم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة "	النور : 62.	407
112	" ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا قوة إلا بالله".	الكهف: 37- 41	81
113	" إذا أخذتم يعني الساحر فاقتلوه	طه: 65 - 70	188
114	" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ... "	الحج: 30	278
115	" اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم وأعوذ بك من الهَدْم، ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت "	المؤمنون: 98 - 93	331
116	" أكل طعامكم الأبرار، وصَلَّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون".	النور : 27 - 29.	367
117	" احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك "	النور : 30.	370
118	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد... "	النور : 31.	372
119	" أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال : لا تباشر المرأة المرأة، فَتَنَعْنَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا "	النور : 31.	374
120	" إياكم والدخول على النساء ، قالوا يا رسول الله : أفرأيت الحموم قال : الحموم الموت ... "	النور : 31.	376

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
121	" أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا ..."	النور : 35.	382
122	" إن الله عز وجل خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك اهتدى ، ومن أخطأه ضلّ ، فكذلك أقول جفّ القلم ... "	النور : 35.	384
123	" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تُنظف وتُطيب "	النور : 36 - 38.	385
124	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه ..."	النور : 36 - 38.	388
125	" إذا دخل أحدكم فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك "	النور : 36 - 38.	388
126	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله "	النور : 36 - 38.	389
127	" إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ طيباً "	النور : 36 - 38.	389
128	" إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مُنادٍ فسمع بصوت يُسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقيم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..."	النور : 36 - 38.	391
129	" إن الله زوى إليّ الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ..."	النور : 55.	398
399	" أتعرف الحيرة قلت : لم أرها وقد سمعت بها ..."	النور : 55.	399
331	" اللهم إني أعوذ بك من الهَرَمِ وأعوذ بك من الهَدَمِ،	المؤمنون: 98 - 93	331
130	حرف الباء		
131	" بين كل صفتين أربعين يوماً "	مريم: 22- 23.	126
132	" بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فنسيت فذكرت "	مريم : 54 - 55.	140
133	" بين العبد والكفر ترك الصلاة "	مريم: 59 - 60.	144
134	" بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي "	فضل سورة الأنبياء	212
135	" بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء "	الأنبياء 16 - 20.	216
136	" بُني الإسلام على خمسٍ "	الأنبياء : 30 - 33.	220
137	" بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين فتحاكما إلى داود ..."	الأنبياء : 78 - 80.	232

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الباء		
138	" بَشِّرْ المشائين إلى المساجد في الظلم، بالنور التام يوم القيامة والمستحب لمن دخل المسجد أن يُقَدِّمَ رجله اليمنى".	النور : 36 - 38	387
139	بَشِّرْ هذه الأمة بالسَّناءِ والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدينا لم يكن له في الآخرة ...".	النور : 55	400
	حرف التاء		
140	" التائب من الذنب كمن لا ذنب له".	مريم: 59-60	146
141	" تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	الأنبياء : 98 - 103	245
142	" توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر وعمر، وما يُدعى رباع بمكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن".	الحج : 25	277
143	" تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم".	النور : 32 - 34	377
	حرف الثاء		
144	" ثلاثة حرّم الله عليهم الجنة مُدَمِنِ الخمر والعاقّ والديوث الذي يقر في أهله الخبيث".	النور : 3	344
145	" ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمُكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله".	النور : 32 - 34	378
	حرف الجيم		
146	" الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفرديوس أعلاها درجة".	طه : 74 - 76	190
147	" جاء رجل فقال يا رسول الله " إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة...".	الحج : 18	262
148	" جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز أي الوبر والدم فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ ...".	المؤمنون : 76 - 83	327
149	" جَنَّبُوا مساجدنا صبيانكم، ومجانينكم، وشراكم، وبيعكم، وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر وجَمَرُواها في الجُمُع".	النور : 36 - 38	386
150	" جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمتُ عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها...".	النور : 11	355
	حرف الحاء		
151	" حرام على أهل قرية أهلكتناها أن يرجعوا بعد الهلاك".	الأنبياء 95 - 97	241
152	" حفاة عراة غرلاً".	الأنبياء 104	248
153	" حتى أن للنار، أو قال: لجهنم ضجيجا من بردهم".	مريم: 71	151

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الحاء		
154	" حُبِّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ ، وَجُعِلَتْ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " .	المؤمنون 1 - 11	306
	حرف الخاء		
155	" خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ " .	الكهف : 47 - .49	87
156	" خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بَيْوتِهِنَّ " .	النور : 36 - .38	389
157	" الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا ... " .	النور : 55 .	399
	حرف الدال		
158	" دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِي يَعُودُنِي فَقُلْتُ : لَا أَحْسِبُ إِلَّا أَنِّي مَيِّتٌ ... " .	المؤمنون: 50	318
159	" دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهَا مُخَنَّثٌ ، وَعِنْدَهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، يَعْنِي أَخَاهَا ... " .	النور : 31 .	363
160	" دَعَا ذِي النُّونِ إِذَا دَعَاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ... " .	الأنبياء: 87 - 88	239
	حرف الذال		
161	" ذَكَرْنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ رَأَيْتُ سَدَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قَالَ : انْعَتِهِ لِي ، قَالَ : كَالْبُرْدِ الْمُحْبَرِ طَرِيقَةً سُودَاءَ ، وَطَرِيقَةً حُمْرَاءَ قَالَ : قَدْ رَأَيْتَهُ " .	الكهف : 92 - 96	108
162	" ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غِدَاةٍ فَخَفِضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي نَاحِيَةِ النَّخْلِ " .	الأنبياء : 95 - 97	243
163	" رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ " ، " وَكَانَ إِذَا شَهِدَ غَزَاةً يَقُولُ ذَلِكَ " .	الأنبياء: 108	250
	حرف الزاي		
164	" الزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِالْجِسْرِ سَمَاطَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دَعَاؤُهُمْ يَا اللَّهُ سَلِّمْ ... " .	مريم : 71 - 72	153
	حرف السين		
165	" سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ " .	طه: 45 - 48	182
166	" سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَةَ الْقُرْآنِ مِنْ أَبِي مُوسَى لَيْلًا وَكَانَ لَهُ صَوْتٌ جَيِّدٌ ... " .	الأنبياء : 78 80	232
167	" سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفَجَاءِ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرَفَ بَصْرِي " .	النور : 30	369
168	" سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ ... " .	النور : 31	376
169	" سَمَكَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَبَعْدَ مَا بَيْنَهَا وَالتِّي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ " .	طه : 1 - 8	168

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف السين		
170	" سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قریش ".	النور : 55	390
	حرف الشين		
171	" الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية ".	مريم : 61 - 63	147
172	" شأن الله أعظم من ذلك أن عرشه على سماواته هكذا وأشار بيده مثل القبة ".	المؤمنون : 90 - 84	329
	حرف الصاد		
173	" الصور قرن ينفخ فيه ".	الكهف : 97 - 99	110
174	" الصراط على جهنم مثل حدّ السيف فتُمَرّ الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل ".	مريم : 71 - 72	152
175	" صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى فلما انصرف أتني بكبش فذبحه ، فقال : بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني ، وعمن لم يُضح ... ".	الحج : 36 - 38	282
176	" صلاة الرجل في جماعة تُضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً ".	النور : 36 - 38	387
177	" صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ".	النور : 36 - 38	389
	حرف العين		
178	" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ".	مريم : 59 - 60	144
	حرف الغين		
179	" الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ".	الكهف : 80 - 81	97
	حرف الفاء		
180	" الفردوس ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها ".	الكهف : 107 - 108	113
181	" فلما سمعت الملائكة تسبيحه قالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً ".	الأنبياء : 87 - 88	238
182	" فَضِلْتُ سورة الحج بأن فيها سجدتين قال : نعم ومن لم يسجدهما... ".	الحج : 18	263
183	" فَضِلْتُ سورة الحج بأن فيها سجدتين قال : نعم ، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما ".	الحج : 77	301
184	" فو الذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما تكون بينه وبينها إلا ذراع ".	المؤمنون : 62 - 67	323

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الفاء		
185	" فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها وييسطني ما ييسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري "	المؤمنون : 104 - 101	334
186	" فاطمة بضعة مني يُرَبِّيُنِي مَا رَأَيْتُهَا وَيُؤَدِّبُنِي مَا أَدَّبَهَا "	المؤمنون : 104 - 101	334
187	" فكلوا وادخروا وتصدقوا "	الحج : 36	283
188	" فكلوا وأطعموا وتصدقوا "	الحج : 36	283
189	" فو الذي نفسي بيده لئيمن الله هذا الأمر حتى يخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، وَلَيَفْتَحَنَّ كَنُوزَ كَسْرَى "	النور : 55	400
	حرف القاف		
190	" قرن ينفخ فيه "	طه : 102 - 104	198
191	" القضاة ثلاثة : قاض في الجنة، وقاضيان في النار، رجل عرف الحق، وقضى به فهو في الجنة "	الأنبياء : 78 - 80	232
192	" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج "	الأنبياء : 95 - 97	244
193	" قلت يا رسول الله أنزل غداً في دارك بمكة فقال : وهل ترك لنا عقيل منزلاً "	الحج : 25	269
194	" قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ... "	الحج : 52 - 54	291
195	" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء "	الحج : 70	298
196	" قال الله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا شعيرة "	الحج : 73 - 74	299
197	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي لا تتبع النظرة ... "	النور : 30	370
198	" القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، ... "	النور : 35	385
199	" قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي... "	الأنبياء : 30 - 33	219
	حرف الكاف		
200	" كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين فتغشته سحابة ... "	فضل سورة الكهف	58
201	" كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : أطرده هؤلاء ، لا يجترئون علينا... "	الكهف : 27 - 28	76

م .	الحديث الشريف	مكان وروده	الصفحة
	حرف الكاف		
202	"كذب عدو الله ...".	الكهف: 60-65	93
203	" كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحتى جبهته ينتظر متى يُؤمر بالنفخ ".	الكهف: 97 - 99	110
204	" كان زكريا نجاراً أي أنه كان يأكل من عمل يديه في النجارة ".	مريم : 1 - 6.	117
205	" الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ".	مريم : 49 - 50	138
206	" كذبتني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبتني".	مريم: 66-70	150
207	" كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى "، فأُنزل الله طه .	طه : 1 - 8.	167
208	" كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ".	طه: 75 - 76	190
209	" كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم ".	طه : 128 - 130	207
210	" كان عليه الصلاة والسلام أزهّد الناس في الدنيا".	طه : 131 - 132	208
211	" كان النبي إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا".	طه : 131 - 132	209
212	" كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل " .	المؤمنون : 1 - 11.	305
213	" كان نساء المؤمنات يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمُرُوطهن ما يُعرفن من الغلَس ".	النور : 36 - 38	389
214	" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات كان يقولهن عند النوم ، من الفزع " بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده".	المؤمنون : 93 - 98	332
215	" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون مما أضحك قال : قلنا الله ورسوله أعلم قال : من مخاصمة العبد ربه يقول : يا رب ألم تُجرني من الظلم ..."	النور : 23 - 25	364
216	" كل عين زانية إلا عيناً غُضَّت عن محارم الله وعيناً أسهرت في سبيل الله ، وعيناً يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله".	النور : 30	370
217	" كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرتّ طيبها بالمجلس ، وهي كذا وكذا ، يعني : زانية ".	النور : 31	376
218	" كل جسد ابن آدم يُبلى إلا عَجْبُ الذنب منه خُلِقَ وفيه يُركب " .	المؤمنون : 12 - 16	310
219	" كلوا الزيت وادّهنوا به، فإنه من شجرة مباركة " .	المؤمنون : 18 - 22	314
220	" كنتُ رُدَفَ النبي صلى الله عليه وسلم على جار ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرجل ...".	النور : 55	400

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف اللام	
73	الكهف : 22	" لأ طوفن الليلة على سبعين امرأة "	221
73	الكهف : 22	" لأ طوفن الليلة على تسعين امرأة "	222
73	الكهف : 22	" لأ طوفن الليلة على مائة امرأة "	223
72	الكهف : 21	" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصلحيتهم مساجد، يُحذّر ما فعلوه "	224
69	الكهف : 18	" لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب "	225
67	الكهف : 13 - 16	" لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما "	226
78	الكهف : 27 - 28	" لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدارٍ مثل مسافة أربعين سنة "	227
86	الكهف : 47 - 49	" لكل غديرٍ لواءٌ يوم القيامة يُعرف به "	228
93	الكهف : 60 - 65	" لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك... "	229
98	الكهف : 80 - 81	" لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له "	230
112	الكهف : 103 - 106	" ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة "	231
135	مريم : 34 - 37	" لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، أنهم يجعلون له الولد، وهو يرزقهم ويعافيتهم "	232
145	مريم : 59 - 60	" لو أن صخرة زنة عشر عشرات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين... "	233
387	النور : 36 - 38	" لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد "	234
151	مريم : 71 - 72	" لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم... "	235
239	الأنبياء : 87 - 88	" دعوة ذي النون إذا دعا ه وهو في بطن الحوت " لا إله إلا أنتَ سُبحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ "	236
266	الحج : 19 - 22	" لو أن مقمعا من حديد وُضع في الأرض... "	237
267	الحج : 23 - 24	" لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة "	238
153	مريم : 71 - 72	" لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم يعني الورود "	239
192	طه : 80 - 82	" لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، واليهود تصوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى... "	240

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف اللام	
207	طه : 128 - 130	" لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "	241
284	الحج : 37	" ليس في المال حق سوى الزكاة "	242
334	المؤمنون : 101 - 104	" لما تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب قال : أما والله ما بي إلا إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي... "	243
261	النور : 19	" لا تؤذوا عباد الله ولا تُعَيِّرُوهُمْ ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته "	244
375	النور : 31	" لا يدخلنَّ هذا عليك "	245
375	النور : 31	" لا يدخلنَّ عليكم هذا فَحَجِّبُوهُ "	246
379	النور : 32 - 34	" لا يحل مال امرئٍ مسلمٍ إلا من طيب نفسه "	247
380	النور : 36 - 38	" لا تقوم الساعة حتى تتباهى الناس في المساجد "	248
69	الكهف : 18	" لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب "	249
398	النور : 55	" لا يزال الإسلام عزيزاً إلى أثني عشر خليفة كلهم من قريش... "	250
398	النور : 55	" لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولاهم اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش "	251
398	النور : 55	" لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش... "	252
410	النور : 64	" لا تُنْزِلُوا النساءِ العُرفَ ، ولا تُعْلَمُوهُنَّ الكتابةَ ، وعَلْمُوهُنَّ المغزَلُ ، وسورة النور "	253
162	مريم : 88-95	" لَقَنُوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله... "	254
162	مريم : 88-95	" لا أحد أصبر على أذى يسمعه "	255
232	الأنبياء : 79 - 82	" لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود "	256
401	النور : 55	" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم... "	257
401	النور : 55	وفي رواية " حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "	258
401	النور : 55	وفي رواية " حتى يقاتلون الدجال "	259
401	النور : 55	وفي رواية " حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون "	260
389	النور : 36 - 38	" لا تمنعوا إماء الله مساجد الله "	261

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف الميم	
77	الكهف : 27 - 28	" ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون إلا وجهه ...".	262
58	فضل سورة الكهف	" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال".	263
60	فضل سورة الكهف	" من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين الجمعتين ...".	264
59	فضل سورة الكهف	" من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال".	265
78	الكهف : 29.	" ماء كالمهل ، قال كَعَكَرَ الزيت فإذا قَرَّبَهُ إليه سقطت فروة وجهه فيه".	266
58	فضل سورة الكهف	" من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه...".	267
81	الكهف : 37 - .41	" ما أنعم الله على عبدٍ نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله".	268
114	الكهف : .110	" من صلى يُرَائِي فقد أشرك ، ومن صام يُرَائِي فقد أشرك ، ومن تصدَّق يُرَائِي فقد أشرك ...".	269
115	الكهف : .110	" من سمعَ سمعَ الله به ، ومن رايَا رايَا الله به ... "	270
115	الكهف : .110	" من يُرَائِي يُرَائِي الله به ومن يُسَمِّعُ يُسَمِّعُ الله به.... "	271
122	مريم : 12 - . 15	" ما من أحدٍ يلقى الله يوم يلقى إلا ذا ذنبٍ إلا يحيى بن زكريا".	272
135	مريم : 34 - . 37	" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها".	273
172	طه : 11 - .16	" من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يُصلِّها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك".	274
206	" طه : 123 - . 126	" ما من رجل يقرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم القيامة وهو أجزم".	275
274	الحج : 28 - . 29	" ما العمل في أيام أفضل منها في هذه الأيام العشر....	276
143	مريم : 58	: " مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح".	277
209	طه : 133 - .135	" ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله".	278
148	مريم : 64 - 65	" ما منعك ان تزورنا أكثر مما أن تزورنا".	279
149	مريم : 64 - .65	" ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال ، وما حرّم فهو حرام".	280
163	طه : 1 - 8.	" من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين".	281
178	طه : 36 - . 39	" مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى تُرْضِع ولدها وتأخذ أجرها".	282

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف الميم	
206	" طه : 123 - 126 .	" المعيشة الضنك التي قال الله: إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه ... "	283
274	الحج : 28 - 29 .	" ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه . "	284
281	الحج : 36 .	" ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله . "	285
308	المؤمنون: 1 - 11 .	ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾	288
310	المؤمنون : 12 - 16 .	" مرَّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم ... "	289
319	المؤمنون : 51 - 56 .	" ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ، قالوا: وأنت يا رسول الله ، قال : نعم أرهاها على قراريط لأهل مكة ... "	290
381	النور : 32 - 34 .	" مهر البغي خبيث وكسب الحجاج خبيث . "	291
385	النور : 36 - 38 .	" من بنى مسجداً يُذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً ... "	292
386	النور : 36 - 38 .	" ما أمرت بتشبيد هذه المساجد "	293
409	النور : 63 .	" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ . "	294
386	النور : 36 - 38 .	" من سمع رجلاً ينشد ضالةً في المسجد فليقل : لا ردها الله عليك "	295
409	النور : 63 .	" مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها . "	
		حرف النون	296
77	الكهف : 27 - 28 .	نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله منهم تائر الرأس وحاف الجلد وذو الثوب ... "	297
118	مريم : 1 - 6 .	" نحن معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركنا فهو صدقة . "	298
124	مريم: 16 - 21 .	" نهى عن مهر البغي . "	299
240	الأنبياء 91 - 94 .	" نحن معاشر الأنبياء أولاد علاتٍ وديننا واحد . "	300
263	الحج : 18 .	" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ ظهور الدواب منابر فربّ مركوبة أجزل خيراً . "	301
285	الحج : 39 - 40 .	" نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أخرجوا من مكة . "	302

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف النون	
381	النور: 32 - 34	" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب البَغِيِّ " .	303
386	النور: 36 - 38	" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتياح وعن تناشد الأشعار في المساجد " .	304
		حرف الهاء	
356	النور : 11 .	" هاجمهم وجبريل معك " .	305
254	الحج : 1 - 2	" هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال: يا عائشة أما عند ثلاث فلا ... " .	306
		حرف الواو	
64	الكهف 9 - 12	" وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً " .	307
73	الكهف: 23 - 24	" والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله لم يحنث ... " .	308
73	الكهف: 23	" ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعين " .	309
94	الكهف : 60 - 65	" وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما " .	310
107	الكهف : 92 - 96	" وُلد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافت أبو الترك .	311
109	الكهف : 97 - 99	" والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم " .	312
228	الأنبياء : 68 - 70	" ولهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله وسماه فويسقاً " .	313
276	الحج : 28 - 29	" وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي جمرة العقبة " .	314
321	المؤمنون : 57 - 61	" ولكنهم الذين يصلون ، ويصومون ، ويتصدقون وهم يخافون ... " .	315
281	الحج : 36 .	" ويجوز كل واحد منهما عن سبعة " .	316
322	المؤمنون : 57 - 61	﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ : أي يفعلون ما يفعلون وهم يخافون " وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم " .	317
331	المؤمنون : 93 - 98	" وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون " .	318
335	المؤمنون : 101 - 104	﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُورِ﴾ ، قال: تشويه النار فَتَقْلَصُ شَفْتَهُ العليا حتى تبلغ وسط رأسه	319
341	النور : 1 - 2	" والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة .. " .	320
381	النور : 32 - 34	" وُضِعَ عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " .	321

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف
		حرف الواو
338	المؤمنون : 116-112	" والذي نفسي بيده لو أن رجلاً وقفاً قرأها على جبلٍ لزال ".
		حرف الياء
370	النور : 30	" يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة "
86	الكهف : 47 - 49	" يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طلباً ".
86	الكهف : 47 - 49	" يحشر الله تعالى الناس يوم القيامة أو قال العباد عُرَاءَ عُرْلًا بِهِمَا "
89	الكهف : 52 - 53	" ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة بما لم يعمل في الدنيا وأن الكافر ليرى جهنم ".
111	الكهف : 100 - 102	" يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك "
114	الكهف : 110	" يا رسول الله إنني أفف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه ".
122	مريم: 12-15	" يبقى رجل في النار يُنادي ألف سنة يا حنان يا منان ".
145	مريم : 59 - 60	" يكون خلف بعد ستين سنة ﴿أَضَاعُوا صَلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ثم يكون خلف ".
152	مريم : 71 - 72	" يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ".
153	مريم : 71 - 72	" يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلَيبِ مَعَ صَلَيبِهِمْ "
234	الأنبياء : 83	" يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ "
200	طه : 109 - 112	" يقول الله أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فيخرجون خلقاً كثيراً "
209	طه : 131 - 132	" يقول الله يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ".
242	الأنبياء : 95 - 97	" يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، كما قال تعالى ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ "
253	الحج : 1 - 2	" يا آدم يقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ".
257	الحج : 5 - 7	" يدخل الملائكة على النطفة بعدما تستقر في الرحم أربعين أو خمسين وأربعين يوماً فيقول أي رب أشقي ".
257	الحج : 5 - 7	يدخل الملك على النطفة ".
258	الحج : 5 - 7	" يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل وما آية ذلك.. "
268	23 - 24	" يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس ".
271	الحج : 25	" يغزو هذا البيت جيش حتى إذا كانوا بببداء من الأرض يُخَسَفُ بأولهم وآخرهم ".

الصفحة	مكان وروده	الحديث الشريف	
		حرف الياء	
290	الحج : 47 - 48.	"يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام"	343
306	المؤمنون : 1 - 11.	" يا بلال أرحنا بالصلاة "	344
308	المؤمنون : 1 - 11.	" يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى "	345
310	المؤمنون : 12 - 16	" يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول : يا رب ماذا شقي أم سعيد ... "	346
321	المؤمنون : 57 - 61.	" يا رسول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ ، يا رسول الله هو الذي يسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال : لا يا ابنة الصديق ... "	347
321	المؤمنون : 57 - 61.	" يصلون ، ويصومون ، ويتصدقون وهم يخافون ... "	348
221	الأنبياء: 36 - 37	" يُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلاته "	349
376	النور : 31.	" يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنِّي أتوب إليه كل يوم مائة مرة "	350
377	النور : 32 - 34.	" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضُّ للبصر ، وأحصن للفرج ... "	351
392	النور: 39 - 40.	" يُقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون فيقولون : كنا نعبد عُزيراً ابن الله ، فقال : كذبتم... "	352
167	طه : 1 - 8	" يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادته إنِّي لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلَّا وأنا أريد أن أغفر لكم ... "	353
242	الأنبياء: 95 - 97	" يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، كما قال تعالى ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ... "	354
270	النور: 30	" يا علي لا تتبع النظرة النظرة "	355
406	النور : 61	" يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال : فلعلكم تفترقون ... "	356

فهرس الآثار

م .	الأثر	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
1.	" إذا بقي من يخلد في النار جُعلوا في توابيت من نار ، فيها مسامير من نار".	الأنبياء : 98 - 103	245
2.	" إذا بلغ الرجل أربعين عاماً آمن من أنواع البلايا من الجنون ، والجذام والبرص ".	الحج : 5 - 7.	257
3.	" أنا من القليل الذين استثنى الله كانوا سبعة ".	الكهف : 22	72
4.	" إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه ، لوح من ذهب ".	الكهف : 82.	84
5.	" اتخذوا عند الرحمن عهداً فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عهد فليقيم ، قالوا يا أبا عبد الرحمن فَعَلِمْنَا ، قال : قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض ...".	مريم : 81 - 84	160
6.	" إذا بلغ الرجل أربعين عاماً آمن من أنواع البلايا من الجنون ، والجذام والبرص ".	الحج : 5 - 7.	257
7.	" أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية هَذَانِ حَصْمَانِ ﴿ ائْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ، نزلت في حمزة وصاحبيه ".	الحج : 19 - 22	264
8.	" أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ".	الحج : 19 - 22	264
9.	" إياك والإلحاد في حرم الله ".	الحج : 25.	272
10.	" أحبي قلبك بالمواعظ ونوره بالفكر ، وموته بالزهد ".	الحج : 42 - 46	289
11.	" إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار نور العرش من نور وجهه ".	المؤمنون : 84 - 90	329
12.	" إذا وُضِعَ الكافر في قبره فيرى مقعده من النار، فيقول ربّ ارجعون أتوب وأعمل صالحاً، فيقال له: قد عُمِرْتَ ...".	المؤمنون : 99 - 100.	332
13.	" أن رجلاً مُصاباً مرّ به على عبدالله بن مسعود فقراً في أذنه هذه الآية : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ حتى ختم السورة فبرأ ...".	المؤمنون : 112 - 116	338
14.	" أما بعد أيها الناس فإن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأها ووعيناها...".	النور : 1 - 2	341
15.	" إن عائشة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما تفاخرتا فقالت زينب : أنا الذي نزل تزويجي ، فقالت عائشة: أنا الذي نزل عذري في كتابه حين حَمَلَنِي ابن المعطل على الراحلة...".	النور : 11.	356
16.	" إنه كان يُنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ".	النور : 11.	357
17.	" أن عائشة رضي الله عنها كانت تقرأها كذلك أي: بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب الذي يستمر صاحبه فيه ".	النور : 14 - 15	359
18.	" أفي ص سجدة ، قال : نعم "	مريم : 58	143
19.	" إن الله سَتِيرٌ يحب الستر ، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا جِجال في بيوتهم ".	النور : 58 - 60	402

م .	الأثر	مكان وروده	الصفحة
	حرف الهمزة		
20.	" أو اجبُ عليّ إذا علمتَ له مالاً إن كاتبه ، قال : ما أراه إلا واجباً "	النور : 32 - 34.	378
	حرف الباء		
21.	" بلى والله أنا أحب يا ربنا أن تغفر لنا "	النور : 22.	326
	حرف الثاء		
22	" ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة بأربعة آلاف درهم فجعلها سجناً "	الحج : 25.	269
	حرف الحاء		
23	" حرام على أهل قرية أهلكتناها، أن يرجعوا بعد الهلاك "	الأنبياء: 95 - 97	241
	حرف الخاء		
24	" خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وعرسها فقال لها : تكلمي فقال: قد أفلح المؤمنون "	المؤمنون : 1 - 11.	305
25	" خلق الله جنة عدن بيده ودلاً فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها "	المؤمنون : 1 - 11.	305
26	" الخشوع خشوع القلب "	المؤمنون : 1 - 11.	306
	حرف السين		
27	" سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب قال يا ابن أخي: أما تقرأ القرآن قول الله ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ "	الأنبياء 87 - 88	239
28	" سألت أبي أي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً هم : الحرورية... "	الكهف: 103 - 106	112
29	" سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي "	المؤمنون 101: - 104	335
	حرف الفاء		
30	" فقضى داود الغنم لصاحب الكرم، فقال أو غير هذا؟ يا نبي الله قال: وما ذاك؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم... "	الأنبياء : 78 - 82.	231
	حرف القاف		
31	" قيل: السجل ههنا ملك يكتب أعمال العباد، فإذا سعد بالاستغفار قال: اكتبها نوراً "	الأنبياء : 104	247
	حرف الكاف		
32	" كنز علم، وصنف فيه علم "	الكهف : 82	98
33	" كنا نسمُن الأضحية بالمدينة ، وكان المسلمون يُسمّون... "	الحج : 32 - 33.	279
34	" كان ابن عمر إذا كاتب عبداً، لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجزه، فترجّع إليه صدقته ... "	النور : 32 - 34.	380
35	" كنتُ قيناً بمكة ، فعملت للعاص بن وائل.. "	مريم: 77-80	156

م .	الأثر	مكان وروده	الصفحة
	حرف الكاف		
36	" كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، وتنجت خيله ، قال : هذا دين صالح ...".	الحج 11- 13	260
37	" كنتُ عند عائشة، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج، قلتُ لعائشة : ما تصنعين بهذا ، يعني يدخل عليكِ ...".	النور : 11.	356
38	" كان عمر يُجمِرُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة"	النور 36- 38	387
	حرف اللام		
39	" لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولكن يُنوقٍ لم تر الخلائق مثلها عليها ...".	مريم : 81 - 84.	160
40	" لو أن رجلاً أراد فيه بالحادٍ بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم ...".	الحج : 25.	271
41	" لتزخرقنها كما زخرقت اليهود والنصارى".	النور : 36 - 38.	386
42	" لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شررة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة ...".	الأنبياء: 68 - 70	228
43	" لا يتبرجن بوضع الجلباب أن يرى ما عليها من الزينة".	النور : 58 - 60.	403
	حرف الميم		
44	" من آمن بالله واليوم الآخر كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة".	الأنبياء 105 - 107	249
45	" المشكاة الكوة التي لا منفذ لها بلغة الحبشة".	النور : 35.	383
	حرف النون		
46	" نزلت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حين أخرجوا من مكة".	الحج: 39 - 40	385
	حرف الهاء		
47	" هو ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان دفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعته إلى يوم القيامة".	الأنبياء : 104.	247
48	" الهش أن يضع الرجل المحجن على الغصن ثم يُحركه حتى يسقط ورقه وثمره".	طه : 17 - 21.	174
49	" هو اسم صحابي كان يكتب للنبي الوحي".	الأنبياء : 104.	247
50	" هم الذين بارزوا يوم بدر".	الحج: 19 - 22	264
51	" هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد".	النور: 58 - 60.	403
	حرف الواو		
52	" وافقت ربّي في أربع ...".	المؤمنون : 12 - 16.	311

فهرس الأبيات الشعرية

م .	البيت	مكان الورد	الصفحة
	قافية الهمزة		
1.	هجوتَ محمداً، فأجبتُ عنه ... وعندَ الله في ذلكَ الجزاءُ إنَّ أبِي وَوَالِدِهِ وَعِرْضِي ... لعرضِ مُحَمَّدٍ منكم وقاءُ أَتَسْنُمُهُ، ولستُ له بكفٍ ... فَشَرُّكُمْ لَخَيْرِكُمْ الفداءُ . لساني صارمٌ لا عيبَ فيه... وَبَحْرِي لا تُكدرُهُ الدلاءُ .	النور: 11	357
	قافية الباء		
2.	قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... والسبعُ أركى من ثلاثٍ وأطيبُ	الكهف : 19 - 20	70
	قافية الحاء		
3.	لئيبك يزيدُ، ضارعٌ لخصومة... ومُختبِطٌ مما تُطيح الطوائِحُ.	النور : 36 - 38	389
	قافية الدال		
4.	بلغ المشارق والمغرب بيتغي .. أسباب أمر من حلِيم مُرشد فرأى مغار الشمس عند غروبها .. في عين ذي خُلبٍ وثاطٍ جرمدٍ.	الكهف : 85 - .88	105
5.	وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد.	مريم : 88 - 92	161
6.	الحمد لله العزيز فرداً ... لم يتخذ من ولد شيءٍ وُلداً.	مريم: 77 - 80	157
7.	ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ... بين المراحل والضريح الأجردا.	الحج : 25.	271
	قافية الراء		
8.	فليت فلاناً كان في بطن أمه ... وليت فلاناً كان وُلد حمار.	مريم: 77 - 80	157
9.	فلا عائدُ ذلك الزمان الذي مضى ... تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر.	الأنبياء : 87 - .88	238
10.	داب شهرين ثم شهراً دميكاً.. بأريكين مُحفِيَاتٍ عُميراً .	طه: 11-16	173
11.	تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَأَخْرَهَا لَأَقَى حَمَامَ الْمَقَادِرِ.	الحج : 52 - 54	293
	قافية اللام		
12.	فحلَّت سويداء القلب لا أنا باغياً ... سِوَاهَا ولا عن حبها أتحوّل.	الكهف : 107 - 108	113
13.	حَصَانُ رَزَانٍ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ ... وَتُصْبِحُ عَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ.	النور : 11	357

فهرس الأعلام

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
	حرف الهمزة	
1	أبو سعيد الخدري: (سعد بن مالك بن سنان)	59
2	ابن عباس (عبدالله بن عباس)	61
3	أبو هريرة: (عبدالرحمن بن صخر)	73
4	ابن جرير: محمد بن جرير الطبري	75
5	أنس بن مالك	77
6	ابن ماجه: (محمد بن يزيد القزويني)	86
7	أبي بن كعب	93
8	ابن جريج: (عبدالملك بن عبد العزيز)	98
9	ابن قتيبة: (عبدالله بن مسلم)	99
10	ابن الصلاح: (أبو عمر عثمان بن المفتي)	100
11	الأزرقي: (محمد بن عبد الله)	102
12	ابن أبي حاتم: (عبدالرحمن بن محمد)	103
13	ابن حاضر: (عثمان بن حاضر)	104
14	أبي بكر: (نقيب بن الحارث)	115
15	أبي سعيد بن أبي فضالة	115
16	أبو عمرو بن العلاء	124
17	ابن عامر: (عبدالله بن عامر اليحصبي)	133
18	أبو الدرداء: (عويمر بن مالك)	149
19	أبو ميسرة: (عمرو بن شربيل)	151
20	الأرقم بن أبي الأرقم	154
21	أبو نهيك: (عثمان بن نهيك)	158
22	أبو أيوب الأنصاري: (خالد بن زيد)	171
23	أمية بن أبي الصلت	180
24	الأعمش: (سليمان بن مهران)	181
25	الأوزاعي: (عبدالرحمن بن عمرو)	188
26	أبو النجم: (الفضل بت قدامة)	192
27	ابن مائع: (شقي بن مائع)	193
28	أبو العتاهية: (إسماعيل بن القاسم)	212
29	أبو العالية: (رُفيع بن مهران)	228
30	ابن مُحَيِّصَة: (حرام بن سعد)	231
31	ابن مردويه: (أحمد بن موسى)	246
32	أبو الحجاج المزي	247
33	أبوداود: (سليمان بن الأشعث السجستاني)	254
34	أبو رزين: (لقيط بن عامر)	258
35	أبو ذر: (جندب بن جنادة)	264

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
	حرف الهمزة	
36	أسامة بن زيد	268
37	اسحاق بن راهويه	269
38	الأعشى: (ميمون بن قيس)	270
39	ابن عمر: (عبدالله بن عمر بن الخطاب)	272
40	أبو حنيفة: (النعمان بن ثابت)	275
41	أبو أمامة بن سهل بن حنيف	279
42	ابن أبي الدنيا: (أبوبكر بن عبدالله)	289
43	أبو سفيان: (صخر بن حرب)	327
44	أبو صالح: (عبدالله بن صالح الجهني)	333
45	أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب	334
46	أنيس بن الضحاك الأسلمي	341
47	أم مهزول: (جارية السائب بن أبي السائب)	343
48	أبو عبيد القاسم بن سلام	345
49	ابن المسيب: (سعيد بن المسيب)	345
50	ابن سلول: (عبدالله بن أبي)	349
51	أم مسطح بنت أبي مرهم	351
52	أبوبكر الصديق	352
53	أسيد بن حضير	353
54	ابن شهاب: (محمد بن مسلم)	355
55	أبو أيوب الأنصاري: (خالد بن زيد)	358
56	إبراهيم بن يزيد النخعي	367
57	أسماء بنت مرثد	371
58	ابن أم مكتوم: (عبدالله بن أم مكتوم العامري)	372
59	أم سلمة: (أم المؤمنين)	372
60	ابن جريج: (عبدالمك بن عبد العزيز)	379
61	أبو حميد الساعدي: (عبدالرحمن بن عمرو)	388
62	أبو أسيد الساعدي: (مالك بن ربيعة)	388
63	أسماء بنت يزيد بن السكن	391
	حرف الباء	
64	البراء بن عازب	58
65	البيهقي (أبوبكر بن احمد)	60
66	بلال بن رباح	76
67	البغوي: (محيي السنة: الحسين بن مسعود)	292
68	بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما	352
69	بريدة بنت الحصيبي الأسلمي	370
	حرف التاء	
70	ثعلبة بن الحكم الليثي	167

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
	حرف الثاء	
71	ثوبان: (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم)	361
	حرف الجيم	
72	جابر بن عبدالله	86
73	جرير بن عبدالله البجلي	207
74	جعفر بن أبي طالب	324
75	الجوهري: (إسماعيل بن حماد)	344
	حرف الحاء	
76	الحاكم: (محمد بن عبدالله)	60
77	الحسن البصري	106
78	حفصة بنت عمر بن الخطاب: (أم المؤمنين) رضي الله عنهما	152
79	حكيم بن حزام	216
80	حذيفة بن أسيد	257
81	حمزة بن عبدالمطلب	264
82	حمنة بنت جحش (أخت أم المؤمنين زينب)	354
83	حسان بن ثابت	355
	حرف الخاء	
84	خباب بن الأرت	156
85	الخضر (عليه السلام)	100
86	الخليل بن أحمد الفراهيدي	367
	حلاف الدال	
87	الدارمي: (عبدالله بن عبدالرحمن)	86
88	الدارقطني: (أبو الحسن علي بن عمر)	387
	حرف الراء	
89	رؤبة بن العجاج	157
90	الربيع بن أنس	166
	حرف الزاي	
91	زينب بنت جحش: (أم المؤمنين) رضي الله عنها	109
92	زيد بن عمرو بن نفيل	180
93	زيد بن خالد الجهني	341
94	الزهري: (محمد بن مسلم بن شهاب)	349
95	زينب بنت معاوية: (زوجة عبدالله بن مسعود)	389
	حرف السين	
96	سعيد بن جبير	64
97	سعد بن أبي وقاص	76
98	سهل بن سعد	85
99	سعيد بن المسيب	88
100	السدي: (إسماعيل بن عبدالرحمن)	105
101	سمرة بن جندب	107

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
102	السامري: (موسى بن ظافر)	194
103	سفيان بن عيينة	276
104	سعد بن عبادة بن دليم	206
105	سعد بن معاذ	353
106	سفينة: (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم)	398
	حرف الشين	
107	شداد بن أوس	114
108	شبية بن ربيعة	265
109	الشافعي: (محمد بن إدريس)	279
110	شريك بن عبدة البلوي	347
	حرف الصاد	
111	صهيب بن سنان الرومي	76
112	صفوان بن أمية	269
113	صفوان بن المعطل	351
	حرف الضاد	
114	الضحاك بن مزاحم	63
	حرف الطاء	
115	طاوس بن كيسان	88
116	الطبراني: (سليمان بن أحمد اللخمي)	167
	حرف العين	
117	عقبة بن أبي معيط	61
118	عمار بن ياسر	76
119	عبدالله بن مسعود	76
120	عبدالرحمن بن سهل	77
121	عثمان بن عفان	84
122	عبدالله بن المسيب	88
123	علي بن أبي طالب	89
124	عبدالله بن عمرو بن العاص	104
125	عبدالله بن مسعود	111
126	عاصم بن أبي النجود	133
127	عبادة بن الصامت	135
128	عبدالله بن أبي الحمساء	140
129	عبدالرحمن بن زيد	153
130	العاص بن وائل	156
131	عياض بن موسى اليعصبي	166
132	العوفي: (عطية بن سعد)	203
133	عبدالله بن الزبيرى	245
134	عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما: (أم المؤمنين)	248

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
135	عقبة بن عامر	263
136	عمرو بن العاص	263
137	عتبة بن ربيعة	265
138	عبيدة بن الحارث	264
139	عبدالله بن الزبير	267
140	عقيل بن أبي طالب	264
141	عمر بن الخطاب	270
142	عكرمة: (أبو عبدالله مولى ابن عباس)	277
143	عمرو بن أويس	281
144	عويمر بن أبيض العجلاني	348
145	عروة بن الزبير	350
146	علقمة بن وقاص الليثي	350
147	عبيد الله بن عبدالله بن عتبة	350
148	عبدالله بن قيس الأشعري	366
149	عدي بن حاتم	368
150	عبدالله بن أبي أمية: (أخو أم المؤمنين أم سلمة)	372
151	عطاء بن أبي رباح	379
	حرف الفاء	
152	فاطمة الزهراء	90
153	الفضيل بن عياض	266
	حرف القاف	
154	قتادة بن دعامة	67
155	القرطبي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد)	164
156	قيس بن عباد المنقري	264
157	قيس بن سعد بن عبادة	367
	حرف الكاف	
158	كعب الأحبار: (كعب بن ماتع)	64
159	الكسائي: (علي بن حمزة)	118
160	كعب بن زهير	173
161	كسرى بن هرمز: (ملك الفرس)	400
	حرف الميم	
162	الماوردي: (أبو الحسن علي بن محمد)	99
163	معاوية بن أبي سفيان	104
164	مصعب بن سعد	112
165	محمود بن أبيد	115
166	مسلم بن الحجاج	58
167	معاذ بن أنس الجهني	59
168	مجاهد بن جبر	62

م.	اسم العلم	الصفحة: (مكان ترجمته)
	حرف الميم	
169	الموصللي: (أبو يعلى أحمد بن علي)	81
170	محمد بن سيرين	96
171	معمر بن المثنى	121
172	محمد بن إسحاق	126
173	محمد بن كعب القرظي	130
174	المغيرة بن شعبة	130
175	محمد بن سهل الأسدي	173
176	مالك بن أنس	174
177	مالك بن دينار	288
178	المسور بن مخرمة	334
179	مسطح بن أثانة	352
180	مسروق بن عبدالرحمن	356
181	معقل بن يسار المزني	377
182	معاذة بنت عبدالله: (جارية ابن سلول)	380
183	مقاتل بن حيان	390
184	معاذ بن جبل	400
	حرف النون	
185	النسائي: (أحمد بن شعيب)	59
186	النضر بن الحارث	61
187	نوف البكالي	93
188	النابغة الجعدي	113
189	نافع بن الأزرق	151
190	النخعي: (إبراهيم بن قيس)	215
191	النواس بن سمعان	242
192	النجاشي: (أصحة بن الأبحر)	325
	حرف الهاء	
193	هرم بن حيان العبدي	163
194	هلال بن أمية	347
	حرف الواو	
195	وهب بن منبه	102
196	الواتق بالله	108
197	الوليد بن عتبة	265
198	واثلة بن الأسقع الليثي	386
	حرف الياء	
199	يحيى بن شرف النووي	100
200	يزيد بن أبان الرقاشي	179
201	يزيد بن ميسرة	234

فهرس الأماكن والبلدان

م .	اسم المكان ومكان وروده	رقم الآية	الصفحة
	أولاً : سورة الكهف :		
1.	أيلة	17	68
2.	نينوى	17	68
3.	البلقاء	17	68
4.	بلاد الروم	17	68
5.	مجمع البحرين	65 - 60	92
6.	طنجة	65 - 60	92
7.	بلاد المغرب	65 - 60	92
8.	بحر فارس	65 - 63	92
9.	بحر الروم	65 - 63	92
10.	الروم	84 - 83	102
11.	فارس	84 - 83	102
12.	مكة	84 - 83	102
	ثانياً : سورة مريم :		
13.	بيت المقدس	21 - 16	123
14.	المسجد المقدس	21 - 16	123
15.	بيت لحم	23 - 22	127
16.	بيت المقدس	23 - 22	127
17.	تميم	33 - 27	130
18.	الحجاز	55 - 54	140
19.	الحديبية	72 - 71	152
20.	بدر	72 - 71	152
21.	دار الأرقم	74 - 73	154
22.	مكة	80 - 77	156
	ثالثاً : سورة طه :		
23.	الأرض المقدسة	16 - 11	171
24.	طوى	16 - 11	171
25.	النيل	39 - 36	177
26.	مدين	44 - 40	179
27.	مصر	48 - 45	182
28.	الروم	48 - 45	183
29.	المدينة	82 - 80	192
30.	باجرما	98 - 95	197
31.	كرمان	98 - 95	197
32.	سامرة	98 - 95	197

م .	اسم المكان ومكان وروده	رقم الآية	الصفحة
	رابعاً : سورة الأنبياء :		
.33	فارس	70 - 68	227
.34	الشام	75 - 71	229
.35	حران	75 - 71	229
.36	بلاد الشام	75 - 71	229
.37	سدوم	75 - 71	229
.38	نينوى	88 - 87	237
.39	الموصل	88 - 87	237
.40	البحر الأخضر	88 - 87	237
.41	الشام	97 - 95	243
.42	العراق	97 - 95	243
.43	البيت العتيق	97 - 95	244
	خامساً : سورة الحج :		
.44	المدينة	13 - 11	260
.45	بدر	22 - 19	264
.46	المسجد الحرام	25	268
.47	الكعبة	25	268
.48	رباع مكة	25	269
.49	مكة	25	270
.50	مكة	25	271
.51	مكة	25	271
.52	عدن أبيين	25	271
.53	الحرم	25	271
.54	البيت العتيق	27 - 26	272
.55	الصفا	27 - 26	272
.56	المسجد الحرام	27 - 26	272
.57	بيت المقدس	27 - 26	272
.58	أبي قبيس	27 - 26	273
.59	مكة	27 - 26	273
.60	المزدلفة	29 - 28	276
.61	عرفة	29 - 28	276
.62	منى	29 - 28	277
.63	المدينة	33 - 32	279
.64	البيت العتيق	33 - 32	280
.65	الكعبة	33 - 32	280
.66	مكة	40 - 39	286
.67	المدينة	40 - 39	278

م .	اسم المكان ومكان وروده	رقم الآية	الصفحة
	سورة الحج :		
.68	مكة	54 - 52	292
.69	الحيثة	54 - 52	292
.70	أرض الحجاز	66 - 63	296
	سادساً : سورة المؤمنون :		
.71	المدينة	11 - 1	306
.72	المدينة	11 - 1	307
.73	مكة	11 - 1	307
.74	أرض مصر	22 - 18	312
.75	بلاد الحيثة	22 - 18	313
.76	الحجاز	22 - 18	313
.77	طور سَيْنَاء	22 - 18	313
.78	عاد	41 - 31	316
.79	ثمود	41 - 31	316
.80	فلسطين	50	318
.81	مصر	50	318
.82	دمشق	50	318
.83	الرملة	50	318
.84	الربوة	50	318
.85	بيت المقدس	50	319
.86	الحرم بمكة	67 - 62	323
.87	الحيثة	75 - 68	325
	سابعاً : سورة النور :		
.88	المدينة	11	350
.89	بدر	11	352
.90	الأوس	11	353
.91	الخزرج	11	353
.92	مكة	29 - 27	369
.93	الطائف	35	382
.94	قريش	55	398
.95	الحيرة	55	399

فهرس الملل و النمل والفرق والجماعات

رقم الآية			.
		: سورة الكهف :	
72	22	أهل الكتاب	.1
112	106 103	الحرورية	.2
112	106 103		.3
112	106 103	اليهود والنصارى	.4
	رقم الآية	ثانياً : سورة مريم :	
127	23 22		.5
134	37 34	اليقوبية	.6
134	37 34	النسطورية	.7
134	37 34	الاسرائيلية	.8
134	37 34		.9
134	37 34		.10
136	45 41		.11
139	53 51	الحواريون	.12
139	53 51		.13
155	75	اليهود	.14
155	75		.15
155	75	المشركين	.16
159	84 81		.17
161	95 88	الموحدين	.18
		: سورة طه :	
192	82 80	اليهود	.19
192	82 80	بنو اسرائيل	.20
193	82 80		.21
194	89 83	بني اسرائيل	.22
195	89 83		.23
205	126 123		.24
		: سورة الأنبياء :	
214	9 7	اليهود	.25
214	9 7		.26
244	97 95	أهل السنن	.27

(الفهارس العامة) البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير ()

رقم الآية			.
		:	
261	17	المؤمنين	.28
261	17	الصائبين	.29
265	22 19	أهل الكتاب	.30
265	22 19		.31
279	33 32	أهل السنن	.32
286	40 39	اليهود	.33
286	40 39	الصائبين	.34
286	40 39		.35
286	40 39		.36
286	40 39	المسلمين	.37
286	40 39	اليهود	.38
292	54 52		.39
292	54 52	اليهود	.40
292	54 52		.41
		:	
		:	
308	11 1	اليهود	.42
308	11 1		.43
330	92 91		.44
		:	
		:	
385	38 36		.45
386	38 36	أهل	.46
386	38 36	أهل السنن	.47

فهرس الكتب المذكورة

ت :	اسم الكتاب ومكان وروده	رقم الآية	الصفحة
	أولاً : سورة الكهف :		
1.	المستدرك	فضل الكهف	60
2.	التوراة	5 - 1	61
3.	المسند	12 - 9	64
4.	الصحيحين	16 - 13	66
5.	الصحيحين	24 - 23	73
6.	مسند الموصلي	41 - 37	81
7.	بعض المسانيد	49 - 47	85
8.	الصحيحين	49 - 47	86
9.	الصحيحين	54	89
10.	صحيح البخاري	65 - 60	93
11.	تفسير الماوردي	82	99
12.	تهذيب الأسماء للنووي	82	99
13.	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	96 - 92	107
14.	شرح مسلم للنووي	96 - 92	107
15.	صحيح البخاري	96 - 92	108
16.	مسند أحمد	99 - 97	109
17.	الصحيحين	99 - 97	109
18.	الصحيحين	106 - 103	112
19.	صحيح البخاري	106 - 103	112
20.	الصحيحين	108 - 107	113
	ثانياً : سورة مريم		
21.	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	6 - 1	117
22.	الصحيحين	23 - 22	126
23.	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	33 - 27	130
24.	الصحيحين	37 - 34	135
25.	الصحيحين	40 - 38	136
26.	الصحيحين	50 - 49	138
27.	الكتاب وهو القرآن	53 - 51	139
28.	التوراة	53 - 51	139
29.	صحيح مسلم	55 - 54	141
30.	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	55 - 54	141
31.	الصحيحين	63 - 61	147
32.	صحيح البخاري	70 - 66	150
33.	السنن	72 - 71	152

ت :	اسم الكتاب ومكان وروده	رقم الآية	الصفحة
	سورة مريم		
.34	الصحيحين	71 - 72	152
.35	الصحيحين	77 - 80	156
.36	الصحيحين	88 - 95	162
.37	الصحيحين	96 - 98	162
	ثالثاً : سورة طه :		
.38	الشفاء للقاضي عياض	1 - 8	166
.39	الصحيحين	1 - 8	167
.40	مسند أبي يعلى	1 - 8	168
.41	الصحيحين	11 - 16	172
.42	الصحيحين	40 - 44	179
.43	السنن	53 - 56	184
.44	الصحيحين	80 - 82	192
.45	التوراة	83 - 89	194
.46	الصحيحين	109 - 112	200
.48	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	113 - 114	202
.49	الصحيحين	115 - 122	204
.50	الصحيحين	128 - 130	207
.51	الصحيحين	128 - 130	208
	رابعاً : سورة الأنبياء :	رقم الآية	
.52	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	30 - 33	219
.53	الصحيحين	78 - 82	231
.54	الصحيحين	78 - 82	232
.55	بعض السنن	104	247
.56	الصحيحين	104	248
.57	الزبور	105 - 107	248
.58	التوراة	105 - 107	248
.59	القرآن الكريم	105 - 107	248
.60	اللوح المحفوظ	105 - 107	248
	خامساً : سورة الحج :		
.61	الصحيحين	1 - 2	253
.62	الصحيحين	5 - 7	256
.63	مسند أحمد	5 - 7	257
.64	الصحيحين	18	262
.65	الصحيحين	19 - 22	264
.66	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	23 - 24	267
.67	الصحيحين	25	269
.68	مسند أحمد	25	269
.69	الصحيحين	26 - 27	272
.70	سنن أبي داود	28 - 29	274

الصفحة	رقم الآية	اسم الكتاب ومكان وروده	ت :
		سورة الحج	
278	31 - 30	الصحيحين	.71
278	31 - 30	مُسند أحمد	.72
280	35 - 34	الصحيحين	.73
282	36	الصحيحين	.74
283	36	الصحيح	.75
284	37	الصحيح	.76
288	46 - 42	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	.77
292	54 - 52	تفسير البغوي	.78
298	70	صحيح مسلم	.79
298	70	اللوح المحفوظ	.80
299	74 - 73	صحيح مسلم	.81
		سادساً : سورة المؤمنون :	
306	11 - 1	أصحاب السنن	.82
307	11 - 1	الصحيحين	.83
307	11 - 1	الصحيح (وجدته في كتب السنن)	.84
308	11 - 1	صحيح مسلم	.85
310	16 - 12	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	.86
318	49 - 45	التوراة	.87
319	56 - 51	صحيح البخاري	.88
323	67 - 62	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	.90
327	83 - 76	الصحيحين	.91
334	104 - 101	الصحيحين	.92
		سابعاً : سورة النور :	
341	2 - 1	الصحيحين	.93
341	2 - 1	الصحيحين	.94
344	3	الصحيح	.95
345	3	الناسخ والمنسوخ	.96
348	10 - 6	الصحيحين	.97
348	10 - 6	الصحيحين	.98
349	11	الصحيحين	.99
349	11	بعض السنن	.100
349	11	صحيح البخاري	.101
358	13 - 12	مُسند أحمد	.102
359	15 - 14	صحيح البخاري	.103
360	15 - 14	الصحيحين	.104
363	25 - 23	الصحيحين	.105
364	25 - 23	مصنف أبي بن كعب	.106
367	29 - 27	مصنف ابن مسعود	.107
366	29 - 27	الصحيحين	.108

الصفحة	رقم الآية	اسم الكتاب ومكان وروده	ت :
		سورة النور	
369	30	السنن	.109
372	31	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	.110
374	31	الصحيحين	.111
374	31	الصحيحين	.112
385	38 - 36	الصحيحين	.113
385	38 - 36	السنن	.114
387	38 - 36	الصحيحين	.115
387	38 - 36	سنن أبي داود	.116
389	38 - 36	الصحيح (وجدته في الصحيحين)	.117
392	40 - 39	الصحيح	.118
392	40 - 39	الصحيح	.119
398	55	الصحيح (صحيح مسلم)	.120
398	55	الصحيحين	.121
400	55	الصحيحين	.122
401	55	الصحيحين	.123
405	61	المسند	.124
405	61	السنن	.125
408	63	الصحيحين	.126
409	64	بعض السنن	.127

أهم المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم : برواية حفص عن عاصم .

ثانياً : الكتب المطبوعة :

- 1 . الأحاد والمثاني، تأليف : أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تح: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية / الرياض، ط1، 1411هـ- 1991م.
- 2 . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت: 1117هـ)، تح: أنس مهرة، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط/1 1419هـ / 1998م.
- 3 . إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: عبدالسلام بن علي بن محمد النملة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط/1، 1417 هـ / 1998م.
- 4 . الإتيقان في علوم القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/1، 1394هـ/ 1974 م.
- 5 . الأحاديث الطوال، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ) ، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء / الموصل، 1414 هـ / 1983م.
- 6 . إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، (ت: 702هـ)، تح : مصطفى شيخ مصطفى ، ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط/1 - 1426 هـ/ 2005م.
- 7 . الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الأمدي أبو الحسن، تح: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/1 ، 1404هـ
- 8 . الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ت: 456 هـ ، دار الحديث، 1404هـ - القاهرة.
- 9 . أحكام القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد، المعروف (بالكياهراسي)، دار الكتب العلمية، بيروت /لبنان، ، ط /1، 1405هـ.
- 10 . أحكام القرآن، المؤلف : أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 1405

- 11 . أحكام القرآن لابن العربي، المؤلف: محمد بن عبد الله الأندلسي ابن العربي
تح: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية سنة 1424هـ / 2003م.
- 12 . أخبار القضاة، المؤلف: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانِ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيِّ
البَغْدَادِيِّ، الملقب (بوكيع) (ت: 306هـ)، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي،
المكتبة التجارية الكبرى/ مصر، ط/1، 1366هـ / 1947م.
- 13 . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد
الأزرق (ت: 250هـ)، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر- بيروت /
لبنان ط/1، 1416هـ / 1996م.
- 14 . أدب المفتي والمستفتي، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي
أبو عمرو (ابن الصلاح ت: 643هـ) ، تح: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم
والحكم، عالم الكتب - بيروت ، ط/1، 1407هـ.
- 15 - الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح:
محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت ط / 3 / 1409هـ /
1989م.
- 16 . إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد
الشوكاني ت: 1250هـ تح: محمد سعيد البدري أبو مصعب، دار الفكر 1412هـ /
1992م.
- 17 . أسباب النزول، تأليف: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (أبو الحسن)، تح:
كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط/1، 1411 هـ / 1991م.
- 18 - الأسماء والكنى تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني. تح: عبدالله بن
يوسف الجديع. الناشر: مكتبة دار الأقصى - الكويت. ط 1 1406 هـ - 1985م.
- 19 . الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ت:
(463 هـ) ، تح: سالم محمد عطا ، محمد علي معوض. دار الكتب العلمية -
بيروت ط/1 ، 1421هـ / 2000م.
- 20 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
البر (ت: 463هـ)، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل. بيروت / لبنان 1412هـ.
- 21 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي
ابن محمد الجزري، تح: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي ط/1،
1417 هـ - 1996 م. بيروت / لبنان.
- 22 - إسعاف المبطأ برجال الموطأ . تأليف: عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل
السيوطي(ت: 911 هـ) . المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/1 1389هـ - 1969 م.

- 23 - أسماء من يعرف بكنيته. تأليف : محمد بن الحسين أبو الفتح الأزدي الموصلي، تح: أبو عبدالرحمن اقبال، الدار السلفية - الهند ط1، 1410هـ/1989م.
- 24 - الإصابة في تمييز الصحابة تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852 هـ)، تح: علي محمد البجاوي. دار الجيل - بيروت. ط/1، 1412هـ.
- 25 - إصلاح المنطق لابن السكيت، تأليف: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق تح: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة / مصر، ط/4، 1949م.
- 26 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي. (ت: 1393 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت / لبنان، ط/1، 1415 هـ - 1995م.
27. إعراب القرآن أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت: 338 هـ، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت/ لبنان، ط/1، 1409 هـ- 1988م
- 28 . الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، تح: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة / مصر، ط/1، 1398هـ.
- 29 - الأعلام ، تأليف : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. (ت: 1396 هـ) ، دار العلم للملايين. ط 15. 2002م
30. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تح: طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل - بيروت ، ط1، 1973م.
- 31 - الأغاني تأليف : أبو الفرج الأصبهاني (ت: 356هـ) . تح : علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت ت. ط : بلا .
32. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف : شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي (ت: 960هـ)، تح: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت / لبنان، د . ت.
- 33 . اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أدوارد فنديك (ت: 1313هـ) ، تصحيح: محمد علي الببلاوي، دار صادر، ط/1، 1313هـ / 1896م.
- 34 . إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تأليف : تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ت: 845 هـ ، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط/1 ، 1420 هـ / 1999م .

- 35 - الأم ، تأليف: الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي(ت: 204 هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط/2، 1403 هـ / 1983م.
- 36 - إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان ط/2، 1406 هـ / 1986م.
- 37 - الأنساب ، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني (ت: 562هـ) ، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت / لبنان 1998م.
- 38 . الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: مجير الدين الحنبلي العلمي تح: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس - عمان / الأردن، 1420هـ/ 1999
- 39 . الأنساب (للصحاري)، تأليف: سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تح: محمد إحسان النص، ط/4، 1427 هـ / 2006م.
- 40 - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي، (ت: 885هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط/1 ، 1419هـ.
- 41 . الإيثار بمعرفة رواة الآثار، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت: 852هـ) تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1413 هـ.
- 42 . البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي ، ت: 970هـ، دار المعرفة، بيروت / لبنان د. ت.
- 43 - البحر الزخار المعروف بمسند البزار، للإمام أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت: 292هـ)، تح: محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت / لبنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1409هـ / 1988م.
- 44 . البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، ت: 507هـ، مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد / مصر، د. ت.
- 45 - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: علاء الدين الكاساني (ت: 587هـ) دار الكتاب العربي، بيروت / لبنان، ط/1، 1982م
46. بداية المجتهد و نهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت : 595هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة/ مصر، ط/4 1395هـ/ 1975م.
- 47 . البداية والنهاية، للإمام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: 774 هـ)، تح: سيد إبراهيم الحويطي، دار اليقين للنشر والتوزيع - المنصورة / مصر، ط/1 ، 1428هـ / 2007م.

48. البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، (ت: 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت / لبنان، ط/1، 1391هـ.
- 49 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط/1 ، 1384هـ / 1964م.
- 50 - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي دار النشر، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت، ط1 ، 1407هـ.
- 51 - البهجة في شرح التحفة، تأليف: أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط/1 1418 هـ / 1998م.
- 52 . البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 450هـ)، تح: محمد حجي وآخرون الناشر : دار الغرب الإسلامي، بيروت / لبنان، ط/2 ، 1408 هـ / 1988 م.
- 53 . تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية، د . ت .
54. التاج والإكليل لمختصر خليل، تأليف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله، ت: 897 هـ، دار الفكر، ط/1، 1398 هـ
- 55 . تاريخ أسماء الثقات، تأليف: عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين، (ت: 385 هـ) ، تح: صبحي السامرائي، الدار السلفية - الكويت، ط/1، 1404هـ / 1984م.
- 56 . تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تأليف: عبدالرحمن بن خلدون (ت: 808هـ) ضبط: خليل شحادة - مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط/1، 1421هـ / 2001م
- 57 . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت / لبنان، ط/1، 1407هـ / 1987م.
- 58 . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، تأليف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط/1، 1407هـ.

- 59 - تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ ، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي تح: عبدالقادر مصطفى عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ت . ط / بلا ، ت . ط : بلا .
- 60 . تاريخ الخلفاء، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، ط/1 ، 1371هـ / 1952م
- 61 - التاريخ الكبير المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي. (ت: 256هـ)، ط : بلا ، ت . ط : بلا.
- 62 . . تاريخ المدينة، لابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت: 262هـ)، تح: فهميم محمد شلتوت، منشورات دار الفكر- بيروت / لبنان، ط/1 1410هـ.
63. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، تح: علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه. د. ت.
64. التحرير والتنوير - الطبعة التونسية ، تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ط/1 ، 1997 م.
- 65 - تحفة الفقهاء، تأليف : علاء الدين السمرقندي، (ت: 539هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، 1405هـ / 1984م، ودار الكتاب العربي - بيروت / لبنان، 1982م.
- 66 - تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، ط/1 ، 1419هـ / 1998م.
- 67 - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف تأليف : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان ، ط/1 ، 1417هـ.
68. التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبى،(ت: 741هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت / لبنان، 1403هـ / 1983م.
- 69 . تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت: 102 هـ)، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة / مصر، ط ، 1410هـ ، 1989م.
- 70 -. تفسير ابن جريج ، تح: علي حسن عبدالغني، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة / مصر، ط/1، 1413هـ / 1992م.
- 71 . تفسير ابن المنذر، تأليف: أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319 هـ). تح : سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية ، ط1، 1423 هـ / 2002 م.

- 72 . تفسير البحر المحيط ، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، 1422هـ / 2001م.
- 73 . تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تأليف : الإمام عبدالرحمن بنم محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، (ت: 875هـ) ، تح: علي محمد عوض - وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت / لبنان ، ت . ط / بلا .
- 74 . تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (ت: 741هـ) ، دار الفكر - بيروت / لبنان - 1399 هـ / 1979 م.
- 75 - تفسير سفيان الثوري ، لأبي عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط/1، 1403هـ ، 1983م.
- 76 - تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، تأليف : أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774 هـ) ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط/2، 1420هـ - 1999 م.
- 77 - تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (تفسير ابن أبي حاتم) تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة / الرياض، ط/1، 1417 هـ ، 1997م.
- 78 - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب تأليف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (ت: 604 هـ)، دار الكتب العلمية، 1421هـ / 2000م.
- 79 - تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف : أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط/1، 1424 هـ - 2003 م.
- 80 - تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852هـ)، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق / سوريا، 1406هـ / 1986م.
- 81 - تهذيب الأسماء واللغات للعلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت: 676 هـ) ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ط/1، 1996م.
- 82 - تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر - بيروت / لبنان ، ط/1 ، 1404هـ / 1984م.

- 83 - تهذيب الكمال، المؤلف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني (ت: 742هـ)، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/1، 1400هـ / 1980م.
- 84 - الثقات. تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. تح: السيد شرف الدين أحمد. الناشر: دار الفكر. بيروت. ط/1 1395هـ / 1975م.
- 85 - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/1، 1423هـ / 2003م.
- 86 - جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي تح: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط/1، 1424هـ / 2003م.
- 87 - جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ - 2000م.
- 88 - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي (ت: 297هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان، ط: بلا، ت: بلا.
- 89 - الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري تح: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط/3، هـ - 1987م.
- 90 - الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ت: 189هـ، عالم الكتب، بيروت / لبنان، 1406هـ.
- 91 - الجرح والتعديل. تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط/1، 1271هـ / 1952م.
- 92 - الجدول في إعراب القرآن، تأليف: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ) دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق ط/4، 1418هـ .
- 93 - جمهرة أنساب العرب، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (ت: 456هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/3، 1424هـ / 2003م.

- 94 . الجنى الداني في حروف المعاني، تألف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت: 749هـ)، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط/1، 1413 هـ - 1992 م.
- 95 . الحاوي الكبير، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت: 450هـ)، تح: محمود مطرجي وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت / لبنان. ط/1 - 1414هـ / 1994م.
- 96 . الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (ت: 370هـ)، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت، ط/4 1401هـ.
- 97 . حجة القراءات، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (ت: 403هـ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/2، 1402هـ/ 1982م.
- 98 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/1، 1405هـ.
- 99 . خريدة العجائب وفريدة الغرائب المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (ت: 852هـ) المنسوب خطأ: للقاضي (زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي) تح: أنور محمود زناتي - مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط/1 1428 هـ - 2008 م
- 100 . خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، (ت: 837 هـ)، تح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال - بيروت / لبنان، ط/1، 1987م
- 101 . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت: 1093هـ)، تح: محمد نبيل طريفي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، 1998م.
- 102 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. (ت: 852 هـ). تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1392هـ/ 1972م.
- 103 - الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر - بيروت، سنة النشر 1993م.
- 104 - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ودار الريان للتراث، القاهرة، ط/1، ت. ط: 1408هـ، 1988م.

- 105 . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- 106 . ديوان أبي بكر الشبلي ، تأليف : جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جدر/ (ت: 334هـ)، تح: كامل مصطفى الشيبلي، ساعد المجمع العلمي العراقي في طبعه - دار التضامن - بغداد، ط/1- 1967م.
- 107 . ديوان أبي العتاهية (ت: 210هـ)، دار بيروت للطباعة للنشر والتوزيع، ط/1 1986م.
- 108 . ديوان أبي النجم العجلي (الفضل بن قدامة)، (ت: 130هـ)، تح: محمد أديب عبدالواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية - بدمشق - ط/1، 1427 هـ/ 2006 م.
- 109 . ديوان أمية بن أبي الصلت ، تح : سميع جميل الجبيلي، دار صادر للطباعة والنشر بيروت / لبنان ، ط/1، 1998م.
- 110 . ديوان القتال الكلابي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت/ لبنان، ط/1، 1409هـ / 1989م.
- 111 . ديوان النابغة الجعدي ، جمع: واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر بيروت / لبنان، ط/1 ، 1998م.
- 112 . ديوان النابغة الذبياني، تح: كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ط/1، 1383هـ / 1983م.
- 113 . الذخيرة ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: 684 هـ)، تح: محمد حجي، دار الغرب - بيروت / لبنان، 1994م .
- 114 . الرد على الزنادقة والجهمية، المؤلف : أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تح: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية - القاهرة ، ط/1 - 1393 هـ.
- 115 . الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، تأليف: محمد بن جعفر الكتاني، ت: 1345هـ، تح: محمد المنتصر محمد الزمزمي ، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط/4 ، 1406هـ / 1986م.
- 116 . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ت.
- 117 . الروض الداني - المعجم الصغير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تح: محمد شكور محمود الحاج ، المكتب الإسلامي ، دار عمار، بيروت - عمان، ط1 ، 1405 هـ / 1985م.
- 118 . الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف : محمد بن عبد المنعم الحميري (ت: 900 هـ)، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - ط/2 - 1980 م.

- 119 - زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المكتب الإسلامي - بيروت ، ط 3، 1404هـ.
- 120 . الزاهر في معانى كلمات الناس، تأليف: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان، ط/1، 1412 هـ / 1992م.
- 121 . الزهد، لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، (ت: 287)، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة / مصر، ط/1، 1408هـ.
- 122 . السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط/2، 1400هـ.
- 123 - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تأليف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار المعارف، الرياض/ المملكة العربية السعودية ، ط/1، 1412 هـ / 1992 م.
- 124 . السنن ، تصنيف: أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ت: 273 هـ تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق / سوريا ط1، 1430 هـ / 2009 هـ.
- 125 - سنن أبي داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت / لبنان. ت . ط: بلا.
- 126 - سنن البيهقي الكبرى ، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تح : محمد عبد القادر عطا. الناشر : مكتبة دار الباز / مكة المكرمة ، 1414هـ / 1994م.
- 127 - سنن الدار قطني ، المؤلف : علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي تح: السيد عبد الله هاشم يمانى المدني، دار المعرفة - بيروت ، 1386هـ / 1966م.
- 128 . سنن الدارمي، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ، تح: فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان ط/1، 1407هـ.
- 129 - سنن النسائي الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تح: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط1، 1411هـ - 1991م.
- 130 - سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/3، 1405 هـ / 1985 م.

- 131 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي، (ت: 1089هـ)، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط دار ابن كثير- دمشق/ سوريا، 1406هـ.
- 132 . شرح شافية ابن الحاجب، تأليف: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت: 686 هـ). تح: محمد نور الحسن محمد الزفزاف، ومحمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، د . ت .
133. شرح مقدمة أصول التفسير، تأليف: صالح بن عبد آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج - الرياض، ط / 1، 1432 هـ.
- 134 . شعب الإيمان ، تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1410هـ.
- 135 . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي السبتي المغربي، دار الفكر، ط/1، 1423هـ / 2002م.
- 136 . الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت / لبنان، ط/4 ، 1407 هـ / 1987 م
- 137 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت: 354هـ، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/2/1414هـ - 1993م.
- 138 - صحيح مسلم، تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان، د/ ت .
- 139 - صفة الصفوة ، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تح: محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت / لبنان، ط/2، 1399هـ / 1979م.
- 140 - الضعفاء الكبير، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت / لبنان، ط/1 ، 1404هـ / 1984م.
- 141 . الضعفاء الصغير، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت: 256هـ، تح: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط/1، 1396هـ.
142. الضعفاء الكبير، تأليف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ت: 322 هـ ، تح : عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت، ط/1، 1404هـ - 1984م.

- 143 . الضعفاء والمتروكين، تأليف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تح : بوران الضناوي ، وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت / لبنان، ط/1، 1405هـ ، 1985م.
- 144 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي. (ت: 902هـ) ، دار الحياة، د. ت.
- 145 - طبقات الشافعية ، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت: 851هـ)، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.
- 146 . طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: 756هـ)، تح: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، ط/2 - 1413هـ.
- 147 . طبقات المدلسين تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852هـ)، تح: عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار- عمان / الأردن ط/1، د.ت.
- 148 . طبقات المفسرين ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ) تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، 1396هـ.
- 149 - الطبقات الكبرى. تأليف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تح : إحسان عباس، دار صادر - بيروت. ط. 1. 1968م.
- 150 - العبر في خبر من غير، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، 1984م.
- 151 - العين، تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- 152 . غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي الشافعي (ت: 833 هـ)، تح: ج. برجستراسر - دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط/1، 1427هـ ، 2006م.
- 153 . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)، تح: زكريا عميران، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/1 ، 1416 هـ - 1996م.
- 154 . الفائق في غريب الحديث ، تأليف : محمود بن عمر الزمخشري، تح : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان ، ط/2 د.ت.
- 155 . فتح الباب في الكنى والألقاب، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده الأصبهاني، (ت: 395هـ) ، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر الرياض / السعودية، 1417هـ - 1996م.

- 156 . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت: 1250هـ)، دار الفكر- بيروت / لبنان، د.ت.
157. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان - ط/2 - 1977م.
158. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ت: 684هـ ، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان 1418هـ / 1998م.
- 159 . الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، د.ت .
- 160 . الفقه الإسلامي وأدلته، تأليف: وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر، دمشق / سوريا ، د.ت .
- 161 . الفهرست، تأليف: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، (ت: 348هـ)، دار المعرفة - بيروت ، 1398 هـ / 1978م.
- 162 . الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه)، تأليف: حسن ظاظا، منشورات جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ط/1 ، 1971م.
- 163 . فوات الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي، (ت: 764هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط/1، ت. ط: 1974م.
- 164 . الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، (ت: 1125هـ)، دار الفكر، بيروت/لبنان، 1415هـ.
- 165 . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي دمشقي، (ت: 842هـ)، تح: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة، ط/1، 1413هـ - 1992م.
- 166 . الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، تأليف: عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، (ت: 620هـ)، المكتبة الاسلامي بيروت / لبنان، د.ت.
- 167 . الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت: 630هـ)، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1415هـ.
- 168 . الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، (ت: 365هـ)، تح: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت / لبنان، 1409هـ / 1988م.

- 169 . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت. ط/1، 1407 هـ.
- 170 . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، (ت: 1067 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1413 هـ / 1992 م.
- 171 . الكشاف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط/1، 1422 هـ - 2002 م.
- 172 . كشف المشكل من حديث الصحيحين، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الوطن - الرياض - ط / 1 1418 هـ - 1997 م
- 173 . الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت: 310 هـ)، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت / لبنان، 1421 هـ / 2000 م.
- 174 . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، (ت: 975 هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا مؤسسة الرسالة، ط/5 ، 1401 هـ/1981 م.
- 175 . لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بـ(الخازن) (ت: 741 هـ) ، دار الفكر - بيروت / لبنان - ط/1 ، 1399 هـ / 1979 م.
- 176 . اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط/1، 1419 هـ - 1998 م.
- 177 . لباب النقول في أسباب النزول المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم - بيروت، د. ت .
- 178 . لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: 852 هـ)، تح: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/3، 1406 هـ / 1986 م.
- 179 . لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية"، المؤلف: محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين - دمشق، الطبعة الثانية، 1402 هـ - 1982 م

- 180 . المبدع في شرح المقنع، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، (ت: 884هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت / لبنان، 1400هـ.
- 181 . المبسوط للسرخسي، تأليف: شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، تح: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط/1، 1421هـ - 2000م.
- 182 . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط/1، 1412 هـ.
- 183 . المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنى، الناشر: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ - 1999م.
- 184 . المحرر الوجيز المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - ط: 1، 1413هـ - 1993م.
- 185 . المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، 2000م.
- 186 . المخصص ، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان ، ط/1 ، 1417هـ - 1996م.
- 187 . مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ت: 456، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.
- 188 . المستدرک علی الصحیحین ، تألیف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تح : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط/1، 1411هـ / 1990م .
- 189 . مسند ابن الجعد، تأليف: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، (ت: 230 هـ)، تح: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر - بيروت ط/1 1410هـ / 1990م.
- 190 . مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: سليمان بن داود بن الجارود (ت: 204هـ)، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط/1، 1419هـ / 1999م.

- 191 . مسند أبي عوانة، للإمام أبي عوانة يعقوب بن اسحاق الاسفراييني (ت: 316هـ)، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان، د. ت.
- 192 . مسند أبي يعلى ، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، (ت: 307هـ)، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق/ لبنان، 1404هـ / 1984م.
- 193 . مسند إسحاق بن راهويه تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، (ت: 238هـ) ، تح: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان / المدينة المنورة، 1412هـ / 1991م.
- 194 . مسند الإمام أحمد بن حنبل تأليف: أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ / 1999م.
- 195 . مسند الشاميين، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت: 360هـ)، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان 1405هـ - 1984م.
- 196 . مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، (ت: 437هـ) تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1/، 1405هـ.
- 197 . المصنف لابن أبي شيبة (المصنف في الأحاديث والآثار)، للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت: 235 هـ)، تح: محمد عوامة ، شركة دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن، ط1، 1427هـ / 2006م.
- 198 . مصنف عبد الرزاق، تأليف: أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت: 235هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2، 1403هـ
- 199 . المعارف، لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)، تح: ثروت عكاشة ، الناشر دار المعارف - القاهرة د. ت.
- 200 . المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية تأليف: نصر أبو الوفاء الوفائي، تح: طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط1/ 1426هـ، 2005م.
- 201 . معالم التنزيل (تفسير البغوي) ، تأليف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 516 هـ، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 4 ، 1417 هـ - 1997 م.
- 202 . معاني القرآن وإعرابه ، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: 311هـ، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط1/، 1408 هـ - 1988م.

- 203 . معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (الفراء) (ت: 207هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي - الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة ، ط/1. د.ت.
- 204 . المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين/ القاهرة، ط:1: 1415هـ.
- 205 . معجم البلدان ، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت: 626هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، د. ت.
- 206 . معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، (ت: 351هـ)، تح: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة / السعودية، 1418هـ.
- 207 . المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء 1404هـ / 1983م.
- 208 . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، (ت: 487هـ) ، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت / لبنان، 1403هـ.
- 209 . معجم مقاييس اللغة ، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395 هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط/1، 1423هـ / 2002م.
- 210 . معرفة الصحابة، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط/1، 1419 هـ / 1998 م.
- 211 . المغازي للواقدي، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت: 207هـ)، تح : مارسدن جونس، بيروت- عالم الكتب، د. ت.
- 212 . مغني اللبيب عن كتب الأعراب تأليف: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، تح: مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر - دمشق/ سوريا، 1985م.
- 213 . المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر - بيروت، ط/1 ، 1405هـ.
- 214 . المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: 502 هـ ، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت / لبنان، د. ت.
- 215 . مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي

- (ت: 808هـ)، دار القلم - بيروت / لبنان، ط/1، 1984م.
- 216 . الملل والنحل، المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
تح: محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت، ط/1، 1404هـ.
- 217 . مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح:
فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، 1415هـ / 1995م.
- 218 . المنفردات والوحدان، المؤلف: مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين
النيسابوري، ت: 261هـ ، تح: عبدالغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية،
بيروت / لبنان، ط/1، 1408هـ / 1988م..
- 219 . المنمق في أخبار قريش، تأليف: محمد بن حبيب البغدادي، تح: خورشيد
أحمد فاروق. عالم الكتب - بيروت / لبنان - ط/1، 1405هـ / 1985م.
- 220 . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف
النووي، (ت: 676هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/2، 1392هـ .
- 221 . المذهب في فقه الإمام الشافعي، تأليف: إبراهيم بن علي بن يوسف
الشيرازي أبو إسحاق، (ت: 476هـ)، دار الفكر - بيروت / لبنان، د. ت.
- 222 . الموضوعات، للإمام: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي القرشي
(ت: 597هـ)، تح: عبدالرحمن محمد عثمان، ط/1، 1386هـ / 1966م.
- 223 . موطأ الإمام مالك: (رواية محمد بن الحسن) ، المؤلف: مالك بن أنس أبو
عبدالله الأصبحي، تح: تقي الدين الندوي، دار القلم / دمشق، ط/1، 1413هـ -
1991م.
- 224 . ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تح: علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد
عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، 1995م.
- 225 . الناسخ والمنسوخ، تأليف: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو
جعفر ت: 339هـ، تح: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/1 -
1408هـ.
- 226 . الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن
حزم الظاهري أبو محمد، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية -
بيروت ، 1406هـ
- 227 . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن
يوسف بن تغري بردى الأتابكي، (ت: 874هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،
سنة النشر، د. ت.

- 228 . نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، (ت: 762هـ)، تح: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، ط/1، 1357هـ.
- 229 . النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تصنيف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت: 450 هـ) ، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، د. ت.
- 230 . نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، (ت: 733 هـ)، تح: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/1، 1424 هـ - 2004 م.
231. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، تأليف: الإمام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، ط/1 1420 هـ - 1999م.
- 232 . النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ط/1، 1399 هـ - 1979م.
- 233 . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، ط/1، 1994م.
- 234 . الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرنؤوط ، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت / لبنان 1420 هـ - 2000م.
- 235 - هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت: 1339هـ). طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية في استانبول سنة 1951م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان .

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

236. التفسير باللازم عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية)، رسالة ماجستير في القرآن وعلومه، إعداد: أحمد بن محمد الربيعي، إشراف: أ . د: سعود بن عبدالعزيز محمد، مناقشة: أ . د: يحيى محمد زمزمي، أ . د: محمد بن عبدالله الربيعة. منشورات جامعة القصيم / السعودية.

فهرس المحتويات

م.	الموضوع	الصفحة
1	الآية القرآنية	1
2	الإهداء	2
3	كلمة الشكر والتقدير	3
4	المقدمة	4
5	أهمية الموضوع	4
6	أسباب اختيار الموضوع	5
7	الدراسات السابقة	6
8	الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث.	6
9	طريقة البحث	7
10	منهجية البحث	8
	القسم الأول : القسم الدراسي	14
11	المطلب الأول : التعريف بالحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:	15
12	نسبه ومولده	16
13	نشأته	16
14	شيوخه	16
15	آثاره العلمية	17
16	وفاته	17
17	المطلب الثاني: التعريف بالإمام الكازروني رحمه الله تعالى:	18
18	نسبه ومولده	19
19	نشأته الإجتماعية والعلمية	19
20	شيوخه وتلامذته ومعاصروه	20
21	آثاره العلمية	22
22	وفاته	23
25	المطلب الثالث: التعريف بالكتاب	24
26	اسم الكتاب	25
27	نسبة الكتاب للمؤلف	25
28	سبب تأليف الكتاب	25
29	المطلب الرابع : منهج الإمام الكازروني في التفسير	26
30	أولاً : الاستدلال على تفسير القرآن بالقرآن .	27
31	ثانياً : تفسير القرآن بالأحاديث الشريفة .	30
32	ثالثاً : تفسير القرآن بقول الصحابة رضي الله عنهم .	35

م.	الموضوع	الصفحة
33	رابعاً : تفسير القرآن بقول التابعين رضوان الله عليهم .	37
34	خامساً : التفسير اللغوي .	40
35	سادساً : المصادر التي اعتمد عليها :	41
36	أ - المصادر التي صرح بها	41
37	ب - المصادر التي لم يصرح بها	41
38	المطلب الخامس : التعريف بالمخطوط	43
39	أولاً: وصف المخطوط	44
40	ثانياً: ملاحظات على النسخة	45
41	ثالثاً: أهم مختصرات تفسير الإمام ابن كثير	47
42	رابعاً: الطلبة الذين قاموا ويقومون بتحقيق المخطوط.	48
43	نماذج مصورة من المخطوط	49
44	القسم الثاني : تحقيق المخطوط	56
45	أولاً : تفسير سورة الكهف	57
46	ثانياً : تفسير سورة مريم	116
47	ثالثاً : تفسير سورة طه	165
48	رابعاً : تفسير سورة الأنبياء	211
49	خامساً : تفسير سورة الحج	251
50	سادساً : تفسير سورة المؤمنون	304
51	سابعاً : تفسير سورة النور	339
52	الخاتمة	411
53	الفهارس العامة:	417
54	فهرس الآيات القرآنية.	417
55	فهرس الأحاديث الشريفة.	435
56	فهرس الآثار.	454
57	فهرس المسائل الشرعية.	458
58	فهرس الأبيات الشعرية.	459
59	فهرس أنصاف الأبيات.	461
60	فهرس الأعلام	462
61	فهرس الأماكن والبلدان .	468
62	فهرس الأديان والملل والنحل.	471
63	فهرس أسماء الكتب المذكورة في المتن.	473
64	أهم المصادر والمراجع .	477
65	فهرس المحتويات.	497